

المعهد العلمي الحديث طغرباية
بيت الغرب

ازملاء الناصر في اختيار عريك

مكتوب

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التتاني

مطبوعه وصفته وعلق عليه

عبد الحفيظ شاذلي

ابراهيم الأبياري

مصطفى السقا

المدرس بالمدرسة الأميرية

المدرس بالمدرسة الأميرية

المدرس بمجلسه لواء الأول

الطبعة

طبعة دار الفنون والعلوم

٦٤٢٩

المعهد الخيفي للأبحاث والمغربية
بيت الغرب

ازكاء الناض في جنائزك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ استماني

الجزء الثاني

صبطه وحققه وعأق عليه

عبد الحفيظ شلبي

المدرس بالمعارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمعارس الأميرية

مصطفى السقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة

مطبعة فؤاد تأليف والترجمة والنشر

١٣٠٩ هـ - ١٩٤٠ م



الأصول المعتمدة لأزهار الرياض

ذكرنا في مقدمة الجزء الأول من أزهار الرياض بعض الأصول التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب ، ونذكرها في مفتتح هذا الجزء تذكيراً للقراء مع ما وقع إلينا من أصول جديدة ؛ وقد استعملنا في الدلالة على هذه الأصول الحروف الآتية :

(ط)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية (برقم ٢٠١٣ تاريخ) . وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

(ت)

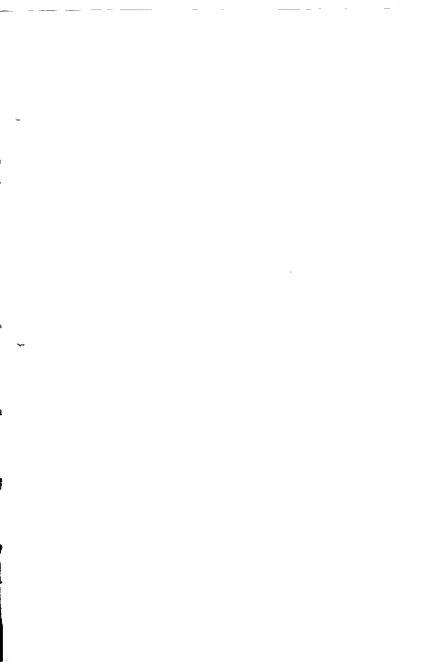
للدلالة على القطعة المطبوعة من هذا الكتاب في تونس سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد انتهت باتهاء ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، حيث انتهى الجزء الأول من طبعتنا هذه .

(م)

للدلالة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية (برقم ٧٩٤ تاريخ) ، وقد وصفناها في مقدمة الجزء الأول .

(ص)

للدلالة على نسخة عثرنا عليها بعد الفراغ من طبع الجزء الأول ، وهي بخط مغربي واضح ، في ٥٩٣ صفحة من القطع الكبير ، وبها عدة سقطات ، ونرجح أنها كتبت قبل سنة ١١٤١ لوجود هذا التاريخ على آخر صفحة منها بخط بعض مالكيها .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

من كتاب

أزهار الرياض، في أخبار عياض

[الفاضي النباهي]

أما الفاضل النباهي فهو علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن^(١) الصريفي به العجذامي الملقب النباهي، أبو الحسن الشهير بابن الحسن، فاضل الجماعة بفَرَاطة، الإمام العالم العلامة. كان رحمه الله من أكاثر المشهورين بها، ممن له الفصاحة والبلاغة والجلالة، إلى الانصاف بالعلم والعرفه، والتفتن في العلوم معقولها ومنقولها. ذكره ابن الخطيب في الإحاطة وأثنى عليه، وذكر أن ولادته عام ثلاثة عشر وسبع مئة، على ما ذكره بعضهم، وتأخرت وفاته عن ابن الخطيب، بحيث إنه كان حيًا عام اثنين وتسعين وسبع مئة.

من كلام لابن الخطيب عنه

وقال ابن الخطيب في ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصه^(٢):

ثم قدّم للقضاء الفقيه الحبيب أبا الحسن، وهو عين الأعيان بمالقة، المخصوص برسم التجلة، والقيام بالعقد والحل، فسدد وقارب، وحمل الكمل، وأحسن [٢٣٢]

(١) في معج الطيب طبعة الأهرمية والمخطوطتين المموتيين بدار الكتب للصرية (برقمي ٣٥٩ و ٣٦٠ تاريخ): «علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن»

(٢) انظر كتاب الإحاطة (ج ٢ صفحة ١٩، ٢٠ طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩).

مصاحبة الخطبة والخطبة^(١)، وأكرم الشيخة، مع النزاهة . ولم يقف في حسن التأتى عند^(٢) غاية ؛ فانفق على رجاحته ، ولم يقف في النصح عند غاية ؛ أعانه الله . انتهى ملخصا .

وكم بين ما قال فيه هنا وبين ما في « الكتبية الكامة » من تلقيبه بـ **جَمْسُوس**^(٣) ، ووَضِعه بما لا يليق سماعه . وعلى كل حال فقد انتصف كل واحد منهما من صاحبه بلسانه ، وعفو الله وراء الجميع .

وقال في حقه الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج في فهرسته :

من كلام السراج

الشيخ الفقيه الراوية ، قاضى الجماعة بالأندلس وخطيبها ، أبو الحسن ؛ أخذ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد التَّجِيبِي المَوْطَّأ والشَّفاء وأكثرَ الصحيحين ؛ وعن الخطيب أبي جعفر الطَّنْجَالِي ، والقاضى العارف أبي القاسم بن سعيد الحميدى ، والوزير أبي بكر بن الحَكِيم ، والقاضى أبى جعفر أحمد بن عبد الحق ، والحاجَّ الراوية أبى القاسم بن المهدي^(٤) ؛ وقرأ على الفقيه الحاجَّ أبى القاسم بن أحمد^(٥) بن محمد بن عمران الحَضْرَمِي بعضَ مختصر ابن الحاجب ، والتسهيل البديع في اختصار التعرُّيع ؛ والحاجَّ أبى عبد الله محمد بن على السَّكُونِي ، والخطيب أبى عبد الله الساحلي ، والقاضى أبى الحاجب المُنْتَشَا فَرَى . قدِّم رسولاً لقاس عام سبعة وستين ، ثم عام ثمانية وثمانين . انتهى .

(١) يريد أنه تولى الخطابة وحطة القضاء ، وأحسن العمل فيهما .

(٢) كذا في الإحاطة . وفي الأصول « على » . وهو تحريف .

(٣) الجمسوس (كمصغور) : اللثيم الخلفة والخلق ؛ ويقال : اللثيم الفحيح ؛ ويقال :

رجل جمسوس ، إذا كان قصيرا دميما . (عن لسان العرب) .

(٤) ورد هذا الاسم مضطربا في الأصول وتفتح الطيب بين « الهوى » و « الهسا »

و « البيا » . وقد أورد لسان الدين بن الخطيب في حقه مشيخته ذكر الحاجَّ أبى القاسم

ابن المهدي الماتقي ، فاعلم المراد هنا .

(٥) في (س) : « أبى القاسم بن محمد بن أحمد ... الخ » .

قلت : تقدم من كلام ابن خلدون أنه جاء رسولا في شأن ابن الخطيب^(١) ، وذلك خلاف هذين التاريخين معاً ، فتأمله .

وله رحمه الله بحث في مسألة الدعاء بعد الصلاة ، رام فيه الرد على الشيخ الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، حسبنا نقله صاحب المقيار . ومن تأليفه رحمه الله : [٢٣٤] « كتاب الرقبة^(٢) العلوية ، في مسائل الفضا والفنبا » في جزأين ، وهو كتاب ممتع إلى الغاية ، وقمت على الجزء الأول منه ، وقد ذكر في أثنائه أخبار سلفه رحمه الله ، ولم أقف من أمره على غير ما ذكرته في هذا الموضوع . وقد قدمنا أنه كان مع السلطان أبي عبد الله بن الأحمر الخلع حين رجع إلى طلب ملكه من المغرب ؛ ورأيت لبعض المتأخرين وصفه بالقاضي الأجل ذى الوزارتين . والله أعلم .

[ابن زمرك]

وأما ابن زمرك فهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريمي ، أبو عبد الله ، ويعرف بابن زمرك . هكذا ذكر غير واحد من المحققين ، وسيأتي في كلام ابن الأحمر حذف « محمد » فيما بين « أحمد » و « يوسف » ، ولعله من باب النسبة إلى الجد ، والله أعلم .

قال ابن الخطيب في الإحاطة^(٣) : « ولد هذا الفاضل بفرناطه ، ونشأ بها ،

(١) قدم إسان الدين بن الخطيب على السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٣ ، وتوفي السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ فيكون قدوم القاضي التياهي على السلطان عبد العزيز في شأن ابن الخطيب فيما بين سنتي ٧٧٣ و ٧٧٤ (انظر أزهار الرياض ج ١ ص ٢١١ والاستقصا للسلوى ص ١٣٢ ج ٢) .

(٢) كذا في الأصول . وفي بعض النسخ : « المرتبة » .

(٣) ترجمة ابن زمرك في الإحاطة في الصفحات (٢٢١ — ٢٤٠) من الجزء الثاني . وقد عارضنا ما نقله القرى هنا على ترجمة الإحاطة ، فوجدناه قد تصرف في النقل بعض التصرف .

من تأليفه

سببه

بمس ما كتبه
ابن الخطيب عنه
في الإحاطة

وهو من مفاخرها ، وكان صدرًا من صدور طلبة الأندلس ، وأفراد نُجَبائِها ،
مختصًا مقبولا ، هاشًا خلوبا ، عذب الفكاهة ، خلوا المحالسة ، حسن التوقيع ،
خفيف الروح ، عظيم الانطباع ، شره الذاكرة ، فطنا بالمعارض ، حاضر
الجواب ، شغلة من شغل الذكاء ، تكاد تحتمد جوانبه ، كثير الرقة ، فكها
غزلا ، مع حياء وحشمة ، جوادا بما في يده ، مشاركا لإخوانه ؛ نشأ عفا
طاهرا ، كلفا بالقرأة ، عظيم الدؤوب ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، ظاهر
النبيل ، بعيد مدى الإدراك ، جيد الفهم ؛ اشتهر فضله ، وذاع أرجه ، وفشا
خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض ، وشارك في جملة من العنون ، فأصبح
متلقف كرة البحث ، وصار يخ الحلة ، وسابق الحلة ، ومظلة الكمال ؛ ثم
ترقى في درج المعرفة والاطلاع ^(١) ، وحاض لجة الحفظ ، وركض قلم ^(٢) التسويد
والتقييد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلمًا فوق الكرسي ^(٣) [المنصوب] ^(٤) ،
وبين الحقل المجموع ، مستظهاً بالفنون التي تعد فيها شأوه ، من عريّة و بيان ،
وما تقذف به لجة النقل من أخبار وتفسير ، منشوها مع ذلك ^(٥) إلى السلوك ، مصاحباً
للصوفية ، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ؛ ثم عانى الأدب ، فكان أملك به .
ورحل في طلب العلم والازدياد ، فترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين
بالمغرب أبي سالم بن أبي الحسن ، وعُرف في بابهِ بالإجادة . ثم رجع مع السلطان
ابن الأحمر في طلب ملكه ، فلفظ محلّه منه ، وخصّه بكتابة سرّه ، [وثابت

(١) كذا في الإحاطة . وفي الأصلين ونفع الطيب : « الاضطلاع » . وما أبتناه
أول السباق .

(٢) في الأصلين : « ركض في التسويد » . وما أبتناه عن الإحاطة ونفع الطيب .

(٣) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب والإحاطة . وفي الأصلين : « معها » .

الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة ، فأقره على رسمه ^(١) ، معروف
الاتقطاع والصاغية ، كثير الدالة ، مصطلحاً بالخطة : خطأ ، وإنشاء ، ولَسَاءً ، ونقداً ؛
خَسُنَ مَنَابُهُ ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته ، ووسع
الناس تخلفه ، وامتد في ميدان النظم والنثر بأعنه ، فعدر عنه من المنظوم قصائد ^(٢)
بعيدة الشأو في مدى الإجابة . من الأغراض المتعددة ، من ميلاديات وغيرها ،
وهو بحاله الموصوفة إلى الآن ، أعانه الله وسدده .

وأخذ العربية عن رَحُلَةِ الْوَقْتِ ^(٣) في فنها ، أبي عبد الله [بن الفَخَّار] ؛ ثم
على إمامها القاضي الشريف ، إمام الفنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد
الحَسَنِي ؛ والفقهاء والعربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد بن نُبْتُ ؛ واختص بالفقيه
المحدث الصدر أبي عبد الله [^(٤) بن مرزوق ، روى عنه كثيراً ؛ ولقي الحافظ
القاضي أما عبد الله المقرئ لما قَدِمَ الأندلس رسولا ، وذاكره ؛ وقرأ الأصول
على أبي علي منصور الزَّوَاوِي ؛ وروى عن القاضي أبي العركات بن الحاج ، والمحدث
أبي الحسين بن التَّمْلِسَانِي ، والحطيب ابن أَلْوَشِي ، والمقرئ أبي عبد الله بن
بَيْش ؛ وقرأ بعض الفنون العقلية بفاس على الشريف الرُّحْلَةُ أبي عبد الله العلوي [٢٣٦]
التَّمْلِسَانِي ، واختص به اختصاصاً لم يَحُلْ فيه من استفادة ، وحسنة في الصناعة .
وأما شعره فترام إلى نَمَطِ ^(٥) الإجابة ، خَفَاجِي ^(٦) النَزْعَة ، كلف بالمعاني
البديعة ، والألفاظ الصَّعِيْلَة . غرير المادة

(١) ما بين الفوسين زيادة عن ربع الطيب والإحاطة .

(٢) في الأساب : (فريدة) . وما أُنشِئَ عن تلح الطيب والإحاطة

(٣) في الإحاطة وربع الطيب : « العرب » .

(٤) ما بين الفوسين ساقط في (ط) .

(٥) في الإحاطة وربع الطيب : « هدف »

(٦) نسبة إلى شاعر تترق الأندلس أبي إسحاق إبراهيم بن حنيفة أشهر وصف الطبيعة

في الأدب العربي (٤٥٠ - ٥٣٣) هـ .

مولده في رابع عشر شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة .

انتهى كلام ابن الخطيب

وأورد له ابن الخطيب فيما يرجع إلى المعخر قوله — قال ابن الخطيب :

شعره أورده
ابن الخطيب

ولقد صدق — :

ولا تَمُتْ في الجُود والجودُ تَمِيتُ^(١) جُبِلْتُ على إيثارها^(٢) يومَ مَوْلَدِي
ذَرِبِي فلو أَنِي أَخْلَدُ بِالْغِنَى لَكُنْتُ ضَنْيَنًا بِالَّذِي مَلَكَتْ يَدِي
وأورد له أيضاً قوله :

لقد عَـلِمَ اللهُ أَنِّي أَمْرٌ أُجِرُّ نَوْتَ^(٣) الْعَفَافِ الْقَشِيبِ
فَكَمْ غَمَضَ الدَّهْرُ أَجْمَعَانَهُ وَفَازَتْ قِدَاحِي بِوَصْلِ الْحَبِيبِ
وَقِيلَ رَقِيبُكَ فِي غَفْلَةٍ قُلْتُ أَخَافُ الْإِلَهَ الرَّقِيبِ
وله أيضاً رحمه الله :

مَالِي بِحَمْلِ الْهَوَى يَدَانِي مِنْ بَعْدِ مَا أَعَوَزَ التَّدَانِي
أَصْبَحْتُ أَشْكُو إِلَى^(٤) زَمَانٍ مَا بَتُّ مِنْهُ عَلَى أَمَانٍ
مَا بَالُ عَيْنَيْكَ تَسْجُنَانِ وَالِدَمْعُ يَرْفُضُ كَالْأَجْمَانِ
مَا ذَاكَ وَالْإِلَافُ عَنْكَ وَإِنْ وَالْبَعْدُ مِنْ بَعْدِهِ كَوَانِي ؟
يَا شِقْوَةَ النَّفْسِ ، مِنْ هَوَانٍ لَجَجْتُ^(٥) فِي أَمْحَرِ الْهَوَانِ

(١) في قمع الطيب : « الأمانة » ... « شبيعة » .

(٢) في مآ والإحاطة : « آثارها » .

(٣) في الإحاطة ونفع الطيب : « ذيل » .

(٤) في رواية : « أشكوك من رمان » .

(٥) في الأصلين : « لمح » ، « والنصوب عن » ليل الانتهاج بتطيرير الدباج ، لأحد
أبنا التبتكي .

لَمْ يَنْتَبِهِ عَنِ هَوَاكَ ثَانٍ يَا بُعِيَّةَ الْقَلْبِ قَدْ كَفَانِي
انتهى .

ثم أظلم الجو بينه وبين ابن الخطيب ، وتولى مكانه بعد فراره كما قدمناه ، وحظي عند ابن الأحمر جدا ، وبقي على ذلك مدة .

قلت : وقد رأيت ببلسان كتاباً ملوكياً^(١) من تأليف بعض سلاطينها بنى الأحمر ، وهو حفيد ابن الأحمر المخلوع ، سلطان الأندلس ، الذي كتب له ابن زمرك المذكور بعد ابن الخطيب ، أورد فيه كلام ابن زمرك ، وسماه : « التَّبَيُّة والمَذْرَك » ، من كلام ابن زمرك ، وهو سفر ضخيم ، ليس فيه إلا نظم فقط ؛ وذكر فيه أن ابن زمرك مات قتيلاً بعد التسعين وسبع مئة ، فكان ذلك الواقع له مساوياً لما وقع لابن الخطيب شيخه ، حسبما قدمناه . [٢٣٧]

ونص ما قُيِّدَتْ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ مِنْ أَوَّلِهِ :

« أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال ، وشكره على ما أوَّلَى وبسر من صلاح الأحوال ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء ، وسيد الأرسال^(٢) ، والرضا عنن له من سحب وأنصار وآل ؛ فإن من المعلوم أن الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثر من اشتهر به بالملاحظة بالخط الحظ مع تعاقب الأحياء ؛ ولا خفاء أن أيام مولانا الجُدِّ المقدَّس ، الغني بالله ، تولاها الله برضوانه ، كانت غُرَرًا في وجوه الأيام ، ومواسم تجتمع العلم والرم^(٣) »

(١) النسبة إلى الملوك : « ملوكي » بفتح الميم واللام ، وشاع على أقلام بعض الفصحاء كالحافظ « ملوكي » ، ولعله للفرق بين النسبة إلى الملك (بكسر اللام) والملك (بفتحها) .

(٢) سها في الحِزْمَةِ الْأَوَّلَى في أكثر من موضع على أن الفسارفة يستعملون « الأرسال » جمعاً لرسول ، ولم يرد السباع بذلك .

(٣) العلم والرم : كناية عن العدد الكثير .

حظوته عند
ابن الأحمر بعد
تكرره لابن
الخطيب
من كتاب لم يشر
إلى الأحمر عنه

من الرؤساء الأعلام ؛ الآخذين بأعنة الكلام ، السابقين في حلبة النثار والنظام ؛ وأن الفقيه الرئيس المذكور ، الناظم النثر آبا عبد الله محمد بن يوسف ابن زمرق ؛ عفا الله عنه — وحسبك بمن ارتضاء مولانا [الجد] ^(١) رحمه الله لكتابه ، وصرفه في الوجوه للتعدي من رسالته وحجابه ؛ فكان بذلك خليفاً ، لما أجمع فيه من أدوات الكمال علماً ونحقيقاً ؛ وإدراكاً ونُبلاً . وفهماً ^(٢) وأصولاً ، وفروعاً وأدباً وتحصيلاً ، وبياناً وتفسيراً ونظاً وترسيلاً — ثانياً ^(٣) كان قد أخذت الألبام سقى صبحه ^(٤) ، وخابت وسائل نصحه ، وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه ؛ وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أئى دُحر قدحوا ، ولا أئى مُطلق من نصرقاته الجبلية قيّدوا : مستبصرين بالجهل في دياجي غيهم ، مُعجبين بما ارتكبوه من حياض بئسهم ؛ جميعهم بلحظه غفل داميه ، وأناط حاميه ؛ بضاحونه بأوجه خلّت عن الوجاهة ، سبها اخسد ، وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد

[^(٥) فخرّ على الألاءة لم يُرسد كُنّ حبيبته سيف صليل ^(٦) فبالله من أشلاء هنالك ضائعة ، وأعلاق غير مصوبة ، ووسائل محمورة ؛ وأذمة قطعت أرحامها ، ولم يُرزع ذمامها ؛ وعائت الأيدي الفاتكة حينئذ على بنيه ، وارنكبوها شتاء في أهله وذوبه] ^(٥)

(١) هذه الكلمة عن روح الطيب .

(٢) كذا في (س ، م) ، ومع الطيب . والذي في (ن) : « وهما »

(٣) خير أقوله : « وأن الفقيه الرئيس المذكور ... الخ »

(٤) كذا في س ومع الطيب . و في ت : « من » .

(٥) ما بين القوسين زيادة عن روح الطيب و (س) .

(٦) البيت لأن عنمة الغني ، من مقطوعة له في رثاء اسطام بن فليس . قال التبريزي في شرح الحاشية : « خر : سقط . والألاءة : شجرة . لم يوسد ، يستملونه كثيراً في القبل ، وليس يحيد ، لأن القتل بعضهم يوسد . وشبه حبه ، لصعته وانعاسار الشعر عنه ، بسيف مصقول ، أى لم يكن أغم ؛ والعم عدم مدموم » .

هل كان إلا حَيًّا نَحْيَا العَادُ بِهِ هل كان إلا قَدَى في عين ذى عَوْر
 إن قال قولا تَرَ الْأَبْصَارَ خَاشِعَةً لِمَا يُحَيِّرُ مِنْ وَحْيٍ وَمِنْ أُنْزَر
 يَا هَمْ نَفْسِي لَوْ قَدْ كُنْتُ حَاضِرَهُ غَدَاةَ جُرْعَةٍ أَدْهَى مِنَ الصَّيْرِ
 أَمَا تَرَكْتُ لَهُ شَيْئًا مَعْضِيَةً وَلَا تَوَلَّى صَرِيحَ النَّسَابِ وَالظَّفَرِ
 « وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكَرُهُ فَظُنُّنْ حَيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَيْرِ »^(١)

وإن سأل سائل عن الخير الذي ألعنا بذكره ، وَضَمَّنَا هَذَا الْبَيْتَ دَرَوًا^(٢) من
 فطِيع أمره ؛ فذلِكَ عند مَا نَسَبَ صَاحِبُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ مَا رَأَى ، وَتَلَّهِ^(٣) وَابْنِيهِ^(٤)
 لِلْجَبِينِ مُعَمَّرِينَ بِاتِّقَابٍ : وَصَدَمَهُ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ وَالْمَصْحَفِ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَوَسَّلُ
 بِآيَاتِهِ ، وَيَسْتَفْعُ بِعَظِيمِ بَرَكَاتِهِ : فَأَخَذَتْهُ السُّيُوفُ ، وَتَعَاوَرَتْهُ الْحُتُوفُ ؛ وَأَذْهَبَهُ
 سَلِيمًا قَتِيلًا ، مُصَيِّرًا بِعَصْرَاعٍ مَنَزَلَهُ كَثِيمًا مَهِيلًا ، وَكُنَّا عَلَى بُعْدٍ مِنْ هَذِهِ الْآرِزَةِ
 الَّتِي أَوْرَثَتْ الْقُلُوبَ شَجَنًا طَوِيلًا ؛ وَذَكَرْنَا بِعَنَاءٍ مَوْلَانَا [الْجَدَّ]^(٥) الْغَنَى بِاللَّهِ
 بِجَانِبِهِ أَعْظَمَ ذِكْرِي ، فَأَعْرَيْنَا ثَرَانَهُ خَلْدًا وَفَكْرًا ؛ وَارْتَجَلْنَا عِنْدَ ذِكْرِهِ الْآنَ
 هَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِشَارَةً مُقْبِيَةً ، وَكِنَايَةً فِي السُّلُوكِ مُطْمَئِنِّةً : وَأَرْضَيْنَا بِالشَّفَقَةِ أَوْدَاءَهُ ،
 وَأَرْغَمْنَا تَقَابِيضَهُ أَعْدَاءَهُ . وَلَمَّا تَبَلَّجَ الصُّبْحُ لَدَى عَيْنَيْنِ ، وَتَلَقَّيْنَا رَايَةَ الْقَرَجِ
 بِالرَّاحَتَيْنِ ؛ عَطَفْنَا عَلَى أَهْلَانِهِ عَوَاطِفَ الشَّفَقَةِ ، وَأَطْلَقْنَا لَهُمْ مَا عَانَتْ الْأَيْدِي
 عَلَيْهِ^(٦) صَلَاةَ لِرَحْمِ طَالِدِ الْأَضَاعَا مِنْ جَهْلِ الْأَذْمَةِ ، وَأَخْرَعَهُمْ تَخْدُمَهُ^(٧) لِمَنْ سَلَفَ
 مِنَ الْأَثَمَةِ ؛ وَصَرَفْنَا لِلْبَحْثِ وَالتَّفَتُّشِ وَجْهَ آمَالِنَا ، وَجَعَلْنَا ضَمًّا مَانِثَرَةً الْخَوَادِثِ

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن المقَرِّز .

(٢) دَرَوَا : طرفًا من القول . وفي الأصلين ومع الطيب : « دَرَا » . وظاهر أنه
 بحرف عما أُنْثِنَاهُ .

(٣) هذه الكلمة من (ص) ومع الطيب .

(٤) هذه الكلمة من ومع الطيب .

(٥) السَّوْع : عاتق به .

(٦) يريد بتخدمته : خدمته . والسَّوْع من هذا : تخدمت خادمًا : إذ أخذته .

من منظوماته من أكيد أعمالنا ؛ وكان تعلقاً محظوظاً جملة وافرة من كلامه ،
 مشتملة على مارات وحسن من نثارة ونظامه ؛ فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه
 اجتهادنا من رقايعه ، الحائلة المنتهية بأيدي النواصب ، الدائرة للسلبية بتعدى
 النواصب ؛ فنخلص من الحملة قلاند عقيان ، وعقود دُر ومزجان ؛ ترتاح النفوس [٢٣٩]
 النفيسة لإنشادها ، وتحسد الأبصارُ الأسماع عند إيرادها ؛ إلى ما يتخللها من تخليد
 ما ترسلنا ، والإشادة بعظيم مذكنا ؛ فشرعنا في تقييد أوابدها الشاردة ، وإحياء
 رسومها البائدة ؛ كلّفنا بالأدب ؛ لوضوح فضله . وتأدية لما يجب من رعاية أهله .
 ولتبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبّه عليه ، ونظهر ما كنّا نُضمره من
 الليل إليه ، في كل ماله أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب ، الفذ الأوحد . أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن محمد
 ابن أحمد بن يوسف الصّريحي ، ويعرف بابن زمرك ؛ أصله من شرق الأندلس ،
 وسكن سلعه بالبيّازين من غرناطة ، وبها ولد ؛ فنشأ ضيلاً كالشهاب يتوقد ،
 مختصر الحرم والأعين بإحاطة فواضله تشهد ، ومُكْتَبٌ^(١) الفتن القرآنية يؤثرو
 بالجناب الممّهد ، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم ، والدّأب على القراءة ، وأخذ
 نفسه بملازمة حلقات التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب الفترضات إلا وهو متحمل
 الرواية ، وملتبس لقوائد الدراية ؛ مُصَابِحٌ كل يوم أعلام العلوم ، ومستهد بمصاييح
 الحدود العلمية والرّسوم . فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبي عبد الله
 ابن الفخّار ، الآية الكبرى في فن العربية ، وتردّد الأعوام العديدة إلى فاضى
 الجماعة أبي القاسم الشريف ؛ فأحسن الإصفاء ، وبَدَّ النُّحَاة البُلغاء ؛ بما أوجب
 رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة ، التي أولها :

(١) المكتب الذي يعلم الصبيان الكتابة . قال الحسن البصري : وكان الحاج مكنياً
 بالطائف ، أى معلماً . (من تاج المروس) .

« أغرى مَرَّة الحى بالإطراق »

[٢٤٠] حسبا تأتي مستوفاة إن شاء الله تعالى . واهتدى في طريق الخطبة ومناهج الصوفية ، بالخطيب المعظم أنى عبد الله بن مرزوق ، الوافد على مولانا الجد أنى الحاج رضى الله تعالى عنه في عام ثلاثة وخمسين وسبع مئة ، وإليه جنح ، وإياه قصد ، عند تفرُّبه إلى المغرب ، في دولة السلطان أنى سالم ، فتوجَّه بالعامَّة التي ارتجل بين يديه فيها :

تَوَجَّهْتَنِي بِعَاصِمَةٍ تَوَجَّهَتْ تَاجَ الْكَرَامَةِ

فَرَوَّضَ حَمْدُكَ يَرْوِي مَنَى بِسَجِّ الْحَمَامَةِ

وأخذ عِلْمُ الأصلين عن الحافظ الناقد أنى على منصور الزَّوَلَوِي ، وبرع في الأدب ، أثناء الانقطاع وأول الطالب لأنى عبد الله بن الخطيب ، ولكن لم يُحمد بينهما المسأل . واقتدى في العلوم العقلية بالشرىف أنى عبد الله التِّلِسَانِي ، قُدوة الزمان : وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضى الجماعة ، وشيخ الجملة ، أنى البركات بن الحاج ، وبالخطيب البليغ أنى عبد الله اللُّوشِي ، وبالخطيب الورع أنى عبد الله بن بيش العَبْدَرِي ، رضى الله عن جميعهم . وبواجب محافظتنا على عهدهم ، إذ نحن واردون بالإجازة التامة عَذَبَ وَرَدِهِمْ ، وَصَلَّ سَبَبِنَا بِهِمْ السَّكِينُ مِنْ شِيُوخِنَا ، مثلُ الإمام المعظم أنى محمد عبد الله بن جُرَيْي ، ومعلمنا الثَّقة الجتهد أنى عبد الله الشريشى ، والقاضى الإمام أنى عبد الله محمد بن على بن عَلَاق ، وغيرهم رحمة الله عليهم . لذلك صار صدراً في نوادى طلبية الأندلس ، وأفراد نجباتها ؛ فما شامه المحاضريجده في خُضْلِهِ^(١) ، ويتلقاه من باهر فضله ؛ فكاهة ومجالسة أنيقة متممة ، ومحادثة أريضة مزهره ، وجواما مُطبَّقا للمَفْصِل^(٢) ، وذهنا

(١) الخُضْل : الدر والزلُّو ، يشبه بهما كلامه .

(٢) في فتح الطيب : « شاقياً للمفصل » .

سابقاً لإيضاح المشكل ؛ مع اتقياد الطبع ، وإرسال الذمعة ، في سبيل الخشوع [٢٤١] والركة ، ورشح الجبين عند تلقى الموعظة ، ووصون الوجه بجلباب الحياة ، ومقابلة الناظر إليه بالاحتشام ، والمبادرة للاستدعاء ، على طهارة ، وبذل وسع ، وكرم نفس ، لم يُعهد أجل مشاركة منه لإخوانه ، ولا أمتنع منه محابه ، إلى مبالغة في الهتة والمبرة والإيثار بما مُنح ، وجنوح إلى حب الصالحين . ذلك بالانصواء إلى شيخ الفرق الصوفية ، الولي أبي جعفر بن الزيات ، وأخيه القاض الناصب شيخنا أبي مهدي ، قدس الله تعالى ، وسواهما من أهل الأندلس والعدوة ، وسَمَله أشد الحبل على كل مُتَكَلِّس^(١) كأبي زكرياء البرغوثي وسواه .

ومن تنديدهاته — زعموا — على أبي الحسن الحرق لثقله عنه :
وَلَدُ الْفَقْرِ^(٢) وَالرِّبَاطِ وَلَسَكُنْ نَفْسُهُ لِلسُّوْكِ ذَاتُ مَفْنَنٍ
وَحَطَبَ الْأَدَبِ يَافِعاً وَكَبَلَا ، وَحَارَ عِلْمُهُ إِدْرَاكاً وَلَبَلَا .

ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه الله ، واجتاز إلى المغرب ، كما تقرر في غير هذا ، كَلَّفَ به ، وَأَنَسَ إليه ، لحلاوة منطق ، وَرَفَعَ استبحش ، ومُراوضة خُلُق ؛ ثم كَرَّرَ في حبة رِكَابِهِ ، فَعَلَتْ مَرَاتِلُهُ ، وَأَطْلَفَ مَحَلَّهُ .

وقمنا على رقعة من رقايعه وهو يبدئ فيها ويعيد ، ويقول : « خدمته سمعاً وثلاثين سنة ، ثلاثة بالمغرب ، وناقياً بالأندلس ، أنشدته فيها ستا وستين قصيدة ، في ستة وستين عيداً ، وكل ما في منازل السعيدة ، من القصور والرياض والذَّشَار^(٣) والسبيكة ، من نظم رائق ، ومدح فائق ، في القباب والطافات والطرُز^(٤) وغير

(١) القبل : الذي يظهر التذك والعبادة ، ويطلق العن والفساد (عن مع الطيب ج ٣ ص ٣٨٧ — أزهرية) .

(٢) في المخطوطة المخطوطة بدار الكتب المصرية (رقم ٣٦٠) : « ولد التفر » .

(٣) الذشار : يريد به الدسكرة ، وهي في معنى الضيعة .

(٤) الطرز : جمع طراز ، وهي الثياب تنسج قسطنطين ، أو هي الدور تصنع فيها الثياب .

[٢٤٢] ذلك [فهو لى] ^(١)، وكنت أؤاكله وأؤاكل ابنه مولاي أبا الحجاج وما كبيرا ملوك أهل الأرض، وهنأته بكنا وكذا قصيدة، وفوض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين، وصلح النصارى عقدته تسع مرات، الخيسة ^(٢) فوض إلى ذلك ؟ قلنا : صدق فى جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له .

وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام فى السفارة بينه وبين ملوك عصره ؛ فحُمد منأه ، ونمت أحواله . ورغد جنباه . وكان هنالك بعض تقولات تشين وجه اجتهاده ، وقوى بما احتقبه من سوء مقاصده ، وما صرفه من قبيح أغراضه ، وهاجت الفتنة ، فكانت سفارته أعظم أسبابها . وعند الأشد من عُمره عرضت لأفكاره تقلبات ، وأقعدته عن قداح السياسة آفات مختلفة ، وأشمرته حدة ذهنه أنه متخبط فى أشراك وقعات ^(٣) : فقعده بجامع مائقة ، ثم بمسجد الحمراء ، ملقياً على الكرسي فنونا جملة ، وعلوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجمل ؛ فاحاز إلى مادة أمم بمائقة طما منهم البحر ، وتراوى لأبصارهم وبصائرهم الفخر ؛ وكان التفسير أغلب عليه لفرط ذكائه ، وما [كان] قيده وحصله أيام قراءته [وإقرانه] ؛ فاشتت من بيان ، وإعجاز قرآن ؛ وآيات توحيد وإخلاص ، ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص ، يوم الأخذ بالنواص . ومزاراً عدة سمع ما يلقىه ولئى الأسر ، وباشدة البلوى التى أذاقه مرها ، وأمطاه إلى طيبة الملاك طهرها ؛ وباقرب ما كان القوت ، والحصام الضلت ، من تباعد هذه القرب التى ألفت ^(٤) .

(١) هذه التكملة عن نفع الطيب .

(٢) فى الأصلين : « الخيسة » والنصوب عن نفع الطيب .

(٣) كذلك فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « توقعات » ، ومؤدى المبارتين مختلف .

(٤) فى ص ، و نفع الطيب : « من متاعده هذه القرب التى ألفت » . وفى العبارة غموض .

قلنا : لقد جمَّح حواد القلم ، فأطلقنا^(١) ونحن نشير إلى هذا الرئيس ونبدل طبعه ، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعهم ؛ وإحراز شيم أدَّت إلى علو مقداره ، واستقامة مداره ؛ قال عُمر مولانا جَدُّنا إلى النقاد ، ورمت رئيس كتابه هذا أسهم^(٢) { ٢٤٣ } الحساد ؛ فظهر الخفي ، وسقط به الليل على سرحان^(٣) قد طالما جرب الوقي والصفي .

وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حُجَّاب الدولة ، والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجبل^(٤) مع الاستعراق في غمار الفتن أندلساً وغرباً ، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغضباً ؛ أما الجراءة فانتفضى سيوفها ، وأما إكفاء السما على الأرض فتواصم نوع صنوفها^(٥) ، وأما المجاهدة فوفقت بميدان الاعتراض صنوفها ، وأما الجمالة فنسكَّر معروفها . أذَّاه هذا النبا العظيم إلى سكنى المعتقل بقصبة القرية ، وعلى الأثر كان الفرج قريباً ، وسطور المؤاحدة قد أوسعها العمور تضريباً . ونالته هذه الحنة عند وفاة مولانا الجد المعنى بالله — وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبع مئة^(٦) — لأسباب يطول شرحها ، أظهرها شراسة^(٧) في لسانه ، واعتزاز^(٨) بمكانه ، وتضريب بين خدَّاء السلطان وأعوانه ، فكبا^(٩)

(١) كذا في الأصول ونفع الطيب المطوع والمخطوط ، ولعله يريد : « فأطلقنا » ، أو : « فأطلقناه المان » .

(٢) هذا مثل ، قال الميداني : « سقط به العشاء على سرحان » قال أبو حنيفة : وأصله أن رجلاً خرج يلبس العشاء ، فوقع على دُف فأسكته — يصرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف .

(٣) كذا في من ونفع الطيب . والذي في ط : « الجملة » . وهو تحريف .

(٤) كذا في ط ، ونفع الطيب . وفي من : « فرع حنوفها » .

(٥) إلى ها ينتهي ما أورده نسخة (س) من الروضة الأولى ، وسقطت منها بليتها .

(٦) في ط : « شواهة » . وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة من نفع الطيب المخطوطة بدار الكتب المصرية (برقم ٣٦٠ تاريخ) .

(٧) في نفع الطيب : « واعتزاز » .

(٨) في ط : « فكبا » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

للبيدين وللمم ، إلى أن من الله بسرّاه ، وأعادته إلى الحضرة في أول شهر رمضان المعظم عام أربعة وتسعين وسبع مئة ، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله ، وقيام^(١) أخينا محمد | مقامه | الأمر . فاستمر الحال أياماً أقلائل ، وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد المذكور إلى خطّته ، وقد دُمِيت^(٢) بعض أخلافه ، وتحدّث شراسته^(٣) . وحلّا بعض مذاقه ، فما كان إلا كلاً وليت^(٤) ، وإذاه قدساء مشهداً وغيباً ، وأوسع الضائير شكاً وريباً ؛ وغلبت الإحن عليه . وغلّت مراجلها لديه^(٥) ؛ وصار يتقلب على^(٦) بحر الغصّ ، ويتبرّم بالقصا ؛ ويظهر النصع وفي طيه النشفي^(٧) ، ويبرّم نفسه بالصالح ، ويعلن بالخشوع ، ويُشير بأنه الناصح الأمين ، ويتلو قول الله سبحانه : « وَلَسَكُنْ لَا تُحْثُونَ النَّاصِحِينَ » . ورتّب على المُشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوباً لم يقرّفوها ، ونسب إليهم نسباً من التضييع لم يعرفوها ؛ وأهمهم احتجبوا الأموال ، وأساءوا الأعمال^(٨) والأقوال ؛ فلم يفتقر من ذلك بكبير طائل ، ولا حصل — على تقاوت أعداده — على حاصل ؛ هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاستغفالية ، وعدم اضطرّاعه^(٩) بالأمور [الجبائية]^(١٠) ؛ فمن نفس يروّع مِرْثيها ، ويكدر^(١١) بالامتحان والامتحان شِرْثيها ؛ ومن صارعة

[٢٤٤]

(١) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « مقام » .

(٢) في ط : « صميت » . وما أنبتاه عن نفع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « شراسته » .

(٤) كذا في الأصل . وبقال : ما كان إلا كلا ولا : كناية عن الزمن القليل .

(انظر لسان العرب)

(٥) في ط : « وغلبت من أجلها عليه » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٦) في ط : « إلى » . وما أنبتاه عن نفع الطيب .

(٧) في ط : « في طية الشفتين » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٨) في ط : « الأجل » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٩) في ط : « اضطرّاعه » . وما أنبتاه عن نفع الطيب .

(١٠) النكالة عن نفع الطيب .

(١١) في ط : « ولا يكدر » . والتصويب عن نفع الطيب .

خاشعة لله سُلِّيتْ ، وطُوبِتْ بغير ما اكتسبتْ ، وتعدَّتْ الأيدي إلى أقوامٍ جِلَّةٍ
سَعِدُوا بِشِقَائِهِ ، وَاُمْتُحِنُوا وَهْمُ الثُّبُرِ مِنْ تَزْوِيرِهِ وَاعْتِدَائِهِ ، وَسَيِّئَاتُ لُونٍ ، يَوْمٍ
لَا يُغْنِي مَالٌ وَلَا بَنُونَ ؛ وَصَارَ يَصْرِفُ أَغْرَاضَهُ ، وَيُظْهِرُ أَحْقَادَهُ ، بَيْنَ إِفْصَاحِ مَا
كَانَ الْإِبْهَامُ خَيْرًا مِنْ إِقَائِهِ ، وَأَنْ عُمُرُ الْمُسْكِينِ الْمُسْتَضْعَفِ لَا حَاجَةَ فِي طَوْلِ
بِقَائِهِ ؛ إِلَى مَجَاهِرَةِ عَهْدِهِ أَيَّامَ شَبَابِهِ تَقْيِضُهَا ، وَانْعِكَسَ فِي شَاحَتِهِ ^(١) تَصْرِيحُهَا
الْمُنْقَصِ وَتَعْرِيفُهَا ؛ لَا يَرِيحُ نَفْسَهُ مِنْ جَهْدٍ ، وَلَا يَقِفُ مِنَ اللَّجَاجَةِ عِنْدَ حَدٍ .
وَقَدْ كَانَ ثَقُلَ سَمْعُهُ ، فَسَاءَتْ إِجَابَتُهُ ^(٢) ، وَطَفَتْ أَخْلَاقُهُ ، فَسَمَّ النَّاسُ وَسَاطَتَهُ ،
وَرَبَّمَا اسْتُخْلِفَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ اللَّازِمَةِ وَاللَّازِمَةِ ^(٣) إِلَّا الْخِنِثُ عَنْ قَصْدٍ وَغَيْرِ قَصْدٍ ،
وَدَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَبْنَائِهِ بِإِنْجَازِ وَعْدِهِ ، وَأَنْ يُقَيِّضَ ^(٤) اللَّهُ لَهُ وَلَهُمُ قَاتِلُ عَمْدٍ . فَسُبْحَانَ
القَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ ، الرَّحِيمِ بِهَذَا الشَّخْصِ وَالْأَمْوَاتِ مِنْ شِعْبَتِهِ وَأَوْلَادِهِ .

فَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى إِحْدَى الْيَالِي ، فَهَلَكَ [فِي جُنْحِ اللَّيْلِ] ^(٥) فِي جَوْفِ
دَارِهِ ، عَلَى يَدَيْ مَخْدُومِهِ ؛ تَلْقَاهُ — زَعَمُوا — عِنْدَ الدَّخُولِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ بِالمَصْحَفِ
رَافِعٍ بِهِ يَدَيْهِ ؛ فَجَدَلَتْهُ ^(٦) السُّيُوفُ ، وَتَنَاوَلَتْهُ الْحُتُوفُ ؛ فَفَضَّيَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى مَنْ
وُجِدَ مِنْ خِدَامِهِ وَأَبْنِيهِ ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِمَرَأَى عَيْنٍ مِنْ أَهْلِهِ وَبَنَاتِهِ ، وَلَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ
حَقَّ تَوَاتَرِهِ ؛ فَكَانَتْ أَنْكِي الْفَجَائِعِ ، وَأَفْظَعُ الْوَقَائِعِ ؛ وَسَاءَتْ الْقَالَةُ ، وَعَظُمَ
الْمَصَابُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى أَجْلِ نَافَذِ وَكِتَابٍ ^(٧) .

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَتَفَعَّ الطَّيِّبُ ، وَلَا مَعْنَى لَهَا . وَلَهُ يَرِيدُ شَيْخُوخَتَهُ .

(٢) أُنْذِمَ مِنَ الْمَثَلِ الْعَرَبِيِّ : « أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَاةً » . وَالْجَاةُ : اسْمٌ بِمَعْنَى الْإِجَابَةِ .

(٣) اللَّازِمَةُ : الْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْبَيْنُ الَّذِي يَتَجَنَّبُ الْعَاكِسُ كَمَا عَمَّا عَقَدَتْ عَلَيْهِ . وَفِي ط :

« اللَّازِمَةُ » . وَمَا أُنْثِنَاهُ عَنْ تَفَعُّعِ الطَّيِّبِ .

(٤) فِي ط : « يَكْيِفُ » ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ تَفَعُّعِ الطَّيِّبِ .

(٥) التَّكَلُّفُ عَنْ تَفَعُّعِ الطَّيِّبِ .

(٦) فِي ط : « جَدَلَتْهُ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ تَفَعُّعِ الطَّيِّبِ وَكِتَابِ الْفَقْهَةِ .

(٧) قَالَ الْمَوْلَانُ فِي الْعَمَلِ : « وَفَدَّاهُمْ مِنْ مَضْمُونٍ مَا سَبَقَ أَنْ قَتَلَ ابْنُ زَمْرَكٍ بَعْدَ

عَامٍ خَلْفَهُ وَتَمَيَّيْنِ وَسَمِعَ مَتَّةً » .

ولما تلخصت هذه المقدمة بين يدي نظامه ، وتم جميع ما أبرزه البحث والاجتهاد من حير كلامه ؛ احقرنا له اسماً يوافقه ، ويوضح مشارفه ، وهو « البقية والمذكّر » ، من شعر ابن زمرك^(١) . أما البقية فلما بقى بعد هلاكه ، ونخطته الحوادث وشح الدهر بامساكه ؛ والمذكّر : لأجل ما ترك في مبيّضاته ، ولم يخرج في حياته . وهما نحن ننظم^(٢) درره الرائقة ، ونطلع في مراتب التأليف كل شارقة . فمن ذلك قوله في ذكر الحضرة^(٣) العلية ، وتهنئة مولاه الجدرحة الله عليه

ببعض اللواسم العيديه ؛ ووصف كرائم من جباهه ، وآثار ملكه وجهاده :

يا من يحين إلى نجد وناديهَا غرناطة قد توت نجد بواديهَا
قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها عقيلة والكثيب الفرد جاليها
تقلدت برشاح النهر واينسمت أزهارها وفي حلى في تراقبها
وأعيت النرجس الطلول يانسة ترقرق الطل دمعاً في ماقيها
وافتر نغر أقاح من أزهارها مقبلاً خد ورد من نواحيها
[كأنما الزهر في حافاتها سحرًا دراهم والنسيم اللذن يجيبها]^(٤)
وانظر إلى الدوح والأنهار تسكنفها [مثل الندامى سواقبها]^(٥) سواقبها
كم حولها من بدور تجتني زهرا^(٦) فتحسب الزهر قد قبل أن يديها
حصابها لؤلؤ قد شف جوهرة والنهر قد سال دوتها من لآلها

(١) في بعض مواضع من ط : « البقية والدرك الظاهر من شعر ابن زمرك » . ولعل

كلمة : « الظاهر » زيادة من الناسخ .

(٢) كذا في م ، وفي ط : « سأعف بنظم »

(٣) يريد غرناطة .

(٤) هذا البيت عن نوح الطيب .

(٥) التكملة عن نوح الطيب .

(٦) في ط : « وحولها من زهور تختفي نهرًا » والتصويب عن نوح الطيب .

[نهر المنجم] ^(١) والزهر المطيف به
يُرِيدُ حُسْنًا عَلَى نَهْرٍ ^(٢) الْمَجْرَّةُ قَدْ
يُدْعَى الْمُنْجَمُ رَائِبُهُ وَنَظَرُهُ ^(٣)
إِنَّ الْحِجَازَ مَعَانِيهِ ^(٤) بِأَنْدَلُسٍ
فَتَلْكَ تَجِدُ سَقَاها كُلُّ مُنْجَمٍ
إِوَارِقُ وَعُذِيبُ كُلِّ مُنْقَسِمٍ ^(٥) |
وإن أردت تَرَى وادى العنقبِ فَرْدُ
وَلِلْمَيْكَةِ تَاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهَا
كَأَنَّ حَمَاءَهَا وَاللَّهُ يَسْكُوها
إِنَّ الْبُدُورَ لَتَبْجَانُ مُسْكَاةُ
لَكِهَا حَسَدَتِ تَاجُ السَّيْكَةِ إِذْ
بُرُوجِهَا لَبُروِجُ الْأَفْقِ مُحْجَلَةٌ
تَلْكَ الْقُصُورُ | رَاقَتْ مَظَاهِرُهَا
لِلَّهِ اللَّهُ عَيْنًا مِنْ رَأَى سَحَرًا
وَالصَّبِيحُ فِي الشَّرْقِ قَدْ لَاحَتْ بِشَاثِرُهُ
تَهْوِي إِلَى الْغَرْبِ لَمَّا هَالَمَا ^(٦) سَحَرُ

زُهر النجوم إذا ما شئت تشيها
أغناه دُرُّ حَبَابٍ عَنْ دَرَارِهَا
مُسْمِيَاتُ أَبَانَتْهَا أَسَامِيهَا
أَمَاطُهَا طَافَتْ مِنْهَا مَعَانِيهَا
[من الغمام يُحِبُّهَا فَيُحِبُّهَا] ^(٧)
من الثغور بِحَلِيهَا بِحَلِيهَا
دُمُوعُ عَشَاقِهَا حُمْرًا جَوَارِهَا
نُورُ دُرِّ الدَّرَارِى لَوْ تَحَلَّىهَا
يَاقُوتَةُ فَوْقَ ذَلِكَ التَّاجِ يُعَلِّهَا
جَوَاهِرُ الشَّهْبِ فِي أَهْبَى مَجَالِهَا ^(٨) [٢٤٦]

رَأَتْ أَزَاهِرَهُ زَهْرًا بِحَلِيهَا
فَشُتُّهَا فِي جِالٍ لَا نَضَاهِيهَا
تَهْوِي النُّجُومُ قُصُورًا عَنْ مَعَالِيهَا
تَلْكَ التَّنَارَةُ قَدْ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
وَالشَّهْبُ تَمْتَنُ ^(٩) سَفَا فِي مَحَارِهَا
وَعُصْفُ الْفَجْرِ مِنْ أَجْمَانِ وَأَشِيهَا

(١) الكلمة عن نفع الطيب .

(٢) في ط : « زهر » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « قطر » . وما أتيتاه عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « معاليه » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٥) في ط : « جواهر القيب تحلى من مجاليها » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٦) في ط : « يستر » والتصويب عن نفع الطيب . و « تسن » : تعدو .

(٧) في نفع الطيب : « عاها » .

وساجعُ العودِ في كفِّ التَّدِيمِ إذا ما استوقفت^(١) ساجعاتُ الطيرِ يُغريها
يُبْدِي أَغَانِينَ^(٢) سِحرَ في ترنُّمه يُضِيّ العقولَ بها حسناً ويسَّيِّها
يَحْشُهُ ناعمُ الأطرافِ تحسبها لآلئاً وهي نُورٌ في تلالِها^(٣)
مُقَاتِلٌ يُلحَظُ قوسُ حاجِبِها ترمي القلوبَ بها عدداً فتصمبها
فباكَرَ الروضَ والأغصانَ ماثلةً يثني النفوسَ لها شوقاً تنذها
لم يَرَقُصِ الدَّوْحُ بالأكلامِ من طربِ حتى شدا من قِيانِ الطيرِ شاديها
وأسمعتها فنوتَ السحرِ مُبدعةً دُرُقُ الحمامِ وغناها مغنيتها
غَرناطةَ آنسَ الرحمنِ ساكنها باحتِ بسرِّ معانيها أغانيها
أعدى نسيئهمُ لطفاً نفوسهمُ فرقةَ الطبعِ طبعَ منه يُعديها
غَلَدَ اللهُ أيامَ السرورِ بها صُفراً عشياتُها بيضاً لياليها
وزَوَّضَ الحُلَّ منها كلُّ منبجسٍ إذا اشتكت بغليلِ الجذبِ^(٤) يرويهَا
يَحْكِي^(٥) الخليفةَ كفاً كلاً وَكَفَّتْ بالجوْدِ فوقَ مَوَاتِ الأرضِ يُحييها
تُغْنِي العُدَاةَ وقد أُمّتْ مكارمه عن السؤالِ وبالإحسانِ تُغنيها
لها مَنانٌ فا غيثٌ يساجلها جوداً ولا سُحْبُهُ يوماً تدانيها
فإن تَصَبَّ سُحْبُهُ بالماءِ حين تَهَمَّتْ بعسجدِ الجُبِّ صابِ هامِها
يأبى العَيْثُ أنتَ القوْثُ في زَمَنِ ملوكه تَلِفْتُ لولا تلالِها
إن الرعايا جَزَاكَ اللهُ صالحه مَلَكْتَ شرقاً وغرباً مَنْ يُراعِها

(١) في نفع الطيب : « ما استوقفت الطير يديها ويغريها »

(٢) في ط : « بين الأغاني » . وما أُنبتناه عن نفع الطيب .

(٣) في ط : « يحسها » ... « في تحليها » وما أُنبتناه عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « بليل الحري » . والتصويب عن نفع الطيب .

(٥) في ط : « على » . والتصويب عن نفع الطيب .

إن الخلائق في الأقطار أجمعها سوائهم أنت في التحقيق راعيا^(١)
 فكل مصلحة للخلق تحككها وكل صالحة في الدين تنويها
 إذا تيممت أرضاً وهي مجدية فرحة الله بالشمع تضيئها
 يارحمة بنت الزنحى باندلس لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها [٢٤٧]
 في فضل جودك قد عاشت مشيختها في ظل أمنك قد قامت ذرارها
 في طول عمرك يرجو الله أملها بنصر ملكك يدعو الله داعها
 عوائد الله قد عودت أفصلها لتبلغ الخلق ماشاءت أمانها
 سلّ السعد وخلّ البيض مغمدة واضرب بها فرية^(٢) التثليث تغريها
 فله أيامك الفرّ التي اطردت فيها السعور بما رضى وبرّضها
 فله دولتك الفراء إن لها لكافلاً من إله العرش يكفها
 هيات أن تبلغ الأعداء مأربة في جريها وجنود الله نعمها
 هذى سيوفك في الأجفان نائمة^(٣) والمشركوت سيوف الله تفتنها
 سريرة لك في الإخلاص قد عرفت حنى عواقبها حتى أعادها
 لم تحتجب شهب الأفاق عن بصر^(٤) إلا وهديك للأبصار يهديها
 يا بن الملوك وأبناء الملوك إذا تدعو الملوك إلى طوع تلبيها
 أبناء نصير ملوك عزّ نصرهم وأوسعوا الخلق تنويها^(٥) وترفيها

(١) في ط : « نائم ... واعبها » والتصويب عن فتح الطيب المطبوع والمخطوط .

(٢) في ط : « فرقة » . وما أثبتناه عن فتح الطيب .

(٣) في ط : « قائمة » . وما أثبتناه عن فتح الطيب .

(٤) في فتح الطيب : « لم يحجب الصبح شهب الأفق عن بصر »

(٥) كذلك في فتح الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

هُمُ المصاييح نور الله مُوقِدُهَا تَصِيءُ للدين والدنيا مَشْكِيهَا
 هُمُ النجومُ وَأَفْقَى الهَدْيِ مَطْلَمُهَا فَوْرًا لِهَيْدِيهَا عِزًّا لَهَا دِيهَا
 هُمُ البُردورُ كُلُّ مَا يَفَارِقُهَا هُمُ الشُّوسُ ظِلَامٌ لَا يَوَارِيهَا
 قَضَتْ قَوَاضِيهَا أَنْ لَا انْقِضَاءَ لَهَا وَأَمَضَتْ الْحُكْمَ فِي الْأَعْدَاءِ وَأَوَاضِيهَا
 وَخَلَدَتْ فِي صِفَاحِ الْمُنْدِسِ بَرِيَّتِهَا وَأَسْنَدَتْ عَنْ عَوَالِيهَا مَعَالِيهَا
 وَأَوْرَثَتْكَ جِهَادًا أَنْتَ نَاصِرُهُ وَالْأَجْرُ مِنْكَ يُرْضِيهَا وَيُحْظِيهَا
 كَمْ مَوْقِفٍ تَرْهَبُ الْأَعْدَاءُ مَوْقِفَهُ ^(١) وَالْخَيْلُ تَرْدِي وَوَقَعَ الشُّعْرُ ^(٢) بَرْدِيهَا
 ثَارَتْ عَجَاجُتُهُ وَالْيَوْمُ مُتَحَنِّبٌ وَالنَّفْعُ يُوْثِرُ غِيَا مِنْ دِيَا جِيهَا
 وَلِلْأَسِنَّةِ شُهْبٌ كُلُّهُ غَرَبَتْ فِي الدَّارِ عَيْنٍ تَجَلَّتْ مِنْ عَوَالِيهَا
 وَلِلسَيْفِ رُوقٌ كُلُّهُ لَمَعَتْ تَرْجِي الدَّمَاءَ وَرِيحُ النَّصْرِ يُرْجِيهَا
 أَطْلَعَتْ وَجْهًا تَرِيكَ الشَّمْسَ غُرْمُهُ تَبَارَكَ اللَّهُ مَا شَمْسُ تَسَامِيهَا
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ نَطْقُ كُلِّهِ حِكْمُهُ يُعِيدُهَا كُلَّ حِينٍ مِنْكَ مُنْدِيهَا
 لَكَ الْجِيَادُ إِذَا تَجَرَّى سَوَابِقُهَا فَلَرِيَّاحُ جِيَادٍ مَا تَجَارِيهَا
 إِذَا انْهَرَتْ يَوْمَ سَبَقٍ فِي أَعْنَتِهَا تَرَى الْهَرُوقَ طِلَاحًا لَا تُبَارِيهَا
 مِنْ أَشْهَبٍ قَدْ بَدَأَ صُبْحًا تَرَاغُلُهُ ^(٣) شُهْبُ السَّمَاءِ فَإِنَّ الصَّبْحَ يَخْفِيهَا
 إِلَّا الَّتِي فِي لِحَاجِمٍ مِنْهُ قَيْدُهَا فَإِنَّهُ سَامِيهَا عِزًّا وَتَنْوِيهَا
 أَوْ أَشْفَرُ مَرْغَبٍ شَفَرُ ^(٤) الْهَرُوقِ وَقَدْ أَتَقَى لَهَا شَفَقًا فِي الْجَوِّ تَنْبِيهَا
 أَوْ أَحْمَرُ حَجْرُهُ فِي الْحَرْبِ مَتَقْدُ

[٢٤٨]

(١) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « مَوْقِفُهُ » .

(٢) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « السَّبَبُ » .

(٣) كَذَلِكَ فِي النُّسخَةِ الطَّبُوعَةِ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْمَخْطُوعَةِ الْمَخْطُوعَةِ بِدَارِ السَّكَنِ

(بِرَقْمِ ٣٥٩ تَارِيخُ) : « أَوْ أَشْفَرُ مَرٍّ عَنْ شَفَرِ الْهَرُوقِ وَقَدْ » . وَالَّذِي فِي (ط) :

« أَوْ أَشْفَرُ ضَامِرٌ سَبَقَ الْهَرُوقِ وَقَدْ » .

لَوْ الْعَقِيقُ وَقَدْ سَالَ الْعَقِيقُ دَمًا
أَوْ أَدَمٌ مِثْلُ^(١) صَدْرِ اللَّيْلِ تَنَعَّلَهُ
إِنْ حَارَتْ الشُّبُّ لَيْلًا فِي مُقَلَّدِهِ
أَوْ أَصْفَرِ الْعَشِيَّاتِ ارْتَدَى مَرَحًا
تَمَوَّعَ بِنُضَارِ قَاةٍ مِنْ عَجَبِ
وَرَبِّ نَهْرِ حُسَامٍ رَاقٍ^(٢) رَائِقُهُ
تَجْرَى الرُّيُوسُ حَبَابًا فَوْقَ صَفْحَتِهِ
وَذَائِلِ مِنْ دَمِ الْعُكَّامِ مَشْرَبُهُ
وَكَمْ هَلَالِ اقْوَسَ كُلُّهَا نَسَبَتْ
أَتَمَّةَ الْكُفْرِ مَا يَتَمَتَّ سَاحَتِهَا
يَا دَوْلَةَ النَّصْرِ هَلْ مِنْ مُنْبَغٍ دَوْلًا
إِذَا مُنْبَغٍ سَافَ الْأَنْصَارُ مَالِكَةً
أَنْ الْخِلَافَةَ — أَعْلَى اللَّهِ مُظَاهَرَهَا —
يَابْنَ الَّذِينَ لَمْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ
أَنْصَارُ^(٣) خَيْرِ الْوَرَى مَخْتَارِ هِجْرَتِهِ
أَسْتَمْتَهُمُ اللَّيْلَةَ السَّجَّاهَ^(٤) تَكْرِمَةً
يُعْطِفُهُ مِنْ كِبَاةٍ كَرَّ يُدْمِيهَا^(٥)
أَهْلَةً فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ يُبْدِيهَا
فَصُبْحُ غُرَّتِهِ بِالنُّورِ يَهْدِيهَا
وَعُرْفُهُ بِقَادِي اللَّيْلِ يُنْقِيهَا
فَلَيْسَ يَفْقَدُ تَمَوُّبَهَا وَلَا تَهَا
مَتَى تَرَدُّهُ نَفُوسُ الْكُفْرِ يُرْدِيهَا
وَمَا جَرَى غَيْرَ أَنْ الْبَأْسُ يُخْرِجُهَا
يُجَنِّي الْفَتْوحَ وَكَفَّ النَّصْرَ تَجْنِيهَا
تَرَى النُّجُومَ رُجُومًا فِي مَرَامِيهَا
إِلَّا وَقَدْ زُلْزَلَتْ قَسْرًا صَيَاصِيهَا
مَضَيْنَ أَنْكَ تُحْيِيهَا وَتُنْسِيهَا
وَاللَّهُ بِالْخُلْدِ فِي الْفَرْدُوسِ يَجْزِيهَا^(٦)
أَبَقْتُ أَنَا شَرَفًا وَاللَّهُ يُبْقِيهَا
مَفَاحِرُ وَلِسَانُ الدَّهْرِ يُبْلِيهَا
جِيرَانِ رَوْضَتِهِ أَكْرَمَ بِأَهْلِيهَا
أَنْصَارَهَا وَبِهِمْ عَزَّتْ أَوَالِيهَا^(٧)

(١) في ط : « كي يربها » وما أثبتناه عن فتح العلي بن أبي طالب (رقم ٣٠٩ تاريخ) .

وفي المطبوع : « كاد يدميها » .

(٢) في فتح العلي : « مل » .

(٣) في فتح العلي : « رق » .

(٤) هذا البيت عن فتح العلي .

(٥) في ط : « أصحاب » وما أثبتناه عن فتح العلي .

(٦) المسبوع : « السمعة » .

(٧) أوالها : أوالها ، جمع أول . قدم اللام على النون ، ثم سهل الحمزة .

ففى حُنين وفى بذر وفى أُحد تُلنى مفاخرهم مشهورةً فيها
 ولتسأل السَّيرَ المرفوعَ مُسنَّدها فمن مواقفهم تروى مغازيها
 ما تَرى حَلَدَ الرحمن أَثَرَهَا [بَيِّنُهَا^(١)] من كتاب الله قاريها
 ماذا يُجيد بليغ أو يُنمِّقَه من الكلام وَوَحَى الله قاليها
 له الجهاد به تَسرى الرياحُ إلى ممالك الأرض من شتى أَقاصيها
 تُحْدِي الرِّكَبُ إلى البيت العتيق به فَكَّةٌ عَمَرَتْ منه نواديها
 بِشائر تُشيع الدنيا وساكنيها إذا دعا باسمك الأعلى مُناديها
 كفى خِلافَتِكَ الفراء مُنَمَّةً أَنَّ الإلهَ يُؤَالى من يُواليها
 وقد أَفاد بَنِيهِ الدهرُ تجربةً أن السُّعُودَ تعادى من يعاديها
 إِذَا رَمَيْتَ سِهَامَ العِزِّ^(٢) صائِئَةً فما رَمَيْتَ بل التوفيقُ رامِها
 شُكْرًا لِمَنْ عَظَّمَتْ مِنَّا مواهبه وإن تَعَدَّ فليس اِمدُّ يُحْصِها
 عَمَّا قَرِيبَ تَرى الأعياد مُقْبِلَةً من العُتُوحِ وَوَقَدَ النُّصْرَ حاديها
 وتبلغ الغاية القُصوى بِشائرِها فقد أَظَلَّتْ عَمَّا تَرُصَى مَباديها
 فَأَهْأَأَ بِمَا شئتَ من صُنْعِ نُسْرٍ به وَأَوَّ الأُمَماءُ فالأقدارُ تُدْنِها
 مولاى خُذْها كما شِئتَ بلاغتها ولو تَبَاعَ لكان الحِسنُ بِشْرِها
 أُرسلَتْها حينَما الأرواحُ مُرْسَلَةٌ^(٣) نوادِرا تَنْفُشُ البُشْرى أُماليها
 جاءت تُهَيِّئُكَ عِيدَ العِزِّ^(٤) مُفْجِئَةً بحسبها ولسانُ الصِدْقِ يُطْرِبُها^(٥)
 الدُّشْرِى وَحِمْيَا وَالثِّمَنِ فى بَدِّها والسَّحْرِ فى لَقْظِها والدَّرِّ^(٦) فى رِفْها

(٢٤٩)

(١) هذه الكلمة عن معج الذهب وعن م .

(٢) كذا فى نهج الطيب . وفى الأصل ط م : « العز » .

(٣) الأرواح : زرياح ؛ يريد أنه أطلقها مع الرياح تسببها فى كل ناحية .

(٤) فى نهج الطيب : « النحر » .

(٥) كذا فى معج الطيب . وفى الأصل : « بفرها » .

(٦) كذا فى معج الطيب . وفى الأصل : « الصهد » .

لو رَصَّعَ البَدْرُ مِنْهَا تَاجَ مَقَرِّقِهِ لَمْ يَرْضَ دُرُّ الدَّرَارِيِّ أَنْ تَحْلِيَهَا
فَإِنْ تَكُنْ بَنَتْ فِكْرِي وَهُوَ أَوْجَدُهَا نَعْمَاكَ فِي حِجْرِهِ كَانَتْ تُرَبِّهَا
فِي رَوْضِ جُودِكَ قَدْ طَوَّقَتْني مِفْنَأَ طَوْقَ الحِمَامِ ثَمَا سَجَمِي مُوقِفَهَا
وَلَوْ أَعْرَتْ لِسَانَ الدَّهْرِ يَشْكُرُهَا لَكُنْ يَقْضِرُ عَنْ شُكْرِ يُوقِفَهَا
بَقِيَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا إِمَامًا هُدًى مُبْلَغَ النَّفْسِ مَا تَرْجُو أَمَانِيهَا
وَالسَّعْدُ يَجْرِي لَهَايَاتِ^(١) تَوَمَّلَهَا مَا دَامَتِ الشَّمْسُ^(٢) تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

ومن ذلك أيضاً قوله هناء لمولانا الجَدُّ رحمه الله بالفتح للمعري للسلطان^(٣)
أبي العباس بن السلطان أبي سالم التريفي :

هِيَ نَفْثَةُ هَبَّتْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَهْدَتْكَ فَتَحَ مَمَالِكِ الْأَنْصَارِ
فِي بِشْرِهَا وَبِشَارَةِ الدُّنْيَا بِهَا مُسْتَمْتَعُ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ
هَبَّتْ عَلَى قَطْرِ الْجِهَادِ فَرَوَّحَتْ^(٤) أَرْجَاءَهُ بِالنَّفْثَةِ الْعِطَارِ
وَسَرَتْ وَأَمَرَ اللَّهُ طَيَّءَ بُرُودِهَا يُهْدِي الْبَرِيَّةَ صُنْعَ لُطْفِ الْبَارِي
مَرَّتْ بِأَفْوَاحِ الْمَنَابِرِ فَانْبَرَتْ خُطْبَاؤُهَا [مُتَمَتِّعَةً]^(٥) الْأَطْيَارِ

(١) كذا في مع الطيب . وفي (ط) : « لآيات » .

(٢) في فتح الطيب : « ما دامت الشمس ... الخ » .

(٣) يريد أن فتح الغرب كان على يد السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم المربى ، وكان السلطان ابن الأحمر يشد أزره في ذلك .

(٤) في ط : « المهات » . وفي فتح الطيب : « الجهاد » . والمعنى غير واضح على الروايتين ، وفي م : « الجهاد » . ويريد « قطر الجهاد » الأندلس ، لما كان عليه أهله من استمرار الجهاد مع أعدائهم .

(٥) روي أن أرحامه ، أي جعلتها ممطرة بالرائحة الطيبة . وفي الأصول : « روي » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

(٦) هذه الكلمة عن مع الطيب .

حَنَّتْ مَمَارِجُهَا^(١) إِلَى أَعْشَارِهَا^(٢) لَمَّا سَمِعْنَ بِهَا حَتِينَ عِشَارَ^(٣)
 لَوْ أَنْصَعْتِكَ لَكَلَّمْتُ أَدْوَا حَهَا نَلَاكَ الْبِشَارُ يَانَعَ الْأَزْهَارُ
 فَتَحَ الْفَتْوحُ أَنْأَكَ فِي حُلَلِ الرِّضَا بِمَجَانِبِ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ
 فَتَحَ الْفَتْوحَ جَنَّبَتْ مِنْ أَفْنَانِهِ مَا شَدَتْ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارِ
 كَمْ آيَةٌ لَكَ فِي السُّمُودِ جَلِيلَةٍ خَلَّدَتْ مِنْهَا عِبْرَةً اسْتَبْصَارِ
 كَمْ حِكْمَةٌ لَكَ فِي النُّفُوسِ جَلِيلَةٍ خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا عَنِ الْأَفْكَارِ
 كَمْ مِنْ أَمِيرٍ أَمَّ بِأَبْكَ فَاثِي يُدْعَى الْخَلِيفَةَ دَعْوَةَ الْإِكْبَارِ
 أَعْطَيْتَ أَحْمَدَ رَايَةَ^(٤) مَنْصُورَةٍ بَرَكَاتُهَا كَثُرَى^(٥) مِنَ الْأَنْصَارِ
 أَرْكَبْتَهُ فِي الْمُنَشَّاتِ كَأَنَّمَا جَهَّزْتَهُ فِي وَجْهِهِ لِعَزَارِ
 مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الشَّرَاعِ مُصَدِّقٍ مِنْهَا الْجَبْنَاحُ نَظِيرُ كُلِّ مَطَارِ
 أَقْبَتُ بِأَبْدَى الرِّيحِ فَضْلَ عِنَانِهَا فَكَادَ تَسْقِي أَمْعَةً الْأَبْصَارِ
 مِثْلَ الْجِيَادِ نَدَافَتْ وَنَسَابَتْ مِنْ طَافِحِ الْأَمْوَاجِ فِي مِضَارِ
 فَهُ مِنْهَا فِي الْمَجَازِ سَوَاحٍ وَقَفْتُ عَلَيْكَ الْفَخْرَ وَهِيَ جَوَارِ
 لَمَّا قَصَدْتَ سَهَا مِرَاسِي سَبْتَةٍ عَطَفَتْ عَلَى الْأَسْوَارِ عَطْفَ سِوَارِ
 لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ صُبْحِ عِزِّكَ عُرَّةَ مَحْفُوفَةٍ بِأَشْجَعَةِ الْأَنْوَارِ
 وَرَأَتْ جَبِينًا دُونَهُ شَمْسُ^(٦) الصُّحَى

[٢٠٠]

(١) كَذَا فِي نَقَحِ الطَّيِّبِ . وَالْمَارِجُ : جَمْعُ مَرْجٍ ، وَهُوَ الدَّرَجُ وَالصَّعْدُ ؛ يُرِيدُ أَنَّ الْأَعْنَصَانِ فِي نَفْرَعِهَا وَرُكُوبِ بَعْضِهَا كَالدَّرَجِ . وَفِي الْأَصُولِ : « مَا عَاشَرَهَا » .

(٢) الْأَعْشَارُ : جَمْعُ عَشْرٍ ، وَلَهُ يُرِيدُ بِهَا أَجْزَاءَ الْأَحْزَاءِ الَّتِي تَرُدُّهَا الْأَطْيَارُ .

(٣) الْعِشَارُ : جَمْعُ عِشْرَاءٍ ، وَهِيَ الْإِثْقَالُ الْحَدِيثَةُ الْمَعْدُ بِالنَّجَاحِ .

(٤) الرَّادُّ مَأْمَدٌ : السُّلْطَانُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَالِمٍ الرَّيِّسِيُّ الَّذِي فَتَحَ الْقَرْبَ بِبَصْرَةِ ابْنِ الْأَمْرِئِ ، وَأَزَالَ مِنْهُ دَوْلَةَ أَبِي زَيْنٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الرَّيِّسِيِّ .

(٥) فِي نَقَحِ الطَّيِّبِ : « تَرَوِي عَنْ » مَكَانٌ : « تَسْرِي مِنْ » .

(٦) فِي الْأَصُولِ : « صَبَحَ » . وَمَا أُثْبِتَهُ عَنْ نَقَحِ الطَّيِّبِ .

فَأَقْضَتْ فِيهَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا ^(١) حَسَبَتْ مَوَاقِعَهَا عَلَى التَّكَرُّارِ
وَأُرِيتْ أَهْلَ الْغَرْبِ ^(٢) عِزِّهِمْ مُعَرَّبٌ قَدْ سَاعَدَتْهُ غَرَائِبُ الْأَقْدَارِ
وَحَطَّيْتُ مِنْ فَاسٍ الْجَدِيدِ عَقِيلَةً كَبَيْتُكَ طَوَّعَ تَسْرُّعٍ وَبِدَارِ
مَا صَدَّقُوا مَتْنِ الْحَدِيثِ بَفَتْحِهَا حَتَّى رَأَوْهُ فِي مُتَوَفِّ شِفَارِ
وَتَسَمَّعُوا الْأَحْبَارَ بِاسْتِفْتَاكِهَا وَالْخُبْرُ قَدْ يُغْنِي عَنِ الْأَخْبَارِ
قَوْلُوا لِقِرْدٍ ^(٣) فِي الْوِزَارَةِ عَمْرَاهُ حِلْمٌ مَنَنْتَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ
أَسْكَنْتُهُ مِنْ فَاسٍ حَنَّةً مُلْكُهَا مُنْتَقِمًا مَهْمَا بَدَارَ قَرَارِ
حَتَّى إِذَا كَفَرَ الصَّنِيعَةَ وَازْدَرَى بِحَقِّقِهَا أَخْلَقَتْهُ مَالِكُ الْبَارِ
جَرَّعَتْ نَجْلَ الْكَلَسِ كَأَسَا مُرَّةً دَسَّتْ إِلَيْهِ الْحَنَفَ فِي الْإِسْكَارِ
كَفَّرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ لَا تَأْنَسُ النَّعَاهُ بِالْكَفَّارِ
فَطَرَحْتَهُ طَرَحَ النَّوَاةِ فَلَمْ يُفُزْ مِنْ عِزِّهِ مُغْرِبُهُ بِغَيْرِ فِرَارِ
لَمْ يَتَفَقَّ خَلِيفَةُ مِثْلُ الَّذِي أَعْطَى الْإِلَٰهَ خَلِيفَةَ الْأَنْصَارِ

(١) في الأصول : « موهبا » . وما أثبتناه عن فتح الطيب .

(٢) كذلك في فتح الطيب . والذي في الأصلين ط م : « الشرق » .

(٣) يريد به الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وكان ابن الأحرار « الغني بالله » قد سمح له بسكنى فاس بجهة حياته ، إلا أنه لما بلغه عنه أنه يعزى سلطان بني مرين بتلك غمرناطة أرسل وطلبه ، إلى أن كان ما كان من محبة ابن الخطيب التي سررت في الجزء الأول من هذا الكتاب ، في حديث مفصل . (انظر صفحة ٢٢٢ وما بعدها ، من الجزء الأول) .

(٤) نجل الكلاس : هو أبو بكر بن غازي بن الكلاس ، وزير السلطان عبد العزيز ابن أبي الحسن الربيعي والقاتم بدولة أبيه أبي زيان من بعده ، وقد كان ابن الأحرار الذي بلغه أنه يحرض السلطان عبد العزيز على تملك غمرناطة ، قاضع السلطان ، وامتنع وزيره من تسليم ابن الخطيب ، فكان ذلك سببا في مساعدة ابن الأحرار أبي المباسم أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن الربيعي على إقامة دولة بالقرب الأقصى ، وانزعاج الملك من ابن عمه أبي زيان بن عبد العزيز الذي تولى بعده أبيه وكان طفلا ، نكاه في وزيره أبي بكر ابن الكلاس . (انظر تفصيل الموضوع في تاريخ ابن خلدون وفي الاستقصا للسلاوي) .

لم أذُرْ والأَيَّامُ ذاتُ عَمَائِمْ تَرَدَّادُهَا يَحُلُو عَلَى التَّذْكَارِ
أَلْوَاءُ صُبْحٍ فِي نَمِيَّةٍ مَشْرِقٍ أَمْ رَايَةٍ فِي جَبْطَلِ جَرَّارِ
وَشَهَابُ أَقْوَى أَمْ سِنَانُ لَامِعٍ يَنْقُضُ نَجْمًا^(١) فِي سَمَاءِ غُبَارِ
وَمَنَاقِبُ لِلْوَلِيِّ الْإِسْمِ مُحَمَّدٍ قَدْ أَشْرَقَتْ أَمْ مِنْ زُهرِ دَرَّارِ
فَأَقِ الْمَلُوكَ بِهَيْئَةِ غُلُوبَةٍ مِنْ دُونِهَا مَحْمُومُ السَّمَاءِ الدَّارِ
لَوْ صَافِحَ الْكَفَّ الْحَصِيبَ^(٢) نَكَمَهُ فَخَرَّتْ بِهَرِّ الْمَجَرَّةِ جَارِ
وَالشَّهْبُ تَطْمَعُ فِي مَطَالَعِ أَقْفَا لَوْ أَحْرَزْتُ مِنْهُ مَنِيْعَ جَوَارِ
سَلِّ لِلْمَشَارِقِ صُبْحَهَا عَنْ وَجْهِهِ يَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ جَمِيْنِ مَهَارِ
سَلِّ نَالِغَائِمٍ صَوَّبَهَا عَنْ كَفِّهِ [تَنْبِيْكَ عَنْ مَخْرِبِهَا زَخَّارِ]^(٣)
[سَلِّ بِالْبُرُوقِ صِفَاحَهَا عَنْ عِزْمِهِ]^(٤) تُجَبِّرُكَ عَنْ أَمْضَى شَيْءٍ وَغَرَارِ
قَدْ أَحْرَرَ الشَّيْمَ الْخَطِيْرَةَ عِنْدَ مَا أَمْطَلَى الْعِزَائِمَ صَهْوَةَ الْأَخْطَارِ^(٥)
إِنْ يَلْقَى دَوَا الْإِجْرَامِ صَعْمَةً صَحِيحَةً فَسَجَّ الْقَمُولُ لَهُ خَطَا الْأَعْمَارِ
يَا مَنْ إِذَا هَيْتَ نَوَامِيسُ حَمْدِهِ أَزْدَتْ بِعَرَفِ الرُّوْضَةِ الْمِعْطَارِ
يَا مَنْ إِذَا افْتَرَّتْ سَبَاحُكُمْ بِشْرِهِ وَهَبَ النُّفُوسَ وَعَاشَ فِي الْإِقْتَارِ^(٦)
يَا مَنْ إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ سَعُودِهِ تُعْشِي أَشْعَتُهَا قَوَى الْأَبْصَارِ
قَسَمًا بِوَجْهِكَ فِي الضِّيَاءِ وَإِنِّهِ شَمْسٌ تُسَدُّ الشَّمْسَ بِالْأَنْوَارِ

[٢٥١]

(١) كَمَا فِي نَوَاحِ الطَّبِيعِ . وَفِي الْأَسْوَاجِ : « نَارًا » .

(٢) الْكَفُّ الْحَصِيبُ : الْخَضِرَاءُ ، وَيُقَالُ الْكَفُّ الْحَصِيبُ عَلَى نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ، تَنْبِيْهُهَا لَهُ بِالْكَفِّ .

(٣) هَذَا الشَّطْرُ عَنْ نَوَاحِ الطَّبِيعِ .

(٤) بَرِيدٌ بِالشَّطْرِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ جَعَلَ طَهْرَ الْأَخْطَارِ مَعْنَى لِعَرَاءٍ . وَرَوَاتُهُ فِي الْأَسْوَاجِ وَفِيهِ الطَّبِيعُ : « أَمْضَى ... » الخ . وَمَا أَتَيْنَا أَشْبَهَ بِالْمَعْنَى .

(٥) هَذَا الْبَيْتُ عَنْ نَوَاحِ الطَّبِيعِ وَمِنْ رَوَاتِهِ : « نَافِثٌ فِي الْإِقْتَارِ » وَفِيهَا مَعْنَى : وَفِي : « وَفِي : عَاشَ فِي الْإِقْتَارِ » . بَرِيدٌ أَنَّهُ إِذَا سَأَلَ بِحُجُودِ مَا عَنِ مَا يَمْلِكُ وَيَمِيشُ مَضِيْقًا عَلَى نَفْسِهِ .

قَمَاتَا بَعَزْمَكَ فِي التَّمَاءِ وَإِنَّهُ ^(١)
 لَسَاحُ كَفْكَ كَلَّمَا اسْتَوْبَهُتْهُ
 اللَّهُ خَضَرْتُكَ الْعَلِيَّةُ لَمْ تَزَلْ
 كَمِ مِنْ طَرِيدٍ نَازِحٍ قَذَفَتْ بِهِ
 بَلْفُتُهُ مَا شَاءَ مِنْ آمَالِهِ
 صَبَرْتَ بِالْإِحْسَانِ دَارَكَ دَارَهُ
 وَالْخَلْقُ تَعْلَمُ أَنَّكَ الْفَوْتُ الَّذِي
 كَمِ دَعْوَةٍ لَكَ فِي الْمَحُولِ مُجَابِرُ
 جَارَتِ مَحَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى
 فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلَقًا مُشْرِقًا
 يَا مَنْ مَاتَرَهُ وَفَضَّلَ جِهَادَهُ
 حُطَّتِ الْبِلَادُ وَمِنْ حَوْتِهِ تُنَوِّرُهَا
 فَلَرَبِّ بِسُكْرِ الْفَتْوحِ خَطْبَتُهَا
 وَعَقِيلَةٌ لِلْكَفْرِ لَمَّا رُغِنَا
 أَذْهَبَتْ مِنْ صَفْعِ الْوُجُودِ كِيَانَهَا
 عَمَرُوا بِهَا حِمَاتٍ عَذَنَ زُخْرُفَتْ
 صَبَّحَتْ مَعَهَا رَوْضَةٌ مَطْلُوعَةٌ
 وَأَسْرَدَ وَجْهَ الْكُفْرِ مِنْ خِزْيٍ مَتَى
 سَيْفٌ تُجَرِّدُهُ يَدُ الْأَقْدَارِ
 يُرْزَى بَغِيثِ الدَّيْمَةِ الدَّرَارِ
 يُبْلَقُ الْغَرِيبُ بِهَا عَصَا التَّنْشِيرِ
 أَيْدَى النَّوَى فِي الْقَعَرِ رَهْنُ سِفَارِ
 فَتَنًا عَنِ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْطَارِ
 مُتَعَتَ بِالْحُسْنَى وَعُقْبَى الْقَارِ
 يُضْفَى عَلَيْهَا وَاقٍ الْأَسْتَارِ
 أَغْرَتِ جُفُونِ الْعُرْنِ بِاسْتِعْبَارِ
 فَرَسَى الرِّبْعِ لَهَا [حَقُوقَ الْجَارِ] ^(٢)
 مُتَصَاحِكًا نَمِيسَ النُّوَارِ
 تَحْدَى الْفِطَارُ بِهَا إِلَى الْأَفْطَارِ
 وَكُنَى بِسَمْدِكَ حَامِيًا لِلدَّمَارِ ^(٣)
 بِالْمَشْرِقِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَطَارِ
 أَخْرَسَتْ مِنْ نَاقُوسِهَا الْهِذَارِ
 وَخَوَّتَهَا إِلَّا مِنْ التَّنْذَارِ
 ثُمَّ انْقَنَوْا عَنْهَا دِيَارَ بَوَارِ
 فَأَعْدَتْهَا لِلْحَيْنِ مَوْقَدَ نَارِ
 مَا أَحْمَرَّ وَجْهَ الْأَبْيَضِ ^(٤) الْبَتَّارِ

(١) في الأصول : « قَمَاتَا بُوْحَكَ فِي التَّمَاءِ وَإِنَّهُ » . والتصويب عن مع الطيب .

(٢) التكملة عن مع الطيب .

(٣) جاء هذا البيت في الأصول متقدما على موضعه ما بعد قوله : « صَبَرْتَ بِالْإِحْسَانِ » .

وفد راعينا الترتيب الذي ورد في مع الطيب .

(٤) في الأصول : « المرهف » . وما أتينا به عن نفع الطيب .

وَلَرُبَّ رَوْضٍ لِّغِنَا^(١) مَتَاوِدٍ نَابَ السَّهْبِلُ بِهِ عَنِ الْأَطْيَارِ
 مِمَّا حَكَتْ رُفْرُ الْأَسْتَةِ زَهْرَهُ حَكَتِ السَّبُوفُ مَعَاطِفَ الْأَمْهَارِ
 مَتَوَقِّدٌ كَهْبُ الْحَسِيدِ بِحَوْه^(٢) تَصَلَّى بِهِ الْأَعْدَاءُ لَمَحْ أَوَارِ
 فَكُلُّ مُلْتَفَتٍ صُقَالٌ مُشْتَهَرٌ قَذَّاحٌ زَنْدٌ لِلْحَفِظَةِ وَارِ
 فِي كَفِّ أَرْوَعٍ فَوْقَ نَهْدٍ سَاجِرٍ مُتَمَوِّجِ الْأَعْطَافِ فِي الْإِخْضَارِ
 مِنْ كُلِّ مُنْهَضٍ بِمَحَّةٍ بَارِقِ يُحْمِلُ السَّلَاحُ بِهِ عَلَى طَيَّارِ
 مِنْ أَشْهَبِ كَالصَّبْحِ يَطْلُعُ غُرَّةً فِي مَسْهَلِ الْمَسْكَرِ الْجَرَّارِ
 أَوْ أَدْمٍ كَاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ بِالْبَحْوَزَاءِ حَتَّى عِذَارِ
 أَوْ أَحْمَرٍ كَالْجَمْرِ يُذَكِّي شُعَلَهُ وَقَدْ ارْتَمَى مِنْ يَأْسِهِ بِشَرَارِ
 أَوْ أَشَقَرٍ حَتَّى الْحَالِ أَدِيمَهُ وَكَأَنَّ مِنْ زَهْوٍ جَلَّالٍ نَضَارِ
 أَوْ أَشْعَلِ^(٣) رَاقِ الْعَيُونِ كَأَنَّهُ غَلَسَ بِخَالِطِ سُدُفَةٍ بِنَهَارِ
 شُهْبٌ وَشُقُرٌ فِي الطَّرَادِ كَأَنَّهَُا رَوْضٌ تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ
 عَمَّ ذَهَبُهَا أَنْ لَيْسَ تَقْرُبُ مَهْلًا حَتَّى يُجَالِطَ [بِالْدَمِ الْمَوَّارِ]^(٤)
 بِأَيِّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَيَّامُهُ غُرَّرَ تَلُوحُ بِأَوَجِهِ الْأَعْصَارِ
 يَهْنِي لَوَاءَكَ أَنْ جَدَّكَ زَاحِفٌ بِلَوَاءِ خَيْرِ الْخَلْقِ لِلْكُفَّارِ^(٥)
 لَا غَرَوَ أَنْ قُفَّتْ لِلْوَلَكِ سِيَادَةٌ إِذْ كَانَ جَدَّكَ سَيِّدَ الْأَنْصَارِ
 السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ إِلَى الْهُدَى وَالْمُسْتَظْفُونَ لِنُصْرَةِ الْمُخْتَارِ

(١) الغناء أي الغناء (يُؤدِّد) يفضله للشعر .

(٢) كذا في نصح الطيب . والذي في الأصل « بحده » . وما أئتمناه أولى بالسياق .

(٣) الأشعل : من الشعلة (الاصم) ، وهي البيضاء في ذيل الفرس والناحية والقفال .

(٤) التكملة عن نصح الطيب .

(٥) يريد سعد بن عبادة الأنصاري سيد الحرج ، وهو الأحمر من سلالة . وبشير

إلى من سعد لرؤية الرسول يوم فتح مكة .

مُتَهَلِّلُونَ إِذَا النَّزِيلُ عَرَاهُمْ
 مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ إِذَا اخْتَبَى
 قَدْ لَاحَ صُبْحًا فَوْقَ بَذْرِ بَعْدَ مَا
 فَاسَأَلَ يَبْدُرُ عَنْ مَوَاقِفِ بِأَسْهَمِ
 لَهُمُ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالَى فَخْرِهَا
 وَإِذَا كَتَابَ اللَّهُ يَتْلُو حَمْدَهُمْ
 يَا بَنَى الدِّينِ إِذَا تَذَوَّكَرَ نَفْرُهُمْ
 حَقًّا لَقَدْ أَوْصَحَتْ مِنْ آثَارِهِمْ^(١)]
 أَصْبَحَتْ وَارِثَ تَجْدُمٍ وَفَخَارِهِمْ
 يَا صَادِرًا فِي الْقَتَحِ عَنْ وَرْدِ الْمُنَى
 وَاهْنًا بِفَتْحٍ جَاءَ يَشْتَمِلُ الرِّضَا
 وَإِلَيْكُمَا مِلءُ الْعَيُونِ وَسَامَةٌ
 تُجَرِّى خُدَاةَ الْعَيْسِ طَيِّبَ حَدِيثِهَا
 إِنْ مَسَّهْمُ تَفْجُحِ الْهَجِيرِ أَبْلَاهُمْ
 وَنُومِلَ مَنْ أَصْفَى لَهَا فَكَأَنِّي
 قَذَفْتُ بِحُورِ الْفَسْكَرِ مِنْهَا جَوْهَرًا
 لَا زَلَّتْ لِلْإِسْلَامِ سِتْرًا كَلْمًا
 وَبَقِيَتْ يَا بَدْرُ الْهُدَى تَجَرِّى بِمَا

سَفَرُوا لَهُ عَنْ أَوْجِهَةِ الْأَقْفَارِ
 تَلْقَاهُ مَعْصُوبًا بِسَاجِ فَخَارِ^(٢)
 لَيْسَ الْمَكَارَمِ وَارْتَدَى بِوَقَارِ
 فَهُمْ تَلَفَوْا أَمْرَهُ بِيَسَارِ [٢٠٣]
 نَقَلَ الرِّوَاةَ عَوَالِي الْأَخْبَارِ
 [أَوْدَى الْقُصُورُ بِمُنَّةِ الْأَشْعَارِ
 فَخَرُوا بِطَيْبِ أَرْوَمَةٍ وَنِجَارِ
 لَمَّا أَخَذَتْ لَدَيْنَهُمُ الْبَثَارِ
 وَمُشْرِفِ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ
 رَدَّ نَاجِحَ الْإِبْرَادِ وَالْإِصْدَارِ
 جَذْلَانِ يَرْفُلُ فِي حِلَى اسْتِبْشَارِ
 حَيْثُكَ بِالْأَبْكَارِ مِنْ أَفْكَارِ
 يَتَعَلَّلُونَ بِهِ عَلَى الْأَكْثَارِ
 مِنْهُ نَسِيمُ ثَنَائِكَ الْمِطَارِ
 عَاطِلِيَّتُهُ مِنْهَا كُتُوسُ عَقَارِ
 لَمَّا وَصَفَتْ أَمَامَ بِيحَارِ
 أَمَّ الْحَجَّاجِ الْبَيْتَ ذَا الْأُسْتَارِ
 شَاءَتْ عِلَاكَ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ

اتمى ما يتعلق به الغرض من هذا التأليف المُلوكى ، وقد أُنيت به بحروفه

(١) يريد إذا جلس في ندى فومه محببًا على عادة العرب ، كان على رأسه تاج الشعار والرياسة والصفوف .

(٢) التكله عن نفع الطيب .

شعر اختاره
 للؤلف أيضاً من
 كتاب ابن الأحرر

من أوله إلى هذا الموضع ، وتتبعه بطول ، ولكي أنتقى منه نبذة زائدة على ما سبق . من مواضع شتى ، فنقول :

قال المؤلف رحمه الله : ومن ذلك ^(١) أنشاء وخجه مولانا الجدد رحمه الله في مدح النبي بالغة وتعبد الدولة الأحمدية

لتجديد الدولة الأحمدية ^(٢) ، صدر عام تسعة وثمانين وسبع مئة :

هَبْ التَّسِيمُ عَلَى الرِّيَاضِ مَعَ السَّحَرِ فَاسْتَيْقِظْتُ فِي الدُّوْحِ أَجْفَانُ الزُّهَرِ
وَرَمَى الْقَضِيبُ دَرَاهِمًا مِنْ نَوْرِهِ فَاعْتَاظَ مِنْ طَلِّ الْغَلَامِ بِهَا دُرُورُ
تَثَّرَ الْأَزَاهِرُ بِمَدِّ مَا نَظَّمَ النَّدَى يَا حُسْنَ مَا نَظَّمَ التَّسِيمُ وَمَا تَثَّرَ
فَمُ هَاتِيهَا وَالْجَوْهُ أَزْهَرُ بِاسْمِ شَمْسًا تَحُلُّ مِنَ الرِّجَاجَةِ فِي قَمَرِ
إِنْ شَجَّهَا بِالنَّاءِ كَفَتْ مُدِيرَهَا تَرْمِيهِ مِنْ شُهْبِ الْحَبَابِ بِهَا شُرَرُ
نَارِيَّةٍ نُورِيَّةٍ مِنْ صَوْنِهَا يَقْدُ ^(٣) السَّرَاجُ لَنَا إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكُرُ
لَمْ يُبْقِ مِمَّا الْمَدْهَرُ إِلَّا صِبْغَةً قَدَّارُ عِشْتِ فِي الْكَأْسِ مِنْ ضَعْفِ الْكِبَرِ
مِنْ عَهْدِ كِسْرَى لَمْ يُفْقِصْ خِتَامَهَا إِذْ كَانَ يَذْخَرُ كَنْزَهَا فِيَا ذَخَرُ
كَانَتْ مُذَابِ التَّشْبِيرِ فِيَا قَدْ مَضَى فَأَحَالَهَا ذَوْبَ اللَّعْجِينَ لِمَنْ نَظَرَ
جَدَّدَ بِهَا عُرْسَ الصَّبُوحِ ^(٤) فَإِنَّا بِكُرِّ تَحْيِيهَا الْكَرَامُ مَعَ الْبُكْرِ
وَابْلُلْ بِهَا رَيْقَ ^(٥) الْأَصِيلِ عَشِيَّةٍ وَالشَّمْسُ مِنْ وَعْدِ الْغُرُوبِ عَلَى خَطَرِ

[٢٥٤]

(١) يريد : من شعر ابن زمرك في سلطانه النبي بالغة .

(٢) تولى أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني سلطنة المغرب الأقصى مرتين ، بمساعدة النبي بالغة بن الأحمر ملك غرناطة ، الأولى من سنة ٧٧٦ إلى سنة ٧٨٦ ؟ والثانية من سنة ٧٨٩ إلى سنة ٧٩٦ وهذه هي المشار إليها هنا . (انظر الاستقصا للسلوى) .

(٣) في نفع الطيب : « قدح » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصل : « العروس » .

(٥) في نفع الطيب : « رتيق » . وهو تحريف .

مُحَرَّةٌ مُصْفَرَّةٌ قَدْ أَظْهَرْتُ حَجَلٌ لِلرَّيْبِ يَشُوبُهُ وَجَلُّ الصَّدْرِ
 مِنْ كَفِّ شَفَافٍ تَجَسَّدَ نُورُهُ مِنْ جَوْهَرٍ لَأَلَاءِ بَهْجَتِهِ ^(١) بَهْرٌ
 تَهَوَّى الْبُودُورُ كَالْهَ وَتَوَدَّ أَنْ لَوْ أُوتِيتُ مِنْهُ الْحَاسَنَ وَالْفَرَّ
 قَدْ خَطَّ ثَوْنٌ عِذَارُهُ فِي حَذِّهِ فَلَمَّا مِنْ آسٍ هُنَاكَ وَمِنْ شَعْرِ
 وَآلَى عَلَيْكَ بِهَا الْكَتُوسَ وَرَبَّمَا يَسْقِيكَ مِنْ كَأْسِ الْفُتُورِ إِذَا قَدَّرَ
 سُكْرُ النَّدَامَى مِنْ يَدَيْهِ وَلَحْظُهُ مُتَعَايِبٌ مِمَّا سَقَى وَإِذَا نَظَرَ
 حَيْثُ التَّهْدِيلُ مَعَ الْمُدِيرِ تَنَاقَبَا فَالطَّيْرُ تَشْدُو فِي التَّعْصُونِ بِلَا وَرَرٍ
 وَالْقَضْبُ مَالَتْ لِلْعِشَاقِ كَأَنَّمَا وَقَدْ الْأَحْبَبَةُ قَادِمِينَ مِنَ السَّحَرِ
 مُتَلَاعِبَاتٍ فِي الْعُلَى يَنْوِبُ فِي وَحَنَانِهِمُ الْوَرْدُ حُسْنًا عَنْ حَفَرٍ
 وَالْفَرْجَسُ الْمَطْلُولُ يَرْنُو نَحْوَهُ بِلَوَاحِظٍ دُمِعُ النَّدَى مِنْهَا أَهْمَرُ
 وَالتَّهَرُّ مَصْقُولُ الْخِصَامِ مَتَى يَرِدُ دِرْعَ الْقَدِيرِ مُصَفَّقًا فِيهِ [صَدْر] ^(٢)
 يَجْرَى عَلَى الْخَضْبَاءِ وَهِيَ جَوَاهِرُ مُتَكَسِّرًا مِنْ فَوْقِهَا مِمَّا عَثَرَ
 هَلْ هَذِهِ أَمْ رَوْضَةُ الْبُشْرَى الَّتِي فِيهَا لِأَرْبَابِ الْبَصَائِرِ مُعْتَبَرُ
 لَمْ أَدْرِ مِنْ شَعَفٍ بِهَا وَبِهَذِهِ مَنْ مِنْهَا فَتَنَ الْقُلُوبَ وَمَنْ سَحَرَ
 جَاءَتْ بِهَا الْأَجْفَانُ ^(٣) مِلْءُ ضُلُوعِهَا مِلْءُ الْخَوَاطِرِ وَالْتِمَاسِ وَالْبَصَرِ
 وَمُسَافِرٍ فِي الْبَحْرِ مِلْءُ عِنَانِهِ وَاقٍ مَعَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ عَلَى قَدَرِ
 قَادَتِهِ نَحْوُكَ بِالْخَطَامِ كَأَنَّهُ جَمَلٌ يُسَاقُ إِلَى الْقِيَادِ وَقَدْ نَفَرَ
 وَأَرَاهُ دِينَ اللَّهِ عِزَّةً أَهْلَهُ بِكَ يَا أَعْفَى الْقَادِرِينَ إِذَا قَدَّرَ

(١) في نفع الطب : « بهجته » .

(٢) التكملة عن نفع الطب .

(٣) يريد بالأجفان : الراكب ؛ الواحد : جرس . وهي كلمة أهدسة ، ذكرها دوري

بهذا المعنى في تكملة المعاجم العربية .

(٢٠٠)

يا غفر أندلس وعصبة أهلها
كم مُقْصِلٍ من دأبها عالجته
ما ذا عسى يصف التليغ خليفة
وَرُمْتَ هذا القعر يا ملك الهدى
من شاء يعرف غرم وكالم
أبناءهم أبناء نصرٍ بدمهم
مولاي سعدك والصالح تشابها
هذا وزير القرب عبْدُ آق
كفر الذي أوليته من نعمة
إن لم يمت بالسيف مات بغيظه
ركب القرار مَظِيَّةً ينجو بها
وكذا أبو حمو وكان حمامه
بَلَّغْتُهُ - والله أكبر شاهد -
حتى إذا حصد الذي أوليته
في حاله والله أعظم عِثْرَةٍ
فاضبر تنكلاً أمثالها في مثله
ردحيث شئت مُسَوِّغاً ورد المني

لله سرٌّ في اختصاصك قد ظهر
فشيت منه بالبدار وبالبدار
والله ما أياؤه إلا غرر
عن كل من آوى النبي ومن نصر
فليتل وحى الله فيهم والسير
بسيوفهم دين الإله قد انتصر
وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
لم يُلَفِ غيرك في الشائد من وَرَر^(١)
والله قد حتم العذاب لمن كفر
وصلى سعيراً للتأسف والعِصْر^(٢)
فجرت به حتى استقر على سَرَر
قد حُمَ وهو من الحياة على غَرَر^(٣)
ما شاء من وطن يعز ومن وطَر
لم تُنْقِ منه الحادثات ولم تَذَر
لله عَسَدٌ في القضاء قد اعتبر
إن العواقب في الأمور لمن صبر
فالله حسبك في الورود وفي الصدر

(١) بريد : الوزير لسان الدين بن الخطيب .

(٢) بشير إلى ما جرى على الوزير ابن الخطيب من الحقد ثم الحرق .

(٣) هو : أبو حو موسى بن يوسف الزباني سلطات المغرب الأوسط ، من بني عبد

الواد ، وكان بينه وبين ملوك المغرب الأقصى من المرينيين عداوات وحروب

كثيرة فصلها ابن خلدون في تاريخه ، والسلاوي في الاستنفا .

لا زِلْتَ محروساً بمعين **كَلَامَةٍ** مادام عينُ الشمسِ تُعْشِي مَنَ نَظَرُ
ومنها، وقد أضاف إلى ذلك من التفرُّل طَوْعَ بَدَارِهِ، وَحُجَّةَ اقْتِدَارِهِ، فقال :
والعُودُ في كَفِّ النَّدِيمِ بِسَرِّ مَا تُبْقِي لَنَا مِنْهُ الْأَنَامِلُ قَدْ جَهَرَ
غَفَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهُوَ بِدَوَّحِهِ وَالْآنَ غَفَى فَوْقَهُ ظَفَى أَغْرَ
عُودُ ثَوَى حِجَرِ الْقَضِبِ رَغَى لَهُ أَيَّامُ كَانَا فِي الرِّيَاضِ مَعَ الشَّجَرِ
لَا سَبَا لِمَا رَأَى مِنْ نَفَرِهِ زَهْرًا وَأَبْنِ الزَّهْرِ مِنْ تِلْكَ الدُّرَرِ !
وَيُظَنُّ أَنَّ عِذَارَهُ مِنْ آسِهِ وَيُظَنُّ الْقُلُوبَ بِلَفْظِهِ وَبِلَحْظِهِ
قَدْ قَيَّدَتْهُ لِأَنَسْنَا أَوَانَاهُ كَالظُّلَى قَيَّدَ فِي السَّكَنَاسِ إِذَا نَفَرَ
لَمْ يُبَلِّ قُلَى قَلَى قَلَمٌ سَمِعَ غِنَاهُ نَعْمَتْ لَنَا الْخُلَاسَانَهُ بِجَمِيعِ مَا
حَسَّ الْقُلُوبَ بِجَسَدِهِ أَوَانَاهُ يَا صَامِتًا وَالْعُودَ تَحْتَ بَنَانِهِ
أَغْنَى غِنَاؤُكَ عَنْ مُدَامِكَ يَا تَرْمِزِي بَاحَتْ أَنْامِلُكَ اللَّذَانِ بِكُلِّ مَا
وَمُقَاتِلِي مَا سَلَّ غَيْرَ بِحَافِلِهِ وَالرَّمَحَ هَزَّ مِنَ الْقَوَامِ إِذَا خَطَرَ
دَانَتْ لَهُ مِنَ الْقُلُوبِ بِطَاعَةِ وَالسَّيْفَ يَمْلِكُ رَبُّهُ فِيمَنْ قَهَرَ^(١)

ثم قال بعد إيراد جملة من كلامه :

وقال شاكرًا لنعمة وصلته من مولانا رحمة الله عليه في عاشوراء :

في شكر السلطان
لنعمته وصلته في
عاشوراء

(١) تمكلة عن رفيع الطيب .

(٢) ورد هذا البيت في الأصل محرفًا ومحدوف من الكلمات . وقد أنشأه عن رفيع الطيب .

(٣) في رفيع الطيب : « مهيا فهر » .

مولاي يابن السابقين إلى الملا
 إن لوحقوا^(١) في العلوات^(٢) فإتهم
 أو فؤخروا في المكرمات فإتهم
 أبناء أنصار النبي وصحبه
 وللؤثرين وربنا أننى بهـ
 فاضت علينا من نداءك غمام
 من كف شفاف الضياء تحال
 نعم منوعة تعدد وفرها
 في موسم للدين قد جددته
 أضعاف ما أهديتنا^(٣) من منة
 وعلى الطريق بشائر محودة
 والرافعين لواءها التنشـورا
 طامعوا بأفاق العلاء بدورا
 نظلموا بأسلاك الصخار شذورا
 في الذكر أصبح غرهم مذكورا
 في الحشر خلد وصفهم مسطورا^(٤)
 وتعبرت من راحتك بحورا
 لصفاء جوهره تجسد نورا
 أعجزت عنها شكرى الوفورا
 وأقت فينا عيـده المشهورا
 تهدي إليك نوابها عاشورا
 ألقاك جذلانا بها مسرورا

ثم قال : ومن أفضله في وصف القرنفل الصعب الاجتناء بحمل الفتح ، وقد وقع له مولانا الغنى بالله بذلك ، فارتجل قطعة ، منها :

أُنونى بنوار يروق نصارة
 وجاءوا به من شاطئ متمنع
 رعى الله منى عاشقا مضنعا
 كحد الذى أهوى وطيب تنفسه
 تمتع ذاك الظبي في ظل مسكنه
 برهر حكى في الحسن خد مؤنسه

[٢٠٧]

(١) كذا في (ط) وفي نفع الطيب : « لوحقوا » .

(٢) العلوات : جمع معلوة (مكreme) . يربد بها المال ، ولم تعد المعلوة (بوزن مكreme) في المعاجم التى بين أيدينا .

(٣) بشر إلى قوله تعالى في سورة الحشر في مدح أنصار النبي : (والذين نبؤوا الفار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

(٤) في النسخة المخطوطة من نفع الطيب المخطوطة بدار الكتب (برقم ٣٦٠) : « حملنا »

في وصف قرنفل
 بحمل الفتح

وإن هبَّ خَفَّاقُ النسيم بِفَجَّةٍ حَكَتْ عَرَفَهُ طَلِيبًا قَفْصِي بِقَأْسِهِ
ومنها :

رَعَى اللهُ زَهْرًا بِنَفْسِي لَقَرْتُ قُلَّ حَكِي عَرَفَ مَنْ أَهْوَى وَإِشْرَاقَ حَدِّهِ
وَمُسَبَّتُهُ فِي شَاهِقٍ مُتَمَتِّعٍ كَمَا امْتَنَعَ الْمَحْمُودُ فِي تَبِيعِهِ صَدِّهِ
أَمِيلٌ إِذَا الْأَغْصَانُ مَالَتْ بِرَوْضَةٍ أَعَانِقُهَا الْقُصْبُ شَوْقًا نَفْدَهُ
وَأَهْمُوهُ إِخْفَاقُ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى وَأَهْوَى أَرْبَاجَ الطَّيِّبِ مَنْ عَرَفَ نَدَّهُ
ومنها :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى الزَّهْرَ يَانِعًا وَقَدْ نَارَعَ الْحَبِيبَ فِي الْخُسْنِ وَصْدُهُ
وَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي كَزَهْرٍ قَرْنُلٍ حَكِي حَدَّ مَنْ يَشِي الْعَوَادَ وَعَرَفَهُ
تَمَتُّعٍ فِي أَعْلَى الْهَضَابِ لِمُجْتَنٍ تَمَتُّعُهُ مِنِّي إِذَا رُمْتُ بِاللَّهِ
وَفِي جَبَلٍ الْفَتْحِ اجْتَنَنُوهُ تَقَاوُلًا بِمَفْتَحِ لِبَابِ الْوَصْلِ يَمْنَحُ عَطْفَهُ
أَوْ مَا ضَرَّ ذَاكَ الْعُضْنَ وَهُوَ مُرْنَجٌ إِذَا مَا ثَنَى نَحْوَ التَّيَمِّ عِطْفُهُ (١)

ثم قال : ومن قصائده التي يردُّ الصَّباح سناها ، والنسيم اللَّذن رقة معناها ،
يُخَيِّمُ مَوْلَا بِالْجِدِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عند وصول خالصة مقامه ، وكبير خُدَامِهِ ،
القائد خالد ، رحمه الله تعالى ، من تَلَمَّسَان بِالْهَدْيِ ، وتجديد المقاصد الوديه ، ووافق
استئناف راحة من الذات العليَّة ، ومن بعض فروع دَوْحَتِهَا الزَكِيَّة :

أَدْرَاهَا ثَلَاثًا مِنْ لِحَاطِكَ وَاحِسٍ فَقَدْ غَالَ مِنْهَا الشُّكْرُ أَبْنَاءَ تَحْلِسِ
إِذَا مَا نَهَانِي الشَّيْبُ عَنْ أَكْوَسِ الطَّلَا تُدِيرُ عَلَيَّ الْحَرَّ مِنْهَا بِأَكْوَسِ
عَذِيرِي مِنْ لِحَافٍ ضَعِيفٍ وَقَدْ غَدَا يُحَصِّكُم مَنَّا فِي جُؤْمٍ وَأَنْفَسِ

وروض شبابٍ ماسٍ عُصْنُ قَوَامِهِ وفتح فيه اللاحظُ أزهارَ تَرْجَسٍ
وما زال وَزْدَ الخَدَّةِ وهو مُصَعَّفٌ يُعِيرُ أَفَاحَ الثَّغْرِ طِيبَ تنَفَسٍ
وكم جالِ طَرْفِ الطَّرْفِ في روضِ حُسْنِهِ يُعِيدُهُ فِيهِهِ العِذارُ بَسْنَدِسٍ
أما وليالي الوصلِ في رَوْصَةِ الصَّبَا ومألفِ أَحِبَّائِي وَعَهْدِ تَأَنِّي
لئن نَسِيتُ تلكَ المَهودَ أَحَبَّتِي فقلبي عهودَ العاصِيةِ ما نَسِي
وحاشا لنفسي بعد ما افترَّ قَوْدُهَا من الشَّيْبِ عن صُبْحٍ به مُتَنَفِّسٍ
والبَهْهَا نوبَ الوَقَارِ خَلِيفَةُ [به لَبَسَ الإسلامُ أَشْرَفَ مَلْبَسٍ] ^(١)
وجددَ للفتحِ المِيعَةَ مَوَاسِمًا أَقامَ بها الإِيْمَانُ أَفْراحَ مُعْرِسٍ
وأَوْزَنَهُ العُلَيَاءُ كُلَّ حَلِيفَةٍ نَمَادُ إِلَى الْأَنْصَارِ كُلِّ مُقَدَّسٍ
فبِأَزْجَرَ الْأَطْلَمَانِ وَهِيَ ضَوَارِمُ بغيرِ القَلَا والوَحْشِ لَمْ تَتَأَنَّسِ
إِذَا جِثَّتْ مِنْ دَارِ النَّعْيِ بَرَنَةٌ مُنَاجِ العُلَا والعَزَّ فَانزِلِ ^(٢) وَعَرَّسِ
فإِنْ شَتَّتَ مِنْ بَحْرِ التَّحَاةِ فَاغْتَرَفَ وَإِنْ شَتَّتَ مِنْ نُورِ المَهْدَاةِ فَاقْبَسِ
أُمُولَايَ وَالْيَ السَّعْدُ مِمَّاكَ وَلَايَةً ^(٣) أَنَارَتْ بِهَا الْأَكْوَانُ جَذْوَةَ مُقْبَسِ
إِذَا شَتَّتَ أَنْ تَرْمِي النَّصِيَّ مِنَ النَّعْيِ تَدُورُ لَكَ الْأَفْلاكُ مَرْفُوعَةَ الْقَمِي
فَتَرْمِي بِسَهْمٍ مِنْ سُمُودِكَ صَائِبِ سَدِيدِ لِأَغْرَاضِ الْأُمَامِي مُقَرَّطِسِ ^(٤)
أَهْنِيكَ بِالْإِبْلَالِ تَمَنِّ شِفَاؤُهُ شِفَاؤُكَ فَاسْكُرْ مَنْ تُلَاقِي وَقَدَّسِ
وَدَعْنِي أَرِدَ يُمْنَاكَ فِيهِ نَعْمَاةُ تُبَحِّلُ صَوْتََ الْعَارِضِ الْمُتَبَحِّسِ ^(٥)

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ مَعَ الطَّيِّبِ .

(٢) فِي مَعَ الطَّيِّبِ : « فاعمل » .

(٣) رَوَاةُ هَذَا الشَّطْرِ فِي مَعَ الطَّيِّبِ : « أُمُولَايَ إِنْ السَّعْدُ مِمَّاكَ لَآيَةً » .

(٤) يُقَالُ : رَمَى فَعَرَّطَسَ ، إِذَا أَصَابَ الْقُرْصَ .

(٥) الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمَقْرَضُ فِي الْأَفَقِ . وَالتَّبَحُّسُ : السَّحَابُ الْمُتَهَمِّرُ .

أَقْبَلُ مِنْهَا رَاحَةً إِنْ رَاحَةً
وَمَنْ نَسَبَ الْفَتْحَ الثُّبِينَ وَلَادَةً
فِي أَيِّهَا الْمَوْلَى الَّذِي بِكَالِهِ
[لَأَمَسْتُ^(٢)] أُمُوسَى^(٣) مِنْ عَوَادِي سَمِيَّةٍ
بَعَثَتْ بِمَيْمُونِ النَّقِيبَةِ ، فِي اسْمِهِ
خَفَاكَ بِالْمَالِ الْعَرِيزِ هَدِيَّةً
وَسَفَعَهَا بِالصَّافِنَاتِ كُلِّهَا
نَفَضْتُ مِنَ الْإِشْرَافِ جِيدَ غَنَائِلِهِ
لَكَ الْخَيْرُ ، مُوسَى مِثْلُ مُوسَى كَلَامِهَا
فَلَا زِلْتُ فِي ظِلِّ النِّعَمِ وَكُلُّ مَنْ
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِثْلَ حَمْدِكَ عَاطِرٌ

أَنْتَ بَهَا الرُّكْبَانِ مِنْ بَيْتٍ مَقْدَسٍ
إِلَيْهِ بِغَيْرِ الْفَخْرِ لَمْ يَنْأَسْ^(١)
خِلَافُ هَذَا الْعَصْرِ فِي الْقَفْرِ نَأَسَى
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَبْرَحْ بِخِيفَةِ مُوجِسٍ
خُلُودٌ لَعَزَّ ثَابِتٌ مَنَاسِسٍ
بِهَا الدِّينُ أَثْوَابُ الْمَسْرَةِ بِكَتْسَى
وَقَدْ رَاقَ مَرَّآهَا جَاذِرُ مَكْنَسٍ
وَتَرْتَرُ مِنَ الْإِبْجَاسِ عَنْ لَحْظِ أَسُوسٍ
بِغَيْرِ شِيعَارِ الْوَدِّ لَمْ يَتَلَسَّسْ
بِعَادَبِكَ لَا يَنْفُكُ بِشَقَى بَأْنُوسٍ
نَفْسُ وَجْهِ الصَّحْحِ عَنْهُ مَعْفُوسٌ

ثم قال بعد ذكر كثير من نظمه وبعض ميلادياته :

وَأَنْشُدُ فِي مَوْلِدِ عَامِ خَمْسَةِ وَسِتِّينَ :

أَعْلَى الثَّمَانِ إِنِ صَالِحَتْ رَوْضَ نَعَانٍ
وَمَاذَا عَلَى الْأَرْوَاحِ وَهِيَ طَلِبَةُ
وَمَا حَالُ مَنْ يَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ سِرَّهُ
وَكَالطَّيْفِ اسْتَفْرِغِيهِ فِي سِنَةِ الذِّكْرِى

تُوَدِّى مَانَ الْقَلْبِ عَنْ ظَلِيمَةِ الْبَانِ
لَوْ احْتَمَلْتُ أَنْفَاسُهَا حَاجَةَ الْعَانِ
وَيَطْلُبُهَا وَهَى التَّعْوَمِ بِكَيْفَانِ
وَهَلْ نَنْفَعُ الْأَحْلَامُ غُلَّةَ ظَمَانِ

[٢٠٩]

(١) أى لم يتم دعواه على أساس .

(٢) الشككة عن مع الطيب .

(٣) موسى : هو موسى بن أبي عمار بن أبي الحسب الربيعي ، مات له دولة بالمغرب الأقصى بمساعدة ابن الأحمر من سنة ٧٨٦ إلى سنة ٧٨٨ هـ . أما سميته فطلحه . يفصده .
أيا هو موسى بن يوسف الرياني من بني عبد الواد ، سلطان المغرب الأوسط ،
وكان كثير الشعب على ملوك المغرب الأقصى .

أسألك عن نجد وسرى صباي
 وأبدي إذا ربح الشمال تنفست
 عرفت بهذا الحب لم أدر سكرة
 فيها صاحبي نجوى والحب عاية
 وراءكما ما اللوم يثني مفاذني
 وإني وإن كنت الأني قياده
 ولا زلت أرى العهد فيمن يصيحه
 فلا تنكرا ماسمي ماضى الهوى
 لي الله إنا أومض البرق في الدجى
 وإن سئل من غدد الغمام حسامه
 تراءى بأعلام التتيسة ماسما
 أسامر بجم الأفق حتى كأننا
 ومنا أناجي الأفق عليه بالجو
 وبرسل صوب القطر من فيض أدعى
 وضاعف وجدى زمن دار عهدتها
 على حين شرب الوصل غير مصرد
 لن كدرت عيني الطلول فإنها
 ولم أر مثل السمع في عمر صاتها
 ومما شجاني أن سرى الراكب موهنا
 غوارب في بحر السراب تخالها

ملاعب غزلان الصريم بعمان
 شمائل سرتاح المعاطف تشوان
 وأنى لمسلوب الفؤاد بسلواف
 فمن سابق بجلى مداه ومن وانى
 فأتى عن شان التلامة في شان
 ليأمرنى حب الحسان وينهاني
 وأذكر إني ما حيت وينساني
 فمن قبل قد أودى بفس وعيلان^(١)
 أقلب تحت الليل مقله وسنان
 برى كبدى الشوق المليم وأضناني
 فأذكر لي العهد القديم وأبكاني
 وقد سدل الليل الزواق حليفان
 فأرعى له سرح السجوم ويرعاني
 ويقدح زند البرق من نار أشجاني
 مطلق شهب أو مزروع غزلان
 وصفوا الليالى لم يسكدر بهجران
 تمت إلى قلبي مذكري وعرفان
 سقى تربها حين استهل وأظفاني
 تقاد به هوج الرياح بأرسان
 وقد ساحت فيه مواخر غرمان

(١) فبس : المراد به فبس بن اللوح بنون بن عامر . وعيلان : ذو الرمة الشاعر .

على كل نَصُو مثله فكأنما
 ومن زاجر كثر ماء نَحْطَةِ الحشى
 نَشَاوَى غَرَامٍ يَسْتَمِيل رءوسهم
 أجابوا نداء البين طَوَعَ غرامهم
 يَوْمُؤُونَ مِنْ قَبْرِ الشَّعِيرِ مَثَابَةً
 إذا نزلوا من طَيِّبَةِ مَحْوَرِهِ
 [بِحَيْثُ عَلَا الْإِيمَانُ وَامْتَدَّ ظِلُّهُ
 مَطَالِعُ آيَاتٍ مَثَابَةُ رَحْمَةٍ
 هنالك تصفو للقبول موارد
 هنالك تُؤَدَّى لِلسَّلامِ أَمَانَةٌ
 مُبْجَاجُونَ عَنْ قُرْبِ شَفِيعِهِمُ الَّذِي
 لَنْ يَلْفُؤُوا دُورِي وَخَلَّفتْ إِيَّاهُ
 وَكَمْ عَزَمَتْ مَمْلُوكُتُ نَفْسِي صَرْفَهَا
 إِلَى اللَّهِ نَشْكُوها نَفْوساً أَيْتَةً^(١)
 أَلَا بَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُسَاعِدُنِي الْمَنَى
 وَأَقْضِي لِبَائَاتِ الْقَوَادِ بَأَن أُرَى
 إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ دَعْوَةً نَازِحَ
 غَرِيبٍ بِأَقْصَى الْغَرْبِ قَيْدَ خَطْوِهِ

رَمَى مِنْهُمَا صَدْرَ الْمَقَارَةِ سَهْمَانِ
 تَوَسَّدَ مِنْهَا فَوْقَ عَوَجَاهِ سِرْنَانِ
 مِنَ الْقَوْمِ وَالشُّوقِ الْمَبْرَحِ سُكْرَانِ
 وَقَدْ تَبَلَّغَ الْأَوْتَازَ فَرْقَهُ أَوْطَانِ
 تَطَلَّعَ مِنْهَا جَنَّةً ذَاتُ أَفْنَانِ
 فَاكْرُمُ مَوْلَى نَفْسِي أَكْرَمَ صَيْفَانِ [٢٦٠]

وَزَانَ حَتَّى التَّوْحِيدِ تَعَطُّيلُ أَوْثَانِ^(١)
 مَعَاهِدُ أُمَلَّاكٍ مَظَاهِرُ إِيْمَانِ
 يُسْقَوْنَ مِنْهَا فَضْلَ عَمِّهِ وَغُفْرَانِ
 يُحْيِيهِمْ عَنْهَا رَوْحُ وَرِيحَانِ
 يُؤْمِلُهُ الْقَاصِي مِنَ الْخَالِقِ وَالْمَدَانِي
 قَضَاءُ جَرَى مِنْ مَالِكِ الْأَمْرِ دِيَّانِ
 وَقَدْ عَرَفْتُ مَنِ مَوَاعِدَ لَيْثَانِ^(٢)
 تَحْيِيدُ عَنْ الْبَاقِي وَتَغْتَرُّ بِالْقَانِي
 فَأَتْرَكَ أَهْلِي فِي رِضَاهُ وَجِيرَانِي
 أَعْقَرْتُ خَدْيِي فِي تَرَاهُ وَأَجْفَانِي
 خَفَوُكَ الْحَشَى رَهْنِ الْمَطَامِعِ هَيْمَانِ
 شَبَابُ نَفْسِي فِي سَمَرِهَا وَخُسْرَانِ

(١) هذا البيت من نفع الطيب (ج ٣ ص ٢٥ طبعة الأزهرية) .

(٢) القيان (بكسر اللام وفتحها) : اللؤلؤ .

(٣) كفا في صبح الطيب . يصف الغموس بالخروج والامتناع . والذي في الأصل :

« أمة » . ولا معنى لها .

يُحْدِثُ اسْتِقْيَاقًا لِلْعَقِيقِ وَبَانِهِ
وَأِنْ أَوْضَعَ الْبَرْقُ الْحِجَازِيَّ مَوْنَهُ^(١)
فَيَأْمُرُ إِلَى الرُّنْمَى وَيَأْمُذِيبُ الْقَمَى
بَسَطَتْ يَدَ الْحَتَّاجِ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ
وَسَيَلَتْهُ الْعُظْمَى شِعَاعَتُكَ الَّتِي
فَأَنْتَ حَبِيبُ اللَّهِ خَاتَمُ رُسُلِهِ
وَحَسَنُكَ أَنْ سَمَّاكَ أَسْمَاءَهُ الْعُلَا
وَأَنْتَ لِهَذَا السَّكُونِ عِلَّةٌ كَوْنُهُ
وَلَوْلَاكَ الْإِفْلَاقُ لَمْ تَجْلُ نَجْرًا
خُلَاصَةُ صَمَوِّ الْمَجْدِ^(٢) مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَسَيِّدُ هَذَا الْخَلْقِ مِنْ نَسْلِ آدَمَ
وَكَمْ آيَةٌ أَطْلَعَتْ فِي أَفْقِ الْهُدَى
وَمَا الشَّمْسُ يَجْلُوها النَّهَارُ لُبْصِرٍ
وَأَكْرَمُ بَآيَاتٍ تَحْدِثُنَا بِهَا
وَمَاذَا عَسَى يُثْنِي الْبَلِيعُ وَقَدْ أَتَى
فَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا انْسَكَبَ^(٣) الْحَيَا

وَيَصْبُو إِلَيْهَا مَا اسْتَجَدَّ الْجَدِيدَانِ
يُرْدُدُ فِي الظُّلُمَاءِ أَنَّهُ لَهْفَانِ
وَيَأْمُزُجِدَّ الْفَرْقَى وَيَأْمُنُقِدَّ الْعَانِي
وَذَنْبِي أَلْجَانِي^(٤) إِلَى مَوْقِفِ الْجَانِي
يَلُودُ بِهَا عَيْسَى وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانَ
وَأَكْرَمُ مَخْصُوصِ بَرْئَلْنِي وَرِضْوَانِ
وَذَاكَ كَمَالٍ لَا يُشَابُ بِنُقْصَانِ
وَلَوْلَاكَ مَا امْتَنَزَ الْوُجُودُ بِأَكْوَانِ
وَلَا قُلْدَتْ [أَبَاتُهُنَّ بِشُهُدَانِ]^(٥)
وَأُسْكِنَتْ سِرَّ الْمُحْرَمِ مِنْ آلِ عَذْرَانِ
وَأَكْرَمَ مَبْعُوثٍ إِلَى الْإِنْسَانِ وَالْجَانِ
يَبِينُ صَبَاحَ الرُّشْدِ فِيهَا لَيَقْطَعَانِ
بِأَجَلِي ظُهُورًا أَوْ بِأَوْضَحِ بَرَهَانِ
وَلَا مِثْلَ آيَاتٍ لِحُكْمِ فَرْقَانِ
تَنَازُكٍ فِي وَحْيٍ قَدِيمٍ^(٦) وَقُرْآنِ
وَمَا سَجَعَتْ وَرَقَاءُ فِي غُصْنِ الْبَانِ

[٢٦١]

(١) البرق : نحر من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه .

(٢) أَلْجَانِي : يريد : « أَلْجَانِي » بالهمز . مذهب لشعر .

(٣) التَّكَلُّفُ عَنْ نَجْعِ الطَّيِّبِ .

(٤) كَذَا فِي نَجْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْحَقُّ » ، وَبِاسْتِقْمَالِ الْمَعْنَى بِهَذَا أَيْضًا ، غَيْرَ

أَنْ مَا أَتَيْنَاهُ بِلَاثِمِ الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ .

(٥) فِي نَجْعِ الطَّيِّبِ : « كَرَمٌ » .

(٦) كَذَا فِي نَجْعِ الطَّيِّبِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « انْسَكَبَ » ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ مِنَ النَّاسِخِ .

وأبَد مولانا ابنَ نَصْر فإنه
أقام - كما يُرضيك - مولدك الذي
سميَ رسول الله ناصر دينه
ووارث سِرِّ المَجد من آل خَزَرَج
ومُرْسِلها ملء القِصاء كَتائِباً
حدائق خُضْر والذُرُوع^(١) غداثر
تَجَاوَبُ فيها الصاهِلات وترنمي
فن كل خَوَّار العِنان قد ارتَمَى
ومُورِدها ظمأى الكُعب ذوابلا
ولله منها والزُّبوع مواحل
إذا أخلف الناسَ العالَمُ وألْحَقُوا
إماماً أعادَ التُّلك بعد ذهابه
فقادِر أطلال الضلال دَوارِسا
وشَيدَها والحدُ يشهد دولة
وراق من الشَّعر الغريب ابتسامه
لك الخَيْر ما أَسْنَى شَمائلك التي
دَكَاه إِبَّاس في سَمَاحة حاتم
أُمولاي ما أَسْنَى مَنابِقك التي
فلا زلتَ يا غوث البلاد وأهلها

نعم قال بعد سرِّد ميلاديه ، وأنشد ذلك في مولد سنة سبع وستين وصبيح مئة
وألم في آخرياتها بوصف التشوُّر الأسنى ، الرفيع المعنى :

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصل : « والدموع » . وهو تحريف .

في مولد سنة
سبع وستين
وصبيح مئة

زار الحيال [بأيمن الزوراء] ^(١)
ومرّى مع النسائم يسحب ذيله
هذا وما شئ إلا من المني
يتنا خيالين التّحفنا بالضّي
حتى أفاق الصّبح من غمراته
ياسائل عن سرّ من أحببته
تألفه ما أشككو الحية والهوى
يأزّن ^(٢) قلبي لست أبرح عانياً
أبكي وما غير النّجيع مدامعي
أهفو إذا تهفو البروق وأنثني
بالله يا نفس الحيّ ^(٣) رفقاً بمن
عجباً له يندى على كبدى وقد
ياساكني البطحاء أئى لُبانةٍ
أترى النوى يوماً تخيب قِداحها
في حَيِّكم قرّ فزادى أفتة
لم تُنسى الأيام يوم وداعه
أبكي ويَنسِم والمحسن تُجَتلى
يا نظرة جادت بها أيدي النوى

خجلا سده غياهب انظماء
فأتت تيمّ معبر وكتباء ^(٢)
إلا زيارته مع الإغفاء
والشّم ما نخشى من الرّقاء
وتجادبت أيدي النسيم ردائي
السرّ عندي ميّت الأحياء
لسوى الأحبة أو أموت بدائي
أرضى بسقمى فى الهوى وعنائى
أذكى ولا حرم سوى أحشائى
لسرى النواسيم من ربا تيماء
أغريته بنفس الضّعفاء
أذكى بقلبي حمرة البرحاء
لى عندكم ياساكني البطحاء
ويوزّ قدحى منكم بقاء
تفدي نفسي من قريب نائي
والركب قد أوفى على الزوراء
فعلقت بين تبسم وبكاء
حتى استهلت أدمعى بدماء

[٢٦٢]

(١) الشكوة عن نوح الطيب .

(٢) الكباء (بالكسر) : عود البخور ، أو ضرب منه .

(٣) فى النسخين المخطوطين من نوح الطيب : « يادين » .

(٤) كذا فى نوح الطيب . طبعة الأزهرية ، أى ياربى الحى . وفى ط : « يا ناسنام الحى » .

مَنْ لِي بِثَانِيَةِ تُسَادَى بِالْأَسَى : «فَذَكَ اتَّيْدَ أَسْرَفَتْ فِي الْعُلُوءِ»^(١)
 وَلَرُبَّ لَيْلٍ بِالْوِصَالِ قَطَعْتُهُ أَجْلُو ذُجَاهٍ بِأَوْجُوِ الْقُدَمَاءِ
 أَنْسَيْتُ فِيهِ الْقَلْبَ عَادَةً حِلْمِهِ وَخَسَّيْتُ فِيهِ أَكْوُسَ الْمَرَمَاءِ
 وَحَرَيْتُ فِي طَلْقِ التَّصَانِي جَانِحَا لَا أَنْفِي لِمَقَادَةِ النَّصَحَاءِ
 أَطْوَى شَبَابِي لِلشَّيْبِ مَرَّاحِلًا بِرَوَاحِلِ الْإِصْبَاحِ وَالْإِمَاءِ
 يَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَرَى أَطْوَى إِلَى قَبْرِ الرُّسُولِ سَحَائِفَ الْيَدَاءِ
 قَطْعِيَّ فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ مَدَامَحِي وَيَطُولُ فِي ذَاكَ التَّمَسُّمِ تَوَائِي
 حَيْثُ النُّبُوءَةُ نَوْرُهَا مَتَانِي كَالشَّمْسِ تَرْقِي فِي سَفَى وَسَنَاءِ
 حَيْثُ الرِّسَالَةُ فِي ثَنِيَّةِ قُدْسِهَا زَمَعْتُ لِهَدْيِ الْخَلْقِ خَيْرَ لَوَاءِ
 حَيْثُ الضَّرِيحُ مَرِيحُ كَرَمِ مُرْسَلِ فَخَرِ الْوُحُودِ وَشَاغِرِ الشُّغَاءِ
 الْمُطْلَقِ وَالْمُرْتَقَى وَالْمَحْتَجِي وَالْمُنْتَقَى مِنْ غُنْصَرِ الْقَلِيَاءِ
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ نَجَّتْ بِهَا ذُحْرُهَا ظِلُّ الْإِلَهِ الْوَارِفِ الْأَفْيَاءِ
 تَاجِ الرِّسَالَةِ خَشَمَهَا وَقَوَاهَا وَعَادِيهَا السَّامِي عَنِ النَّظَرَاءِ
 لَوْلَاهُ الْإِفْلَاقُ مَا لَاحَتْ بِهَا شُهْبُ تَنْسِيرِ دِيَاغِي الظُّلُمَاءِ
 ذُو الْمَعْجَزَاتِ الْفَرِّ وَالْآيِ الَّتِي أُكْبِرْنَ عَنْ عَدْرِ وَعَنِ الْإِحْصَاءِ
 وَكَفَاكَ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْرَاءِ وَكَفَاكَ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْرَاءِ
 وَالبَدْرُ شَقُّ لَهُ وَكَمْ مِنْ آيَةٍ كَأَنَّمَا لِي جَادَتْ^(٢) بَنَيْعُ الْمَاءِ
 وَبَلِيلَةُ الْبِلَادِ كَمْ مِنْ رَحْمَةٍ نَشَرَ الْإِلَهُ بِهَا وَمِنْ نَعْمَاءِ
 قَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ بَعَثَهُ وَتَقَدَّمَ الْكُهَّانُ بِالْأَنْبَاءِ

(١) هذا صدر بيت لأبي تمام ، ومعناه : « كم تعذلون وأتم سجرائي » . وفي الديوان

« اتلب أرييت » مكان : « اتند أسرفت » . وهو بمعنى .

(٢) في تلح الطيب : « جادت » .

أكرم بها بشرى على قدر سرت في الكون كالأرواح في الأعضاء
 أمسى بها الإسلام يشرق نوره والسكر أصبح طامح الأرجاء
 هو آية الله التي أنوارها تجلو ظلام الشك أي جلا
 والشمس لا تخفى مزيه فضلها إلا على ذي المقللة العمياء
 يا مصطفى والكون لم تعلق به من بعد أيدى الخلق والإنشاء
 يا مظهر الحق الجلى ومطلع الشور السنى السافر^(١) الأضواء
 يا ملجأ الخلق المشتع فيهم يارحمة الأموات والأحياء
 يا آسمى المرضى ومُنْتَجِع الرضا ومؤاسى الأيتام والضعفاء
 أشكو إليك وأنت خير مؤمل داء الذنوب وفي يديك دوائى
 إني مددت يدي إليك تقصدا حاشى وكلا أن يخيب رجائى
 إن كنت لم أخلص إليك فأنما خلصت إليك بحبى وندائى
 وبسعد مولاي الإمام محمد [تعد] الأمانى أن يتاح لقائى
 ظل الإله على البلاد وأهلها غفر الملوك السادة الخلفاء
 غوث^(٢) العباد وليث شُجَر القنا يوم الطعاف وفارج الفتاء
 كالدهر في سلواته وسماحه تجرى صباه بزخزع ورخاء
 رقت سجاياه وراقت مجتلى كالنهر وشط الروضة الفيحاء^(٣)
 كازهر في إراقه والبدر في إشراقه والزهر في اللألاء
 يا بن الآلى إجمالم^(٤) وسجلهم فلق الصباح وواكف الأنواء

[٢٦٤]

(١) في فتح الطيب : « السافر » .

(٢) في فتح الطيب : « عبث » .

(٣) في م وفتح الطيب : « الفتاء » .

(٤) لإجمالم ، أى توسمهم فى العروف والإنعام . وفى البيت لف وتفسر غير مرتبيل .

أنصار دين الله حزب رسوله
 يا ابن الخلاف من بنى نصر ومن
 من كل من تقف الملوك ببابه
 قوم إذا قاذوا الجيوش إلى الوغى
 والعز مجلوب بكل كتيبة
 يا وارثا عنها مناقبها التي
 يا غر أدلس وعصمة أهلها
 كم خضت طوع صلاحها من مهمم
 تهدي بها حادى الشرى بعزائم
 فارفع لواء الفخر غير مدافع
 واهنا بمبتناك السعيد فإنه
 لله منه حالة قد أصبحت
 تننأها طير الزجاء فتجننى
 لله منه قبة رفوعة
 راقى بدائع وشيا فكانها
 عظمت ميلاد النبي محمد
 أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا
 بأيتها الملك الهمام المجتبي
 من لى بأن أحصى من قبك التي^(١)

والسابقين بحلبة القلياء
 حاطوا ذمارا لليلة السمحاء
 يستمطرون سحاب النعماء
 فالرعب رائداهم إلى الأعداء
 والنصر معنود بكل لواء
 تسمو سراقبها على الجوزاء
 يجزيك عنها الله خير جزاء
 لا تهتدى فيه القطا للماء
 تهدي نجوم الأفق فضل ضياء
 واشحب ذبول العزة القساء
 كهف ليوم مشورة وعطاء
 حرم العفاة ومضرع الأعداء
 تدر للى من دوحة الآلا
 دون السماء تقوت لحظ الزانى
 وشى الربيع بمسقط الأنداء^(٢)
 وشفته بالليلة القراء
 قوت القلوب بذلك الإحياء^(٣)
 فانت علاك مدارك الغفلاء
 ضافت بين مذاهب الفصحاء^(٤)

(١) ق م : « الأواء » .

(٢) في هذا البيت تورية بكتابتى : « قوت القلوب لأبى طالب المسكى » و « الإحياء للزال » ، وكلاما في التصوف .

(٣) كما في م ونفع الطيب . وق ط : « ... أحصى مدائحك التي » .

(٤) كما في نفع الطيب . وق ط : « طرقت بين مذاهب الفضلاء » .

وَإِلَيْكَ مَنَى رَوْضَةً مَّطْلُولَةً أَرْجَتْ أَزَاهِرُهَا بِطَلِيبِ ثَنَاءٍ
فَأَفْسَحَ لَهَا أَكْنَافَ صَفْحِكَ إِنِّهَا يَكْرُرُ أَنْتَ تَمَثِّلِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ

قال : وأُشَدُّ من ذلك في مولد عالم ثمانية وستين ، وقد كان مولانا راضى الله عنه أبى أن يُرْسَلَ العِنانُ في مدح مَقَامِهِ ، مبالغة في توقيف جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم وإعظامه ؛ فهذا القصد الأدبي الكريم أتى من المدح ^(١) السلطاني [٢٦٠] في آخرها للتمتع القريب ، واكتفى من القلادة بما أحاط بالتَّريب ^(٢) ؛ ومَدَّ القول في ذكر الرسول ومحاسن مجده ، حسبما اقتضاه الاختيار من مولانا كافأ الله جميل قصده ، آمين :

هَذَا الصَّبَاحُ صَبَاحُ الشَّيْبِ قَدْ وَضَحَا
لِلدَّهْرِ لَوْنَانِ مِنْ نُورٍ وَمِنْ غَسَقٍ
وَتِلْكَ صِبْغَتُهُ أَغْدَى ^(٣) بَنِيهِ بِهَا
مَا يُنْكَرُ لَزْرٍ مِنْ نُورٍ جَلَّاءَ غَسَقًا ^(٤)
إِذَا رَأَيْتَ بَرُوقَ الشَّيْبِ قَدْ بَسَمَتْ ^(٥)
يَلْقَى الْمَشِيبَ بِاجْلَالٍ وَتَكْرِمَةٍ
أَمَّا وَمِثْلِي لَمْ يَبْرَحْ بُعْلَلُهُ
وَالْبَرَقُ مَا لَاحَ فِي الظُّلُمَاءِ مُبْتَسِمًا
فَسَالَهُ بِرَقِيبِ الشَّيْبِ مِنْ قِبَسَلٍ

- (١) كذا في م . وفي ط : « بالمدح » .
(٢) التريب واحد الترائب . وهي ما يلي الترفوتين من عظام الصدر ؛ يشع إلى مثل المرووف ؛
« يكتفى من القلادة ما أحاط بالعنى » . والذي في الأصاين : « بالتريب » وهو تحريف .
(٣) كذا في م . وفي ط : « أهدي » .
(٤) القس : حلفة أول الليل .
(٥) كذا في م . وفي ط : « لمعت » .

بَأْتِي وَفَاتِي أَنْ أَصْغِي لِلأَعْمَى
يَأْهَلُ نَجْدٍ سَقَى الوَسْطَى رَغَمَكُمْ
مَا لِلْفُؤَادِ إِذَا هَبَّتْ بِمَانِيَسَةٍ
يَا حَبْدًا نَسَمَةً مِنْ أَرْضِكُمْ نَفَعَتْ
يَا حَبِيرَةً تَعْرِفُ الأَحْيَاءَ جُودَهُمْ
مَا شُتُّ بَارِقَةً مِنْ جَوْ كَاطَمَةٍ (١)
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ قَلْبِي مَا أَعْلَلَهُ
كَمْ لِبَلَّةٍ وَالذُّجَى رَاعَتْ جَوَانِبَهَا
سَرَيْتُهَا وَنَجُومُ الأَفْقِ فِيهِ طَلَعَتْ
بَسَاجِرُ أَهْتَدَى لَيْلًا بِفَرْعِهِ
وَالشَّجَبُ تَنْشُرُ دُرَّ الدَّمْعِ مِنْ فَرْقِ
مَا طَالَبَتْ هَمَّتِي دَهْرِي بِمَعْلُومَةٍ (٢)
وَلَا أَدْرْتُ كُثُوسَ الْعِزِّ مُغْتَمِقًا
هَذَا وَكُلُّ الَّذِي قَدْ نَلْتُ مِنْ أَمَلٍ
كَمْ يَكْدَحُ الْمَرْءُ لَا يَدْرِي مَنِيَّتَهُ
وَارْتَحَمْتُ لَشَبَابِي ضَاعَ أَطْلُبُهُ
أَلَيْسَ أَيَّامُنَا الأَلْفَى سَلَفُنْ لَنَا

وَأَنْ أَطْلِعَ غَدُولِي غَشَّ أَوْ نَصَحَا
غَيْشًا يُبْهِلُ غَلِيلَ التَّوْبِ مَا اقْتَرَحَا (٣)
تُهْدِيهِ أَنْفَاسُهَا الأَشْجَانِ وَالْبَرْحَا
وَحَبْدًا رَبِّبٌ مِنْ جَوْ كَمْ سَنَحَا
مَا ضَرَّ مِنْ ضَنْ بِالْإِحْسَانِ لَوْ سَمَحَا
إِلَّا وَبَتْ لِرُزْدِ الشُّوقِ مُفْتَدِحَا
بِالْقُرْبِ إِلَّا وَعَادَ الْقُرْبُ مُنْتَزَحَا
قَلْبَ الْجَبَانِ فَمَا يَنْفَكُ مُطَرَّحَا
جَوَاهِرًا وَعُجَابَ اللَّيْلِ قَدْ طَفَحَا
وَالْبَدْرُ فِي نُجَّةِ الظُّلُمَاءِ قَدْ سَبَحَا
وَالْجَوْ يَخْلَعُ مِنْ بَرَقِ الدُّجَى وَشُحَا
إِلَّا بَلَعْتُ مِنْ الأَيَّامِ مُقْتَرَحَا
إِلَّا أَدْرْتُ كُثُوسَ الْعِزِّ مُصْطَبِحَا
مِثْلَ الْخِيَالِ تَرَاهِي ثُمْتُ انْتَرَحَا (٤) [٢٦٦]

أَلَيْسَ كُلُّ أَمْرِي يُجْزَى عَمَّا كَدَحَا
فَمَا فَرَحْتُ بِهِ قَدْ عَادَ لِي تَرَحَا
مَنَازِلًا أَتَحَمَلْتُ فِيهَا الْخَطَأَ مَرَحَا

(١) كذا في م . وفي ط : « عيشا يعل غليل التوب ما اقترحا » وهو تحريف .

(٢) كافتة : موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة ممرحطان ، وبها ركابا كثيرة وماؤها عذوبة . وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٣٩) من هذا الجزء .

(٤) كذا في م . وفي ط :

هذا وكل الذي أملت من أمل مثل الخيال تراه ثمت انترحا

إِنَّا إِلَى اللَّهِ ، مَا أَوْلَى الْمَتَابَ بِنَا^(١) لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا إِلَى التَّوْفِيقِ قَدْ جَنَحْنَا
الْحَقُّ أَبْلَغُ وَالنَّجَاةُ عَنْ كُتُبِ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَالْمَقْبَلُ لِمَنْ صَلَحَا
يَا وَيْحَ نَفْسِ تَوَاتَتْ عَنْ مَرَاشِدِهَا وَطَرَفُهَا فِي عِنَانِ التَّقَى قَدْ حَجَحَا
نَرْجُو الْخَلَاصَ وَلَمْ تَهَيِّجْ مَسَالِكَهَا مِنْ بَاعِ رُشْدَا بَغَى قَلَمًا رَجَحَا
يَا رَبِّ صَفْحَكَ يَرْجُو كُلُّ مُقْتَرِفٍ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَعْنُو مِنْ صَفْحَا
يَا رَبِّ لَا سَبَبَ أَرْجُو الْخَلَاصَ بِهِ إِلَّا الرُّسُولَ وَالطَّمَعُ مِنْكَ إِنْ تَفَعَا
فَمَا لَجَأْتُ لَهُ فِي دَفْعِ مُعْضِلَةٍ إِلَّا وَجَدْتُ جَنَابَ اللُّطْفِ مُنْفَسِحَا
وَلَا تَصَاقِقَ أَسْرًا فَاسْتَجِرْتُ بِهِ إِلَّا تَفَرَّجَ بَابَ الضِّيقِ وَانْفَتَحَا
يَا أَهْلَ تَبْلُغْنِي مَمَوَاهُ نَاجِيَةٍ تَطْوِي بَيْنَ الْفَقْرِ مَهْمَا امْتَدَّ وَانْفَسَحَا
حَيْثُ الرُّوْعُ بِنُورِ الْوَحْيِ أَهْلَةٌ مَنْ حَلَّهَا احْتَسَبَ الْآمَلُ مُقْتَرَحَا
حَيْثُ الرِّسَالَةُ تَجْلُو مِنْ عَجَائِهَا مِنَ الْجَمَالِ بِنُورِ اللَّهِ مُتَضَعَا^(٢)
حَيْثُ السُّبُوءُ تَقْلُو مِنْ غَرَائِبِهَا ذِكْرًا يَغَادِرُ صَدْرَ الدِّينِ مُنْشَرَحَا
حَيْثُ الضَّرِيجُ بِمَا قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمِ قَدْ بَدَأَ^(٣) فِي الْفَخْرِ مَنْ سَادَ وَمِنْ نَجِيحَا
يَا حَيِّذَا بَلَدَةً كَانَ النَّسِيُّ بِهَا يَلْقَى الْمَلَائِكُ فِيهَا آيَةً مَرَحَا
يَا دَارَ هِجْرَتِهِ يَا أَفْقَ مَطْلَعِهِ لِي فِيكَ بَدْرٌ بِغَيْرِ الْفَيْكْرِ مَا لَمَحَا
مِنْ هَاشِمٍ فِي سَمَاءِ الْعِزِّ مَطْلَعُهُ أَكْرَمَ بِهِ نَسَبًا بِالْعِزِّ مُتَشَدِّحَا
مِنْ آلِ عَدْنَانَ فِي الْأَشْرَافِ مِنْ مُضَرِ مِنْ تَحْتِ تَطْلُعِ الْعَالَمِيَا إِنْ طَمَحَا
مِنْ عَهْدِ آدَمَ مَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ^(٤) تُسَامُ بِالْجِدِّ^(٥) مِنْ آبَائِهِ الصَّرَحَا

- (١) في ط : « بما » وفي م : « لنا » . والظاهر أن كلاما يحرف عما أثبتناه .
(٢) كذا في م . وفي ط : « تزين لإجال نور الله متضعا » . ولعل « تزين » محرفة
عن : « تريك » أو كلة بهذا المعنى .
(٣) كذا في م . وفي ط : « مر » وهو تحريف .
(٤) كذا في الأصلين . ولعلها محرفة عن : « أوامره » أو كلة بهذا المعنى .
(٥) تسام بالجد : تعرف وتشتهر . من السومة وهي العلامة .

عنايةً سبقت قبل الوجود له
يا مصطفى وركام الكون ما فتئت
لولاك ما أشرقت شمس ولا قمر
صدغت بالنور تجلو كل داجية
يا فاتح الرُّسل أو يا ختمها شرفاً
ذنوب للخلق^(١) بالألطف تشنحها
كالشمس في الأفق الأعلى بجبرتها
حكم آية لرسول الله معجزة
إن ردت الشمس من بعد الغروب له
يا نعمة عظمت في الخلق منبتها
الله أعطاك ما لم يؤت أحدًا
حيث به مطلق مجتياه وفي
أننى عليك كتاب الله ممدحاً
قد أبعدتني ذنوبى عنك يا أملى
لعل رُحماك والأقدار سابقة
نفس شماع وقلب خان أضلعه
إذا البروق أضامت والقلم همت
لم لا أحن وهذا الخدع حن له
كم ذا التعلل والأيام تطللى
ما أقدر الله أن يذنب على شحط

والله لو ووزنت بالسكون . رَجَحَا
يا مُجْتَبَى وَزَنَاد النُّور ما قُدِحَا
لولاك ما راقب الأفلاك ملتجحا
حتى تَبَيَّنَ نَهْجُ الحق واتضحا
بوركَت مُحْتَمِلًا قُدْسَت مُفْتَحَا
والقلب في العالم العلوي ما بَرَحَا
والنور منها إلى الأبصار قد وَضَحَا
تكل عن مُنْتَهَاها السن الفصحا
قد ظَلَمْتُه غمام الجَو حيث نَحَا
ورحمة تشمل الغادين والوَخَا^(٢)
والله أكرم من أعطى ومن منَحَا
هذا بلاغ لمن خلاك ممدحاً
فأئن يبلغ في عليك من مدحا
فجئني اليوم أن أهدي لك المدحا
تدني محباً بأقصى الغرب منتزحاً
ما يعاني من الأشواق قد بَرَحَا
فرفرتني أذ كيت أو مذمعي سَفَحَا
لما تباعدَ عن لقياء واتزحَا
كانها لم تجد عن ذاك مُنْتَدَحَا
وأن يُقَرَّبَ بعد البين من نزحَا

(١) في م : « لخلق » .

(٢) الروح (بحريك الوار) : الراحون . الواحد : رافع .

يا سَيِّدَ الرُّسُلِ يا رَنِّمَ الشَّفِيعِ إِذَا طَالَ الْوُقُوفُ وَحَرُّ الشَّمْسِ قَدْ لَفَحَا
أَنْتَ لُشْفَعٌ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ أَنْتَ الْغِيَاثُ وَهَوْلُ الْخَطْبِ قَدْ فَدَحَا
حَاشَى الْعَالَا - وَجَمِيلُ الظَّنِّ يَشْفَعُ لِي - أَنْ يُخَفِّقَ السَّمَى مَعِيَ بَعْدَ مَا نَجَحَا
عَسَاكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَرْجَى وَمِثْلَهُ تُنْجِي غَرِيقًا بِسَحْرِ الذَّنْبِ قَدْ سَبَحَا
مَا زَالَ مَعْتَرِفًا بِالذَّنْبِ مُعْتَذِرًا لَلَّ حُبِّكَ يَمَحُو كُلَّ مَا اجْتَرَحَا
عَصَى الْبَشِيرُ غَدَاةَ الرُّوْعِ يُشْمِعُنِي بِشْرَى تَعُودُ لِي الْبُؤْسَى بِهَا قَرَحَا
لَا تَيَاسَّنْ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ وَحُبُّكَ الْعَاقِبَ الْمَاحِي^(١) الذَّنُوبَ بِحَا
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الْمُخْتَارِ صَفْوَتِهِ مَا الْعَارِضُ أَنْهَلْ أَوْ مَا الْبَارِقُ التَّمَحَا
وَأَيْدِ اللَّهِ مُوَلَانَا بِرِعْصَمَتِهِ بِأَيِّ بَابٍ إِلَى الْعِلْيَا قَدْ فَتَحَا
وَهَذَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا عَلَى مَالِكٍ لَسَعِيدِهِ الطَّائِرُ الْيَمِينُ قَدْ سَنَحَا
أَنَا الضَّمِينُ لِمَكْحُولٍ بِرُغْمَتِهِ أَلَّا تَرَى عَيْنُهُ بُؤْسًا وَلَا تَرَحَا
مَوْلَايَ خُذْهَا كَمَا شِئْتَ بِلَاغَتِهَا غُرَاءَ لَمْ تَقْدَمِ الْأَحْجَالُ وَالْقَزَحَا
كَانَ يَرِيبُ قَوَافِيهَا إِذَا سَنَحَتْ طِيرٌ عَلَى فَنَنِ الْإِحْسَانِ قَدْ صَدَحَا

(٢٦٨)

قال : ومن إغذارياته المحككة نسقاً ورصفاً ، للتناهي في كل فنٍّ حُسنَ
تَغْلِيَةٍ غَرِيبَةٍ وَرَصْفًا — حسباً اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة لصنائع مولانا راحمة
الله عليه ، واحتفاله المناسب لعز ملكه ، من تعميم الخلق بالجنفلى في دَعَوَاهُ ،
واستدعاء أشراف الأم من أهل المغرب وسواهم ؛ تَقْدِماً في مكارم مُتَعَدِّدَةٍ ، آيَافُهَا
عن أصالة المجد مُغْرِبَةٍ ، وإغراء لِمَقَرِّ الثَّلَاثِ بِمَا يَتِمُّ الْأَمْنُ مِنْ أَوْضَاعٍ مُغْرِبَةٍ ؛
ومباهاة بِعَرَضِ الْجِيُوشِ وَالْكَتَائِبِ لِلْعُدُوِّ الْكَافِرِ ، ومكاثراً من ممالك دولته

(١) العاقب والمحي : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وصلى عاقباً لحية آخر الرسل ؛
وما حيا لأن الله يحويه الكرم .

بالعدد الوافر ؛ مما ألجم اللسن الذكي عينا ، وغادر الإعذار الذنوبي ^(١) منسيا ؛
 كافا الله أبوته المولوية عنا وعن آبائنا ، وتلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان
 ما نصل إليه من خالص دعائنا ؛ إنه مُنعم جواد — قوله في الصنيع المختص من
 ذلك بمولانا الوالد قدس الله روحه ، وذلك سنة أربع وستين وسبع ومئة :

مَعَاذَ الْهَوَى أَنْ أَصْحَبَ الْقَلْبَ سَالِيَا وَإِنْ يَشْغَلُ الْأَوَّامُ بِالْمَعْدَلِ بِإِنْيَا
 دَعَانِي أُعْطِيَ الْحَبَّ فَضْلًا مَتَّادِي وَيَقْضِي عَلَى الْوَجْدِ مَا كَانَ قَاضِيَا
 وَدُونَ الَّذِي رَامَ الْعَوَازِلُ صَبُوءَ رَمَتْ بِي فِي شُعْبِ الْغَرَامِ الْمَرَامِيَا
 وَقَلْبُ إِذَا مَا الْبَرْقُ أَوْمَضَ مَوْهِنَا قَدَحْتُ بِهِ زَنْدًا مِنَ الشُّوقِ وَارِيَا
 حَلِيلِي إِنْ يَوْمَ طَارِقَةِ الذُّوَى شَقِيتُ بَيْنَ لَوْ شَاءَ أَنْتُمْ بِالْيَا
 وَبِالْخَيْفِ يَوْمَ النَّفَرِيَا أَمْ مَالِك تَخَلَّفْتُ قَلْبِي فِي حَبَالِكِ عَانِيَا
 وَذِي أَشْرٍ عَذَّبَ التَّنَايَا مُحْصَرِي يُسْقِي بِهِ مَاءَ النِّعَمِ الْأَقْلَامِيَا
 أَحُومُ عَلَيْهِ مَادَجًا اللَّيْلُ سَاهِرَا وَأُضِيحُ دُونَ الْوَرْدِ ظِلَّانَ صَادِيَا
 يُضِيءُ ظِلَامُ اللَّيْلِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي إِذَا الْبَارِقُ النَّجْدَى وَهَنًا بِدَالِيَا
 أَجِيرَتَنَا بِالرَّمْلِ وَالرَّمْلُ مَنَزَلُ مَضَى الْعَيْشُ فِيهِ بِالشَّيْبَةِ حَالِيَا
 وَلَمْ أَرْبَعًا مِنْهُ أَقْفَى لُبَانَةً وَأَشْجَى حَمَامَاتٍ وَأَحْلَى بَحَانِيَا
 سَمَتْ ظِلُّهُ الْغُرُ الْغَوَادِي وَنَظَّمَتْ مِنَ الْقَطْرِ فِي جِيدِ الْفُصُونِ لَالِيَا
 أَبْشِكُمْ أَنْى عَلَى النَّأْيِ حَافِظُ ذِمَامَ الْهَوَى لَوْ تَحَفَّظُونَ ذِمَامِيَا
 أَنَا شِدْكُمْ وَالْجُرْ أَوْفَى بَعْدَهُ وَلَنْ يَعْدَمَ الْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ جَازِيَا

[٢٦٩]

(١) الذنوبي : نسبة إلى ابن ذنون (ابن ذنون) وهو المؤمن أحد ملوك العلوان في
 طليطلة من بني ذي النون، وقد بلغوا في البذخ والترف المادية ، ولهم الإعذار
 للقصور الذي يقال له الإعذار الذنوبي ، وبه بصر التل عند أهل المغرب ، وهو
 عدم بتأية عرس بوران عند أهل الشرق .

هَلِ الْوَدَّ إِلَّا مَا تَحَامَاهُ كَلَشِيح
تَأْوِيهِ وَاللَّيْلُ يُذَكِّي عُيُونَهُ
وَقَدْ مَثَلَتْ زُهُرُ النُّجُومِ بِأَفْتِهِ
خِيَالٌ عَلَى نَعْدِ الْمَزَارِ أَلَمْ يَ
عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اهْتَدَى نَحْوَ مَصْجِدِي
رَفَعْتُ لَهُ نَارَ الصَّبَاةِ فَاهْتَدَى
وَرِمَا أَجَدَّ الْوَجْدَ سِرْبُ عَلَى النَّقَى
تَزَعَّنَ عَنِ الْأَخَاطِ كُلِّ مُسَدَّدٍ
وَلَمَّا تَرَأَى السَّرْبَ قُلْتُ لِصَاحِبِي
حَذَارِكَ مِنْ سَقَمِ الْجُنُونِ فَإِنَّهُ
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
تَضَى النُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ خِلَالَهُ
مَعَالٍ إِذَا مَا النُّجُومُ صَوَّبَ طَالِبًا
يَسَاقُ غُلُوبِي الرِّيَّاحَ إِلَى النَّدَى
وَيُنْفِضِي عَنِ الْعَوْرَاءِ إِبْغَاءَ قَادِرٍ
هُلُمَّ يَرُوعِ الْأَسَدُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
مَنَاقِبُ تَسْمُو لِلْفَخَارِ كَأَنَّمَا
إِذَا اسْتَبَقَى الْأَمْلاكَ يَوْمًا لَغَاةً
بَهْرَتَ فَأَخْفِيتَ لِلْمُلُوكِ وَذِكْرَهَا
جَلَّوَتْ ظِلَامَ الظُّلُمِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدٍ

(١) في نفع الطيب : « خلق » .

(٢) الجوازى أسله : الجوازى* (بالهمز) ، وسهل للشعر ؛ والجوازى* من القلباء التي تجوز بالربط عن الماء .

هَدَيْتَ سَبِيلَ اللَّهِ مَنْ ضَلَّ رُشْدَهُ فَلَا زِلَّاتٍ مَهْدِيَاتٍ إِلَيْهَا وَهَادِيَا
 أَفْذَتْ وَحَتَّى الثَّلَاثُ مِمَّا أَفْذَتْهُ وَطَوَّعَتْ أَشْرَافَ الْمُلُوكِ الْآيَادِيَا
 وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْهَا مَرِيضًا^(١) سَوَابِقَا تُقَرِّئُ لَهَا بِالْفَضْلِ أُخْرَى اللَّيَالِيَا
 وَكَانَتْ أَبُو زَبَّانَ جِدِيدًا مُعْطَلَا فزِينَتُهُ حَتَّى اغْتَدَى بِكَ حَالِيَا
 لَكَ الْخَيْرُ لَمْ تَقْصِدْ بِمَا قَدْ أَفْذَتْهُ جِزَاءٌ وَلَسْكَنَ هُمَةً هِيَ مَا هِيََا
 فَمَا تُسْكِرُ الْأُمْلَاكَ غَيْرَكَ آسَرَا وَلَا تَرْهَبُ الْأَشْرَافَ غَيْرَكَ نَاهِيَا
 وَلَا تَشْتَكِي الْأَيَّامُ مِنْ دَاءِ فِتْنَةٍ فَقَدْ عَرَفْتَ مِنْكَ الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
 وَأَنْدَلَسًا أُولِيَتْ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَأُورِدَتْهَا وَرِدَاً مِنَ الْأَمْنِ صَافِيَا
 تَلَاقَيْتَ هَذَا الثَّمَرُ وَهُوَ عَلَى شَقَى وَأَصْبَحْتَ مِنْ دَاءِ الْحَوَاثِ شَافِيَا
 وَمِنْ بَعْدِ مَا سَأَتْ ظُنُونُ بِأَهْلِهَا وَحَامُوا عَلَى وَرْدِ الْأَمَانِي صَوَادِيَا
 فَمَا يَأْمُلُونَ الْعَبَشَ إِلَّا تَعَلُّلًا وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْنُ إِلَّا أَمَانِيَا
 عَطَلَتْ عَلَى الْأَيَّامِ عِطْفَةً رَاحِمَ وَالْبَسَتْهَا ثُوبَ امْتِنَانِكَ ضَافِيَا
 فَأَنْسَ مِنْ تِلْقَانِكَ الْمُلْكُ رُشْدَهُ وَنَالَ بِكَ الْإِسْلَامُ مَا كَانَ رَاجِيَا
 وَقَعْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ نَفْسًا كَرِيمَةً تَعَدَّدَ عَدُوًّا عَنْ حِمَاهُ وَعَادِيَا
 فَرَأَى كَمَا انشَقَّ الصَّاحُ وَعَزَمَهُ كَمَا صَقَلَ الْقَيْنُ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا
 وَكَانَتْ رِيحُ الْخَطِّ مُخَصَّصًا ذَوَابِلَا فَأَنْهَلَتْ مِنْهَا فِي الدِّمَاءِ صَوَادِيَا
 وَأُورِذَتْ صَنْحُ السِّيفِ أَيْبَضَ نَاصِعَا فَأُصْدِرَتْهُ فِي الرُّوْعِ أَحْمَرُ فَانِيَا
 لَكَ الْعِزُّ تُسْتَجْلَى الْخُطُوبُ بِهِدْبِهِ وَيُنَلِّقُنِي إِذَا تَنَبَّوُا الصَّوَارِمُ مَاضِيَا
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْعَرْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا الضُّحَى وَضَاحُ الْمَشَارِقِ عَالِيَا
 وَيَهْنِيكَ دُونَ الْعِيدِ عِيدُ شَرَعَتِهِ تَبْتُ بِهِ فِي الْخَافِقَيْنِ التَّهَانِيَا

[٢٧٠]

(١) مريض : قبيلة معروفة ، وهو فرع زناقة من قبائل البربر .

أَقْتَبَ بِهِ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ ^(١) سُنَّةً
صَنِيعٌ تَوَلَّى اللَّهُ تَشْيِيدَ نَفْرِهِ
تَوَدُّ النُّجُومُ الزَّهْرَ لَوْ مَثَلَتْ بِهِ
وَمَا زَالَ وَجْهَ الْيَوْمِ بِالشَّمْسِ مُشْرِقًا
عَلَى مِثْلِهِ فَلْيَعْقِدِ الْفَخْرُ تَاجَهُ
بِهِ يَغْمُرُ الْأَنْدَاءُ ^(٢) كُلُّ مُفَوَّرٍ
وَيُوسُفُ ^(٣) فِيهِ مَا لَجَمَالَ مُقَنِّعٍ
وَأَقِيلَ قَدْ شَابَ الْخِيَاءَ مَهَابَةً
وَأَقْدَمَ لَا هَيَابَةَ الْعَقْلِ وَاحِمًا
شَمَائِلُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ
فِيَا عَلَنًا ^(٤) أَشْجَى الْقُلُوبِ لَوْ أَنَا
جَرَيْتَ فَأَجْرَيْتَ الدُّمُوعَ تَعَطُّفًا
وَكَمْ مِنْ وَلِيٍّ دُونَ بَابِكَ مُخْلَصٍ
وَمَصِيدٍ مِنَ الْحَيِّينَ أَنْدَاءَ قَيْلَةٍ
بِهَالِيلُ غُرٍّ إِنْ أَعْدَوْا نَمَارَةً
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَوَخَّيْتَ سُنَّةً
لَكَانَتْ بِهَا لِلْأَعْدَاءِ حَيَاتٌ ^(٥) جَوَالَةً

[٢٧١]

(١) في م : « حطوة الدين » .

(٢) الأنداء (هنا) : الأندبة ، وأدى في معج الطيب : « تفرغ الأنواء » . وفيها تحريف ظاهر .

(٣) يوسف : هو ابن الفتي مائة ملك غرامطة الممدوح بهذه القصيدة .

(٤) العائى (بالتحريك) : الذى تتلاق به القلوب .

(٥) فى الأسدين وكل نسخ معج الطيب : « تكلم الأمامى » وأعله بحرف مما أبتناه .

(٦) الأموجيات : نسبة إلى أموج ، فرس كان لبني هلال .

وتترك أوصالَ الوشيج مُقَصِّداً وبيضَ الظبي مُخَرَّ المَتون دواميا
ولما قَضَى من سنَّةِ الله ما قَضَى وقد حَسَدَتْ مِنْهُ النجومُ المَسَاعِيَا
أَفْضُنَا نَهْيَ مَنْكَ أَكْرَمَ مُنِمْ أُنِي لَعَمِيمِ الجُودِ إِلَّا تَوَالِيَا
فِيهِنِّي صِفَاحَ الهِنْدِ والبَاسِ والنَدَى ومُخَرَّ العوالي والعِناقِ المَذَاكِيا
وَيَهِنِي البُنُودُ الخَافِقَاتِ فَاثِنَا [سَيَقَعْدُهَا فِي ذِمَّةِ النَّصْرِ غَازِيَا
كَأَنِّي بِهِ يَشْفِي الصَّوَارِمَ وَالظُّبَى وَيَحْطِمُ فِي لَأَمِ الضَّلَالِ العَوَالِيَا
كَأَنِّي بِهِ قَدْ تَوَجَّعَ الْمَلِكُ يَافِعَا] ^(١) وَجَمَعَ أَشْتَاتَ المَكَارِمِ نَاشِيَا
وَقَضَى حُقُوقَ التَّخَرُّفِ فِي مِيعَةِ الصَّبَا وَأَحْسَنَ مِنْ دَبْنِ السَّكَالِ التَّفَاضِيَا
وَمَا هُوَ إِلَّا السَّعْدُ، إِنْ رُمْتَ مَطْلَعَا وَسَدَّدْتَ سَهْمَا كَانَ رَبُّكَ رَامِيَا
فَلَا زِلْتَ يَا غَفْرَ ^(٢) الْخِلَافَةِ كَافِلَا وَلَا زِلْتَ يَا خَيْرَ الْإِثْمَةِ كَافِيَا
وَدُمْتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ مِنْهُ بِفِطْلَةٍ وَكَانَ لَهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ وَاقِيَا
نَظَمْتُ لَهُ حُرَّ السَّكَالِ تَمَائِمَا جَعَلْتُ مَكَانَ الدُّرِّ فِيهَا التَّوَافِيَا
لَا لِي بِهِا بَاهِي الْمُلُوكِ تَفَاسَةً وَجَلَّتْ أَعْمَرِي أَنْ تَكُونَ لَآلِيَا
أَرَى الْمَالَ يَرْمِيهِ الْجَدِيدَانِ بِالْبَلَى وَمَا إِنْ أَرَى إِلَّا المَحَامِدَ بَاقِيَا

ثم قال : ومن ذلك ما أُنشد في الصَّنِيعِ الثَّانِي المَحْتَصِرِ بِمَعْنِيَا السَّيِّدِينَ
الْأَمِيرِينَ سَعْدِيَّةً وَنَصْرَ ، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمَا ، وَأَجَادَ فِي وَصْفِ الْجُنْدِ وَالْجُرْدِ
وَالطَّلِبَةِ ^(٣) وَغَرَائِبِ الْأَوْضَاعِ .

أَلِلْمَةِ ^(٤) مِنْ بَارِقِ مُتَبَسِّمِ أَرْسَلْتَهُ دَعْمَا تَفَرَّجَ نَالِدَمِ ^(٥)

من شعره في
صنيع المحتسرين
الأميرين سعد
ونصر

(١) ما بين الموصفين عن م .

(٢) كذا في م ومعني الطيب وفي ط : « يا كهف » .

(٣) الطلبة : يعني بها بعض آلات الحرب . (راجع معجم دوزي) .

(٤) في نصح الطيب : « وللمعة » .

(٥) في ط : « آمن الوميس البارقي المتبسم » أرسلت دعماً فد تفرج بالدم »

وما أبتناه عن نصح الطيب .

وَلَفَتْحَةٍ تَهْفُو بِسَانَاتِ اللَّوَى
 هِيَ عَادَةُ غُذْرِيَّةٍ مِنْ يَوْمِ أَنْ
 قَدْ كُنْتُ أُعْذِلُ ذَا الْهَوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ
 كَمْ زَفَرَةٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَا ارْتَفَعَتْ
 إِنْ كَانَ وَائِي الدَّمْعِ قَدْ كَثَمَ الْهَوَى
 وَلَقَدْ أَجَدَّ هَوَايَ رَسْمُ دَارِسٍ
 وَذَكَرْتُ عَهْدًا فِي حِمَاهِ قَدْ انْقَضَى
 وَلَرُبَّمَا أَشْجَى فَوَادِي عِنْدَهُ
 لَا أُخْرَبُ اللَّهُ الطَّلُولَ فَطَالَمَا
 يَا زَا جَرَّ الْأَطْلَعَانِ يَحْفِزُهَا الشَّرَى
 لَتَرَى دُمُوعَ الْعَاشِقِينَ بِرُشْمِهَا
 دِمْنٌ عَوْدَتْ بِهَا الشَّيْبَةُ وَالْهَوَى
 وَكَتَبْتُ لِلشُّوقِ قَدْ جَهَّزْتُهَا
 وَرَفَعْتُ فِيهَا الْقَلْبَ بِنَدَا خَافِقَا
 فَأَنَا الَّذِي شَابَ الْحَاسَةُ بِالْهَوَى
 فَطُمِنْتُ مِنْ قَدِّ التَّوَامِ بِأَسْمَرٍ
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجُفُونَ فَإِنَّمَا
 ظَلَمْتُ قَتِيلَ الْحُبِّ ثُمَّ تَبَيَّنَتْ
 يَا غَلْبِيَّةَ سَنَحَتْ بِأَكْنَافِ الْحَيَى

يَهْفُو فَوَادُكَ عَنْ جَوَانِحِ مُفَرَّمٍ
 خَلِيقَ الْهَوَى تَعْتَادُ كَلَّ مَتَمِّمٍ^(١)
 أَدْرَى الْهَوَى وَالْيَوْمَ أُعْذِلُ لَوْعَى
 حَذَرَ الرَّقِيبِ وَمَذْمَعٍ لَمْ يَسْجُمِ
 هِيَهَاتَ وَائِي الشَّمِّ لَمَّا يَكْتُمُ^(٢)
 قَدْ كَادَ يَخْفَى عَنْ خَفِي تَوَهُمِ
 فَأُطْلُتْ فِيهِ تَرْدِي وَتَلَوِي
 وَزَفَاهُ تَنَفُّتُ شَجْوَاهَا بِتَرْشُمِ
 أَشْجَى الْفَصِيحِ بِهَا بُكَاهِ الْأَبْكَمِ
 قِفْ بِي عَلَيْهَا وَفَقَّةَ الْمُتَلَوِّمِ
 حُجْرًا كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُغْلَمِ
 سَقِيًّا لَهَا وَلَعَهْدَهَا الْمُتَقَدِّمِ
 أَغْرُو بِهَا الشُّلُوفَ غَزُو مُصَمِّمِ
 وَأَرَيْتُ لِلْمُشَاقِّ فَضْلَ نَهْمِ
 لَكِنَّ مَنْ أَهْوَى مُضَاقٍ مُقَدِّمِ
 وَرُمِيْتُ مِنْ عَنَجِ اللَّحَاطِ بِأَسْنَمِ
 مَهْمَا رَمَتْ لَمْ تُخْطِ شَاكِلَةً^(٣) الرَّمَى
 لِلشَّمِّ فِيهَا فَتْرَةُ الْمُتَظَلِّمِ
 سُقِيَ الْحَيَى صَوْبَ الْغَمِّ الْأَسْجَمِ^(٤)

[٢٧٢]

(١) في ط : « في قلب » مكان قوله : « تعتاد » ، وما أتينا عن نفع الطيب .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « هيهات وائى الشَّم لا يكتم » .

(٣) الشاكلة : الناحية .

(٤) السجم : العيوب .

ما ضرَّ إذْ أُرْسِلَتْ نَفَرَةٌ فَاتِكَ
 فَرَأَيْتِ جِنًّا قَدْ أُصِيبَ فُؤَادُهُ
 وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ يُقَادَ بِجُرْحِهِ
 كَمْ خُذْتُ دُونَكَ مِنْ غِمَارٍ مَفَازَةٍ
 وَالنَّجْمِ بِسَرَى مِنْ دُجَاهِ بَادِهِمْ ^(١)
 وَالْبِدْرِ فِي صَنْعِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 وَالزُّهْرُ زَهْرٌ وَالسَّمَاءُ حَدِيقَةٌ
 وَاللَّيْلُ مُرْبِدٌ الْجَوَانِحِ قَدْ بَدَا
 فَكُنَّا فَلَاقُ الصَّبَاحِ وَقَدْ بَدَا
 مَلِكٌ أَفَاضَ عَلَى الْبَسِيطَةِ عَذَاهُ
 هُوَ مُنْتَهَى آمَالِ كُلِّ مُوَفَّقٍ
 لَأَحْتِ مَنَاقِبُهُ كَوَاكِبَ أَسْمَدٍ
 وَلَقَدْ تَرَانِي بَأْسُهُ وَسَمَاهُ
 مِثْلَ الْغَمَامِ وَقَدْ تَضَاحَكَ رَقَهُ
 أَنَسَى مَمَاحَةَ حَاتِمٍ وَكَفَاكَ فِي
 سَيْرٍ تَسِيرُ النُّجُومَاتُ بِهَدْيِهَا
 فَالْبِدْرُ دُونَكَ فِي عِلَالٍ وَإِفَارَةٍ
 وَلَكِ الْقَبَابِ الْحُمْرُ تُرْفَعُ لِلنَّدَى

أَنْ لَوْ عَقَلْتَ بِنَفَرَةِ الْمُرَّحِمِ
 مِنْ مَقْلَبَيْكَ وَأَنْتِ لَمْ تَتَأَنَّبِي ^(٢)
 فَوَهَّيْتُ لِحَفْلِكَ مَا أَحْلَكَ مِنْ دَمِي ^(٣)
 لَا تَهْتَدِي فِيهَا الْأَوْتُ لِمَجْنَمِ
 رَحْبِ الْمُقْلَدِ بِالْثَرَا مُلْجَمِ
 مِرَاةٍ هِنْدٍ وَسَطَ لُجْجِ تَرْتَمِي ^(٤)
 فُتِفَتْ كَأَنَّهُمْ جُنْحَا عَنْ أَنْجَمِ
 فِيهِ الصَّبَاحُ كَغُرَّةٍ فِي أَذَمِ
 مَرَأَى ابْنِ نَصْرِ لَاحِ الْغُتُوسِمِ
 فَالْشَّاءُ لَا تَخْشَى اعْتِدَاءَ الضَّيْفِ
 هُوَ مَوْزِدُ الصَّادِي وَكَنْزُ الْمُعْدِمِ
 فَرَأَتْ مَلَامِحَ نَوْرِهِ عَيْنُ الْعَمَى
 فَأَنَّى الْجِلَالُ مِنَ الْجَمَالِ بِتَوْنِمْ
 فَأَفَادَ بَيْنَ تَجَبُّسٍ وَتَبَسُّمِ
 يَوْمَ الْإِقْدَاءِ رِبْعَةً بَنَ مُكَدَّمَ ^(٥)
 وَتَعْمِيرَ عَرَفِ الرُّوضِ طِيبِ نَنْسَمِ
 وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي نَدَى وَتَسْكُرُمِ
 فَتَرَى الْمَاءَ تَحْتَهَا كَالْأَنْجَمِ

(١) في بس لسج نفع الطيب : * لم تألئ .

(٢) بغداد : من الفود ، وهو القصاص . وأحلك : جعلك في حل .

(٣) الأدم : الأسود ، وهو من أوصاف الخيل ، كأل النجم ركب آدم الليل .

(٤) شبه البدر بمرآة هند في السماء . والعرب تضرب المثل في الصفاء بمرآة القرية .

(٥) ربيعة بن مكدم : فارس جاهلي معروف .

يُبْذَرُ كَى السِّكْبَاءِ بِهَا كَأَنَّ دُخَانَهُ قَطَعَ السَّحَابَ بِجَوْهَا الْمُتَعَبِّمِ^(١)
 وَلَكِ الْعَوَالِي السُّمُورُ تُشْرَعُ^(٢) لِلْعِدَا فَخِزْرُ صِرْعَى لِلْيَدَيْنِ وَلَانَمِ
 وَلَكِ الْإِبَادَى الْبَيْضُ قَدْ طَوَّقَتْهَا صَيْدَ الْمَلُوكِ ذَوَى التَّلَادِ الْأَقْدَمِ
 شِمٌّ يُبْرِزُ الْحَاسِدُونَ بِفَضَائِلِهَا وَالضَّمِيجُ لَيْسَ ضِيَاؤُهُ بِمُكْتَمِ
 وَرِثَ السَّمَاحَةُ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ فَلَا كَرَمُ ابْنِ الْأَكْرَمِ ابْنِ الْأَكْرَمِ
 تَقْلُوا الْعَالَى كَارِبًا عَنْ كَابِرِ كَالرَّمَحِ مُطَرِّدِ الْكُؤُوبِ مُتَوَّمِ
 وَتَسْتَمُوا رُتَبَ الْعَلَاءِ بِحَقِّهَا بِأَبٍ وَجَدَ فِي الْخِلَافَةِ وَابْنِ^(٣)
 يَا آلَ نَصْرٍ أَتَمُّ سُرُجُ الْهَدَى فِي كُلِّ خُطْبٍ قَدْ تَجَهَّمُ مُظْلِمِ
 الْقَانِعُونَ لِكُلِّ صَعْبٍ مُقْفَلِ وَالْفَارِجُونَ لِكُلِّ خُطْبٍ مُبْتَهَمِ
 وَالْبَاسِمُونَ إِذَا السَّكَاةُ عَوَّاسُ وَالْمُقْدِمُونَ عَلَى السَّوَادِ الْأَعْظَمِ
 أَبْنَاءُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَحِزْبِهِ وَذَوَى السَّوَابِقِ وَالْجَوَارِ الْأَعْصَمِ^(٤)
 سَلَّ عَنْهُمْ أَحَدًا وَتَدْرَأُ تَلْفَهُمِ أَهْلَ الْغَنَاءِ بِهَا وَأَهْلَ الْمَغْنَمِ
 وَبِفَتْحِ مَكَّةَ كَمْ لَهُمْ فِي يَوْمِهِ بِلَوَاهِ خَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ مُتَقَدِّمِ
 أَقْسَمْتُ بِالْحَرَمِ الْأَمِينِ وَمَكَّةَ وَالرَّكْنِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَزَمَرَمِ
 لَوْلَا مَا تَرْنُمُ وَفَصْلُ غُلَامِهِ مَا كَانَ يُعْزَى الْفَضْلُ الْمُتَقَدِّمِ
 مَاذَا عَمَى أَثْنِي وَقَدْ أَثْنَيْتُ عَلَى عَلَيْهِمُ آيُ الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ
 يَاوَارِنًا عَنْهَا مَا تَرَاهَا الَّتِي قَدْ شَيْدَتْ لِلْفَخْرِ أَشْرَفَ مَعْلَمِ
 يَا فَخْرَ أُنْدُلُسٍ أَنْذَمْتُ إِلَى عَلَيْكَ كَفَّ اللَّانِذِ الْمُسْتَعْصَمِ

(١) الكياد (ككساء) : مورد البحور أو صرب منه .

(٢) كذا في م ومع الطيب . وقط : « ترفع » .

(٣) في ومع الطيب : « ما بين جد في الخلافة وابن » .

(٤) الجوار الأعصم ، أي المنعم على من يريده بأذى .

أما سُوءُكَ في الوَعَى فَتَكَلَّمْتُ
 وَافَيْتَ هَذَا التَّغَرَّ وَهَرِ عَلَى شَفَى
 وَرَعَيْتَهُ بِسِيَاسَةٍ دَارَتْ عَلَى
 كَم لَيْلَةٍ قَدِ بَتَّ فِيهَا سَاهِرًا
 بِأَمْطَرٍ الْأَطَافِ وَهِيَ خَفِيَّةٌ
 نِيَّةٌ دَوْلَتُكَ أَلَّتِي آثَارُهَا
 مَا بَعْدَ يَوْمِكَ فِي الْمَوَاسِمِ بَعْدَ مَا
 وَافَيْتَكَ أَشْرَافُ الْبِلَادِ يَوْمِهِ
 حَرَّفُوا إِلَيْكَ رِكَابَهُمْ وَتَبِعُوا
 وَتَبِعُوا مِنْهُ بَدَارَ كَرَامَةٍ
 وَدَّتْ نَجُومُ الْأَفْقِ لَوْ مَثَلَتْ بِهِ
 وَالرُّدُفُ مَحْتَالٌ بِحُلَّةِ سُنْدُسٍ
 وَرِيَاخُهُ نَسَمَتْ بِفُشْرِ لَطِيْمَةٍ^(١)
 وَأَرِيَفْنَا فِيهِ عَجَائِبَ جَمَّةٍ
 أَرَسَلَتْ سَرَاعَانَ الْجِيَادِ كَأَنَّهَا
 مِنْ كُلِّ مُنَحْنَزٍ بِخَطْفَةٍ بَارِقٍ
 بِسَلَامَةِ الْإِسْلَامِ^(٢) فَاخْلُدْ وَاسْلُمِ
 فَشَقَّيْتَ مَغْضِلَ دَائِرِ الْمُسْتَحْكِمِ
 مُحْتَطَّةً دَوَّرَ السَّوَارِ بِمَعْقَمِ
 تَهْدِي الْأَمَانَ إِلَى الْعِيُونِ النَّوْمِ
 وَمَهَبَ رِيحَ النَّصْرِ الْمُتَقَسِّمِ
 سَيَّرَ الرَّكَّابَ لِمُحْجِدٍ أَوْ مِنْهُمْ
 أَنْبَعَتْ عَيْدَ الْفَطْرِ أَكْرَمَ مَوْسِمِ
 مِنْ كُلِّ نَدَبٍ لِلْعُلَا مُتَقَسِّمِ
 مِنْ بَابِكَ لِلْمُنَاقِبِ خَيْرَ مُبْتِمِ
 فَالْكُلُّ بَيْنَ مُقَرَّبٍ وَمُنْعَمِ
 لِنَفُوزٍ فِيهِ بَرُوتَةُ الْمُسْتَخْدِمِ
 مِنْ كُلِّ مَوْثِقِ الرُّقُومِ مُنْعَمِ
 وَأَقْلَحَهُ بَسَمَتْ بِشَفْرِ مُثَلِّمِ^(٣)
 لَمْ تَجْرِ فِي خَلْدٍ وَلَمْ تَتَوَهَّمِ
 أَشْرَابُ طَيْرٍ فِي التَّنَوُّفِ حُومِ^(٤)
 قَدْ كَادَ بِسَبْقِ لَمْحَةٍ الْمَتَوَهَّمِ^(٥)

(١) في م : « بسلامة الأملاك » .

(٢) اللطيمة : الطيب ، أو وعاء المسك ؛ وتطلق اللطيمة أيضاً على سوق المسك واللبن التي تحملها .

(٣) في الأصلين وبعض نسخ نصح الطيب « مسلم » . وفي النسخة المطبوعة (رقم ٣٦٠) من نصح الطيب : « ملثم » . وظاهر أن كلا اللفظين محرف عما أبتداء . والثلثم : الملقح الأسنان .

(٤) سرعان الجياد : أوائلها . والتنوفة : القارة ، وهي الأرض البعيدة الواسعة الأطراف .

(٥) في ط : « محرف » . ولا معنى له هنا وما أفتتناه عن النسخة المطبوعة من نصح الطيب .

طِرْفٍ يَشْكُ الطَّرْفُ فِي اسْتِثْنَائِهِ طِرْفٍ يَشْكُ الطَّرْفُ فِي اسْتِثْنَائِهِ
وَمُسَافِرٍ فِي الْجَوِّ تَحْسِبُ أَنَّهُ وَمُسَافِرٍ فِي الْجَوِّ تَحْسِبُ أَنَّهُ
رَامَ اسْتِزْوَاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مُنْعَمٌ رَامَ اسْتِزْوَاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مُنْعَمٌ
رَجَمَتْهُ مِنْ شُهْبِ النَّصَالِ حَوَاصِبٌ ^(١) رَجَمَتْهُ مِنْ شُهْبِ النَّصَالِ حَوَاصِبٌ ^(١)
وَمُدَارَةُ الْأَفْلَاكِ أَهْجَرَ كُنْهَهَا وَمُدَارَةُ الْأَفْلَاكِ أَهْجَرَ كُنْهَهَا
بِمَشْيِ الرِّجَالِ بِجَوْفِهَا وَجَمِيعُهَا بِمَشْيِ الرِّجَالِ بِجَوْفِهَا وَجَمِيعُهَا
وَمُنَوَّعِ الْحَرَكَاتِ قَدْ رَكِبَ الْهَوَا وَمُنَوَّعِ الْحَرَكَاتِ قَدْ رَكِبَ الْهَوَا
فَإِذَا هَوَى مِنْ جَوْهٍ نَمَّ اسْتَوَى فَإِذَا هَوَى مِنْ جَوْهٍ نَمَّ اسْتَوَى
بِمَشْيِ عَلَى قَتَنِ الرَّشَاءِ كَأَنَّهُ بِمَشْيِ عَلَى قَتَنِ الرَّشَاءِ كَأَنَّهُ
وَالْبِكِ مِنْ صَوْبِ الْعُقُولِ عَقِيلَةٌ وَالْبِكِ مِنْ صَوْبِ الْعُقُولِ عَقِيلَةٌ
رَجَوِ قَبُولِكَ وَهُوَ أَعْظَمُ مِثْلَةٍ رَجَوِ قَبُولِكَ وَهُوَ أَعْظَمُ مِثْلَةٍ
طَارَدَتْ فِيهَا وَصَفَ كُلَّ غَرِيبَةٍ طَارَدَتْ فِيهَا وَصَفَ كُلَّ غَرِيبَةٍ
وَدَعَوَتْ أَرْبَابَ الْبَيَانِ أَرْبَابَ ^(٢) وَدَعَوَتْ أَرْبَابَ الْبَيَانِ أَرْبَابَ ^(٢)
مَا ذَاكَ إِلَّا بَعْضُ أَنْعَمِكَ الَّتِي مَا ذَاكَ إِلَّا بَعْضُ أَنْعَمِكَ الَّتِي
قَدْ عَلَّمْنَا كَيْفَ شُكْرُ النَّمِّ قَدْ عَلَّمْنَا كَيْفَ شُكْرُ النَّمِّ

ثم قال : وَأَنْشَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي الصَّنِيعِ الْخُصُوصِ بَعْمَنَا الْأَمِيرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَأَطْنَبَ فِي وَصْفِ دَارِ الْمُلْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضَخَامَةِ آثَارِ
مَوْلَانَا الْجَدِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

سَلِّ الْأَفْقَ بِالزُّهْرِ الْكَوَاكِبِ حَالِيَا فَاثْنَى قَدْ أَوْدَعْتُهُ شَرْحَ حَالِيَا

(١) كذا في الصفحة الخطية (رقم ٣٥٩) من نسخ الطيب . وفي الأصلين وسائر نسخ نفع

الطيب : « فَوَاضِبٌ » . وما أتبعناه أولى بالسباق .

(٢) في نسخ الطيب : « حَوْلٌ » .

(٣) هذا صدر مطولة ممتدة للصهورة .

وَسَمَلْتُ مُقَتَّلَ النَّسِيمِ أَمَانَةً
فِيَا مَنْ رَأَى الْأَرْوَاحَ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
وَسَاوِسُكُمْ كَمْ جَدَّتْ وَجَدَّ فِي الْهَوَى
وَمَنْ يُطِيعِ الْأَحْظَافَ فِي شِرْعَةِ الْهَوَى
عَدَلْتُ بِقَلْبِي عَنْ وَلَايَةِ حُكْمِهِ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَظَرَةٌ تَبْعَتْ الْهَوَى
فِيَا عَجَبًا لِلْقَيْنِ تَمْشِي طَلِيقَةً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَفْسٌ نَقِيسَةٌ
وَيَا رَبِّ عَنَدِ الشَّبَابِ قَضِيئُهُ
خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ رِقْبَةٍ
وَيَوْمَ بِمُسْتَنَى الظُّبَاءِ شَهْدَتُهُ
وَلَمْ أَضِغْ مِنْ خَمْرِ الْأَحْظَافِ وَقَدْ غَدَا
وَجَرَّدَ مِنْ غَمْدِ الْعَامَةِ صَارِمَا
تَبَسُّمَ فَاسْتَبَسَّكَ بَجْفَوْنِي عَبْرَةً^(١)
وَأَذْكُرَنِي نَغْمًا ظَلِمْتُ لَوْرِدِهِ
وَرَاغٍ [خَفُوقٍ^(٢)] الْقَلْبِ مِثْلِي كَأَنَّمَا
وَلِيلَةٌ بَاتَ الْبَدْرُ فِيهَا مُضَاجِمِي
كَرَعَتْ بِهَا بَيْنَ الْمُذِيبِ وَبَارِقِ

قَطَعْتُ بِهَا عُمْرَ الزَّمَانِ أَمَانِيَا
أَحْمَلَهَا مَا يَسْتَحْفِ الرُّوَاسِيَا
فَعَدَّ بِهَا الْقَلْبُ الْمَقْلُبُ هَازِيَا
فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْصِي نَصِيحًا وَلَا حِيَا
غَدَاةَ ارْتَفَئِي مِنْ جَائِرِ الْأَحْظَافِ
وَتُعْقِبُ مَا يُعْصِي الطَّبِيبُ الْمَدَاوِيَا
وَيُضِيحُ مِنْ جَرَّائِهَا الْقَلْبُ عَانِيَا
يُرَخِّصُ مِنْهَا الْحُبُّ مَا كَانَ غَالِيَا
وَأَحْسَنْتُ مِنْ دِينَ الْوَصَالِ التَّقَاضِيَا
وَلَسَكُنَ عَفَاقِي لَمْ أَكُنْ عَنْهُ خَالِيَا
أَجَدَّ وَصَالًا بَالِيَا فِيهِ بَالِيَا^(٣)
بِهِ الْجَوُّ وَضَاحَ الْأَسْرَةِ ضَاحِيَا
مِنْ الْبَرَقِ مَصْقُولَ الصَّفِيحِ يَمَانِيَا^(٤)
مَسَلْتُ بِدُرِّ الدَّمْعِ مِنْهَا رِدَائِيَا
وَلَا وَالْهَوَى الْقُدْرَى مَا كُنْتُ نَاسِيَا
يَبْرُقُ الْحِمَى مِنْ لَوْنَةِ الْحُبِّ مَايَا
وَبَاتَتْ عُيُونُ الشُّهْبِ نَحْوِي رَوَائِيَا
بِمَوْرِدِ تَغْسِرٍ بَاتَ بِالْمَدْرِ حَالِيَا

(١) مستن الظباء : مكان عدوها . وأجد : أحدث ووجد .

(٢) في نفع الطيب : « مصقول الصفيحة صانعا » . وفي م : « مصقول الصفايح » .

(٣) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « عمرة » .

(٤) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

رَشَقْتُ بِهَا شَهْدَ الرُّضَابِ سُلَافَةً وَقَبَّلْتُ فِي مَاءِ النَّعِيمِ الْأَفَاحِيَا
 فَيَا بَرْدَ ذَاكَ الثَّغْرِ رَوَيْتَ غُلَّتِي وَيَا حَرَّ أَنْفَاسِي أَذْبَتَ فَوَادِيَا
 وَرَوْضَةَ حُسْنِ الشَّبَابِ نَضِيرَةً هَصَرْتُ بَعْضَ الْبَانِ فِيهَا لِلْجَانِيَا
 وَقَدِ بَتُّ أَسْفَى وَرْدَةِ الْخَدِّ أَدْمَعِي فَأَصْبَحَ فِيهَا تَرْجِسُ اللَّحْظِ ذَاوِيَا
 وَمَاتَ بِقَلْبِي مَائِلَاتُ قُدُودِهَا فَمَا لِلْقُدُودِ الْمَسَائِلَاتِ وَمَالِيَا
 جَزَى اللَّهُ ذَاكَ الْعَهْدَ عَوْدًا فَعَالِمًا أَعَادَ عَلَى رَبْعِ الظُّبَاهِ الْجَوَازِيَا^(١)
 وَقُلْ لِلَّيَالِ فِي الشَّبَابِ نَعْمَتُهَا وَقَضَّيْتُهَا أَنَا سُقَيْتِ لِبَالِيَا
 وَيَا وَادِيَا رَفَّتْ عَلَيَّ ظِلَالُهُ وَنَحْنُ نُدِيرُ الْوَصَلَ فُذَيْتِ وَادِيَا
 رَمَنْتَنِي عُيُونُ السَّرْبِ فِيهِ وَإِنَّمَا رَمَيْنَ بِقَلْبِي فِي الْغَرَامِ التَّرَامِيَا^(٢)
 فَلَوْلَا اعْتَصَامِي بِالْأَمْرِ مُحَمَّدٍ^(٣) لَمَا كُنْتُ مِنْ فَنَكِ الْوَاحِظِ نَاجِيَا
 فَنَلُّ لِلَّذِي يَنْبِي عَلَى الْحُسْنِ شِعْرَهُ عَلَيْهِ مَعَ الْإِحْسَانِ لَا زِلْتُ بَانِيَا
 فَكَمْ مِنْ شَكَاةٍ فِي الْهُوَى قَدَرَفَاتُهَا وَرَفَعْتُهَا بِالْمَدْحِ إِذْ جَاءَ تَالِيَا
 وَكَمْ لَيْلَةٍ فِي مَدْحِهِ قَدْ سَهَرْتُهَا أَبَاهِي بِدَرْ النِّظَمِ فِيهِ الدَّرَارِيَا
 وَلَا حَ عَمُودُ الصَّبْحِ مِثْلَ انْتِسَابِهِ رَفَعْتُ عَلَيْهِ الْمَدِيحَ الْبَانِيَا
 إِمَامٌ أَفَادَ الْمَكْرُمَاتِ زَمَانَهُ وَشَادَ لَهُ فَوْقَ النُّجُومِ الْمَعَالِيَا
 وَجَاوَزَ قَدْرَ الْبَدْرِ نُورًا وَرِفْعَةً وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالسَّكَالِ مُوَالِيَا
 هُوَ الشَّمْسُ بَتَّتْ فِي الْبَسِيطَةِ نَفْعَهَا وَأَنْوَارُهَا أَبْهَتَتْ^(٤) قَرِيبَا وَقَاصِيَا
 هُوَ الْبَحْرُ بِالْإِحْسَانِ يَرْخَرُ مَوْجُهُ وَلَسَكِنَّهُ عَذْبُ لَيْلٍ جَاءَ عَالِيَا

(١) الجوازى : جمع جازية ، وهى الجزاء ، يريد بها النعمة والسيقا ونحوها .

(٢) فى م : « الراسيا » .

(٣) فى م : « الإمام محمد » .

(٤) كذا فى م . وفى ط : « أمدت » . وفى نفع الطيب : « أهدت » . وكلاما تحريف .

هو الغيث منها^(١) يُسْكِكُ الْغَيْثُ سُخْبَهُ
شَمَائِلُ لَوْ أَنَّ الرِّيَاضَ بِحُسْنِهَا
فِي ابْنِ الْمُلُوكِ الصِّيدِ مِنْ آلِ خَزَرْجٍ
أَلَسْتَ الَّذِي تَرْجُو الْعُقَاةَ نَوَالَهُ
أَلَسْتَ الَّذِي تَخْشَى الْمَغْدُ صِيَالَهُ
وَهَذَبُكَ مَهْمًا صَلَّتِ الشَّهْبُ قَصْدَهَا
[وَعَزَمَكَ أَمْسَى مِنْ حُسَامِكِ فِي الْوَعَى
فَكَمْ قَادِحٍ فِي الدِّينِ يَكْفُرُ رَعَهُ
وَمَا رَاعَهُ إِلَّا حُسَامٌ وَعَزَمَهُ
فَلَوْلَاكَ يَا شَمْسَ الْخِلَافَةِ لَمْ يَبْنِ
وَلَوْلَاكَ لَمْ تَرْفَعْ سَمَاءُ عَجَاجَةٍ
وَلَوْلَاكَ لَمْ تُتْهِكْ غُصُونُ مِنَ الْقَنَا
فَأَتَمَّرَ فِيهَا النَّظْلُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا^(٢)
وَمَهْمًا غَدَا سَفَاحُ سَيْفِكَ عَارِيَا
قَضَى اللَّهُ مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ أَنَّهُ
فَكَمْ مَغْقَلُ السَّكْفَرِ^(٣) صَبَّحَتْ أَهْلَهُ
رَقِيتَ إِلَيْهِ وَالشُّيُوفُ مُشَبِّحَةٌ

يُرْوَى بِسُخْبِ الْجُودِ مِنْ كَانَ صَادِيًا
أَمَّا صَارَ فِيهَا زَهْرُهَا الْغَضُّ ذَاوِيَا
وَذَا نَسَبِ كَالصَّبِيحِ عَزَّ مُسَامِيَا
فَتُخْجِلُ جَدَوَاهُ السَّحَابَ الْعَوَادِيَا
فَتُنْزِلُ عَلَيْهِ الصَّعَابَ الْعَوَادِيَا^(٤)
تَوَلَّاهُ فِي جُنْحِ الدُّجْنَةِ هَادِيَا
وَإِنْ كَانَ مَصْقُولُ الزَّرَارِينَ مَاصِيَا^(٥)
قَدَحَتْ لَهُ زَنْدَ الْحَفِظَةِ وَارِيَا
يُضِيئَانِ فِي لَيْلِ الْخَطُوبِ الدَّوَادِيَا
سَبِيلُ جِهَادٍ كَانَ مِنْ قَبْلُ حَافِيَا
تَلُوحُ سَهَابًا بَيَضُ النُّصُولِ دَرَارِيَا
وَكَانَتْ إِلَى وَرْدِ الدَّمَاءِ صَوَادِيَا
فَأَجْنَفِي قِطَافِ الْفَتْحِ غَضًّا وَدَانِيَا
يُغَادِرُ وَجْهَهُ الْأَرْضَ بِالدَّمِ كَاسِيَا
عَلَى مَنْ أَبَى الْإِسْلَامَ فِي الْأَرْضِ قَاضِيَا
بِجَيْشٍ أَعَادَ الصَّبِيحَ أَظْلَمَ دَاجِيَا
وَقَدْ بَلَّغْتَ فِيهِ النُّفُوسَ التَّرَاقِيَا

(١) في ط ونجح الطيب : « يمس » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) في فتح الطيب : « فتوجل عليه الصعاب »

(٣) هذا البيت عن فتح الطيب .

(٤) في م : « موردا » .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « فسك مغفل في الأرض » .

فَمَتَّحَتْ مَرْفَاقَ الْمَنَعِ عَنُودَ
وَمِنْبَرَهُ بِالذِّكْرِ أَضْبَحَ حَالِيَا
ظَفَرْنَا بِهَا عَنْ هِمَّةٍ هِيَ مَاهِيَا
بِبَاهِي بِهَا الْأَمْلَاكُ أُخْرَى لَيَالِيَا
تَخُطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ أُمَالِيَا
يَعُوقُ عَلَى حُكْمِ الشُّعُودِ الْمَبَانِيَا
تُجِدُّ بِهِ نَفْسُ الْحَلِيمِ الْأُمَانِيَا
وَلَمْ تَكْ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ جَوَارِيَا
إِلَى خِدْمَةِ تَرْصِيكَ مَهَا الْجَوَارِيَا
بِهِ التَّضَرُّ آفَاقَ السَّمَاءِ مَبَاهِيَا
مِنَ الْوَشْيِ تُنْسَى السَّابِرِيَا^(١) الْيَمَانِيَا
عَلَى عَمَدِ النُّورِ بَاتَتْ حَوَالِيَا
تُظَلُّ عَمُودَ الصُّبْحِ إِذْ لَاحَ^(٢) بَادِيَا
فَطَارَتْ بِهَا الْأَمْثَالُ تَجْرَى سَوَارِيَا
فِيحِلُّوْا مِنَ الظُّلُمَاءِ مَا كَانَ دَاجِيَا
عَلَى عِظَمِ الْأَجْرَامِ مِنْهَا لَّالِيَا
إِذَا مَا انْبَرَى وَقَدْ النَّسِيمُ مَبَارِيَا

فَمَتَّحَتْ مَرْفَاقَ الْمَنَعِ عَنُودَ
وَمِنْبَرَهُ بِالذِّكْرِ أَضْبَحَ حَالِيَا
ظَفَرْنَا بِهَا عَنْ هِمَّةٍ هِيَ مَاهِيَا
بِبَاهِي بِهَا الْأَمْلَاكُ أُخْرَى لَيَالِيَا
تَخُطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ أُمَالِيَا
يَعُوقُ عَلَى حُكْمِ الشُّعُودِ الْمَبَانِيَا
تُجِدُّ بِهِ نَفْسُ الْحَلِيمِ الْأُمَانِيَا
وَلَمْ تَكْ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ جَوَارِيَا
إِلَى خِدْمَةِ تَرْصِيكَ مَهَا الْجَوَارِيَا
بِهِ التَّضَرُّ آفَاقَ السَّمَاءِ مَبَاهِيَا
مِنَ الْوَشْيِ تُنْسَى السَّابِرِيَا^(١) الْيَمَانِيَا
عَلَى عَمَدِ النُّورِ بَاتَتْ حَوَالِيَا
تُظَلُّ عَمُودَ الصُّبْحِ إِذْ لَاحَ^(٢) بَادِيَا
فَطَارَتْ بِهَا الْأَمْثَالُ تَجْرَى سَوَارِيَا
فِيحِلُّوْا مِنَ الظُّلُمَاءِ مَا كَانَ دَاجِيَا
عَلَى عِظَمِ الْأَجْرَامِ مِنْهَا لَّالِيَا
إِذَا مَا انْبَرَى وَقَدْ النَّسِيمُ مَبَارِيَا

(١) في م ، ط : « بالقس » وهو تحريف من التناصح . وما أُنْبَتَاهُ عَنْ نَفْحِ الطَّيْبِ
الْمَخْطُوط (رقم ٣٥٩) .

(٢) في نَفْحِ الطَّيْبِ : « في سابقه » .

(٣) السابري : ثوب رفيق جيد .

(٤) في نَفْحِ الطَّيْبِ : « بات » .

إِذَا مَا جَلَّتْ أَيْدِي الصَّبَا صَفَحَ مَتْنُهُ أَرْتَنَا دُرُوعًا أَوْ كَسَبْتُنَا الْأَيَادِيَا ^(١)
 وَرَاقِصَةٍ فِي الْبَحْرِ طَوَّعَ عِنَانَهَا تَرَاوَجُ أُلْحَانَ الْقِيَانِ الْعَوَانِيَا ^(٢)
 إِذَا مَا عَلَتْ فِي الْجَوِّ نَمَّ تَحَدَّرَتْ تُحَلَّى بِمُرْفُصِ الْجُمَانِ النَّوَاحِيَا
 يَذُوبُ لُجَيْنٌ مَالََ بَيْنَ جَوَاهِرِ غَدَا مِثْلَهَا فِي الْحُسْنِ أَيْبَضَ صَافِيَا
 تَشَابَهَ جَارٍ لِلْمُـمِـيـونِ بِجَامِدِ فَلَمْ أَدِرْ أَيُّهُمَا كَانَ جَارِيَا
 فَإِنْ شِئْتَ تَشْبِيهَا لَهُ عَنْ حَقِيقَةٍ تُصِيبُ بِهَا الرَّمْيُ وَبُورُكْتَ رَامِيَا
 فَقُلْ أَرْقَصَتْ مِنْهَا الْبَحْرَةُ بِذَنَّا ^(٣) كَمَا يُرْقِصُ الْمَوْلُودُ مَنْ كَانَ لَاهِيَا
 أَرْتَنَا طِبَاعَ الْجُودِ وَهِيَ وَلِيدَةٌ وَلَمْ تَرْضَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَّا تَفَالِيَا
 سَقَتْ ثَغَرَ زَهْرِ الرُّوضِ عَذْبَ بَرُودِهَا وَقَامَتْ لَكِي تُهْدِي إِلَى الزَّهْرِ ^(٤) سَاقِيَا
 كَانَ قَدْ رَأَتْ نَهْرَ الْمَجْرَةِ نَاصِبًا قَرَامَتْ بَانَ تُجْرِي إِلَيْهِ السَّوَاقِيَا
 وَقَامَتْ بَنَاتُ الدُّوْحِ فِيهِ مَوَائِلًا فُرَادَى وَيَتَلَوَّ بِمَعْضُورِ مَثَانِيَا [٢٧٨]
 رَوَّاضِعَ فِي حِجْرِ النِّعَامِ تَرَعَّرَعَتْ وَشَبَّتْ فُشِبَّتْ ^(٥) حُبَّهَا فِي فَوَادِيَا
 بِهَا كُلُّ مِلْتَفِ الْغَدَائِرِ مُسْتَهْلٍ تُجِيلُ هَ أَيْدِي النِّسَمِ مَدَارِيَا ^(٦)
 وَأَشْرَفَ جَيْدُ الْفُضْنِ فِيهَا مَعْطَلًا فَتَلَدَّتِ الدُّوَارَ مِنْهُ التَّرَاقِيَا
 إِذَا مَا تَحَلَّتْ دُرُّ زَهْرِ غُرُوسِهِ ^(٧) يَدَيْتَ لَهَا النِّعَامَ نَاطِيطٍ وَاسْمِيَا

(١) كَذَا فِي نَهج الطَّيِّب . وَفِي الْأَسْل : « أَرْتَنَا الدَّرَارِي وَكَسَبْتُنَا ... » الْح .

(٢) فِي نَهج الطَّيِّب الطَّبُوع : « الْأَغَانِيَا » . وَفِي الْمَخْطُومَتَيْنِ مِنْهُ : « الْمَغَانِيَا » .

(٣) فِي نَهج الطَّيِّب الْمَطْلُوع وَالْمَخْطُومَتَيْنِ : « مِنْهَا » .

(٤) فِي نَهج الطَّيِّب الطَّبُوع : « الدَّهْر » . وَهُوَ تَحْرِيف .

(٥) شَبَّتْ : أَشْمَتَتْ وَأَوْقَدَتْ .

(٦) الْمَدَارِي : جَمْعُ مَدْرَى ، وَهُوَ الشَّعْطُ .

(٧) كَذَا فِي نَهج الطَّيِّب . وَفِي ط : « إِذَا مَا أَقَلَّتْ دُرُّ زَهْرِ غُرُوسِهِ »

مُصَارَفَةُ التَّقْدِيرِ فِيهَا يَمِثُلُهَا أَجَازَ بِهَا قَاضِي الْجَمَالِ التَّقَاضِيَا (١)
فَإِنْ مَلَأَتْ كَفَّ النِّسِيمَ مَعَ الضَّحَى (٢) دَرَاهِمَ نَوْرِ ظَلٍّ عَنْهَا مَكَافِيَا
فَمَيْلًا حَبِيرَ الرُّوضِ حَوْلَ غُصُونِهَا دَنَابِيرَ شَمْسٍ نَتَرَكُ الرُّوضَ حَالِيَا
تُعْرَدُ (٣) فِي أَفْنَانِهَا الظَّائِرُ كُلُّهَا تَجَسُّ بِهَ أَيْدِي التَّيَّانِ لِلْمَلَاهِيَا
تُرَاجِعُهَا سَجْعًا فَتَحْصِبُ أَنْهََا بِأَصْوَاتِهَا تُعْمَلِي عَلَيْهَا الْأَغَانِيَا
فَلَمْ تَذَرِ (٤) رَوْضًا مِنْهُ أَنْتَمَ نَضْرَةَ وَأَعْطَرَ أَرْجَاءَ وَأَخْلَى مَجَانِيَا
وَلَمْ تَرَ قَصْرًا مِنْهُ أَعْلَى مَظَاهِرَا وَأَرْقَعَ آفَاقًا (٥) وَأَفْسَحَ نَادِيَا
مَعَانِيٍّ مِنْ نَفْسِ السَّكَالِ انْتَقِيَتْهَا وَزِينَتَ مِنْهَا بِالْجَمَالِ لِلْعَانِيَا
وَفَاتَحَتْ مَبْنَاهُ بَعِيدٍ شَرَعَتْهُ تَبَثُّ بِهِ فِي الْخَافِقَيْنِ التَّهَانِيَا (٦)
وَلَمَّا دَعَوْتَ النَّاسَ نَحْوَ صَنِيعِهِ أَجَابُوا لَهُ مِنْ جَانِبِ النُّورِ (٧) دَاعِيَا
وَأَمْرُهُ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ تَقَرَّبَا وَمَا زَالَ مِنْكَ السَّعْدُ يَدْفِي الْأَقْصِيَا
وَأَذْكَرْتَ يَوْمَ الْعَرَضِ جُودًا وَمَنْعَةً بِمَوْقِفِ عَرَضٍ كُنْتَ فِيهِ الْمُجَازِيَا
جَزَيْتَ بِهِ كُلًّا عَلَى حَالٍ سَفِيهِ فَمَا عَرَسَتْ يُمْنَاهُ أَصْبَحَ جَارِيَا
وَأَطَاعَتْ مِنْ جَزَلِ الْوَقُودِ هَوَادِجَا تَذَكَّرُ يَوْمَ النَّفَرِ مَنْ كَانَ سَاهِيَا
وَحِينَ غَدَا يُذَكِّرُ بِبَابِكَ (٨) لِلْقَرَى فَلَا غُرُو أَنْ أُجْرِيَتْ فِيهِ الصَّدَا كِيَا (٩)

(١) في نفع الطيب : « أجاز بها التقدير منها كما هيا » .

(٢) في نفع الطيب : « بمنها » مكان قوله : « مع الضحى » .

(٣) في نفع الطيب : « تعود » .

(٤) في ط : « ولم تر » وما أبتناه من نفع الطيب .

(٥) في ط : « وأوضح إيانا » مكان قوله : « وأرع آفاقا » ولا معنى له ، والتصويب عن نفع الطيب .

(٦) في الأصلين : « التناهي » . وما أبتناه عن نفع الطيب .

(٧) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « الفوز » .

(٨) كذا في م . وفي ط : « يدك اللئيم » . وفي نفع الطيب : « يدك سائر » .

(٩) لذاك من الحبل : التي آتى عليها بعد اكتمال قوتها سنة أو سنتين .

وطائحه في الجو غير مطالع
تذللها الجوزاه كف مصافح^(١)
ولا عجب أن فانت الشهب بالعلأ
فبين يدي منوالك قامت لخدمة
وشاهد ذا أني بيباك واقف
وقد أضيعت ندى الغمام^(٢) قلبها
فلما أبينت عن قرارة أضلها
وعدت لقاء الشخب عيداً وموسماً
فأضحكت البرق الطروب خلالها
رأت نفسها طالت فظنت بأنها
نغمت إليها الذبابلات^(٣) كأنها
حككت شهباً للنخل والنخل حوله
فمن مثبت منها الرمية مدرك
وحسن منيع في ذراه قد ارتقى
كان بروج الأفق غارت وقدرأت
فأنشأت بروجاً صاعداً متعزلاً
تطوّر حالات أني في ضروبها

يرد مداها الطرف أحسر عانياً
ويذنو لها بدر السواء مناجيا
وأن حاورت منها المدى المتقاهيا
ومن خدّم الأعلى استفاد المعاليا
وقد حسدت زهر النجوم مكانيا
بحجر رياض كن فيه نواشيا
أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا
لذلك اغتدت بالزمر تلهى الغواصيا
وبات لا كواس^(٤) الدراى ممطيا
تقوت على رغم الأحقاق المراميا
طيوّر إلى وكر أطلن تنهاويا
عصى إلى منواه تنوى عواليا
ومن طائش في الجوّ حلق وانيا
فأبعد في الجوّ الفضاء المراقيا
بروج قصور شدتهن سواميا
يكون رسولا بينهن مداريا
بأنواع حلى تستغفر الفواصيا

[٢٧٩]

(١) في نفع الطيب : « مسارع » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « المفاخر » . وما أبتناه أولى بالسياق .

(٣) كذا في نفع الطيب الطبوع والمخطوط . والذي في ط : « بات » . ولم يسمع : « أ كواس » . جما لكاس . وإنما للموع : « أ كؤس وكؤوس وككاس » .

(٤) يريد بالذبابلات « النيازك » . وهى الرماح . والذي في نفع الطيب : « الزبابلات » .

فَجَبَلٌ بِرِجْلَيْهَا، وَشَاحٌ يَخْضَرُهَا
وَمَا هُوَ إِلَّا طَيْرٌ سَعْدٌ بِذُرْوَةٍ
أَمْوَالِي يَا غَرَّ الْمُلُوكِ وَمَنْ بِهِ
بَنُوكَ عَلَى حَكْمِ السَّعَادَةِ خَمْسَةٌ
تَبَيَّتْ لَهُمْ كَفَتْ الثَّرَى مُعِيذَةٌ
أَسَامِرُ عَلَيْهَا لِلْسَّعَادَةِ مَبِيتُهُمْ
حَمَلَتْ أَمَّا الْحِجَاجُ فَاتَّحَ طَرِيقَهُمْ
وَحَسْبُكَ سَعْدٌ ثُمَّ نَصَرَ يَلِيَهُمْ
أَقْبَتَ بِهِ مِنْ فِطْرَةِ الدِّينِ سُنَّةٌ
وَجَاهُوا بِهِ مِلَّةَ الْعُمُونِ وَسَامَةٌ
فِيَا عَاذِلًا مَا كَانَ أَجْرًا مِثْلَهُ
وَجَاءَتْكَ مِنْ مِصْرَ النَّحَايَا كَرَامَتَا
وَوَافَتْكَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تَبِيعَةٌ
وَنَادَاكَ نَالْتَهْوِيلُ سُلْطَانُ طَبِيعَةٍ
وَقَامَ وَقَدْ وَاثَى ضَرْبُ حَمْدِ مُحَمَّدٍ
سَرِيرَتُكَ الرِّتْحَى جَزَاكَ بِسَمْعِهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا سُنَّةُ نَبَوِيَّةٍ
وَعُدْرٌ مِنَ الْإِعْذَارِ قَرَّرَ حُكْمَهُ

وَتَاجٌ إِذَا (١) مَا حَلَّ مِنْهَا الْأَعَالِيَا
غَدَا زَاجِرًا مِنْ أَشْهُبِ الصُّبْحِ بَازِيَا
سَيَلُغُ دِينَ اللَّهِ مَا كَانَ رَاجِيَا
وَذَا عَدَدٌ لِلْعَيْنِ مَا زَالَ وَاقِيَا
وَيَصْبِحُ مُعْتَلُّ النِّسَمِ رَوَاقِيَا (٢)
تَرَى الْعِزَّ فِيهَا مُسْتَكِنًا وَهَادِيَا
وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْكَ الْقُتُوبُ التَّوَالِيَا
مُحَمَّدُ الْأَرْضَى فَا زِلْتَ رَاضِيَا
وَجَدَدَتْ مِنْ رِسْمِ الْهَدَايَةِ عَاقِيَا
يُقَلِّبُ وَجْهَ الْبَذْرِ أَزْهَرَ بَاهِيَا
فَنِلْتَكَ لَا يَدْرِي الْأَسْوَدَ الصَّوَارِيَا (٣)
كَأَنَّكَ أَيْدِي التَّجَارِ الْعَوَالِيَا
نُتِمَّ صُنْعَ اللَّهِ لَا زَالَ بَادِيَا
فِيَا طَيْبَ مَا أَهْدَى إِلَيْكَ مُنَادِيَا
إِسْلَاطَانِكَ الْأَعْلَى هُنَاكَ دَاعِيَا
إِلَهُ يُوَقِّي فِي الْجِرَاءِ الْمَسَاعِيَا
عَهْدَنَاهُ مَهْدِيًا إِلَيْهَا وَهَادِيَا
مِنَ الشَّرْعِ أَخْبَارٌ رَفِئْنَ عَوَالِيَا

(١) كذا في م . وفي ط ونسخ الطيب : « إلى » .

(٢) في م : « ويصبح معتل النسيم رواقيا » .

(٣) في ط : « فياغادراً . . . فنلتك لا يرى . . . الخ . وما أهنأه عن نفع الطيب .

لرأى بها للحر^(١) أهوال موقوف
نصيب بمبيض النصول القواليا [٢٨٠]
لك الحمد فيه من صنع تعد
فكأله في الفخر عزز نانيا
تشد له الجوزاء عقد نطأها
لتخدم فيه كي تنال للعاليا
وهنت بالأمداح فيه وقد غدا
وجودك^(٢) فيه بالإجادة وافيا
ودونك من بحر البيان جواهر
وظارت فيها وصف كل غريبة
فيا وارت الأنصار لا عن كلاله
فأعجزت من يأتي ومن كان ماضيا
بأمداح جاء الكتاب مفصلا
لقد عرف الإسلام مما أفدته^(٣)
عليك سلام الله فاسلم محمدا
مكارم انصارية وأياديا
تحدد أعيادا وتبلي أعاديا

ثم قال : ومن ذلك أيضا فيما اعتمدنا به نحن وأخوانا للتولي بالأمر بعد مولانا الوالد رحمه الله تعالى على الجميع من تلك الصنائع ، وهي جامعة لجم الأوصاف والبدائع :

في صريح القى
بالله لإعذار
بعض حفته

نجوم أمدتها بدور كوايل
لها النور من شمس الخلافة شامل
وفي الشهب من بدر السماء مشابه
وفي البدر من شمس النهار تحايل
وتعرف فيها من أربها شمائل
كما في أربها من أربها شمائل
مراتب في عدد الحساب ثلاثة
وهن لأفكار العلاء منازل
طلعن على حكم السعود أهلة
وسرعان ما تبدؤ وهن كوايل

(١) في فتح الطيب : « لجزر » .

(٢) في الأصل : « وفودك » . وما أبتناه عن فتح الطيب .

(٣) كذا في فتح العليب الطبرع والمخطوطتين وفي الأصايف : « أهدته » .

تَجَلَّتْ إِلَى الْأَبْصَارِ مِنْ أَفْقِ الْهُدَى
فِي أَيَّهَا الْمَوْلَى الَّذِي شَادَ آخِرًا
بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الْأَنَامِلِ عُدَّةٌ
غُصُونُ بَرُوضِ الْجُودِ مِنْكَ وَغَرَعَتْ
فَوَاقِهِ مَا أُدْرِى إِذَا مَا تُدْوَكَرَتْ
غُيُوثُ سَمَاحٍ وَالْعَفَاةُ مَسَابِلُ
سُيُوفُ مُحَلَاةٍ عَلَى عَاتِقِ الْهُدَى
تَخَافُ عُدَّةَ الَّذِينَ مِنْهُمْ وَتَتَّقِي
وإنَّ أَبَا الْحَجَّاجِ وَهُوَ كَبِيرُهُمْ
مَلِكُكَ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ
إِذَا اسْتَمُطِرَتْ فِي الْمَحَلِّ سَحْبُ بَنَانِهِ
وإنَّ سَالَّ مَاءِ الْبُشْرِ فَوْقَ جَبِينِهِ
تَقَلَّدَ مِنْهُ عَاتِقُ الْمَلِكِ صَارِمًا
وَأَبْنَاؤُهُ دُرٌّ تَفَاسَقَ عَقْدُهُ
أَزَاهِرُ فِي رَوْضِ الْحَاسَنِ أَيْبَعَتْ
زَوَاهِرُ فِي أَفْقِ الْعَلَاءِ تَطَلَّعَتْ
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا أَغْرُ مُحَجَّلٌ
أَقْتَّ لَهَا الْإِعْذَارَ مَوْسِمَ رَحْمَةٍ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَوْزِدٌ لِسَعَادَةٍ

وُبُقْتُ إِلَى الْأَنْصَارِ مِنْهَا وَسَائِلُ
مِنَ الْفَخْرِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
فَرَانَتْ بَدَّ الْإِسْلَامِ تِلْكَ الْأَنَامِلُ
وَقَدْ جَادَهَا مِنْ صَوْبِ نِعْمَاكَ وَابِلُ
أَخْلَاقِهَا^(١) تُجَلِّي لَنَا أَمْ حَمَائِلُ
لُثُوثِ كِفَاحٍ وَالْكُمَاهُ تُنَازِلُ
إِذَا تُنْتَضَى تَمْضِي وَتَنْبُو الْفَاصِلُ^(٢)
كَأَنَّ تَقَى الْأَسَدَ الظُّبَابَ الْجَوَافِلُ^(٣)
تَحَلَّى كَثِيرَ دُونِهِ مُتَضَائِلُ
تَحَلَّتْ أَنَّ الشَّمْسَ فَمَا تُقَابِلُ
فَهِيَ لِمُسْتَجِدِّ هَوَامٍ هَوَامِلُ
فَلَيْسَ بِمَذْفُوعٍ عَنِ الْوَرْدِ سَائِلُ
لَهُ الْعَزَمُ نَضَلُّ وَالشُّعُودُ حَمَائِلُ
يُحَلِّي بِهِمْ مِنْ كِبَرِ الْفَخْرِ عَاطِلُ
فَلَا زَوْضُهَا ذَاوُ وَلَا الزَّهْرُ ذَابِلُ
يُشَابِهُ بَعْضُ بَعْضًا وَيُشَاكِلُ
يُورِدُ لِلْعَالِي فِي الشَّبِيهِ نَاهِلُ
تَسَنَّتْ بِهِ لِلْمُتَّقِينَ الْمَآلُ
تَفِيضُ لَهَا مِنْهُ الثَّمَنُ وَالْقَوَاضِلُ

[٢٨١]

(١) فِي الْأَسْبَابِ : « لِأَخْلَاقِهَا » وَأَمَلَهَا عَمْرَةَ عَمَّا أَتَتْهُ ، لِبَسْتِغِيرِ السَّكَّامِ .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « الْفَاصِلُ » .

(٣) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « الْجَوَازِلُ » جَمْعُ جَوْرِلٍ ، وَهُوَ الثَّمَنُ مِنَ الظُّبَابِ .

وَأَجْرَيْتَ سِرْعَانَ الْجِيَادِ مَلْعَبٍ تَذَكَّرَ فِيهِ مَوْقِفَ الْجِدِّ هَازِلُ
 بِحُومٍ وَآفَاقُ الطَّرَادِ مَشَارِقُ عَلَيْهَا بُدُورٌ مِنْ وَحُومٍ كَوَامِلُ
 مَفَاتِيحُ أَبْوَابِ الْمُتَوَسِّحِ فَطُلُمَا أُبِيحَتْ بِهَا لِلْكَافِرِينَ التَّعَاقِلُ
 فَأَشْهَبُ كَالِإِصْبَاحِ رَاقٍ أَدِيمُهُ وَغَالَتْ لَهُ شَهَبُ السَّمَاءِ الْغَوَائِلُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّهَبَ فِي الْأَفْقِ كَلَامُ تَجَلَّى لَهُ الْإِصْبَاحُ فَهِيَ أَوَائِلُ
 وَأَحْمَرُ زَانَ الْوَرْدِ مِنْهُ حَمِيلَةٌ يَحْفُ بِهِنَّ نَهْرٌ مِنَ السَّيْفِ سَائِلُ
 جَرَتْ لَوْنُهُ مِنْ فَوْقِهِ مُسَجُّ الْعِدَا فَالَهُ مِنْهُ الْجَمَادُ الْمُنَسَائِلُ^(١)
 تَلَاقَى بِهِ أُمَثَالُهُ فَكَانَتْهَا حَارٌّ وَقَدْ أَذْكَى بِهَا الْبَاسُ نَاسِلُ
 إِذَا قُبِسَتْ بِالرُّكُضِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تُبِيرُ بِهَا لَيْسَلُ الْقَتَامِ مَشَاعِلُ
 وَأَشْفَرُ مَهْنًا حَامِلُ الْبَرْقِ فِي مَدَى^(٢) بَمُوتِ حَوَادِ الْبَرْقِ مِنْهُ الْمُجَاوِلُ
 تَحَلَّى بِمَحْلُولِ^(٣) النَّضَارِ أَدِيمُهُ فَكَأَنَّ مُحَلَّى ذُونَهُ فَهَوَ عَاطِلُ
 وَأَذْهَمُ فِي مِسْجِ الدُّجَى مُتَلَقِّعٌ وَقَدْ خَاصَ مِنْهُ فِي الصَّبَاحِ الْأَسَافِلُ
 يُكَلِّلُ بِالْجَوَزَاءِ حَلَى الْجَامِهِ فَدُرُّ الدَّرَارِي مِنْ حِلَاةِ عَوَاطِلُ
 وَلَمْ يُرْضِهِ سَرَجُ الْهِلَالِ مُقْصَصًا فَأَعْرَضَ عَنْهَا لِلْأَهْلَةِ نَاعِلُ
 وَأَضْفَرُ فِي ثَوْبِ الْأَصِيلِ قَدَارُ تَدَى وَرَبَّتَمَا وَدَّتْ حِلَاةَ الْأَصَائِلُ
 وَقَدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ الْعَشِيِّ جِلَالُهُ وَفِي ذَيْلِهِ صَيْغٌ مِنَ اللَّائِلِ حَائِلُ

(١) هذا البيت ساقط في ط .

(٢) كذا في م . وفي ط : « إذا اقتبست بالركن » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « جاوز » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « بجوال » .

[٢٨٢] وصاعدةٌ في الجو ملء عنانها
 طَلَعَتْ تُحَيِّي البَذَرَ مِمَّا مَصَّادَةٌ
 وقد أَعْرَبَتْ بِالرَّفْعِ عَنْ طَيْبِ فُخْرِهَا ^(١)
 يَمُدُّهَا السَّكْفُ الْخَضِيبُ بِسَاعِدِ
 . تَنْقَأُهَا هَيْفُ الْعِصَى كَأَنَّهَا
 تُرَاوِعُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تُضَيِّفُهَا
 وَالْأَمْسِ كَانَتْ بَمَعْنٍ أَغْصَانٌ دَوَّحَهَا
 حُثَّتْ إِلَى أَوْطَانِهَا وَتَسَابَقَتْ
 وَبُرُجٌ مُنِيفٌ فِي ذُرَاهَا قَدْ ارْتَقَى
 تَطْلُوُرُ حَالَاتٍ أُنَى فِي جَمِيعِهَا
 فَتَاجُ بِأَعْلَاهَا ، وَشَاحُ بِخَصْرِهَا
 وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدًّا مُلْكُهُ
 وَلَهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى الْقَصَرَ حَوْلَهُ
 تَرَوْفُكُ فَيْسَهُ لِلدُّوْرِ مَطَالِعُ
 مَظَاهِرُ أَقْمَارٍ مَرَاتِبُ أَنْجُمِ
 وَقَدْ كَانَ هَوْلُ الْحَقْلِ رَوْحُ أَهْلِيَّةِ

تُسَامِتُ أَغْنَاكَ السَّمَاءُ وَتُطَاوِلُ
 عَائِنَهَا لَوَاءُ الصَّبْحِ فِي الْأَفْقِ مَائِلُ
 مَتَى نَصَبَتْهَا فِي الْقَضَاءِ الْعَوَامِلُ
 وَيَشْكِي السَّمَاءُ الْأَعْرَزُ الرُّمَحَ عَامِلُ
 سِبَاهُ وَعَاَهَا لِلرَّيْبَةِ نَابِلُ
 فَسَامُ ^(٢) لِأَعْلَى مُرْتَقَاهَا وَنَازِلُ
 فَتَقَامَا عَنْهَا عَلَى الرُّغْمِ نَاقِلُ
 تُعَارِدُ مَسْرَاهَا بِهَا وَتُوَاصِلُ
 لَتُرْفَعُ مِنْهُ لِلْبُرُوجِ الرِّسَائِلُ
 بِأَوْضَاعٍ ^(٣) خَلَى وَصْفُهُ مُتَغَاوِلُ
 وَفِي السَّاقِ مِنْهُ قَدْ أُدِيرَتْ خَلَائِلُ
 إِلَى اللَّهِ فِي الْبُقَيَا لِمَا صَدَّ سَائِلُ
 مَنَازِلُ فِيهَا لِلشُّعُودِ مَنَازِلُ
 إِذَا مَنَكَتْ فِي سَاحَتَيْهِ الْأُمَائِلُ
 مَنَازِلُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ أَوَاهِلُ
 وَأَشْعِرَتْ الْإِشْفَاقَ تِلْكَ الْحَافِلُ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « مَالِغَر » .

(٢) فِي م : « لُجْرَاهَا » .

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « حَسَام » وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا .

(٤) فِي م : « بِأَنْوَاعٍ » .

فأبدت به أبنائه تجلّك أوجها
فلا الخمل مرهوب ولا الخلو قاصر
ولا القاب منخوب ولا الحلم طائش
أولئك أبناء الخلافة يوكروا
هنيئاً بها من سنة نبوية
ورحمى له من عاذر بات عذره
فنفص هلال الأفق ما زال مؤذناً
ومن نفص ظل الشمس تذاذ رفعة
وإن تابع النقص الشهرة فاتها
ونقص صلاة الظهر يوم عروبة
وإن نقص البازي ريش جباحه
وتستفرغ الأنعام ما في ضرعها
ونقص ركة المال فيه وفوره
لك الخير من صنع جوت محاسن
ألا هكذا فليقيد الفخر تاجه
بأبلج غار الصبح منه بطلعة
إذا خطب العليا نخطت بركيه
ولو رام إدراك المجوم بحيلة
وإن طلبت زهر النجوم أحاقه
وتخفق بالنصر العزيز بنوده
وليل جهاد بات برعى نجومه

تبين إلى السارين منها المجاهل
ولا السرب مرئع ولا الروع هائل
ولا العقل مغفول ولا الفكر ذاهل
وتجري على أعدائهم الصواهل
زها الفخر محمول لديمها وحاصل
وأوهم نقصا فضله متطاوّل
لعم آه أن يبذلنا وهو كامل
إلى أن ترمى والظل في الشرق مائل
على إثره ثانی وهن كواهل
لعمى كمال أوضحته الدلائل
يزيد استبانا وهو للصيد خاتل
عشياً لتفدو والضرع حوافل
ومشق ذهاب السيف يخشاه صائل
يحدثى بها حادي الشرى ويناقل
ويسمو إلى أوجر العلا ويطاول
لها البذر تاج والتجوم قبائل
على حظير المسعى القنا والقنابل
لأحرز من إدراكها ما يحاول
فمن دون ما تبغى المدى المتطاوّل
إذا خفقت فيها الصبا والشائيل
فلا الليل متجأب ولا النجم آفيل

يُرَاعِي مُحَمَّاهُ الدِّينِ فِيهِ بِمَثَلَةٍ إِذَا اشْتَأَقَ هَرَّ الرِّيحُ خَافِقُ بَنْدِهِ
وَأَن حَنَّ غَنَّتُهُ الْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ وَفِي اللُّهُوعِ عَنْ وَصَلِ الْأَحْيَةِ مَرَّعِبُ
وَفِي الْغَزْوِ عَنْ ذِكْرِ النَّازِلِ ^(١) شَاغِلُ مِنَ الْخَزَرْجِيِّينَ الَّذِينَ نَسَتْهُمْ
عِشَانُ مِنْ قَحْطَانِهَا وَفَصَائِلُ نَسَاوِي إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ ^(٢) بِفُودِهِ
بِمَاءِ سَمَاءٍ فِي الْبَسِيطَةِ حَائِلُ ^(٣) أَقُولُ لِمُسْتَمَارِّ الرَّبِيعِ وَقَدْ غَدَا
يَرُودُ مَصَابِ ^(٤) الْغَيْثِ وَالْعَامِ مَاحِلُ أَمَّاكَ دَارُ الْغَمِّ نِيَّ رَبِّهِ
بِأَرْجَانِهَا لِلْمُعْتَنِفِ مَتَاكِهَلُ تَفَجَّرَ مِنْ كَفْيِهِ عَشْرَةُ أَبْحَرُ
يَعَصُّ بِهِنَ الْبَحْرِ ^(٥) وَهِيَ أَنَا مِلُ فَتَجَرَّى بِهَا سَفُنُ الرَّحَاءِ إِلَى مَدَى
وَلَيْسَ إِلَى الْجُودَى مِنَ الْجُودِ سَاحِلُ ^(٦) فَرَاجِيهِ تَسْتَجِدِّي الْعُقَاةُ نَوَالَهُ
وَسَائِلُهُ تَرْجِي إِلَيْهِ الْوَسَائِلُ أَحَادِيثُ عَنْهُ فِي السَّمَاحِ غَرِيبَةٌ
يُرَوِّي عَوَالِيهَا عَطَاةً وَوَصَائِلُ لَكَ اللَّهُ مَنْ تُولِي عَهْدَهُ بَنَانِهِ
أَقَامَتْ فُرُوضَ الْبِرِّ مِنْهَا التَّوَافِلُ طَلَعَتْ بِأَفْقِ الْغَرَبِ نَيَّرَ رَحْمَتُهُ
وَقَدْ شَرُفَتْ مِنْكَ الثُّلَا وَالْفَضَائِلُ خَفِذْكَ أُخْرَى مَا أَهَادَتْ حَقَائِبُ
وَذِكْرُكَ أَشَقَى مَا أَقَلَّتْ رَوَاحِلُ

(١) في م : « المعاهد » .

(٢) ماء السماء : لقب عامر بن حارثة الأزدي ، وهو أبو عمرو مزنيقا ، ويقال لولده :
بنو ماء السماء ، وهم ملوك النساسنة الذين منهم الأنصار ، قبيلة المدوح . قال
بعض الأنصار :

أَنَا ابْنُ مَزْنِيَا عَمْرُو وَجَدِي أَبُوهُ عَامِرُ مَاءِ السَّمَاءِ

(٣) في م : « جائل » بالحيم المعجمة .

(٤) كذا في م . ويرود مصاب الغيث ، أي يتطلب مساقط المطر . والذي في ط :
« يروم خصاب » .

(٥) في ط : « التهر » .

(٦) في م : « سوى » مكان قوله : « إلى » .

رُومُ جَوَارِي الشَّهْبِ شَاوَكٌ فِي الْعُلَا
وَفِي الصُّبْحِ مِنْ دَاكِ الْجَيْنِ أَشْعَةُ
وَفِي الرُّومِ مِنْ رِيَاكَ عَرَفٌ وَنَفْحَةٌ^(١)
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْجِ الْحَمْدَ إِلَى الْعُلَا
وَإِنْ لَمْ تَتَوَقَّهَا مِنْهَا مَرِيضَةٌ
تَرِشُ لَكَ الْأَقْدَارُ أَمْنَهُمْ أَسْعَدُ
لَكَ الْعِزُّ تَسَجَّلِي الْخُطُوبَ بِأُورِو
إِذَا الْعِزُّ لَمْ يَسْقُلْ حُسَامٌ كَمِيهِ
فَقَبْلَ مِضَاءِ السَّيْفِ تُمْضِي عِزَانَهُمْ
وَمَا يَسْتَوِي - وَالْعِلْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ -
نُظَّلُ سَعْبُ الطَّيْرِ جَيْشِكَ حَيْنًا
فَلَاقَ بِهَا عِقْبَانَ طَيْرٍ وَرَايَهُ
فَقُلْ لِعَمِيدِ الرُّومِ دُونَكَ فَارْتَقِبْ
وَتَمِمْ بَارِقَ السَّيْفِ اللَّمُوعِ جُفُونُهُ
وَلَا تَرْجِ الْفِرْهَانَ فِي الْبَحْرِ إِنَّمَا
وَلَسَكُنَّهَا وَاللَّهُ يُنَجِّزُ وَعْدَهُ
وَمُخَضَّرُهُ الْأَرْجَاءِ فِي جَنَابَاتِهَا
تَرَى الدُّوْحَ مِنْهَا بِالْأَسْنَةِ مَزْهَرًا
تَبْلُغُ لِيلَ الرُّمَحِ مِنْ مِهْجَرِ الْعِدَا

وَمِنْ دُونِهِ لِلنَّيِّرَاتِ مَرَايِلُ
وَفِي الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ الْمُحَيَّا دَلَائِلُ
وَفِي النِّعَاشِ مِنْ يُمْنِكَ جُودٌ وَنَائِلُ
فَإِنَّ جُنُودَ اللَّهِ عَنْكَ تَقَاتِلُ
فَإِنْ سَهَامَ اللَّهُ عَنْكَ تُفَاضِلُ
تُصَابُ بِهَا لِلذَّارِعِينَ مَتَائِلُ
فَلْيَسِّرْ لَهُ إِلَّا الصَّبَاحَ مَمَائِلُ
فَمَا نَافِعُ مَا قَدْ جَلَّتْهُ الصِّيَاقِلُ
وَنَعَدَ بِنَاءَ الرَّأْيِ مُبْنَى الْمَعَالِلِ
عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ وَحَدِمْ
تَمِيلُ بِهِ الرَّايَاتُ وَهِيَ حَوَامِلُ
تُبِيدُ الْأَعَادَى وَالرَّمَاحُ حَبَائِلُ
طَلَانِعُ فِيهَا لِلْعُنَايَا رَسَائِلُ
سَحَابٌ^(٢) قَتَامٌ تَحْتَهُ الدَّمُ سَائِلُ
سَفَاوِنُ وَالْبَحْرُ لِلذَّلِّ حَامِلُ
جَوَارِ بَاسَادِ الرِّجَالِ حَوَامِلُ
مَسَارِحُ تَحْمِيهَا الرَّمَاحُ الدَّوَائِلُ
إِذَا مَا سَقَتْهُ لَلشُّيُوفِ الْجِدَاوِلُ
إِذَا مَا كَسَتْ مِنْهَا الرَّمَاحُ غَلَائِلُ

[٢٨٤]

(١) في ط : « نفحة » ولا يستقيم بها الكلام هنا ، وما أتبعناه عن م .

(٢) في ط : « حسام » . وفي م : « سهام » ولعلهما محرفتان عما أتبعناه .

فِيَا عَجَبًا لِلرَّمَجِ رَوَيْنَهُ دَمًا وَقَدْ رَاقَ مَلَهُ الْعَيْنَ رَيَانُ ذَابِلُ
 اتَّقَدْ كَمَلَتْ فِيكَ الْحَاسِنُ كُلُّهَا وَمَا كُلُّ مَنْ يُعْطَى الْخِلَافَةَ كَامِلُ
 فَعِنْدَ سَمِيعِ الْخَلْقِ شُكْرُكَ عَاجِلُ وَعِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقُّ أَجْرُكَ آجِلُ
 وَدُونَكَ مِنْ نَفْطَى جَوَاهِرِ حِكْمَةٍ يُفَاخِرُ مِنْهَا السَّحَرُ بِالشَّعْرِ بَابِلُ^(١)
 وَمَا هُوَ إِلَّا ذَكَرُ أَوْصَافِكَ الْغُلَا فَتَفْعَلُ^(٢) يَا مَوْلَايَ وَالْعَبْدُ قَائِلُ
 فَتُتْلَى عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْهَا بَدَائِعُ وَتُجَلَى عَلَى الْأَبْصَارِ مِنْهَا عَقَائِلُ
 وَلَوْ أَنَّنِي أَدْرَكْتُ أَعْصَارَ مَنْ مَعْنَى لَمَّا قَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ الْمُتَخَايِلُ
 «وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ» لَأَتَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْآوَائِلُ^(٣)
 وَلَا افْتَخَرْتُ قَدِيمًا إِيَادَ بَقِيَّتِهَا وَلَا اسْتَصْحَبْتُ سَحَابَانَ فِي الْعُخْرِ وَأَائِلُ
 فَلَا زِلْتَ يَا مَوْلَايَ مَوْزِدَ رَحْمَةٍ عِصَاشُ الْأُمَانِي فِي رِضَاكَ^(٤) تَوَاهِلُ
 تُقِيمُ رُسُومَ السَّعْلَوَاتِ^(٥) بِمَقَرِّبِ وَذَكَرُكَ فِي أَقْصَى الْبَسِيطَةِ جَائِلُ
 وَأَدْرَكْتَ فِي الْأَعْدَاءِ مَا أَنْتَ طَالِبُ وَتَأْتَتْ فِي الْأَبْنَاءِ مَا أَنْتَ آمِلُ

ثم قال : ومن ذلك في الصَّنِيعِ الْمُخْتَصِنِ بِالْأَسْرَاءِ الْحِلَّةِ ، أَخِينَا الْمَرْءَ لِدَوْلَتِنَا
 [٢٨٥] أَبِي الْحَسَنِ ، وَأَخِينَا أَبِي الْعِيَّاسِ ، وَابْنَ عَمْنَانَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ سَعُودَهُمْ ،
 وَلَقَدْ أَبْدَعَ فِي تَشْيِيدِهِ وَتَأْسِيسِهِ . وَبَسْطَ يَدَ الْحَسَنِ مِنْ بَرَاعَةِ تَخْمِيسِهِ ، وَذَلِكَ
 عِلْمٌ عَوْدَةٍ مَوْلَانَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ سَبْتَةٍ لَمَّا عَادَتْ إِلَى مَلِكِهِ ، قَالَ :

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط « نَائِل » وَالْعَمَى لَا يَسْتَفِيمُ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « فَتَفْعَل » .

(٣) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْفَخْرِ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ .

(٤) فِي م : « الْأُمَانِي فِي نَوَالِ تَوَاهِل » .

(٥) الْمَعْلَوَاتُ : جَمْعُ مَعْلُوتٍ (كَمَكْرَمَةٍ) مِنَ الْمَلُوتِ ، يَرِيدُ مَعَالِيَ الْأُمُورِ ، وَمُكَلِّبُ
 الْعُرُوفِ . وَقَدْ عَثَرْنَا عَلَيْهَا فِي الْقِسْآنِ ثَقْلًا عَنْ ابْنِ بَرِيٍّ ، فَلْيُصَحَّحْ مَا جَاءَ
 بِالْخَاشِيَةِ الثَّانِيَةِ صَفْحَةَ ٣٩ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

أَرِقْتُ لِإِزْقِي مِثْلَ جَفْنِي سَاهِرًا يُنْظَمُ مِنْ قَطَرٍ^(١) النَّعَامُ جَوَاهِرًا
فَأَضْحَكَ زَهْرُ الرُّوضِ مِنْهُ أَزَاهِرًا وَصَبَحَ حَكِي وَجْهَ الْخَلِيفَةِ بَاهِرًا
تَجَسَّمُ مِنْ نُورِ الْهَدَى وَتَجَسَّدَا
شِفَانِي مُعْتَلِّ النَّسِيمِ إِذَا انْبَرَى وَأَسْنَدَ عَنْ دَمْعِي الْحَدِيثَ الَّذِي جَرَى
وَقَدْ فَتَقَ الْأَرْجَاءُ^(٢) مِسْكَاً وَعَنْبَرًا كَانَ الْفَنَى بِاللَّهِ فِي الرُّوضِ قَدْ سَرَى
فَهَبْتُ بِهِ الْأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرِّدَا
عَذِرِي مِنْ قَلْبٍ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا تَهَبَّجُهُ الذِّكْرَى وَيَصْبُو إِلَى الصَّبَا
وَيَجْرِي جِيَادَ اللَّهِ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا وَلَوْ لَا ابْنُ نَصْرِ مَا أَفَاقَ وَأَعْتَبَا^(٣)
رَأَى وَجْهَهُ صَبَحَ الْمَدَايِدَ فَاهْتَدَى
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ شِكَايَةً جَنَى الْحُسْنُ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جِنَايَةً
وَأَعْظَمَ فِيهَا بِالْمُيُونِ نِكَايَةً وَأَطْلَعَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّعْرِ آيَةً
مُحَيًّا جَمِيلًا بِالصَّبَاحِ قَدْ ارْتَدَى
بِهَدْيِكَ تَهْدِي النِّيَرَاتُ وَتَهْتَدِي وَأَنْوَاهَا جَدْوَى يَمِينِكَ تَجْتَدِي
وَعَدْلُكَ لِلْأَمْلَاقِ^(٤) أَوْضَحَ مُرْشِدٍ بَأْتَارِهِ فِي مُشْكِ الْأَمْرِ تَقْتَدِي
فَمَا بَالُ سُلْطَانِ الْجَمَالِ قَدْ اغْتَدَى
نَحَكَمُ مِثْلًا فِي نُفُوسٍ ضَعِيفَةٍ وَنَحْكُمُ سَيُوفًا مِنْ جُنُودٍ يَحِيفُهُ
أَلَمْ يَذَرِ أَنَا فِي ظِلَالِ خَلِيفَةٍ وَدَوْلَةٍ أَمْنٍ لَا تَرَاعُ مُنِيفَةٍ
بِهَا قَدْ رَسَا دِينَ الْهَدَى وَتَهَدَا

(١) في ط : « نظم » . وما أنشأه عن م والمخطوطين من نفع الطب : وهو أولى بالسباق .

(٢) فتى الأرجاء : ملجأها وخطها بمسك وعنبر .

(٣) كذا في نفع الطب . وأعتب (ها) : رمى . وفي (ط) : « ما أفاق » .

ولا اجني . وفي م : « وما اجني » .

(٤) كذا في ط . والأملاك : جمع ملك (بكسر اللام) . وفي م : « للأفلاك » .

خُذُوا بِدَمِ الشُّشْتَاكِ لَحْظًا أَرَاقَهُ وَرَفًا نَاعْلَامِ الثَّنِيَةِ شَاقَهُ
وإن كلفوه فوق ما قد أطاقت يَبُثُّ حَدِيثَ مَا أَلَدَّ مَسَاقَهُ (١)

خَلِيفَتَنَا الْمَوْلَى الْإِمَامَ مُحَمَّدًا

تَقَلَّدَ حَكْمَ الْقَدَلِ دِينًا وَمَذْهَبًا وَجَوَرَ اللَّيَالِي قَدْ أَرَاغَ وَأَذْهَبَا
فَبَا عَجَبًا لِلشُّوقِ أَذْكَى وَأَلْهَبَا وَسَلَّ صَبَاحًا صَارِمَ الْبَرْقِ مُذْهَبَا
وَقَدْ مَاتَ فِي جَنَنِ الْغَامِغِ مُفْعَدًا

[٢٨٦]

يَذْكُرُنِي نَفْرًا لِأَسْمَاءَ أَشْنَبَا إِذَا ابْتَسَمْتَ تَعْلُو مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبَا
كَرَّمَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا احْتَبَى وَأَجْرَى بِهِ طِرْفًا مِنَ الصُّبْحِ أَشْهَبَا
وَأُصْدَرَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأُورِدَا

فَسَبَّحَانَ مَنْ أَجْرَى الرِّيحَ بِنَصْرِهِ وَعَطَّرَ أَنْفَاسَ الرِّيَاضِ بِشُكْرِهِ
فَبَرَدُ الصَّهَابِ يُلَوِّى عَلَى طَلَبِ نَشْرِهِ وَبَهْمَا تَجَلَّى وَجْهُهُ وَسَطَ قَصْرِهِ
تَرَى هَالَةً بَدُرُ السَّمَاءِ بَهَا بَدَا

إِمَامُ أَفَادِ الْمَعْلُومَاتِ (٢) زَمَانُهُ فَمَا لَحِقَتْ زُهْرُ النُّجُومِ مَكَانُهُ
وَمَدَّ عَلَى شَرْقٍ وَغَرَبٍ أَمَانُهُ وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ تَبَانُهُ
تُفَرِّقُ مُسْتَجِدِّهِ فِي أَبْعَادِ النَّدَى

هُوَ الْبَحْرُ مَدَّ الْعَارِضِ الْمَهْلَا هُوَ الْبَدْرُ لَكِنْ لَا بَرَالُ مُكَمَّلَا
هُوَ الدَّهْرُ لَا يَخْشَى الْخُطُوبَ وَلَا (٣) هُوَ الْعَلَمُ الْخَفَاقُ فِي حَضْبَةِ الْعَلَا
هُوَ الصَّارِمُ الْمَشْهُورُ فِي نُصْرَةِ الْهُدَى

(١) في م : « مذاقة » .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٨١ من هذا الجزء .

(٣) كذا في فتح الطبيب . وفي ط : « ولا ولا » .

أَمَّا وَالَّذِي أَعْطَى الْوُجُودَ وَجُودَهُ وَأَوْسَعَ مِنْ قَوْفِ الْبَسِيطَةِ جُودَهُ
لَقَدْ أَصْحَبَ النَّصْرَ الْعَزِيزَ بِنُودَهُ وَمَدَّ بِأَمْلَاكِ السَّمَاءِ حُسُودَهُ
وَأَنْجَزَ الْإِسْلَامَ بِالنَّصْرِ مَوْعِدَهُ

أَمْوَلَايَ قَدْ أَنْجَحْتَ رَأْيَا وَرَأْيَةً وَلَمْ تُبْقِ فِي سَبْقِ الْمَكَارِمِ غَايَةً
فَتَهْدِي سَجَابِكَ ابْنَ رُشْدٍ^(١) مَهَابَةً وَإِنْ كَانَ هَذَا السَّعْدُ مِنْكَ بَدَايَةً
سَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مَحْلَدًا

سُعُودُكَ تُغْنِي عَنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ وَجُودُكَ يُزِيلُ بِالْغَمَامِ السَّوَائِبِ
وَإِنْ زَاخَمَهَا شُبهَهَا بِالْمَنَاقِبِ وَوَجَّهَتْكَ بِدُرِّ الْمُتَنَدِّي وَاللَّوَاكِيبِ
وَقَدْ فَسَحَتْ^(٢) فِي الْفَخْرِ أَبْنَاءُكَ الْمَدَى

بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الْأَنْمَالِ عِدَّةٌ أَعَدْتُ لِمَا يُخْشَى مِنَ الدَّهْرِ عُدَّةٌ
وَزَيْدٌ سَهْمٌ بَرْدُ الْخِلَافَةِ جِدَّةٌ أَطَالَ هُمْ فِي ظِلِّ مُلْكِكَ مُدَّةٌ
إِلَهُ يُطِيلُ الْعُمُرَ مِنْكَ مَوْعِدًا^(٣)

مُدُورٌ بِأَوْصَافِ السَّكَمَالِ اسْتَفَلَّتْ عَنَامٌ بِمَبَاضِ النُّوَالِ اسْتَهْلَكَتْ
سُيُوفٌ عَلَى الْأَعْدَامِ بِالنَّصْرِ سُلَّتْ نُجُومٌ بِآفَاقِ الْعَمَلَاءِ تَجَلَّتْ
وَلَا حَتَّ كَمَا شَاءَتْ سُعُودُكَ أَسْعَدَا

وَإِنْ أَبَا الْحَجَّاجِ سَمِّفَكَ مُنْتَصَى وَبَدُرٌ بِآفَاقِ الْجَمَالِ نَعْرَضَا
بَنُورِكَ بِاِسْتِمْسِ الْخِلَافَةِ قَدْ أَضَا وَزَاغَتْ عَلَى أَعْطَافِهِ حُلُلُ الرِّضَا
فَحَلَّ مَحَلًّا مِنْ رِضَاكَ^(٤) مُمَهَّدَا

(١) يريد : إذا كان ابن رشيد قد جاء به « بداية المجتهد » ، فقد جاءت همك
وسجابتك بالتهابة التي لا مطلب وراءها للمجتهد .

(٢) في الأصناف : « سبحت » ، ولا يستقيم بها المعنى ، وما أئتمناه عن فتح الطيب .

(٣) في ط : « مؤيدا » . بالفتنة التحتية .

(٤) في فتح الطيب : « علاك » .

مَلِكٌ لَهُ تَعْنُو الْمُؤُوكَ حَلَالَةً يُحَرَّرُ أَذْيَالُ الْفَخَارِ مُطَالَاتَةً
وَتَقَرُّقُ أَشْدُ الْغَابِ مِنْهُ بَسَالَةً وَتَرْضَاهُ أَنْصَارُ الرُّسُولِ سُلَالَةً
فَأَبْنَاؤُهُ طَابُوا فُرُوعًا وَتَحْتَدَا

أَزَاهِرُ فِي رَوْضِ الْخِلَافَةِ أُبْنَعَتْ زَوَاهِرُ فِي أَفْقِ الْعَلَاءِ تَعَلَّعَتْ
جَوَاهِرُ أُعْيَتْ فِي الْجَمَالِ وَأَبْدَعَتْ وَعَنْ قِيَمَةِ الْأَعْلَاقِ قَدَرًا تَرَفَّعَتْ
يُسَّرُّ بِهَا الْإِسْلَامُ غَيْبًا وَمَشْهَدًا

بِعَهْدِ^(١) وَلِيِّ الْعَهْدِ - كَرَّمَ عَهْدُهُ وَأَنْجِزْ فِي تَخْلِيدِ مُلْكِكَ وَعَهْدُهُ -
تَعْلَمُ مِنْهُمْ تَحْتَ سَمَلِكِ^(٢) عَهْدُهُ وَأَوْزَرْهُمْ فَخْرًا أَبْوَهُ وَجَدُهُ
فَأَعْلَى عَلَيَّا حِينَ أَحْمَدَ أَحْمَدًا

تَحُوطُ بِهِمْ مُلْكًا عَرِيضًا وَبِلَّةً وَتَلَحُّظُ عَيْنُ السَّعْدِ مِنْهُمْ أَهْلَةً
سَتْنَدُو عَلَى أَفْقِ الْعَلَاءِ مُسْتَفِلَّةً وَتُسُحِبُّا بَلْبَاضِ النَّدَى مُسْتَهْلَةً
تُفَجِّرُ بَحْرًا لِلشَّمَاعَةِ مَزِيدًا

وَتَجْلُبُ تَصْرُفُ يَفْتَنِي تَجَلُّ^(٣) رَسْمِهِ أَمِيرُ يَزِينُ الْعَقْلَ رَاجِحُ حُلْمِهِ
أَتَاكَ بِنَجَلٍ يُسْتَصَاةُ بِنَجْمِهِ يُحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ سَمَاءُ نَاسِمِهِ
وَبِاسْمِكَ فِي هَذِي الْمَوَاقِفَةِ اقْتَدَى

أَقْنَتَ بِإِعْذَارِ الْإِمَارَةِ سُفْنَةً وَطَوَّقْتَهَا مِنْ حَلِي فَخَرَكَ مِنْهُ
وَأَسْكَنْتَهَا فِي ظِلِّ بَرَكِ جَنَّةٍ وَالْحَقْمَتَا بَرَدَ اغْتِنَانِكَ حُنَّةٍ
وَعَمَّرَتْ مِنْهَا بِالتَّلَاوَةِ مَسْجِدًا

(١) كذا في نسخ الطيب . والذي في الأصناف : « أوم » . وهو أبو الخليل يوسف

ابن العمى بالله .

(٢) في م : « طلك » .

(٣) كذا في ط . وفي م : « غنى نجل » .

فَلَهُ عَيْنَا مَنْ رَأَاهُمْ نَظَلُّوْا عُسُوْنَا بِرَوْضِ الْجُودِ مِنْكَ تَرَعَّرُوْا
وَفِي دَوْحَةِ الْعَلْيَاءِ مِنْكَ تَقَرَّعُوْا مُلُوكُ بِجَلْبَابِ الْحَيَاءِ تَقَنَّمُوْا
أَضَاءَ بِهِمْ مِنْ أَفْقٍ قَصْرِكَ مُنْتَدَى

وَقَدْ أَشْعَرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ نَفُوسَهُمْ وَقَدْ أَفْرَعُوا^(١) فَوْقَ الْخُلَى لِمُوسِهِمْ
وَقَدْ زَبَنُوا بِالْبَشْرِ فِيهِ تُحْمَسُهُمْ وَعَاطُوا كُدُوسَ الْأَنْسِ فِيهِ حَلِيلَهُمْ
وَأَبْدَوْا عَلَى عَوْلِ الْمَقَامِ تَجَلَّدَا

[٢٨٨]

تَحَاكَلُ فِيهِمْ مِنْ أَبِيهِمْ وَجَدَّهُمْ تَفَصَّلُ أَيْ الْفَخْرِ فِيهَا بِحَمْدِهِمْ
وَتَنَسَّيْهَا الْأَنْصَارُ قَدَمًا سَعْدِهِمْ نُضِي سَهَا نُورًا مَصَابِيحُ سَعْدِهِمْ
وَالَمْ لَا وَهْنٍ مَحَبِّ الرُّسُولِ تَوَقَّدَا

فَوَ اللَّهِ لَوْلَا سُنَّةُ قَدْ أَقَمْتَهَا وَسِيرَةُ هَدَى لِلنَّبِيِّ عَلِمَتَهَا
وَأَحْكَامُ عَدْلِ لِلْجُنُودِ رَسَمَتَهَا أَجَاءَتْ بِهَا الْأَفْطَالُ تَقْصِدُ سَمَتَهَا
وَتَنْزُكُ أَوْصَالُ الرَّشِيحِ مُقْصِدَا^(٢)

وَبَاعَا ذِرَا أَبْدَى أَمَّا الشَّرْعُ عُدْرُهُ طَرَقَتْ حَمَى تَذْ عَظَمَ اللَّهُ قَدْرُهُ
وَأَجْرَيْتَ طَلِيحًا بِحَمْدِ الطَّيِّبِ نَشْرُهُ لَقَدْ جِئْتَ مَا تَسْتَغْطِهُ الصِّدْقُ أَمْرُهُ
وَتَعْدِيهِ إِنْ يَنْقَبِلُ خَلِيقَتَهَا فِدَا

رَعَى اللَّهُ مِنْهَا دَعْوَةَ مُسْتَجَابَةً أَفَادَتْ نَفُوسَ الْمُخَاصِينَ إِنَابَةً
وَلَمْ تَلْفِ مِنْ دُونِ الْقَبُولِ حِجَابَةً وَعَادِرُهَا لَمْ يَبْدِ عُدْرًا مَهَابَةً
فَأَوْحَبَ عَنْ نَقْصٍ كَمَا لَا تَزِيدَا

(١) في مع الطيب : « وأمدوا » مكان قوله : « وقد أفرعوا »

(٢) في م : « الأمن »

(٣) الرشيع : شعر الزمان ، ويريد هنا الزمان كلها . والمقصود : المكسر .

فَنَقَصُ زَكَاهُ^(١) الْمَالِ وَفَرُّ نَصَائِهِ وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَعْدَ مَشْقَى ذُبَابِهِ
وَمَا الزُّهْرُ إِلَّا بَعْدَ شَقِّ إِهَابِهِ بِقَطْعِ بَرَّاعِ الْخَطِّ حُسْنُ كِتَابِهِ
وَبِالْقَصِّ بَرِّدَادُ الدُّبَالِ تَوْفَدًا

وَلَمَّا قَضَوْا مِنْ سُنَنِ الشَّرْعِ وَاجِبًا وَلَمْ نَلْقَ مِنْ دُونِ الْخِلَافَةِ حَاجِبًا
أَقْضَيْنَا نَهْشَى مِنْكَ جَذْلَانِ وَاهِبًا أَقَاضَ عَلَيْنَا أَنْعَمًا وَمَوَاهِبًا
تَعَوَّدَ بِذَلِكَ الْجُودِ فِيهَا تَعَوَّدَا

هَبَيْتَا بِهَذَا^(٢) قَدْ بَلَغْتَ مَوْمِلًا وَأَطْلَعْتَ نُورًا يَنْهَرُ الْمَتَامِلَا
وَأَحْرَزْتَ أَجْرَ الْمُتَمِيمِينَ مُكْتَمِلًا تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى جَزِيلًا وَأَجْمَلَا
وَبَلَغَ فِيكَ الدِّينَ وَالْمُلْكُ مَقْصِدَا

أَلَا فِي سَبِيلِ الْعِزِّ وَالْفَخْرِ مَوْمِمٌ يَبْظُلُ بِهِ تَغْرِ الْمَسْرَةِ يَنْبِغِمُ
وَعَرَفَ الرِّضَا مِنْ جَوْهِ يَنْتَسِمُ وَأَزْرَقُ أَرْبَابِ السَّعَادَةِ تَنْسَمُ
فَقِي وَصْفِهِ ذَهْنُ الدَّكِيِّ تَمْلِكَا

وَجَلَّتْ فِي هَذَا الصَّنِيعِ مَصَانِعَا تَمَى بِدُورِ التَّمِّ مِنْهَا مَطَالِعَا
وَأَبْدَيْتَ فِيهَا لِلْعَمَالِ بَدَائِعَا وَأَجْرَيْتَ^(٣) لِلْإِحْسَانِ فِيهَا مَشَارِعَا
يَوَدُّهَا نَهْرُ الْمَجَرَّةِ مَوْرِدَا

[٢٨٩]

وَأَجْرَيْتَ فِيهَا الْخَلِيلَ وَهِيَ مَوَاقِبُ وَإِنْ طَلَسْتَ فِي الرُّوعِ فَهِيَ لَوَاقِبُ
نُحُومٌ وَأَفَاقُ الطَّرَادِ مَشَارِقُ يَفُوتُ التَّصَاحَ الطَّرْفُ مِنْهَا وَارِقُ
إِذَا مَا تُجَارَى الشَّهْبُ تَسْتَبِقُ الْمَدَى

(١) في نفع الطيب : « كَال » .

(٢) في نفع الطيب : « هَبَيْتَا » مكان قوله : « هَبَا » .

(٣) في م : « وَأَعْدَيْتَ » .

وَتَطْلُعُ فِي لَيْلِ الْقَتَامِ كَوَاكِبًا وَقَدْ وَرَدَتْ نَهْرَ النَّهَارِ مَشَارِبًا
تَقُودُ إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهَا كَفَانِيًا فَتَرْسُمُ مِنْ فَوْقِ التُّرَابِ مَحَارِبًا
تَحْرِزُ رُؤُوسَ الرُّومِ لَيْعِنُ سَجْدًا

سَوَاحِجُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ سَوَاحِجُ وَهْنُ لَا يُوَابِ الْفُتُوحِ فَوَاحِجُ
تَقُودُ إِلَيْكَ النَّصْرَ وَاللَّهُ مَانِحُ فَمَا زِلْتَ بَابَ الْخَيْرِ وَاللَّهُ فَاحِجُ
وَمَا تَمَّ شَيْءٌ قَدْ عَدَا بَعْدَ مَا بَدَأَ

رِيَّاحٌ لَهَا مَشْفَى الْبُرُوقِ أَعْيَنُ ظِلَابُهُ فَإِنْ جَنَّ الظَّلَامُ فَجَنَّةُ
تَقِيهَا مِنَ الْبَدْرِ لِلتَّمَرِ جَنَّةُ وَتُشْرِعُ مِنْ زَهْرِ النُّجُومِ أَسَنَّةُ
فَتَقْدِفُ شُهْبَ الرَّجْمِ وَتُفَرِّقُ الْعِدَا

فَأَشْهَبُ مِنْ نَسْلِ الْوَجِيهِ إِذَا انْتَمَى جَرَى فَشَأَى شُهْبَ الْكَوَاكِبِ وَالسَّمَاءِ
وَخَلَفَتْ مِنْهَا فِي الْمَقَالِدِ أَنْجُمًا تَرْدَى حَمَالًا بِالصَّبَاحِ وَرُمَا
يَقُولُ لَهُ الْإِصْبَاحُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَا

وَأَحْمَرُ قَدْ أَذْكَى بِهِ النَّاسُ حُمْرَةً وَقَدْ سَلَبَ الْيَأْقُوتَ وَالْوَرْدَ حُمْرَةً
أَدَارِيهِ سَاقِي مِنَ الْحَرْبِ حُمْرَةً وَأَبْدَى حَبَابًا فَوْقَهَا الْحُسْنُ غُرَّةُ
يَزِينُ بِهَا خَدَا أَسِيلًا مُورَدًا

وَأَشْفَرُ مَهْمَا شَفَّعَ الرَّكْضُ بَرْقَهُ أَعَارَ جَوَادِ الْبَرْقِ فِي الْأَفْقِ سَبْقَهُ
بَدَأَ شَفَقًا قَدْ جَلَّلَ الْحُسْنُ أَفْقَهُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْدَعَ خَلْقَهُ
فَسَالَ عَلَى أَعْطَافِهِ الْحُسْنُ عَشْجَدًا

وَأَضْفَرُ قَدْ وَدَّ الْأَصِيلُ حَمَالَهُ وَقَدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ الْعَشِيِّ جِلَالَهُ

إِذَا أُسْرِجُوا جُنَحَ الظَّلَامِ ذُبَالَهُ فَمَرَّتُهُ نَجْمٌ تَضِيءُ بِحَالَهُ
وَفِي ذَبِيلِهِ ذَبِيلُ الظَّلَامِ قَدْ ارْتَدَى

وَأَذْمُ فِي مَسْجِدِ^(١) الدَّجَى مُتَجَرِّدٌ يَجِيئُ بِهِ نَجْمٌ مِنَ اللَّيْلِ مُزِيدٌ
وَمَرَّتُهُ نَجْمٌ بِهِ مُتَوَقَّدٌ لَهُ الْمَذَرُ سَرِجٌ وَالنَّجْمُ مُقَلَّدٌ [٢٩٠]

وَفِي فَلَكِ الصُّبْحِ الْمُبِينِ تَقِيدَا

وَأُبَيْصُ كَأَفْرِطِاسٍ لَاحَ صَبَاحُهُ عَلَى الْحُسْنِ مَعْدَاهُ وَفِيهِ مَرَاخُهُ
| وَاللَّطَبِيَّاتِ الْآنِسَاتِ^(٢) مَرَاخُهُ تَرَاهُ كَنَشْوَانٍ أَمَّا لَقْنُهُ رَاحُهُ

وَتَحْسُهُ وَسَطَ الْجَمَالِ مُعَرِّدَا

وَذَاهِبَةٌ فِي الْجَوِّ مِلءُ عَيْنَانِهَا وَقَدْ أَمَّعَتْهَا الشَّحْبُ بُرْدَ عَيْنَانِهَا
يَبْقَوْتُ ارْتِدَادَ الطَّرْفِ لَمَعُ عَيْنَانِهَا وَخَنَمَتِ الْجُوزَاءُ سَطَطَ نَسَانِهَا

وَصَاغَتْ لَهَا حَلِي النَّجُومِ مُقَيَّدَا

أَرَاهَا عُمُودُ الصُّبْحِ غُلُوَ الْمَصَاعِدِ وَأَوْهَمَهَا قُرْبَ التَّدْيِ الْمُتَبَاعِدِ
فَقَاتَتْهُ سَنَقًا فِي بَحْلِ الرُّوَاعِدِ وَأَتَخَمَتِ السَّكْفُ الْخَصِيبِ بِسَاعِدِ

فَطَلَوْنَ الرُّهْرُ النَّجُومَ بِهَا بَدَا

وَقَدْ قَذَفَتْهَا لِلْعَصَى حَوَاصِبُ قَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا ذَوَائِبُ
تَزَاوَرَ مِنْهَا فِي الْقَصَاءِ حَتَائِبُ مَبِيتُهُمَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مَنَاسِبُ

لَأُتَمَّ فِي الرُّؤُوسِ قَبْلُ تَوَلَّدَا

بَنَاتُ لَيْلٍ قَدْ حَيَيْنَ رَوْحَهَا^(٣) دَعَاها الْهُوَى مِنْ بَعْدِ كَتْمِ لَبِوَحَهَا

(١) في م : « حج » .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) كذا في م والذى في ط : « حلين مدوحها » .

فَأَقْلَامُهَا تَهْوِي لِحِطِّ بِلَوْحِهَا فَبِالْأَمْسِ كَانَتْ بَعْضُ أَغْصَانِ دَوْحِهَا
فَعَادَتْ إِلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْ بَعْدِ عَوْدَا

وَيَا رَبِّ حِصْنِي فِي دُرَاهَا قَدْ اعْتَلَى أَنْارَتْ بُرُوجُ الْأَفْقِ فِي مَطَرِ الْمَلَا
رُجُ قُصُورِ شِدَّتِهَا مُتَطَوَّلَا فَأَنْشَأَتْ بُرْمَا صَاعِدَا مُتَزَلَا
يَكُوفُ رَسُولَا بَيْنَهَا مُتَرَدِّدَا^(١)

وَهَلْ هِيَ إِلَّا هَالَةٌ حَوْلَ بَذْرِهَا يَصُوغُ لَهَا حَلِيمًا يَلِيقُ بِفَخْرِهَا
تَطَوَّرَ أَنْوَاعًا تَشِيدُ بِفَخْرِهَا فَحِجْلُ رِحْلِهَا وَشَاخُ مَحْضَرِهَا
وَتَأْجُ بِأَعْلَى رَأْسِهَا قَدْ تَنَفَّضَا

أَرَادَ اسْتِغْرَاقَ السَّمْعِ وَهُوَ مُنْتَمِعٌ فَصَامَ بِأَذْيَالِ الدُّجَى يَتَلَفَعُ
وَأَصْنَى لِأَخْبَارِ الْمَاءِ يَنْفَسِمُ فَانْتَمَعُ مِنْهَا ذَوَابِلُ فَرْغِ
لِيَتَنَفَّذَهُ بِالرَّجْمِ مَتْنً وَمَوْحَدَا

وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ مَدَّ كَفَّهُ لِيَسْأَلَ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ لُطْفَهُ
يُؤَلِّى تَوْلَاهُ وَأُخْصِمَ رَضَمَهُ وَكَانَتْ أَرْبَابُ الْبَلَاغَةِ وَضَعَهُ
وَأَكْرَمَ مِنْهُ الْقَائِمَ الْمُسْتَهْجَدَا

مُلَاقِي رَكْبٍ مِنْ وَفُودِ النَّوَامِ مُتَمَلِّ تَغْرِ لِلْبُرُوقِ الْبَوَامِ
مُخْتَمٌ كَفَتْ بِالنَّجُومِ الْقَوَامِ مُبْلَغٌ قَصْدٍ مِنْ حُضُورِ الْعَوَامِ
تَجَدَّدُهُ مِنْهَا صَنِيعٌ تَجَدَّدَا

وَمُسْطَرِبٌ فِي الْجَوِّ أَنْبَتَ قَامَةً تَقْدَمُ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ كَرَامَةً
تَطْلُعُ فِي غُصْنِ الرَّشَاءِ كَرَامَةً وَتَحْشِيهِ تَحْتَ الْفَمَامِ عِمَامَةً
يَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهِ عَرَقُ النَّدَى

هَوَى وَاسْتَوَى فِي حَالِهِ وَتَقَلَّبَا كَخَاطِفِ بَرَقٍ قَدْ تَأَلَّقَ خَلْبَا
وَتَحْسَبُهُ قَدْ دَارَ فِي الْأَفْقِ كَوَكَا وَمَهْمَا نَشَى وَاسْتَوَافَ الْعَقْلُ مُعْجَبَا
نُقَلِّبُ فِيهِ الْعَيْنُ لَحْظًا مُرَدِّدَا

لَقَدْ رَامَ بَرَقٌ لِلسَّمَاءِ بِسُلْمٍ فَيَمِشِي عَلَى خَطِّهِ بِهٍ مُتَوَهِّمٍ
أَجَلٌ فِي الذِّى يُبَدِّدُهُ فِكْرَ تَوْسَمٍ تَرَى طَائِرًا قَدْ حَلَّ صُورَةَ آدَمِ
وَجِئْنَا بِهَوَاةٍ الْفَصَاءِ تَمَرِّدَا

وَمُنْتَسِبٌ لِلْعَالِ ^(١) سَمُوهُ مُلْجَمَا لَهُ حُكَمَاةٌ حُكْمَهَا فَاهُ أَلْجَمَا
تَخَالَفَ جِنْسًا وَالِدَاهُ إِذَا انْتَمَى كَمَا جِنْسُهُ أَيْضًا تَخَالَفَ عَنْهُمَا
عَجِثْتُ لَهُ إِذْ لَمْ يَلِدْ وَتَوَلَّدَا

فَلَا نَتَبَّأُ فِي الدُّكْرِ حَاثَ مُبِيدَنَةٍ مِنَ الْآلَاءِ سَمَاهَا أَنَا اللَّهُ رَيْنَةً
وَأُنْزَلَ فِيهَا آيَةٌ مُسْتَبِينَةً وَأَوْدَعَ فِيهَا لِلْجَهْلُولِ سَكِينَةً
وَالْآلَاءُ فِيهَا عَلَى الْخَلْقِ عَدَدَا

كَسُوهُ مِنَ الْوَسْطِيِّ الْيَمَانِيِّ هَوْدَحَا يَمْدُ عَلَى مَا فَوْقَهُ الْغَالُ سَجَسَجَا
[وَكَمْ صُورَةٌ تُجَلَّى بِهَا نَهْرُ الْحِجَا وَجَزَلُ وَقُودِ نَارُهُ تَشْدَعُ الذُّجَى
وَقَلْبُ حَسُودٍ غَاطِظٌ مَذْكِيهِ ^(٢) وَفِدَا]

وَمَا عَمِي إِلَّا مَظْهَرُ إِحْسَادِهِ أَرْتَنَّا ^(٣) بِهَا الْأَفْرَاحَ فَضَّلَ اجْتِهَادِهِ
مَلَأَهَا هَزَتْ قُدُودَ صَيْعَادِهِ وَأَذْكَرَتْ الْأَبْطَالَ يَوْمَ طَرَادِهِ
فَمَا أَرْتَبْتُ فِيهِ الْيَوْمَ صَدَقَتُهُ غَدَا

(١) يريد به العل.

(٢) في م و تدكيه .

(٣) في الأسلوب : « هدى » وما أنشأه عن مع العيب .

أَلَا جَدَدَ الرَّحْمَنِ صَلَاحًا حَصَرَتْهُ وَدَوْحُ الْأُمَامِي فِي ذَرَاهُ هَمَصَتْهُ
بَقْصِرَ طَوِيلِ الْوَصْفِ فِيهِ اخْتَصَرَتْهُ يُقِيدُ طَرْفَ الطَّرْفِ ^(١) مَهْمَا نَظَرَتْهُ
« وَمَنْ وَجَدَا الْإِحْسَانَ قَبِيحًا قَبِيحًا » ^(٢)

دَعَوَتْ لَهُ الْأَشْرَافَ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ فَجَاءُوا بِأَمَالٍ لَهُ مُسْتَجَدَّةٍ
وَحُصُوا بِالطَّافِ لَدَيْهِ مُعَدَّةٍ أَيَادِي بَيْتَاضِ النَّدَى مُسْتَدَّةٍ
فَكَلَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ تَرَوَدَا

وَحَاءُ نَكَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ عَصَانَةٌ لَهَا فِي مَرَامِي الْمَكْرُمَاتِ إِصَانَةٌ
أَحَبَّتْكَ حُبًّا لَيْسَ فِيهِ اسْتِرَافَةٌ وَنَبَتْ دَوَاعِي الْخَوِيرِ ^(٣) مِنْهَا إِحَانَةٌ
وَنَادَاهُمْ التَّخْصِيعُ فَاثْبَدُوا النَّدَى

أَجَازُوا إِلَيْكَ الْبَحْرَ وَالْبَحْرَ بِزُخْرٍ رَبِّحْ بِمَدَّةٍ لَيْسَ بِخَزْرٍ
فَرَوَاهُمْ مِنْ عَذْبِ جُودِكَ كَوْنُورٌ وَوَالَيْتَ مِنْ نِعْمَتِكَ مَا لَيْسَ بِحَصْرٍ
وَعَظَمَتَهُمْ تَرْجُو النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ بِهِ طَلَبَ مِنْ هَذَا النِّظَامِ اخْتِنَامُهُ
وَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ حُلُومًا كَلَامُهُ يَبْرُؤُ عَلَى أَهْلِ الْبَيَانِ مَرَامُهُ
وَتَمَنَّى لَهُ زُهْرَ الْكَوَاكِبِ حُسْدًا

أُمْتُ بِهِ حَادِي الرَّكَبِ مُشْرِفًا حَدِيثَ جِهَادٍ لِلنُّفُوسِ مَشُوقًا
رَمَيْتُ بِهِ مِنَ الْعِرَاقِ مُنْوَفًا وَأَرْسَلْتُ مِنْهُ نَالِبِدِيْعَ مَطْوَفًا
حَامًا عَلَى دَوْحِ الثَّنَاءِ مُغَرَّدًا

(١) طرف الطرف : تحريك البصر .

(٢) هذا بحر بيت الفتى ، وصدره : « وقدبت غشى في دراك بحه » .

(٣) في مع الطوب : « المور »

رَكَعْتُ بِهِ خَيْلَ التَّيْنِ إِلَى مَدَى فَأَحْرَزْتُ فَضْلَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ الْهَدَى ^(١)
 وَنَطَلْتُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِيِّ مَخْلَدًا ^(٢) وَطَوَّقْتُ جِيدَ الْفَخْرِ عِفْدًا مُنْضَدًا
 وَقَتُّ بِهِ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ مُنْشَدًا
 نَسَفْتُ مِنَ الْإِحْسَانِ فِيهِ فِرَائِدًا وَأَرْسَلْتُ فِي رَوْضِ الْحَاكِمِينَ رَائِدًا
 وَقَلَّدْتُ عِطْفَ الْمَائِكِ مِنْهُ قَلَائِدًا تَعَوَّدْتُ فِيهِ لِلْقَبُولِ عَوَائِدًا
 فَلَا زِلْتُ لِلْفَضْلِ الْجَزِيلِ ^(٣) مَعُودًا
 وَلَا زِلْتُ لِلصَّنْعِ الْجَمِيلِ مُجَدِّدًا وَلَا زِلْتُ لِلْفَخْرِ الْعَظِيمِ مُخْلَدًا
 وَغَمَرْتُ عُمرًا لَا يَرَالُ مُخَدَّدًا وَمُتَّقَتَ بِالْأَبْنَاءِ أَوْحَدًا
 وَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنَاكَ مَا سَانِقٌ حَدًا

ومن العيديات :

من عيدياته

هَذِي التَّعَالِيمَ لَفْظُ أَنْتَ مَعْنَاهُ كُلُّ يَقُولُ - إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ - اللَّهُ
 بَحْرُ الْوُجُودِ وَفُلُكُ الْكَوْنِ حَارِبَةٌ وَاسْمُكَ اللَّهُ مُجْرَاهُ وَمُرْسَاهُ
 مِنْ نُورٍ وَجْهَكَ ضَاءُ الْكَوْنِ أَجْمَعُهُ حَتَّى تَشِيدَ بِالْأَفْلَاكِ مَبْنَاهُ
 عَرْشُ وَفَرْشُ وَأَمْلَاكَ مُسَخَّرَةٌ وَكُلُّهَا سَاجِدٌ لِلَّهِ مَوْلَاهُ
 سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ وَأَوْسَعَ الْكَوْنِ قَبْلَ الْكَوْنِ نِعْمَاهُ
 مَنْ يَنْسِبُ ^(١) الثُّورَ لِلْأَفْلَاكِ قُلْتُ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَطْلَعْتَ الْأَفْلَاكَ لَوْلَاهُ
 مَوْلَايَ مَوْلَايَ بَحْرُ الْجُودِ أَغْرَقَنِي وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ فِي ذَا الْبَحْرِ قَدْ نَاهُوا
 فَالْفُلُكُ تَجْرِي كَمَا الْأَفْلَاكَ حَارِبَةٌ بَحْرُ السَّمَاءِ وَبَحْرُ الْأَرْضِ أَشْبَاهُ

[٢٩٣]

(١) في نفع الطيب : « خصل » وما معنى :

(٢) في م : « مغلدا » .

(٣) في م : « للعل الجليل » ونفع الطيب .

(٤) في م : « يثبت » .

وَكُلُّهَا نِعْمٌ لِخَلْقٍ شَامِلَةٍ
بِإِتِّفَاقِ الرَّتَقِ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ كَمَا
كُنْتُ لِي كَمَا كُنْتُ لِي إِذْ كُنْتُ لَأَعْمَلًا
وَأَنْتَ فِي حَضْرَاتِ الْقُدْسِ تَنْقُلُنِي
مَا أَقْبَحَ الْعَبْدُ أَنْ يَنْسَى وَتَذَكُّرُهُ
غُفْرَانِكَ اللَّهُ مِنْ جَهْلِ بُلْبُلٍ بِهِ
مِنِّي عَلَى حِجَابٍ لَسْتُ أَرْفَعُهُ
فَعُدَّ عَلَى بِمَا عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمٍ
نُفِّهِ الصَّلَاةَ صَلَاةَ اللَّهِ دَائِمَةً
الْمُجْتَنِبِي وَزِنَادُ الثَّوَرِ مَا قُدِّحَتْ
وَالْمُصْطَلَقِي وَكَيْفَ السَّكُونِ مَا نَفِثَتْ
وَلَا تَفْجَرْ هَزْ لِلَّهِ عَلَى
يَا فَاتِحَ الرُّسُلِ أَوْ يَخْتَمِمَا شَرَفًا
لَمْ أَدْخِرْ غَيْرَ حُبِّ فَيْكِ أَرْفَعُهُ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهُ أَنْتَ صَفْوَتُهُ
وَعَمَّ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ صُحْبَتُهُ
وَحَصَّ أَنْصَارُهُ الْأَعْلَى صَفْوَتُهُ
أَنْصَارَ مِلَّةٍ أَعْلَامَ بَيْعَتِهِ
وَأَيْدِ اللَّهِ مِنْ أَحْيَا جِهَادِهِمْ
الْمُنْتَقَى مِنْ صِيَمِهِ الْفَخْرُ جَوْهَرُهُ
الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْإِقْبَالُ شَيْئَتُهُ

تَبَارَكَ اللَّهُ لَا تُخَصِّي عَطَايَاهُ
فِي سَابِقِ الْعِلْمِ قَدْ خُطَّتْ قَضَايَاهُ
أَرْجُو وَلَا ذَنْبٌ قَدْ أَذْنَبْتُ أَخْشَاهُ
حَتَّى اسْتَقَرَّ بِهِذَا السَّكُونِ مَثْوَاهُ
وَأَنْتَ بِاللَّطْفِ وَالْإِحْسَانِ تَرْعَاهُ
رَبِّينَ أَفَادَ وَخُودِي كَيْفَ أَنْسَاهُ
إِلَّا بِتَوْفِيقِ هَذِي مِنْكَ تَرْضَاهُ
فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَمَانَتْ رُحْمَاهُ
عَلَى الَّذِي بِاسْمِهِ فِي الدُّكْرِ سَمَاهُ
وَلَا زَكَا مِنْ نَسِيمِ الرُّوضِ مَسْرَاهُ
عَنْ زَهْرٍ زَهْرٍ يَرْوِي الْفَيْنَ مَرَاهُ
دُرِّ الدَّرَارِي فَعَطَاهُ وَأَخْفَاهُ
وَاللَّهُ قَدَّسَ فِي الْحَالِغِينَ مَغْنَاهُ
وَسِيلَةَ لِكَرِيمٍ يَوْمَ الْقَاهُ
مَا طُيِّبَتْ يَلْدِيذُ الدُّكْرِ أَفْوَاهُ
وَحَادَهُمْ مِنْ نَيْبِ الْعَقْوِ أَصْفَاهُ
وَأَسْكَنُوا مِنْ جِوَارِ اللَّهِ أَعْلَاهُ
مَتَّقِبٌ شَرَفَتْ أَثْنَى بِهَا اللَّهُ
وَأَوْصَلَ الْفَخْرَ أَوْلَادَهُ بِأَخْرَاهُ
مَا بَيْنَ نَفْسٍ وَأَنْصَارٍ تَهَادَاهُ
وَالْبَاسُ وَالْجُودُ بَعْضٌ مِنْ سَجَايَاهُ

وهي طويلة ، سردها هذا المؤلف كلها . ومما :

تَسْبِي زَمَانِكَ أَعْيَادُ مَجْدَدَةٍ مِنْ الْقُتُوحِ مَدَى الْأَيَّامِ تَشَاءُ
عَصَبَتْ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِحَقِّهِمَا يَا حَتِّدًا غَضَبٌ فِي اللَّهِ أَرْصَاهُ
فَوَقَّتَ لِلْغَرْبِ سَهْمًا رَأَيْتَهُ قَدَرٌ وَسَدَّدَ اللَّهُ الْأَعْدَاءَ سَرْمَاهُ
سَهْمُ أَصَابَ وَزَامِيهِ بِذِي سَلَامٍ لَقَدْ رَمَى الْغُرُصُ الْأَقْصَى فَأَصْنَاهُ
مَنْ كَانَ يَنْدُكَ يَا مَوْلَايَ بِقَدَمِهِ فَلَيْسَ يُخَلِّفُهُ فَتَحُ تَرْجَاهُ ^(١)
مَنْ كَانَ جُنْدُكَ جُنْدَ اللَّهِ يَنْصُرُهُ أَنَالَهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَسْنَاهُ
مَلَكْتُهُ غَرَبَهُ خَلَّدَتْ مِنْ مَلِكٍ لِلْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ مَا تَمْنَاهُ
وَسَامَ أَعْدَاءُكَ الْأَشْقِيْنَ مَا كَسَبُوا وَمَنْ تَرَدَّى رِدَاءُ الْفُتُورِ أَرْدَاهُ
قُلْ لِلَّذِي رَمَدَتْ جَهْلًا بِصِيرَتِهِ فَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ تَسْمِسُ الْهَدْيَ عَيْنَاهُ
عَطَى الْهُوَى عَقْلَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ لَهُ الْعَرَاشِدُ أَغْشَاهُ وَأَعْمَاهُ
هَلْ عِنْدَهُ وَذُنُوبُ الْفَسْدِ تُوْبِقُهُ أَنْ الَّذِي قَدْ كَسَاهُ الْعِزُّ أَعْرَاهُ
لَوْ كَانَ بِشُكْرٍ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ مَا زِلْتَ مَلْجَأَهُ الْأَنْحَى وَمَنْجَاهُ
سَلِّ السُّعُودَ وَخَلِّ الْبَيْضَ مُفْعَدَةً فَالسَّيْفُ مَهْمَا مَضَى فَالسَّيْفُ أَمْضَاهُ
وَاشْرَعْ مِنَ الْبَرَقِ تَصْلَاحَ مُضَلَّتِهِ ^(٢) وَازْفَعْ مِنَ الشَّيْخِ بِنْدَارِاقِ تَجَلَّاهُ
فَالْعُدُونَانِ وَمَا قَدْ ضَمَّ مُلْكُهُمَا أَنْصَارُ مُلْكِكَ صَانِ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٣)
لَا أَوْحَسَ اللَّهُ فُطْرًا أَنْتَ مَالِكُهُ وَأَنْسَ اللَّهُ يَا الْأَنْطَافِ مَغْنَاهُ
لَا أَظَلَمَ اللَّهُ أَقْبَا أَنْتَ تَبِيرُهُ لَا أَعْمَلَ اللَّهُ سَرْمَحًا أَنْتَ تَرْجَاهُ

(١) كذا في م . وفي ط : « صر صرحناه » .

(٢) في م : « مقلته » .

(٣) في م : « مملاه » .

وَأَهْدَأُ بِشَهْرِ صِيَامٍ حَاءَ رَأَيْدُهُ ^(١) (مُسْتَنْزِلًا) مِنْ إِلَهٍ الْعَرَشِ زُحْمَاءُ
أَهْلٍ بِالسَّعْدِ فَانْهَلَتْ بِرٍ مِنْ
أَمَّا تَرَى بَرَكَاتِ الْأَرْضِ شَامِلَةً
وَعَادَكَ الْعَيْدُ تَسْتَحْلِي مَوَارِدَهُ
جَهَزَتْ جَيْشَ دُعَاءٍ فِيهِ تَرْفَعُهُ
أَفْضَتْ فِيهِ مِنَ النُّعْمَاءِ أَجْزَلَهَا
وَالَيْتَ لِلخَلْقِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
وَالَى لَكَ اللَّهُ مَا أَوْلَى وَوَالَاهُ

[٢٩٠]

ثم قال بعد سرد عدّة قصائد : ومن يدانعه المنيفة عيديّة ميلاديّة ، وافقتها
وجهته من غزوات مولانا الجدد أيضا :

لَوْ كُنْتُ أَغْطَى مِنْ لِقَائِكَ سُوْلًا
لَمْ أَتَّخِذْ بَرَقَ الْقَمَامِ رُسُولًا
أَوْ كُنْتُ أَبْلُغُ مِنْ قَبُولِكَ مَأْمَلًا
لَمْ أُوْدِعِ الشُّكُوْى صَبًا وَقَبُولًا
لَكِنْ مُغْتَلِّ النَّسَمِ إِذَا سَرَى
مَازَالَ يُوسِعُ ذَا الْهَوَى تَعْلِيلًا
وَبُلُغْتُ الْأَزْوَاجِ دَوْحَهُ أَيْسَكْفَرُ
جَاذِبَتْهَا عِنْدَ الْهَيُوبِ مِيلًا ^(٢)
عَهْدِي بِهَا سَدَدَتْ عَلَيَّ ظِلَالَهَا
فَسَدَدَتْ ظِلَالُ الشَّبَابِ ظَلِيلًا
رَمَعَتْ بِرِ حَوَالِي الظُّلُمَاءِ أَوَانِسَا
فَنَعِمْتُ فِيهِ مُعْرَمًا وَتَقِيلًا
وَصَلَّاتُ لِلْحَسَنَاءِ صَفْحَ مَوَدِّي
لَمَّا اخْتَلَكْتُ الْقَارِضَ الْهَضْعُولَا
ثُمَّ انْتَشَبْتُ ^(٣) وَقَدْ تَعَاظَيْتُ الْهَوَى
رِيمًا أَغْرَى وَجُودَ ذَا مُكْحُولَا
كَمْ فِيهِ مِنْ مُلْجٍ لِمُرَادِ الْهَوَى
رَكَتْ فَوَادُ مُحِبِّهِ مَتْبُولَا

(١) كذا في م . وفي ط : « زائر » .

(٢) في م : « ميلا » .

(٣) في م : « انتشبت » .

لم تَرَوْهُ لِي عَيْنَاهُ حِكْمَةً بَابِلَ
 وَلَقَدْ أَجَدَّ جَوَائِي لَمَّا رَزَنُهُ
 قَدْ أَنْكَرَنُهُ الْعَيْنُ إِلَّا لَمَحَّةً
 وَإِذَا الطُّلُولُ تَعَرَّضَتْ لِمَنْعِهِمْ
 مَنْ يُنْجِدُ الصَّبْرَ الْجَمِيلُ فَإِنَّهُ
 كَيْفَ النَّجْدُ^(١) بَعْدَهُمْ وَأَنَا الَّذِي
 مَنْ عَازِرِي وَالْقَلْبُ أَوَّلُ عَازِلِ
 أَنْبَعْتُ فِي دِينِ الصَّبَابَةِ أُنْمَةً
 بِأَمُورِهَا حَامَتِ عَلَيْهِ قُلُوبُنَا
 مَا حَسَرَ مِنْ رَقَّتِ^(٢) عَلَانِلَهُ صُحَى
 كَمْ ذَا أَعْلَلُ بِالْعَدِيدِ وَبِالْمُنَى
 أَعْدَيْتُ وَاصِلَةَ الْهَدِيلِ بِسُخْرِي
 وَسَرَبْتُ فِي طَيِّ النَّسِيمِ لَعَلِّي
 هَذَا وَوَجَدِي مِثْلُ وَجَدِي عِنْدَ مَا اسْتَشْعَرْتُ مِنْ رَكْبِ الْحِجَازِ رَحِيلَا
 قَدْ سَدَّدُوا الْأَنْفَءَ نَمَّ تَتَانَمُوا
 يَنْقُلُو رَعِيلٌ فِي النَّلَاةِ رَعِيلَا
 يَذَرْنَ عَرْضَ الْبَيْدِ مِيلًا مِيلَا
 مُتَرَجِّعِينَ عَلَى الرَّحَالِ كَأَنَّمَا
 إِنْ يَلْتَبِسُ عِلْمُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمْ
 جَعَلُوا النَّشُوقَ لِلرَّسُولِ دَلِيلَا

(٢٩٦)

(١) كذا في م . وفي ط : « التَّجَمُّل » بالخاء المهملة .

(٢) كذا في م . والذي في سائر الأصول : « أُنْمِد » .

(٣) في ط : « موارد » و « لم ألب » . مكان قوله « باموردا » و « لم نجر » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « رافت » .

يَا رَاحِلِينَ وَمَا تَحَقَّلَ رَكْبُهُمْ إِلَّا قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ مُحُولًا
 نَاشِدُنْكُمْ عَهْدَ النُّوَّةِ بَيْنَنَا وَالْعَهْدُ فِينَا لَمْ يَزَلْ مَسْئُولًا
 مَهْمًا وَمَصْلَمًا خَيْرَ مَنْ وَطِنَ التُّرَى أَنْ تُوسِعُوا ذَاكَ التُّرَى تَقْيِيمًا
 بِأَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعْرَسَ لَيْلَةً فَأُشِمَّ حَوْلِي إِذْ خِرَا وَجَلِيلًا^(١)
 أَوْ تُرُونِي^(٢) يَوْمَ مَائَاهُ بَحْنَةً وَيَشِمُّ طَرْفِي شَامَةً وَطَلِيلًا^(٣)
 وَأَحْطُ فِي مَنَوى الرُّسُولِ رَكَائِي وَأُيَيْتُ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ نَزِيلًا
 بِسَنَازِلِ الْوَحْيِ الَّتِي قَدْ مُرِّقَتْ قَدْ شَافَعَتْ أَعْلَامُهَا التَّنْزِيلًا
 بِعَاهِدِ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ آتَى قَدْ صَافَعَتْ عَرَصَاتُهَا جَبْرِيلًا
 وَمُهَاجِرِ الدِّينِ الْخَنِيفِ وَأَهْلِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّ بِرِ الْإِيمَانِ دَخِيلًا
 دَارَ الرُّسُولِ وَمَطْلَعِ الْقَمَرِ^(٤) الَّذِي إِبْدَاؤُهُ مَا فَارَقَ التَّكْمِيلًا
 بِأَحَبِّ ذَا تِلْكَ الْمَعَالِمِ وَالرَّيَا بِأَحَبِّ ذَا تِلْكَ الطُّلُوعِ طُولًا
 حَيْثُ الثُّبُوءُ قَدْ جَلَّتْ آفَاقُهَا وَجَمًّا مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ^(٥) جَمِيلًا
 حَيْثُ الرِّسَالَةُ فُصِّلَتْ أَحْكَامُهَا لِحُتَيْنِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ
 حَيْثُ الشَّرِيعَةُ قَدْ رَسَتْ^(٦) أَرْكَانُهَا فَالْنَّصُّ مِنْهَا يَغْضُدُ التَّأْوِيلًا

(١) الإذخر (يكسر الهززة والهاء) : حشيش طيب الريح وإذا جفابيض والجليل : الثمام.

(٢) كذا في الأصاين .

(٣) حجة (جمع اليم وكسرها) : موضع قرب مكة . وشامة وطليل : جبلان بمكة .
 وقد أخذت مني هذا البيت والذي قبله من قول بلال رضي الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة فجع وحولي إذخر وجليل
 وهل أوردن يوماً مياه بحنة وهل يدون لي شامة وطليل

(٤) في ط : « المعبر » .

(٥) في ط : « الصبيح الجليل » .

(٦) في م : « قد رست » .

حَيْثُ الْهُدَى وَالْهُدَى وَالْخَلْقُ الَّذِي
حَيْثُ الضَّرِيحُ يَضُمُّ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ
إِنَّ الْإِلَٰهَ اخْتَارَهَا ^(١) يُقَامِيهِ
رَحِمَ الْإِلَٰهَ الْعَالَمِينَ بِمَعْنَاهِ
يَدْعَاهُ انْفُسُ الْعَالَمِ ^(٢) وَقَبْلَهَا
وَالشَّمْسُ قَدْ رَدَّتْ لَهُ وَأَعْلَامًا
لَمْ لَا يَطَاوِعُهُ الْوُحُودُ وَقَدْ غَدَا
يَا نُكْتَةً الْأَكْوَانِ يَا عِلْمَ الْهُدَى
لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ لِلْكَيَّانِ حَقِيقَةٌ
لَوْلَاكَ لِلزُّهْرِ الْكَوَاكِبُ لَمْ تَلْعُ
لَوْلَاكَ لَمْ تَجُلُ السَّمَاءُ شُمُوسَهَا
لَوْلَاكَ مَا عُبِدَ الْإِلَٰهُ وَمَا غَدَا
يَا رَحْمَةً اللَّهِ الَّتِي أَنْطَافُهَا
يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بَرَّهَانُهَا
كَمْ آيَةٌ لَكَ قَدْ صَدَعَتْ بِنُورِهَا
أَوْضَحَتْهَا كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَأَتَيْتَ بِاللَّذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُبَيَّنًا
أَسْنَى عَلَيْكَ بِكُفَيْهِ مَنْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

[٢٩٧]

(١) كذا في م وفي ط : « اختاره » .

(٢) في ط : « الطام » .

(٣) ورد « قل الباب » ثلاثيا في أساس البلاغة .

فَإِذَا الْبَلِيغُ يَرُومُ مَدْحَكَ جَاهِدًا
يَا شَافِعَ الرُّسُلِ الْكَرَامِ وَمَنْ يَدُ
رِفْقًا بِنَسْءِ مَلَكَ الْقَضَاءِ زَمَانَهُ
وَاحْتِسَرْنَا ضَيِّعْتُ عُجْرِي فِي الْهَوَى
وَجَرَيْتُ فِي طَلْقِ الْبَطَالَةِ جَاهِيهَا
وَعَثَرْتُ فِي طَلَبِ الْمَغَارِ جِهَالَهُ
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْأَمِينِ لَوْحِيهِ
وَاللَّهِ مَالِي لِلْخَلَّاصِ وَسِيْلَهُ
إِنْ كُنْتُ مَا أَعْدَدْتُ زَادًا نَافِعًا
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا رَكِبُ سَرَى
وَأَعَزَّ مَنْ وَلَّاهُ أَمْرَ عِبَادِهِ
وَأَقَامَ مَقْرُوضَ الْجِهَادِ بَعْرَمَتِهِ
وَاللَّهُ مَا أَدْرَى وَقَدْ حَصَرَ الْوَعَى
مَلِكٌ إِذَا لَمْ الْوُجُودُ يَبِينُهُ
أَوْ يُخْلِفُ النَّاسَ الْقَتَامُ وَأُخْلُوا
مِنْ دَوْحِهِمْ نَصْرِيَّتَهُ بَيْنِيهِ
فَإِذَا سَأَلْتُ الْكُتُبَ تَقَلَّ فَصِيلُهُ

أَضْحَى حُسَامُ لِسَانِهِ مَقُولًا
يَرْجُونَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ قَبُولًا
فَقَدْ أَقْبَدَ بِقَيْدِ ذَنْبِهِ^(١) مَعْقُولًا
وَالْتَوَرُّ أَضْحَى ذَنْبُهُ مَمْعُولًا
حَتَّى انْتَشَى طَرْفُ الشَّبَابِ كَلِيلًا
لَكِنْ وَجَدْنَاكَ لِلْعِشَارِ مُقِيلًا
مَنْ أَمْ جَاهُكَ أَحْرَزَ التَّامِيلًا
إِلَّا رِضَاكَ وَعَفْوُكَ الْمَأْمُولًا
أَعْدَدْتُ حُبَّكَ شَافِعًا مَقْبُولًا
فَأَجَدْتُ وَخَدًا^(٢) فِي الْمَغَارَةِ مِيلًا^(٣)
فَفَعَّاهُمْ إِحْسَانَهُ لِلْوَصُولِ^(٤)
تَرَكَتُ بِأَفْقِدَةِ الْعُدَاةِ^(٥) قُلُولًا
أَحْسَانُهُ أَمْ عَزَمُهُ مَصْفُولًا
فَالْبَحْرُ عَذْبًا وَالرِّيَاضُ بَلِيلًا
فَنَدَاهُ لَا يُخْشَى الْعَفَاةَ مُحُولًا
وَسَجَّتْ فُرُوعًا فِي الْعُلَا وَأُصُولًا
لَمْ تُلَفِّ إِلَّا فُخْرَهَا مَنقُولًا

(١) في ط : « زمانه » .

(٢) في ط : « وجدًا » .

(٣) في ط : « المأمول » .

(٤) في ط : « العباد » .

يَأْتِيهِمُ الْبَلَاءُ الَّذِي أَتَاهُمُ وَضَحَّتْ بِأَوَّجِهِ دَحْرُزُ^(١) مَحُولَا
 وَاللَّهُ مَا آثَارُ هَذَاكَ عِنْدَنَا إِلَّا نَجْـمٌ وَمَا عَرَفْنَا أَفُولَا
 لَمْ نَعْرِفِ النَّزْكَيبَ سَيْفُكَ فِي الْوَعَى فَاغْجَبْ لَهُ قَدْ أَحْكَمَ التَّغْلِيلَا
 كَمْ صُورَةٌ لَكَ فِي الْقَتُوحِ وَصُورَةٌ تُجَلَّى وَتُثَلَّى بُكَرَةٌ وَأَصِيلَا
 لَمْ تَسِرْ سَارِيَهُ الرِّتَاحِ بِطَائِفَةٍ إِلَّا لِتَحْضِلَ ذِكْرَكَ الْمَعْشُولَا
 وَكَأَنَّ صَفْحَ الْبَرْقِ سَيْفُكَ ظَلَمَ مِنْ غَمْدِ الْمَلَامَةِ مُرْهَمًا مَسْلُولَا^(٢)
 كَمْ بَلَدَةٌ لِلْكَفْرِ قَدْ عَوَّضَتْ مِنْ نَاقُوسِهَا التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلَا
 صَدَقَتْ مُقَدَّمَةُ الْجَبُوشِ فَهَوَّضَتْ مِنْ حِينِهَا مَوْضُوعَهَا مَحْمُولَا
 كَسَرُوا نَمَائِلَ الصَّالِبِ وَتَنَلُوا بَيْنَ انْتَمَى لَوْلَايَا تَمَثِيلَا
 لَمَّا أَحْطَتْ بِهَا وَحَانَ ذِمَارُهَا^(٣) أَخْرَجَتْ مُتَزَمِّهَا الْأَعَزَّ ذَلِيلَا
 تَجَرَّى الدَّمُوعُ وَمَا تَبَلَّ غَالِيلُهُ قَمُصُّهُ يَبْكِي هُنَاكَ قَتِيلَا
 سَأَتْ يَتِيمَ الْهَلَكِ مِنْكَ عَلَى الْعِدَا عَضْبًا مَهِيَّبَ الشُّعْرَتَيْنِ صَقِيلَا
 لَمْ يَرْضَ سَيْفُكَ أَنْ يُحْلَى جَوْهَرًا حَتَّى يُحْلَى عَسْجَدًا مَحْمُولَا
 لَمْ تَرْضَ عِمَّتُكَ الْقَلِيلَ مِنَ التَّقَى حَتَّى أَنْتَ بِالْعَالِحَاتِ قَبِيلَا^(٤)
 فَاقْتَمَتِ مِيلَادَ الرَّسُولِ بِلَيْلَةٍ أَوْضَحَتْ فِيهَا لِلْحَيَادِ سَبِيلَا
 حَيْثُ الْغِيَابُ الْبَيْضُ جَلَّتِ الرُّبَا أَزْهَارَ رَوْضِ مَا اكْتَسَبِينَ ذُبُولَا
 وَمَوَاقِدُ النِّيرانِ تَدْسُ حَوَالَهَا قَبْنِيرُ مَشْعَلِهَا رُبَا وَمُهْوَلَا
 وَالْأَمَقُ قَوْفَكَ قُبَّةً مَحْبُوكَةً مَدَّتْ عَلَيْكَ طَرَاقَهَا الْمَسْدُولَا^(٥)

(١) كَذَا فِي الْأَسْلَابِ وَفِيهِ تَحْرِيفٌ طَاهِرٌ .

(٢) فِي م : « مَحُولَا » .

(٣) فِي م : « وَهَانَ ذِمَارُهَا » .

(٤) الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ زِيَادَةٌ عَنْ م .

(٥) فِي ط : « الْمَسْبُولَا » . وَمَا أَتَيْنَاهُ عَنْ م .

وَرَمَى^(١) إِلَيْكَ بِبَذَرِهِ وَنُجُومِهِ
حَبَبُ السَّكَنَاتِ قَدْ تَلَا طَمَّ مَوْجُهَا
زَخَرَتْ بِأَمْوَاجِ الْحَدِيدِ وَرُبَّمَا
يَتَجَاوَبُ التَّكْبِيرُ فِي جَنَبَاتِهَا
حَمَلَتْ مِنَ الْإِبْطَالِ كُلِّ مُشْتَرٍ
آسَادَ مَلْحَمَةٍ إِذَا اشْتَجَرَ الْوَعَى
إِنْ شَمَرُوا يَوْمَ الْحُرُوبِ ذُبُولُهُمْ
أَوْ قَهَرُوا يَوْمَ الْعُلَمَانِ رِمَاحَهُمْ
يَالِئِلَّةَ ظَفِيرَتْ يَدَايَ بِأَجْرِهَا
وَاللَّهُ لَوْ عَوَّضْتُ عَنْكَ شَيْئِي
يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ يَا مَلِكَ الثَّلَا
جَهْرَ جَبُوشَكَ لِلْجِهَادِ مَوْفَقًا
وَلْتَتَبِعِ^(٢) الْفَارَازَاتِ فِي أَرْضِ الْعِدَا
وَالِئِلَّكَ مِنْ سُرْرِ الْجِهَادِ غَرِيبَةً
وَأَطْلُتُ لِكَيْ أَطْبُتُ وَعَادَتِي
لَا زَالَ نَصْرُكَ كُلَّمَا اسْتَفْجَدْنَاهُ
يُهْدِيكَ مِنْهُ التَّاجَ وَالْإِكْلِيلَا
وَنَدَقَتْ فِيهَا الْخُبُولُ سُبُولا
صَاقَ الْقَضَاءُ قَمًا وَجَدَنَ مَسِيلَا
فَتَعْبِدُهُ غُرُّ الْحَبَادِ صَهِيلَا
لَا يَفْتَنِي^(٣) سُمُرُ الْفَنَاءِ وَنُصُولَا
دَخَلُوا مِنَ الْأَسَلِ^(٤) الْمُتَشَفِّ غَبِلَا
سَحَبُوا مِنَ الزَّرْدِ الْمُفَاضِ ذُبُولَا
وَصَلُّوا بِهَا الْخَطُوطَ الْوَسَّاعَ طُولَا
وَمَهَرَتْ فِيهَا بِالرَّضَا مَسْمُولَا
تَمَا كُنْتُ أَرْضَى بِالشَّبَابِ بَدِيلَا
اللَّهُ يُؤْتِيكَ الْجَرَاءَ حَزِيلَا
وَكَفَى بِرَبِّكَ كَافِيًا وَكَفِيلَا
وَاللَّهُ حَسْبُكَ نَاصِرًا وَوَكِيلَا
جَاءَكَ تَقَرُّضُكَ^(٥) الشَّهَاءَ سَمِيلَا
أَلْنِي مُطْبِيًا فِي التَّدْيِجِ مُطْبِيلَا
لَهُمْ دِينُكَ عَائِدًا مَوْضُولَا

(١) في م : « أوى » .

(٢) في الأصول : « الأسد اللب » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في م . وفي ط : « لا يفتني » .

(٤) في م : « واستعمل » .

(٥) كذا في م . وفي ط : « جاءت نهر ذلك » .

ثم قال بعد ذكر جملة من قصائده :

ومن ذلك وقد عاد من وجهة الصيد أعملها ، وأعنة للحياد في ميادين ذلك
الطراد أرسلها ، ما أنشده :

حَيَّاكِ يَا دَارَ الْهَوَى مِنْ دَارِ نَوَى ^(١) السَّيِّئِ بِدَيْعِهِ مَذَرَارِ
وَأَعَادَ وَجْهَ رُهَاكِ طَلْفًا مُشْرِقًا مَتَضَاحِكًا بِمَسَامِيرِ النُّوَارِ
أَمْدُ كَرِي دَارِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى حَيْثُ الشَّبَابُ بِرُوقِ حُسْنِ ^(٢) نَضَارِ
عَاطِلَتِنِي عَنْهَا الْعَدْبُ كَأَنَّمَا عَاطِلَتْنِي مِنْهَا كُتُوسَ عَقَارِ
إِيهِ وَإِنْ أَذْكَتْ نَارَ صَبَابَتِي وَقَدَحْتَ زَنْدَ الشُّوقِ بِالتَّذْكَارِ
يَا زَاجِرَ الْأَطْلَعَانِ وَهِيَ مَشُوقَةٌ أَشْبَهَهَا فِي زَفَرَةٍ وَأَوَارِ
حَسَنَتْ إِلَى تَجْدِيدٍ وَلَيْسَتْ دَارَهَا وَصَبَتْ إِلَى هِنْدِيَّةٍ وَالْقَارِ
لَسَكِنَهَا شَامَتْ بِهِ بَرْقُ الْحَمَى وَاعْتَادَهَا طَلِيفُ الْكَرَى بِمَزَارِ ^(٣)
هَلْ تُبَلِّغُ الْحَاجَاتِ إِنْ حُمِلَتْهَا إِنَّ الْوَفَاءَ سَجِيَّةُ الْأَحْرَارِ
عَرَضَ بِذِكْرِي فِي الْخِيَامِ وَقُلْ إِذَا جِئْتَ الْعَفِيقَ مُبْلَغَ الْأَوْطَارِ
[عَارِ] بِقَوْمِكَ يَا بَنَةَ الْحَيَّيْنِ أَنْ تُلَوَّى التَّدْبُونَ وَأَنْتِ ذَاتُ يَسَارِ
أَمْنَعْتُ مَيْسُورَ الْكَلَامِ أَخَا الْهَوَى وَبَحَلْتُ حَقِّي بِالْخِيَالِ السَّارِ ؟
وَأَبَانَ جَارِي الدَّمْعِ عُذْرَ هَيْسَامِهِ لَكِنْ أَصْنَعْتُ حُقُوقَ ^(٤) ذَلِكَ الْجَارِ
هَذَا وَقَوْمُكَ — مَا عَلِمْتُ خِلَافَهُمْ — أَوْفَى السَّكْرَامِ بِذِمَّتِهِ وَجِوَارِ

(١) في م : « موق » .

(٢) في م ونسخ الطيب : « يرف عمن » .

(٣) في نسخ الطيب والإحاطة :

شافت به برق الحمى واعتادها طيف الكرى بمزارها للزوار

(٤) في نسخ الطيب : « لكن أصنعت له حقوق الحار » .

الله في نفس شامع كلما
بالله يا لَمِيَاء ما مَنَعَ الصَّبَا
يا بِنْتَ مَنْ تَشْدُو الحُدَاةَ بِذِكْرِهِ
سَامِرَ نَسَمَةٍ حَاجِرٍ لَوْ أَنَهَا
هَلْ بَانَتْ مِنْ بَعْدِنَا مُتَأَوِّدٌ
وَهَلِ الطَّبَاةُ الْآنِسَاتُ كَعَهْدِهَا^(١)
يَفْتِكُنْ مِنْ قَامَاتِهَا وَلِحَاطِهَا
أَشْعَرْتُ قَلْبِي حُبَّيْنِ صَبَابَةٍ
وَعَلَى الكَثِيبِ سَوَاحِجُ حُمْرِ الْحَلَى
أَذِنَ الْحَبِيبُ سَرَازَهُنَّ ثَلَاثَةً
لَكِنْ يَوْمَ النِّفَرِ جُذِنَ لَنَا بِمَا
كَانَ الْأَلَى قَدْ أَحْرَزُوا فَضْلَ^(٢) الْعَلَا
وَتَنُوبُ عَنْ صَوْبِ الْعَالَمِ أَكْثُهُمْ
مِنْ آلِ سَعْدٍ^(٣) رَافِعِي عِلْمِ الْهَدَى
أَصْبَحَتْ وَارِثَ تَجْدِيدِهِمْ وَفَخَارِهِمْ
وَجْهٌ كَمَا حَسَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ
جَزَدَتْ دُونَ الَّذِينَ عَزَمَتْ أَرْوَعُ

هَبَّ النَّسِيمُ تَطْيِيرُ كُلِّ مَطَارٍ
أَلَا تَهَبُ بِعَرَفِكَ الْقَطَارِ
مُتَعَلِّينَ بِهِ عَلَى الْأَكْثَارِ
أَهْدَتْ لَنَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ^[٣٠٠]
مُتَجَابِرُ مَرْزَمٍ الْأَطْيَارِ
يَصْرَعْنَ أَسَدَ الْغَابِ وَنَحْنُ صَوَارِي
بِالْمُشْرِقَةِ وَالْقَنَا الْخَطَارِ
فَرَمَيْتَنِي مِنْ لَوْعَتِي بِحِمَارِ
بَيْضِ الْوُجُوهِ يَصِدْنَ بِالْأَفْكَارِ
بِسَنَى لَوْ أَنَّ مَنِي دِيَارُ^(٤) قَرَارِ
عَوَّدَتْنَا مِنْ جَفْوَةٍ وَنَقَارِ
وَسَمَوَا بِطَيْبِ أَرْوَمَةٍ وَنِجَارِ^(٥)
وَتَنُوبُ أَوْجُهُهُمْ عَنِ الْأَقْمَارِ
الْمُصْطَفَيْنَ لِلنُّصْرَةِ الْمُخْتَارِ
وَمُشْرِفَ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ
وَيَدُ تَيْدٍ أَنْامِلًا بِبِحَارِ
جَدَدَتْ مِنْهَا سُنَّةُ الْأَنْصَارِ

(١) في م ونجح الطيب : « كعهدنا » .

(٢) كذا في م ونجح الطيب . وفي ط : « ديار » .

(٣) في فتح الطب : « خصل » .

(٤) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « وغار » .

(٥) يريد سعد بن عبادَةَ سيد الخزرج ، من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

حُطَّتِ الْبِلَادُ وَمِنْ حَوْنِهِ تُغَوِّرُهَا وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِيًا لِلْدِمَارِ
 فَعَرَّ رَحْلُكَ^(١) الَّتِي نَلْنَا بِهَا أَجَرَ الْجِهَادِ وَزُرْهَةً الْأَبْصَارِ
 أَوْزَدْنَا فِيهَا لِيُجَوِّدَكَ مَوْزِدًا مُسْتَعْدَبَ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ
 وَأَقْصَتْ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا حَسَدَتْ مَوَاقِعَهَا عَلَى الْفَكْرَارِ
 أَضْحَكْتَ تَغَرَّ التَّغَرُّ لَمَّا جِئْتَهُ وَخَصَصْتَهُ بِمُخَصَّصِ الْإِيثَارِ
 حَتَّى الْفَسْلَاءَةِ تُقِيمُ يَوْمَ وَرْدِهَا سُنَنَ الْقِرَى بِتَلَاوُ^(٢) الْأَنْوَارِ
 وَسَرَتْ عُنَابُ الْجَوْ تُهْدِيكَ الَّذِي تَصْطَادُ مِنْ وَخْشٍ وَمِنْ أَطْيَارِ
 وَالْأَرْضُ نَعْلَمُ أَنَّكَ الْغَوْثُ الَّذِي تُضْفِي عَلَيْهَا وَاقِي^(٣) الْأَسْتَارِ
 وَلَرُبُّ مُمْتَدِّ الْأَبَاطِحِ مُوَحِّسٍ عَلَى الرُّبَا مُنْبَاعِدِ الْأَفْطَارِ
 تَحْمِلُ السَّارِحَ لَا يُرَاعُ قَنِيصُهُ إِلَّا لِنَبَاهِ فَارِسٍ مِنْ مِزْوَارِ
 مَرَحَتْ عِنَانُ الرَّجَحِ فِيهِ وَرَبَّنَا أَقْنَتْ بِسَاحَتِهِ عَصَا التَّشْيَارِ
 بَاكَرْنَهُ وَالْأَفُقُ قَدْ خَلَعَ الدُّجَى مِسْحًا لِيَلْبَسَ خِلْعَةً^(٤) الْإِسْتَارِ
 وَجَرَى بِرِ نَهْرُ النَّهَارِ كَمَثَلِ مَا سَكَبَ النَّدِيمُ سُلَافَةً مِنْ قَارِ^(٥)
 عَرَضَتْ بِرِ السُّتَنْفَرَاتُ كَأَنَّهَا خَبِلُ عِرَابٍ جُلُنَ^(٦) فِي مِضَارِ
 أَنْبَعَتْهَا غُرَرُ الْجِيَادِ كَوَاكِبِ تَنْقَضُ رُجْمًا فِي سَمَاءِ عُبَارِ
 وَالْمَادَابَاتُ يَوْمُهَا عَيْلُ الشَّوَى مُتَدَفِّقٌ كَتَدَفَّقِي النَّبَارِ
 أَرْجَبَتْهَا شَفَرَاءُ رَائِقَةِ الْحِلَى فَرَمَبْتَهُ مِنْهَا بِشُعْلَةٍ نَارِ

[٢٠١]

(١) كَذَا فِي نَهجِ الطَّيِّبِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « رَحْلُكَ » .

(٢) كَذَا فِي الْإِحَامَةِ : وَالَّذِي فِي الْأَسْلِينَ : « تَلَاوَةُ » .

(٣) فِي نَهجِ الطَّيِّبِ الْمَطْبُوعِ : « وَاقٍ » .

(٤) فِي مِ وَنَهجِ الطَّيِّبِ : « حَلَّة » .

(٥) كَذَا فِي مِ وَنَهجِ الطَّيِّبِ ، وَفِي طِ : « نَارِ » .

(٦) فِي مِ : « خَلَسَ » .

أُنْبَتَ فِيهِ الرُّمَحُ نَمَّ تَرَكْتَهُ خَضِبَ الْجَوَارِحُ بِالْدَّمِ السَّوَارِ
حَامَتْ عَلَيْهِ الذَّابِلَاتُ كَانَهَا طَلِيْرٌ أَوْتٌ مِنْهُ إِلَى أَوْكَارِ
طَفِقَتْ أَرَابِيسُهُ غَدَاةً أَثَرَتْهَا^(١) تَبَغَّى الْغِرَارَ وَلَاتَ رَحِينَ فِرَارِ
هَلْ يَنْفَعُ الْبَتَّاعُ الطَّوِيلُ وَقَدْ غَدَتْ يَوْمَ الطَّرَادِ قَصِيْرَةٌ الْأَعْمَارِ
مِنْ كُلِّ مُنْجَفِرٍ يَلْمَعُهُ بَارِقِ فَاتَتْ خُطَاهُ مَذَارِكَ الْأَبْصَارِ
[وَجَوَارِحُ سَبَقَتْ إِلَيْهِ طَلَابَهَا فَكَانَمَا طَالِبَتُهُ بِالنَّارِ
سُودٌ وَبَيْضٌ فِي الطَّرَادِ تَقَابَعَتْ كَاللَّيْلِ طَارِدَةٌ بَيَاضُ نَهَارِ]^(٢)
تَرْمِي سَهَا وَحَى الْخَنَائِمَا ضَمَرَا مِثْلَ السَّهَامِ تَرْغَنَ عَنْ أَوْتَارِ
كَلَّتْ نَانَ تَنْجُو سَهَا^(٣) كَلَّا وَلَوْ أَغْرَيْتَهُ بِأَرَابِيسِ الْأَقْتَارِ
وَبِكُلِّ فَتْنَاهُ الْخَنَاحِ إِذَا ارْتَمَتْ فَكَانَهَا نَجْمُ السَّمَاءِ السَّارِ
زَجَلُ الْخَنَاحِ مُصَفَّقٌ كَمَنْ الرَّدَى فِي مَحَلٍّ مِنْهُ وَفِي مَنَاقِرِ
أَجَلَى الطَّرِيدِ مِنَ الْوُحُوشِ وَإِنْ رَمَى طَلِيْرًا أَمَّاكَ يَوْمَ عَلَى مِقْدَارِ
وَأَرَبْتَنَا الْكَسْبَ الَّذِي أَعْدَادُهُ مَلَأَتْ حَمَالًا أَعْيَنَ النُّظَارِ
بَيْضٌ وَصُفْرٌ خِلْتُ مَطْرَحَ سَرَحِهَا رَوْضًا تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ
مِنْ كُلِّ مَوْثِيٍّ الْأَدِيمِ مُقَوِّفٍ رَقَعَتْ بِدَائِمِهِ يَدُ الْأَقْدَارِ
خِلَطَ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ فِي لَوْنِهِ فَفَرَى اللَّجَيْنِ يَشُوبُ ذَوْبُ نَصَارِ
أَوْ أَشْمَلِ زَاقِ الْعَيُّونَ كَانَهُ غَلَسَ يُخَالِطُ سُدُفَةً بِنَهَارِ

(١) كذا في فتح الطيب . والى في الأصل : « تركتها » .

(٢) الجواز من فتح الطيب .

(٣) كذا في الأصلين . وفي فتح الطيب : « بنحو لها » والصواب في البيت خفية الدلالة .

(٤) في الأصل : « الطريق » . وما أتينا من فتح الطيب .

مَرَحَتْ بِمُخَضَّرِ الْجَوَانِبِ يَارْنِعِ تَنَسَّابُ فِيهِ أَرَاقُهُمُ الْأَنْهَارُ
 قَدْ أَرْضَعْتُهُ السَّارِيَاتُ لِبَانَهَا وَحَلَّانَ فِيهِ أَرْوَةُ النُّوَارِ
 أَخَذَتْ سَمُودَكَ حِذْرَهَا فَلِحِكْمَةٍ أَغْرَتَ جُفُونَ الزَّمَنِ بِاسْتِغْبَارِ
 لَمَّا أَرْتَكِ^(١) الشَّمْسُ صُفْرَةَ حَاسِدٍ لِجَبِيْبِكَ الْمُتَالِقِ الْأَنْوَارِ
 تَفَتَّتْ عَلَيْكَ الشَّجْبُ نَفْثَ مَعْوِذٍ^(٢) مِنْ عَيْنِهَا الْمُتَوَقِّعِ الْأَضْرَارِ
 فَارْفَعِ لَوَاءَ الْمُخْرِ غَيْرَ مُدَافِعِ وَاشْحَبْ ذُبُولَ الْعَسْكَرِ الْجَرَارِ
 وَأَهْنَأْ مُقَدِّمَكَ السَّعِيدِ مُحْوَلًا مَا شِئْتَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ أَنْسَارِ
 قَدْ جِئْتَ دَارَكَ مُحْسِنًا وَمُؤَمِّلًا مُتَمَتِّعًا بِالْخُسْنَى وَعُقْبَى الدَّارِ
 وَإِلَيْكُمَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِي نَفْحَةٌ شَفَّ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الْأَزْهَارِ

[٣٠٢]

ثم قال : ومن ذلك ما أنشده ، رضى الله تعالى عنه ، فى رحلة ركاب المجاهد
 إلى المرية ناهصر الضادحى فى حدود عشر سنين وسبع مئة :

حَمُولٌ تَحِنُّ لِلْأُطْلَالِ وَيَشَوْفُهَا ذِكْرُ الزَّمَانِ الْخَالِي
 يَبْنِي أَرْمَةً هِيمَهَا شَوْقٌ إِلَى ظِلِّ الْأَرَاكِ وَأَزْرَقِ سَلْسَلِ
 ذَكَرَتْ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ كَهَمْدِهَا وَالزَّمْعُ مِنْهَا أَخْضَرُ السَّرْبَالِ
 وَالِدَارُ حَالِيَّةُ الْعَاطِفِ وَالرَّيَا وَمَرَادُهَا بِالرَّوْضَةِ الْمِخْضَالِ
 أَيْبَانٌ مَا لَعِبَتْ بِهَا أَيْدَى النَّوَى وَتَرَاهَنْتُ فِي الْحَلِّ وَالْتِرْحَالِ^(٣)

(١) فى الأصل : « رأيتك » . والتصويب عن مع الطيب .

(٢) فى نفع الطيب : « نفثة معوذ » .

(٣) كذا فى م . وفى ط :

« أَيْبَانٌ مَا لَعِبَتْ بِهَا أَيْدَى النَّوَى ذهب الغرام بحيلة المختال » .

وَجَرَتْ بِسَدِّهَا^(١) الْعُدَّةَ كَأَنَّهَا
دَعْنَى أَطَارِحِهَا الْحَيْنِ فَإِنِّي
وَهِيَ الْمَنَازِلُ أَتَيْتُ مُسَكَّنَاتِهَا
كَلَيْتُ مَحَاسِنُهَا وَخَفَّ أَزِيدُهَا
وَلَقَدْ أَقُولُ وَمَا يَعْنُفُ ذُو الْهَوَى
أَحْسَنَى تَذَوُّبُ صَبَابَةٍ وَمَذَامِعُ
وَوَرَاءَ مُطْلَعِ الْخُدُورِ جَاذِرُ
يَا سَاكِنِي تَجِدُ وَمَا نَجِدُ سَوَى
مَا لِلظُّبَّاءِ الْآنَسَاتِ بِرَبِّعِكُمْ
أَوْ لِلرِّيحِ تَهْبُ وَهِيَ تَلْبِلَةُ
هِيَ رَشِيمَةُ عُدْرِيَّةٍ عَوْدَتُهَا
بَا يَنْتَ مِنْ عَمْرِ الْعَمَاءِ نَوَالُهَا
فَلَسَكُمْ بَعَثَتْ مَعَ النَّسِيمِ تَحِيَّتِي
بِأَفْعٍ يَا رَيْحَ الْمَعَامِي جَرَّيْ
وَإِذَا مَرَرْتُ عَلَى السَّكَنِيِّ بِرَأْمَةٍ^(٢)
فِيهَا التَّعَاهِدُ قَدْ طَلَعْنَ بِأَقْمَتِهَا

قَطَعَ السَّفَائِنِ خَضْنَ بَحْرَ لِيَالِ
لَا أَنَّنِي^(٣) لِمَفَالَةِ الْعُدَالِ
أَتَمَّازَهَا تُقْضَى إِلَى الْآجَالِ
وَالشَّوْقُ وَالتَّذْكَارُ لَيْسَ بِبَالِي
ذَهَبَ الْغَرَامُ بِحِيلَةٍ الْمُحْتَالِ
تُعْرِى جُفُونُ الْعُزْنِ بِاسْتِهْلَالِ
تُجَلِّي ثَمَرًا فِي غَمَامٍ حَبَالِ
بَادِي^(٤) الْهَوَى وَخُجْمِ الْآمَالِ
عُطْلًا وَهْنٌ مِنَ الْجَنَالِ خَوَالِي
فَتَهَيَّجُ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ بَلْبَالِي
قَلْبًا شَعَاعًا^(٥) مَا بَرَسِي بِالسَّالِي
هَلَّا تَمَحَّجَتْ^(٦) وَلَوْ بِطَلْفِ خَيَالِي
عَوْدَتْ سَارِي الْبَرَقِ مِنْ أَرْسَالِي
فَوْقَ الْخَرَامِي عَاطِرِ الْأَذْيَالِ
صَافِحُ مُحَيَّا الرُّوضَةِ الْمُخْصَالِ
زَمًا وَلَمْ أَجْنَحْ لَوْفَتِ زَوَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « بسدة » .

(٢) في ط : « لك أنفي » .

(٣) في م : « دار » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « شغلا » .

(٥) في ط : « صممت » .

(٦) كذا في م . وروية : موضع بالعقبن ، أو وراء القربين في طريق البصرة إلى

مكة . (انظر معجم ما استعجم للبكري) . وفي ط : « زابة » .

[٣٠٣]

أَمَدَ كَرَى عَهْدَ الشَّبَبَةِ جَادَهُ صَوَّبُ الْعِيَادِ بَوَا كَيْفَ هَطَّالٍ
 عَاطِلَتْنِي عَنْهُ الْعَدِيثَ كَانَا عَاطِلَتْنِي مِنْهُ أَهْنَةً (١) الْحِرْيَالِ
 هَذَا عَلَى أُنَى نَزَعْتُ عَنِ الصَّبَا وَصَرَمْتُ مِنْ حُبِّ الْحَسَنِ حِبَالِي (٢)
 حَسَنِي وَقَارًا فِي النَّدَى إِذَا احْتَبَى وَتَجَاوَلُوا فِي الْفَخْرِ كُلُّ بَحَالِ
 أَنَّى أَلُوذُ بِدَوَائِمِ نَصْرِي حَلَلْتُ بِحَاسِنِهَا بِكُلِّ كَمَالِ
 حَيْثُ الْوُجُوهُ صَبِيحَةُ الْمَكْرُمَا تُ صَرِيحَتُهُ وَالْعِزُّ غَيْرُ مُزَالِ (٣)
 حَيْثُ الْمَكَارِمُ سَنَهَا أَعْلَامُهَا مِنْ كُلِّ فَيَاضِ النَّدَى مِفْضَالِ
 بِيضُ الْأَيْدِي وَالْوُجُوهُ أَعَزَّةُ قَدْ شَيَّدُوا الْعَلِيَا بِسُورِ عَوَالِي
 هُمْ آلُ نَصْرٍ نَاصَرُوا دِينَ الْهَدَى وَالْمُضْطَمَّوْنَ لِيَخْبِرَةَ الْأَرْسَالِ
 مَا شَنَّتْ مِنْ تَجَدُّ قَدِيمِ شَادَهُ أَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ أَشْرَفِ الْأَقْيَالِ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَعَزُّ مُحَجَّلُ يَلْقَى الْعَظَامِمَ وَهُوَ غَيْرُ مُبَالِي
 مُتَبَسِّمٌ وَالْيَوْمُ أَكْلَعُ عَابِسُ وَالْعَرَبُ تَدْعُو بِالْكُمَاةِ نَزَالِ
 قَدْ عَوَّدَا النَّصْرَ الْعَزِيزَ وَخَوَّلُوا مَتْنَحَ الْمَيِّينَ بِمُلْتَقَى الْأَبْطَالِ
 بِذُلِّ الْهَدَى (٤) الْهَيْجَا كَرَامَتِمْ أَنْفُسِ قَدْ أَرْخِصَتْ فِي اللَّهِ وَهِيَ غَوَالِي
 يَأْتِيهَا التَّلَكُ الْهُمَامُ الْمُجْتَبَى وَمُنْيِلَ دِينَ اللَّهِ خَيْرَ مَنَالِ
 أَصْبَحْتَ وَارِثَ مَجْدِهِمْ وَقَحَارِهِمْ وَسُفَرَفَ الْأَمْصَارِ وَالْأَبْطَالِ
 وَطَلَعَتْ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ نَيْزًا تَجْلُو ظِلَامَ الظُّلَمِ وَالْإِضْلَالِ

(١) في ط : « اجدا » .

(٢) كذا في . م وفي ط : « وصرعت من حب الحسان حبال » وفيه تحريف ظاهر .

(٣) في ط : « والعذر غير نوال » .

(٤) في ط : « الدما » . والتصويب عن م .

فُتتَ الملوكَ جلالَةً وبِسالَةً وشَأَوَتَهُمْ^(١) في الحِلْمِ والإِجْمالِ
أَعَدْتَ محاسنَكُ المحاسنَ كُلَّهَا فَجَمَّالُهَا يُرْزَى بِكُلِّ جَمَالِ
فَالشَّمْسُ نَأْخُذُ عَنْ جَبِينِكَ نَوْرَهَا وَالرَّيْحُ تَحْمِلُ عَنْ ثَنَائِكَ طَيْبَهَا
وَالْقَيْثُ إِلَّا مِنْ نَدَاكَ مَبْخَلُ فَالْقَيْثُ يُقْلِعُ وَالنَّدَى مُتَوَالِي
تُعْطِي الَّذِي لَا فَوْقَهُ لِمَوْئِلِ وَتَجُودُ بِالْإِحْسَانِ قَبْلَ سُؤَالِ
طَاوَلْتَ عُلُوقِي النُّجُومِ بِهَيْمَةٍ لَا فَاقِدًا عِزًّا وَلَا مِكْسَالًا^(٢)
وَبَلَّغْتَ مِنْ رُتَبِ السَّعَادَةِ مَبْلَغًا أَبْعَدْتَ فِيهِ مُرْتَدَكَ الْعَالِي^(٣)
وَقِيَّاسُ سَعْدِكَ فِي مَرَامِكَ كُلِّهِ يَفْضِي مُقَدَّمُهُ بِبِدْقِ التَّكْلِ
لِمَنْ الْحِيَاذُ الصَّافِنَاتُ كَأَنَّهَا فِي الْوَرْدِ أَشْرَابُ الْفَعَالِ الْأَرْسَالِ
مِنْ كُلِّ مَلُومٍ الْقُوَى عِبِلُ الشَّوَى مُرَخَّى الْعِنَانِ يُحْفَرُ^(٤) جَوَالِ
لِمَنْ الْقِيَابُ الْحُمْرُ تُشْرَعُ لِلنَّدَى فَتَفِيضُ لِلْعَافِينَ فَيَفُضَ سَجَالِ
لِمَنْ الْخِيَامُ الْبَيْضُ تَحْسِبُ أَنَّهَا زُهْرُ الْكَوَاكِبِ أَطْلَعَتْ بِحِلَالِ^(٥)
مُنْدَاخَةُ الْأَرْجَاءِ عَائِيَةُ الدَّرَى فَكَأَنَّهَا فِي الْوَهْدِ شُمُ جِبَالِ
هُوَ مَظْهَرُ الْمُلْكِ التَّلَى وَمَطْلَعُ النُّورِ الْجَسَلَى بِمَرْقَبِ مُتَعَالِي
آكَارُ مَوْلَانَا الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ بِدْرِ الْمُدَى لَا زَالَ حِلْفَ كَمَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « ورأسهم » .

(٢) المِكْسَالُ (كما في كتب اللغة) : من صفات الإثبات . والوجه في مكسأل العصب .
ولسكنه عدل عنه للناحية . وقد وقع فيه هذا في غير موضع من القصيدة .

(٣) كذا في م . وفي ط : « مرتقى العالي » .

(٤) في ط : « محض » .

(٥) في ط : « بجلال » .

فَهْ وَجِئْتُكَ الْيَّيْ نِلْنَا بِهَا أَجَرَ الْجِهَادِ وَبُغْيَةَ الْأَمَالِ
 مَا شِئْتَ مِنْ حُسْنِ يَفُوقُ كَالَهُ وَبَرُوقُ مَنَظَرُهُ الْجَبِلُ الْخَالِ
 كَمْ مِنْ عَجَائِبَ جَمَّةٍ أَظْهَرَتْهَا مَا كَانَ يَحْطَرُ وَصْفُهُنَّ بِيَالِ
 أُمْتُ وَفُودُ النَّاسِ مِنْكَ مُمْلَكًا قَدْ خُصَّ بِالْتَعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ
 حَاهُوا مَوَاقِبَتِ الْإِتِّاءِ كَأَنَّهُمْ وَفَدُ الْحَجِيجِ رَامَةِ وَالْأَلِ^(١)
 اللَّهُ عَيْنًا مَنْ رَأَى مَلِكَ الْعَلَا حَفَّ الْوَفَارُ جَمَالَهُ بِجَلَالِ
 فِي مَوَكِبِ لَيْسُوا الْخُلُوصَ شِعَارَهُ وَتَمِيرُوا مِنْهُ بَرَى جَمَالِ
 بَلَّغُوا بِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ وَكَأَنَّهُمْ أَرْضَاهُمْ إِحْسَانُكَ الْمُتَوَالِ
 بَهْنِي الْعَرِيَّةَ نِعْمَةً سَوَّغَتْهَا جَدَتْ بِهَا الْإِيَّامُ بَعْدَ مِطَالِ
 قَدَمْتَ وَادِيَهَا وَزُرْتَ خِلَالَهَا فَلَهَا التَّخَارُ بِهَا عَلَى الْأَصَالِ^(٢)
 وَكَسَوْنَهَا بَرْدَ الشَّبَابِ مَقُوفًا وَشَفَبْتَ مَا تَشْكُو مِنَ الْأَوْجَالِ
 مَوَلَايَ لَا أُخْصِي ثَنَاءَكَ إِنَّهُ أَرَى عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ
 أَعْلَيْتَ فِي أَفْقِ الْعِنَابِ مَغْهَرِي وَخَصَصْتَهُ بِعَوَارِفِ الْإِفْضَالِ
 ظَفِيرَتِ يَدَايَ بِكُلِّ مَا أَمْلَيْتُهُ فِي النَّفْسِ أَوْ فِي النَّجَاهِ أَوْ فِي الْمَالِ
 لَمْ تَبْقِ لِي أَمَلًا وَمَا بُلْفَتُهُ بُلْفَتَ مَا تَرْجُو مِنَ الْأَمَالِ

نعم قال بعد ذكر بعض العبيدات : ومن ذلك :

بُشْرَى كَمَا وَضَعَ الصَّبَاحُ وَأَجْمَلُ يُعْشَى سَنَاها كُلِّ مَنْ يَتَأَمَّلُ^(٣)

(١) رامة : تطلق على أكثر من مكان . (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٠٨ من هذا

الجزء) . والأل : جبل برفات .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الأمان » .

(٣) في نسخ الطيب : « بهنال » .

أَبْدَى لَهَا^(١) وَجْهَ النَّهَارِ خَلَافَةً
وَمَنَايِرُ الْإِسْلَامِ يَا مَلِكَ الْوَرَى^(٢)
تَجَلُّوْنَا الْأَكْوَانُ مِنْكَ مَحَاسِنَا
فَالشَّمْسُ تَأْخُذُ مِنْ جَبِينِكَ نُورَهَا
وَالرُّؤُوسُ يَنْفُخُ عَنْ ثَنَائِكَ طِيبُهُ
وَالْبَرْقُ سَيْفٌ مِنْ سَيْهِ فَكَ مُنْتَقِصِي
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَوْصَافُهُ
اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا
وَجْهٌ كَمَا حَسَرَ^(٣) الصَّبَاحُ نِقَابَهُ
تَلْقَاهُ فِي يَوْمِ السَّمَاحَةِ وَالْوَعَى
كَفَّ أَبْتَ الْأَتَكُفَّ عَنِ النَّدَى
وَشَعَائِلُ كَالرُّؤُوسِ يَا كَرُّهُ الْحَيَا
خُلُقُ ابْنِ نَصْرِ فِي الْجَمَالِ كَخَلْفِهِ
نُورٌ عَلَى نُورٍ بِأَسَى مِنْظَرٍ
فَاقَ الْمُلُوكَ بِسَيْفِهِ وَبِسَبِيهِ
وَإِذَا تَطَاوَلَ لِلْفَخَارِ^(٤) عَمِيدُهُمْ

وَأَفْتَرَ مِنْ تَغْرِ الْأَفَاحِ مُقَبِّلُ
بِحُلَاكَ أُنْجِلِيهَا تَسْكُمِلُ
تُرْوَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتَنْقَلُ
وَالْبِشْرُ مِنْكَ بِوَجْهِهَا يَنْهَلُ
وَالْوَرَقُ فِيهِ بِالْمَدَاحِ تَهْدِلُ
وَالشُّعْبُ يَهْمِي مِنْ يَدَيْكَ وَتَهْمِلُ
دُرٌّ عَلَى جِيدِ الزَّمَانِ مُفْصَلُ
وَحَبَابُكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُحْمَلُ
لِضْيَانِهِ تَعْشُو الْبُدُورُ السَّكْمَلُ
وَالْبِشْرُ فِي وَجَنَانِهِ^(٥) يَنْهَلُ
أَبْدًا فَإِنْ ضَنَّ الْعَيَا تَسْغَرِمِلُ
وَسَرَتْ بَرِّيَاهُ الصَّبَا وَالشَّمَالُ
مَا بَعْدَهَا مِنْ غَايَةِ تُسْتَكْمَلُ
فِي حُسْنِهِ لِمُؤَمِّلٍ مَا يَأْمَلُ
فَيَعْدِلُهُ وَبِفَضْلِهِ يَتَمَثَّلُ
فَلَهُ عَلَيْهِ تَطَاوُلُ وَتَقَاوُلُ

[٣٠٠]

(١) كذا في م . وفي ط : « لنا » .

(٢) في نصح الطيب طبعة الأهررية : « العلا » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « حسن » . وقد مر هذا التنبيه في قصيدته الراهبة حيث يقول :

وجه كما حسر الصباح ، فإيه ويد تمدد أمعلا يبحار

(٤) في نصح الطيب : « حباته » .

(٥) كذا في م ونصح الطيب . وفي ط : « لعميد » .

يَا آيَةَ اللَّهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا يَهْدِي بِهَا قَصْدَ الرِّشَادِ الضَّلَّلُ
 قُلْ لِلَّذِي تَبَسَّتَ مَعَالَمُ رُشْدِهِ هَيَّاتَ قَدْ وَصَحَ الطَّرِيقَ الْأَمَثَلُ
 قَدْ نَاصَحَ الْإِسْلَامَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ وَحَمَى عَرِينَ الشُّكِّ أَغْلَبُ مُشْبِلُ ^(١)
 فَلَقَدْ ظَهَرَتْ مِنَ السَّكَالِ بِمُسْتَوَى مَا بَعْدَهُ لِدَوَى الْخِلَافَةِ تَأَمَّلُ
 وَعِنَابُهُ اللَّهُ أَشْتَمَلَتْ رِذَاءُهَا وَعَلِفَتْ مِنْهَا عُرْوَةُ لَا تَفْصَلُ
 فَالْجُودُ إِلَّا مِنْ يَدَيْكَ مُقَرَّرُ وَالْفَيْثُ إِلَّا مِنْ نَدَاكَ مُبْجَلُ
 وَالْعَمْرُ إِلَّا تَحْتَ ظِلِّكَ ضَامِعُ وَالْعَيْشُ إِلَّا فِي جَنَابِكَ مُنْجِلُ
 حَيْثُ الْجِهَادُ قَدْ اعْتَلَتْ رَايَانُهُ حَيْثُ الْمَغَاسِمُ لِلْمَغَاةِ تُنْقَلُ
 حَيْثُ الْقِيَابُ الْعُمْرُ تُرْفَعُ لِلْفَرَى قَدْ قَامَ ^(٢) فِي أَرْجَائِهِمُ الْمُنْدَلُ ^(٣)
 يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا عَزَّ الْحَقُّ بِهِ وَكَذَلِكَ الْمُبْطَلُ
 قُلْ لِلَّذِي نَاوَاكَ يَرْقُبُ يَوْمَهُ ^(٤) قَوَرَاءَهُ مَلِكٌ يَقُولُ وَيَقْعَلُ
 وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِنِّ أَهْمَلْتُ أَحْكَامَهُ مُسْتَدْرِجًا لَا تُهَيِّلُ
 يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ فَرِيضَةُ أَشَدُّ الْعِدَا ^(٥) مِنْ حَوْلِهَا تَنْسَلُّ
 يَا فَخْرَ أُنْدَلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا لَكَ فِيهِمُ النُّعْمَى الَّتِي لَا تُجْهَلُ
 لَا يُهَيِّلُ اللَّهُ الَّذِينَ رَعَيْنَتْهُمْ فَلَانَتْ أَكْفَى وَالْعِنَايَةُ أَكْمَلُ
 لَا يَبْعُدُ النَّصْرُ الْعَزِيزُ فَإِنَّهُ آوَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ نِعَمٌ لِلْوَيْلِ
 لَوْلَا نَدَاكَ لَهَا لَمَّا نَفَعَ النَّدَى وَلَجَجْتَ مِنْ وَرْدِ الصَّنَاعِ مِنْهَلُ

[٣٠٦]

(١) في ط : « مشل » . وفي نفع الطيب : « أشمل » . والنصوب عن م .

(٢) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « عام » .

(٣) المندل : العود .

(٤) في نفع الطيب المطبوع : « يدفع نومه » . وفي المخطوط : « يرفع رأسه » .

(٥) في نفع الطيب : « الغلا » .

لَوْلَاكَ كَانَ الدِّينُ ^(١) يَغْمَطُ حَقَّهُ
لَكِنْ جَنَّبْتَ الْقَتْعَ مِنْ شَجَرِ الْفَنَاءِ
فَالطَّلَا ^(٢) اسْتَفْتَحَتْ كُلُّ مُنْمَعٍ
وَمَتَّى تَرَكْتَ بِمَقِيلٍ مُتَأَسِّبٍ
وَإِذَا غَزَوْتَ فَإِنَّ سَدَّكَ ضَامِنٌ
فَإِنَّ السُّعُودَ أَمَامَ جَبْشِكَ مَوْكِبٌ
وَكَيْبِيَّةٌ أُرْدَفَتْهَا بِكَتَيْبَةٍ
مِنْ كُلِّ مَنْحَفٍ كَلْمَحَةٍ بَارِقٍ
أَوْفَى بِهَادٍ كَالظَّلِيمِ وَخَلْفَهُ
حَتَّى إِذَا مَلَكَ السَّكْمَى عِنَانَهُ
سَحَلَتْ أَسُودَ كَرِيهَةٍ يَوْمَ الْوَعَى
لَيْسُوا الذَّرُوعَ عَدَاوَةً مَصْقُولَةً
مِنْ كُلِّ مُغْتَدِلٍ الْفَوَامِ مُتَقَفٍ
أَذْكَبَتْ فِيهِ شُعْلَةٌ مِنْ نَصْلِهِ
وَكُرُبٌ لَمَاعِ الصَّقَالِ ^(٣) مُشْهَرٍ
رَقَّتْ مَضَارِبُهُ وَرَاقَ فِرْنَدُهُ
فَإِذَا الْحُرُوبُ تَسَعَّرَتْ أَجْزَالُهَا

وَلَكِنْ دِينَ النَّصْرِ فِيهِ يُغْطَلُ
وَجَنَى الْفُنُوحِ لِمَنْ عَدَاكَ مُعْلَلٌ ^(٤)
مِنْ دُونِهِ بَابُ الْمَطَامِعِ مُقْفَلٌ
فَالْمُضْمُ مِنْ شَعْمَاتِهِ ^(٥) تُسْتَنْزَلُ
أَلَا تَخِيبُ وَأَنْ قَضَاكَ بِكُلِّ
وَمِنْ الْمَلَالِكِ دُونَ جُنْدِكَ جَحْمَلٌ
وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي الْحَدِيدِ وَرَرُلٌ ^(٦)
بِالتَّبَدُّرِ يُسْرَجُ وَالْأَهْلَةُ بُنْمَلٌ
كَفَلٌ كَمَا مَاجَ الْكَتِيبُ الْأَهْلِيلُ
يَهْوَى كَمَا يَهْوَى بَحْرٌ أَجْدَلُ
مَا غَابَهَا إِلَّا الْوَشِيحُ الذُّبُلُ
وَالسُّمُرُ قُضِبٌ فَوْقَهَا تَهْدَلُ
لَكِنَّهُ دُونَ الضَّرْبِ بِغَيْرِ بَعِيلٍ
يُهْدَى بِهَا إِنْ صَلَ عَقَهُ الْمَقْتَلُ
مَاضٍ وَلَكِنْ رَفَعَهُ مُسْتَقْبَلُ
فَالْحُسْنُ فِيهِ مُجْمَلٌ وَمُقْصَلُ
يَنْسَابُ فِي يَمْنَاكَ مِثْلُهُ جَدُولُ

(١) كذا في نفع الطيب المخطوط والطبوع . وفي ط : « الطير » . وفي م : « الطين » .

(٢) في نفع الطيب : « مؤمل » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « ولقيل ما » .

(٤) الصفات : ر. وس الحبال : الواحدة : شفة (بالضرب) .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصل : « ترقل » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « الصقول » .

وَإِذَا دَسَّجَا لَيْلُ الْقَتَامِ رَأَيْتُهُ وَكَأَنَّهُ فِيهِ ذُبَابٌ مُشْعَلٌ
فَانْجَبَ لَهَا مِنْ جَذْوَةٍ لَا تَنْطَلِقِي فِي أَنْجَرٍ زَخَرَتْ وَهْنُ الْأَنْدَلِ
هِيَ سُنَّةٌ أَحْبَبْتُهَا وَقَرِيبَةٌ أَدْبَتَهَا قُرْبَانُهَا تُنْقَبِلُ
فَإِذَا الْمُلُوكُ تَفَاخَرَتْ بِجِهَادِهَا ^(١) فَلَانَتْ أَحَقُّ بِالْجِهَادِ وَأَحْفَلُ
يَا بَنَ الَّذِينَ سَجَّالَهُمْ وَنَوَّالَهُمْ تَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ
يَا بَنَ الْأَمَامِ ابْنِ الْإِمَامِ ابْنِ الْإِمَامِ مِ ابْنِ الْإِمَامِ وَقَدَرَهَا ^(٢) لَا يُجْعَلُ
آبَاؤُكَ الْأَنْصَارُ تِلْكَ شِعَارُهُمْ فَلَحِيظُهُمْ آوَى النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
قَهُمُ الْآتَى تَصَرُّوا الْهَدَى بِعَرَائِمِهِ مَضْمُونَةٌ وَبَصَائِرُ لَا تُخْذَلُ
مَاذَا يُحْسِبُ شَاعِرٌ فِي مَذْهَبِهِمْ وَبِفَضْلِهِمْ أَثْنَى الْكِتَابُ لِلذَّلِ
مَوْلَايَ لَا أُخْصِي مَا تَرَكَ الَّذِي بِحَدِيثِهَا تَمْحِي ^(٣) الْمَطْلُوعُ الذَّلِ
وَإِذَا الْحَقَائِقُ لَيْسَ يَذْرُكُ كُنْهَهَا سَيِّانٍ فِيهَا مُسْكِرٌ وَمُغْلَلُ
فَالْيَسَّكَ مِنْ شَوَالِ غُرَّةٍ وَجْهِهِ أَهَذَا كَمَا يَوْمٌ أَغْرَ مُحَجَّلُ
عَذْرَاءٍ رَاقٍ الْعَيْدَ رَوْنَقُ حُسْنِهَا فَنَدَا بِنَظْمٍ ^(٤) حُلِيِّهَا يَنْجَمِلُ
رَضَعَتْ لِبَانَ الْعِلْمِ فِي حَجَرِ التَّهْمَى فَوَفَتْ لَهَا مِنْهُ ضُرُوعُ حَفْلِ
سَلَكَ الْبَيَانَ لَهَا سَبِيلَ إِجَادَةٍ لَوْلَا صِفَاتُكَ كَانَ عَنْهَا يَعْدِلُ
جَاءَتْ تَهَيَّيَ الْعَيْدَ أَبْنَى قَادِمٍ ^(٥) وَافِي بَشِيرِ صِيَامِهِ يَتَوَسَّلُ
وَطَوَى الشُّهُورَ مَرَّاحِلًا مَعْدُودَةً كَيْبَا يَرَى بِفَيْئَا جُودِكَ يَنْزِلُ

[٣٠٧]

(١) في نفع الطيب : « بمجودها » .

(٢) كذا في نفع الطيب . والذي في الأسابن : « ومثلها » .

(٣) في م ونفع الطيب : « نضى » .

(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « بحسن » .

(٥) في الأسابن : « ظلم » . وما أجتناه من نفع الطيب .

وَأَتَى وَقَدْ شَفَّ الثُّحُولُ هِلَالَهُ وَكَشَوْفِهِ لِقَاءَ وَجْهِكَ يَنْخَلُ
عَنْدَتِ بِمَرْقَبِهِ الْعُيُونُ مَسَرَّةً فَكَبَّرَ لَطْلُوعِهِ وَمَهْلَلُ
فَاشْتَمَ لِأَلْفٍ مِثْلِهِ فِي غِبْطَةٍ ظِلُّ الْمَنَى مِنْ فَوْقِهَا يَتَهَدَّلُ
فَإِذَا بَقِيَتْ لَنَا فَكُلُّ سَعَادَةٍ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهَا تَتَكَفَّلُ

ثم قال بعد إيراد جملة قصائد :

من أناشيده في
الوأس العيقية

ومن جياذ أناشيده المتميزة بالسبقية ، وبارقات تهنائه في المواسم العيقية ،

قوله يهنئه ، رضوان الله تعالى عليه ، بطولع مولانا الوالد قدسه الله تعالى :

طَلَعَ الْهِلَالُ وَأَفَقَهُ مَهْلَلُ فَكَبَّرَ لَطْلُوعِهِ وَمَهْلَلُ
أَوْفَى عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ بِفُرْقَةٍ فَعَدَا الصَّبَاحُ بِنُورِهَا يَتَجَدَّلُ
شَمْسُ الْخِلَافَةِ قَدْ أَمَدَّتْ نُورَهُ وَبَسَعْدِهَا يَرْجُو التَّامَ وَيَكْمَلُ
لِلَّهِ مِنْهُ هِلَالُ سَعْدٍ طَالَعُ لِضِيَائِهِ تَمْشُو الْبُدُورُ الْكَتَلُ
وَأَلَحَّتْ بِأَشْمَسِ الْهِدَايَةِ كَوْكَبًا يُعْشَى سَنَاءُ كُلِّ مَنْ يَتَأَمَّلُ
وَالنَّاجُ تَاجُ الْبَذْرِ فِي أَفْقِ الْعُلَا^(١) مَا زَالَ بِالزُّهْرِ النُّجُومُ يُبْكَلُ
وَلَتَنْ حَوَى كُلَّ الْجَمَالِ فَإِنَّهُ بِالشَّهْبِ أَبْغَى مَا يَكُونُ وَأَجْمَلُ
أَطْلَعْتَ يَا بَذَرَ الْمَاحِ هِلَالَهُ وَالْمُلْكُ أَفْقُ وَالْخِلَافَةُ مَنْزِلُ
يَبْذُو بِهَا لَاتِ الشُّرُوحِ وَإِنَّهُ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ فِي الْعُلَا يَسْتَكْمِلُ
قَلَدْتَ عِطْفَ الْمُلْكِ مِنْهُ صَارِمًا بِنَنَائِهِ وَمَصَّائِهِ يُتَمَثَّلُ
حَاقِيَتُهُ بِحُلَى الْكَمَالِ وَجَوْهَرِ الْخَلْقِ الْفَيْسِ وَكُلِّ خَلْقٍ يَجْمَلُ [٣٠٨]
يَغْزُو أَمَامَكَ وَالسُّعُودُ أَمَامَهُ وَمَلَائِكُ السَّبْعِ الْعُلَا تَنْزَلُ

(١) في الأصلين : « السا » ، وما أتبعناه عن نفع الطيب .

مَن مُبْلِغُ الْأَنْصَارِ مِنْهُ بَشَارَةٌ غُرِّ الْبَشَائِرِ بَعْدَهَا تَسْتَرْسِلُ
 أَحْيَا جِهَادَهُمْ وَجَدَّدَ فَخْرَهُمْ بَعْدَ اللَّسِينِ فَلْنَكُفُّهُمْ بِتَأَنُّلٍ
 فِيهِ إِلَى الْأَجْرِ الْجَزْبِلِ تَوَصَّلُوا وَبِهِمْ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ يَتَوَسَّلُ
 مَن مُبْلِغُ الْأَذْوَاءِ مِنْ بَنٍ وَهُمْ قَدْ تَوَجَّجُوا وَتَمَلَّكُوا وَتَقَيَّلُوا
 أَنَّ الْخِلَافَةَ فِي بَيْنِهِمْ أَطْلَعَتْ قَرَأَ^(١) بِرُ سَعْدُ الْخَلِيفَةِ يَكْمُلُ
 مَن مُبْلِغُ قَحْطَانَ آسَادِ الشَّرَى مَا غَابَهَا إِلَّا الْوَشِيحُ^(٢) الذُّبُلُ
 أَنَّ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ شَيْلُ لُبُورِهِمْ قَدْ حَاطَ مِنْهُ الدِّينَ لَيْثُ مُشِيلٍ
 يَهْنِي بَنِي الْأَنْصَارِ أَنْ تَمْلِكَهُمْ^(٣) قَدْ بَلَّغَتْهُ سَعُودُهُ مَا يَأْمُلُ
 يَهْنِي الْبَنُودَ فَإِنَّا سَطَلُهُ وَجَنَاحُ جِبْرِيلَ الْأَمِينِ بِظُلُلٍ
 يَهْنِي الْجَبَاتَ الصَّافِيَاتِ فَإِنَّا يَفْتُوحُهُ تَحْتَ الْوَارِسِ تَهْدِلُ
 يَهْنِي الْمَذَاكِي وَالْعَوَالِي وَالْقَطَى فِيهَا إِلَى نَيْلِ الْمُنَى يَتَوَصَّلُ
 يَهْنِي الْعَالِي وَالْعَاخِرَ أَنَّهُ فِي مُرْتَقَى أَوْجِ الْعَالِ يَتَوَقَّلُ
 سَبَقَتْ مُقَدِّمَةُ الْفَتْوحِ قَدُومُهُ وَأَنَّاكَ وَهُوَ الْوَادِعُ الْمَتَمَوِّلُ^(٤)
 وَدَنَتْ نَجُومُ السَّعْدِ قَبْلَ طُلُوعِهِ تَجَلَّوْا الْمَطَالِعَ قَبْلَهُ لَا تَأْمُلُ^(٥)
 وَرَوَتْ أَحَادِيثَ الْفَتْوحِ غَرَائِبَهَا وَالنَّصْرُ بِعِلَى وَالْبَشَائِرُ تَنْفُلُ
 أَتَيْتُ إِلَيْكَ بِه السَّعُودُ زِمَامَهَا فَالسَّعْدُ يُبْغِضِي مَا تَقُولُ وَيَقْعَلُ
 فَالْفَتْحُ بَيْنَ مُعْجَلٍ وَمُؤَجَّلٍ يُفْسِكُ مَاضِيَهُ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

(١) في الأصلين : « غُرِّ » . وما أُنبتاه من نفع الطيب .

(٢) في ط : « الشحيح » . والتصويب من نفع الطيب .

(٣) في م ونفع الطيب : « إمامهم » .

(٤) في الأصلين : « النصل » . وما أُنبتاه من نفع الطيب .

(٥) كذا في ط . والقى في م ونفع الطيب : « وتؤنل » .

أَوَّلَيْسَ فِي شَأْنِ السَّيْرِ دَلَالَةٌ
نَادَاهُمْ دَاعِيَ الضَّلَالِ فَأَقْبَلُوا
عَصَوْا الرُّسُولَ إِبَاقَةً وَتَحَكَّتْ
كَانُوا جِبَالًا قَدْ عَلَتْ هَضْبَاتُهَا
كَانُوا بِحَارًا مِنْ حديدٍ زَاخِرٍ
رَكِبَتْ أَرْجُلُهَا الْأَدَامَ كُلَّمَا
كَانَ الْحَدِيدُ لِبَاسَهُمْ وَشِعَارَهُم
اللَّهُ أَعْطَاكَ الْقِيَّ لَا فَوْقَهَا
جَدَّدَتْ لِلْأَنْصَارِ حَتَّى جِهَادِهِمْ
مَنْ يُتَحِفُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَزَمَنِمَا
مُتَسَابِقِينَ إِلَى مَثَابَةِ رَحْمَةٍ
هِيَا كَأَفْوَاجِ الْقَطَا قَدْ سَاقَهَا
مِنْ كُلِّ مَرْفُوعِ الْأَكْفِ ضِرَاعَةً
حَتَّى إِذَا رَوَتْ الْحَدِيثَ مُتَسَلِّلاً
عَنْ فَتْحِكَ الْأَسْنَى عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي
أَهْدَتْهُمْ السَّرَّاءُ نُصْرَةَ دِينِهِمْ
وَتَنَاقَلُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ مَسْرُورَةً
وَدَعَوْا بِنَصْرِكَ وَهُوَ أَعْظَمُ مَنَفْعَرَا
فَاهْنَأَ بِمَلِكِكَ وَاعْتَمَدَ شُكْرًا بِهِ
شُرُفَتْ مِنْهُ بِاسْمِكَ وَالْذِكْرُ الرِّضَا

[٣٠٩]

أَنْ الْقَاصِدَ مِنْ طِلَابِكَ تَكَلُّمٌ
وَدَعَاهُمْ دَاعِيَ النَّوْنِ فَجَدُّوا
فِهِمْ سِيُوفُكَ بِعِدْهَا فَاسْتَمَثَلُوا
نَسَقَتُهُمْ رِيحُ الْحِلَادِ فَرَزَلُوا
أَذْكَمَهُمْ نَارُ الْوَعْيِ فَتَسَيَّلُوا
يَتَحَرَّكُونَ إِلَى قِيَامِ تَهْمَلِ
وَالْيَوْمَ لَمْ تَلْبَسْ إِلَّا الْأَرْجَلَ
فَتَحَا بِرِ دِينَ الْهَدَى يَتَنَاقَلِ
فَالدِّينَ وَالْدُنْيَا بِهِ تَتَجَمَّلِ
وَالْوَفْدَ وَفَدَ اللَّهُ فِيهِ يَنْزِلِ
مِنْ كُلِّ مَا حَذَبَ إِلَيْهِ تَفْزِلِ
ظُلْمًا شَدِيدًا وَالْمَطَافِ التَّهْمَلِ
وَالْقَلْبَ بِخَفَقِ الْمَدَامِ تُهْمَلِ
بِيضِ الصَّوَارِمِ وَالرَّمَاخِ الْمُتَلِ
بَثْبَاتِهِ أَهْلُ الْوَعْيِ تَتَنَمَّلِ
وَاسْتَبْشَرُوا بِحَدِيثِهَا وَتَهْلَلُوا
بِسَمَاعِهِ وَاهْتَزَ ذَلِكَ الْمُخْمَلِ
إِنْ الْحَجِيجُ بِنَصْرِ مَلِكِكَ يَخْمَلِ
لُطْفَ الْإِلَهِ وَضَعْنَهُ تَتَحَوَّلِ
يَحْيَا بِهِ مِنْهُ الْكَرِيمُ الْمُفْضِلِ

أُبْدِيَتْ مِنْ حَسَنِ الصَّنِيعِ عَجَابًا تُرَوَّى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتُنْقَلُ
حَقَّقَتْ بِهِ أَغْلَاثُكَ الْحَمْرُ الَّتِي بِخَفَوقِهَا النَّصْرُ الْعَزِيزُ مَوْكَلُ
هَدَّرَتْ طَبُولَ الْعَزِّ تَحْتَ ظِلَالِهَا عَنْوَانٌ فَتَحَ إِثْرَهَا يُسْتَعْجَلُ
وَدَعَوَتْ أَشْرَافَ الْبِلَادِ وَكُلَّهُمْ يُبْنِي الْجَلِيلَ وَصَنَعُ جُودِكَ أَجَلُ
وَرَدُّوا وَرُودَ الْمِيمِ أَجْهَدَهَا الظُّلْمَا فَصَافَا لَمْ مِنْ وَرْدٍ كَفَنِكَ مَهَلُ
وَأَثَرَتْ فِيهِ لَطَرَادٌ فَوَارِسًا مِثْلَ الشَّمْسِ وَجُوهُهُمْ تَهَلَّلُ
مِنْ كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ نَجْمٌ وَجَنَحُ النِّقَمِ لَيْلُ مُسْتَبَلُ
يَرِدُ الطَّرَادَ عَلَى أَغْرٍ مُحَجَّلٍ فِي سَرَجِهِ بَطْلٌ أَغْرٌ مُحَجَّلُ
قَدْ عَوَّدُوا قَنْصَ الْكِمَاةِ كَأَنَّمَا عِقْبَانُهَا بِنَقْصٍ مِنْهَا أَجْدَلُ
يَسْتَنْبِعُونَ هَوَادِجَا مَوْشِيَةٍ مِنْ كُلِّ بَدْعٍ فَوْقَ مَا يُتَخَيَّلُ
قَدْ صَوَّرَتْ مِنْهَا غَرَائِبُ جَمَّةٍ تُنْسِي عُقُولَ النَّاسِظِينَ وَتُذْهِلُ
وَتَضْمَنْتْ جَزَلَ الْوَقُودِ مُحْمُولَهَا وَالنَّصْرَ فِي التَّحْقِيقِ مَا هِيَ تَحْمِلُ
وَالْعَادِيَاتُ إِذَا تَلَّتْ فُرْسَانُهَا آتَى الْقِتَالَ صُفُوفُهَا تَنْزَلُ
[لِلَّهِ خَيْلُكَ إِنَّهَا لِسَوَاحِجِ بِحَرَ الْقِتَامِ وَمَوْجِهِ مَهَبِلُ]
مِنْ كُلِّ بَرَقٍ بِالْعَرَايَا مُنْجَمِ بِالْبَدْرِ يُسْرِجُ وَالْأَهْلَةُ يُنْعَلُ
أَوْ فِي بَهَادٍ كَالظُّلُمِ وَخَلْقِهِ كَفَلُ كَامَاجٍ^(١) السَّكْتِيبِ الْأَهْمِلُ
هَنْ الْبَوَارِقِ غَيْرَ أَنْ جِيَادَهَا عَنْ سَبْقِ خَيْلِكَ يَا مُؤَيَّدَ تَنْكَلِ^(٢)
مِنْ أَنْشَبٍ كَالصَّبْحِ يعلو سَرَجُهُ صُبْحٌ بِهِ نَجْمُ الضَّلَالَةِ بِأَفْلُ
أَوْ أَذْهَمَ كَاللَّيْلِ قُلْدٌ شُهْبُهُ خَاضَ الصَّبَاحَ فَأَثْبَتَنَّهُ الْأَرْجُلُ

(١) فِي مَفْهِمِ الطَّيِّبِ : «لَا ح» .

(٢) كَذَا فِي طَوْفِ الطَّيِّبِ ؟ وَفِي م : «تَشْكَل» .

أو أَشْفَر سَالِ النَّصَارُ يَمِطُّهُ وكساء صِبْغَةً بِهِجَةً لَا تَنْفُضُ
 أو أَحْمَرُ كَالْجَرِّ أَضْمَرَمَ بِأَسُهُ بالركض في يَوْمِ الْحَفِظَةِ يُشْمَلُ
 كَالْجَرِّ أَتْرَعَ كَأَمْسِهَا لِنِدَائِهَا وبها حَبَابَةٌ غُرَّةٌ تَقْسَلُ
 أو أَصْفَر لِبَسَ الْقَشِيَّ مَلَامَةً وبذيله لَلَّيْلِ ذَيْلُ مُسْتَبَلِ
 أَجَلَتَ فِي هَذَا الصَّنِيعِ عَوَائِدَا الجود فِيهَا يُجْمَلُ وَمَفْعَلُ
 أَنْشَأَتْ فِيهَا مِنْ تَدَاكَ غَمَامَا بِالْفَضْلِ تَنْشَأُ وَالسَّمَاحَةُ تَهْمَلُ
 فَجَبَّرَتْ مِنْ كَفَيْكَ عَشْرَةَ أَبْجَرِ تُزْجِي سَحَابَ الْجُودِ وَهِيَ الْأَمَلُ
 مِنْ قَاسٍ كَفَيْكَ بِالْغَامِ فَإِنَّهُ جَهْلُ الْقِيَاسِ وَمِثْلُهَا لَا يَجْهَلُ
 تَسْخُو الْقَامَ وَوَجْهَهَا مَتَجْهَمِ وَالْوَجْهَ مِنْهُ مَعَ النَّدَى يَتَهَلَّلُ
 وَالسَّحْبُ تَسْمَحُ بِالْمِيَاهِ وَجُودِهِ ذَهَبَ بِهِ أَهْلُ الْغَنَى تَتَوَلَّلُ
 مِنْ قَاسٍ بِالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ وَجْهَهُ أَلْفَيْتُهُ فِي حَكْمِهِ لَا يَعْدُلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ مَنَظِقُ بَيِّنَانَهُ دُرُّ الْكَلَامِ يُفْصَلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ رَاحَةٌ تَسْخُو إِذَا بَخَلَ الزَّمَانُ الْمُنْجَلُ
 مَنْ قَاسٍ بِالْبَدْرِ لِلنَّيْرِ كَمَالُهُ فَالْبَدْرُ يَنْقُصُ وَالْخَلِيفَةُ يَكْمُلُ
 مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ لِلنَّيْرِ شِمَائِلُ تَمْرِي بِرَيَّاتِهَا الصَّبَا وَالشَّهَالُ
 مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ لِلنَّيْرِ مَنَاقِبُ بِجَهَادِهَا تُنْهَى الطُّغْيَانُ الدُّلَالُ
 يَا مَنْ إِذَا نَعَمْتَ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ فَالْمَلِكُ يَعْتَقُ طَائِبِهِ وَالْمَنْدَلُ
 يَا مَنْ إِذَا لَمَحْتَ سَحَابَ وَجْهِهِ تَعْشُو الْعَيْرُونَ وَيُهَيَّرُ النَّأْمَلُ
 يَا مَنْ إِذَا تَلَيْتَ مَفَاخِرَ قَوْمِهِ آيُ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا تَقْتَزَلُ
 كَفَلْتَ الْخِلَافَةَ مِنْكَ يَا مَلِكَ الْعُلَا وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِكَ أَكْفَلُ
 مَأْمُومُهَا وَأَمِينُهَا وَرَشِيدُهَا مَنْصُورُهَا مَهْدِيُّهَا الْمُتَوَكِّلُ

[٣١١] حَسْبُ الْخِلَافَةِ أَنْ تَكُونَ وَلِيَّهَا وَبَجِيرَهَا مِنْ كُلِّ مَنْ يَتَخِيلُ
 حَسْبُ الزَّمَانِ بِأَنْ تَكُونَ إِمَامَهُ فَلَهُ بِذَلِكَ عِزَّةٌ لَا تَهْمَلُ
 حَسْبُ الْمُلُوكِ بِأَنْ تَكُونَ عَمِيدَهَا تَرْجُو النَّدَى مِنْ رَاحَتِكَ وَتَأْمَلُ
 حَسْبُ الْعَالِ أَنْ تَكُونَ عِمَادَهَا (١) فَعَلَيْكَ أَطْنَابُ الْمَغَاخِرِ تُسَدِّلُ
 يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بَرَّهَانُهَا عَنْ الْمَحِقِّ بِهِ وَذُلُ الْمُتَبَطِّلِ
 أَنْتَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ ابْنُ الْإِمَامِ مِ ابْنِ الْإِمَامِ وَغَرَّهَا لَا يُعَدِّلُ
 عَلِمْتَ حَتَّى لَمْ نَدْعُ مِنْ جَاهِلٍ أَعْطَيْتَ حَتَّى لَمْ نَدْعُ مَنْ يَسْأَلُ
 وَعِبَاكِيهِ اللَّهُ اشْتَمَلَتْ رِدَائِعُهَا وَعَلِفَتْ (٢) مِنْهَا عُرْوَةٌ لَا تُفْصَلُ

انصل بهذا البيت جملة أبيات من القصيدة المترجمة (٣) في العيديات التي أولها :

بشرى كما وضع الصباح وأجل

وحذفناها من هذه اقتصاراً للتكرار ، وزاد في هذه :

أَخَذْتُ قُلُوبَ الْكَافِرِينَ مَهَابَةً فَعُقُولُهُمْ مِنْ خَوْفِهَا لَا تَقُولُ
 حَيِّبُوا الْبُرُوقَ صَوَارِمًا مَسْلُوكَةً (٤) أَرْوَاحُهُمْ مِنْ بَأْسِهَا تَسْكَلُ (٥)
 وَتَرَى النُّجُومَ مَنَاصِلًا مَرُوءَةً فَيَفِرُ مِنْهَا الْخَائِفُ النَّفْصَلُ
 يَا بَنَ الْأَلَى بِجَمَالِهِمْ وَحَمَالُهُمْ شَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ
 مَوْلَايَ لَا أَخْصِي مَا تَرَكْتُ الَّتِي بِجِهَادِهَا يَتَوَسَّلُ الْمُتَوَسِّلُ

(١) كذا في م وفي ط : « عميدها » . وفي فتح الطيب : « إمامها » .

(٢) في الأصل ها : « وملكت » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « التوجهة بالعيديات » .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب . وفي م : « مصفولة » .

(٥) في م : « تنسبل » .

أَصْبَحْتُ فِي ظِلِّ امْتِدَاحِكَ سَاحِبًا ظِلُّ^(١) الْمُنَى مِنْ فَوْقِهِ يَهْدِلُ
طَوَّقَتْهُ طَوَاقُ الْحَمَامِ أَنْعَمًا فَغَدَا بِشُكْرِكَ فِي الْحَافِلِ يَهْدِلُ
قَابَلْتُكَ مِنْ صَوْنِ^(٢) الْعُقُولِ عَقِيلَةً أَهْدَا كَهَا صَنَعُ أَعْرُ حُجَلُ
عَذْرَاءَ رَاقِ الصَّنْعِ رَوْنَقُ حُسْنِهَا فَغَدَا يَنْظُمُ حُلِيِّهَا بِتَسْكَلُ
خَيْرُهَا بَيْنَ الْمُنَى فَوَجَدْتُهَا أَقْصَى مُنَاهَا أَنَهَا تُنْقَبِلُ
لَا زِلْتَ تَحْمَسًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَهَلَاكَ الْأَسْمَى يَتِمُّ وَيَكُلُ

ثم قال بعد ذكر جملة من نظمه : ومن رقيق منازعه في بعض نزه مولانا
رضوان الله عليه بالقصر السلطاني من شذيل قوله :

وله في بعض نزه
مولانا في شذيل

نَفْسِي الْقِدْلَةُ لِشَادِنٍ مَهْمَا خَطَرَ فَأَتَقَبُّ مِنْ مَهْمِ الْجَفُونِ عَلَى خَطَرٍ
فَصَحَّ الْغَزَالَةُ وَالْأَفَاحَةُ وَالْفَنَا مَهْمَا تَنَقَّى أَوْ تَبَسَّمَ أَوْ نَظَرَ
عَجَبًا لِأَمَلٍ ذَوَائِبُ مِنْ شَعْرِهِ وَالْوَجْهُ مِنْهُ عَنِ صَبَاحٍ قَدْ سَفَرَ
عَجَبًا لِعَقْدِ الشَّغْرِ مِنْهُ مُنْظَا وَالْعِقْدُ مِنْ دَمْعِي عَلَيْهِ قَدْ انْتَفَرَّ
مَا زِلْتُ أَنْ أَجْنَى الْأَفَاحِ بِشَفْرِهِ إِلَّا وَقَدْ سَلَّ السُّيُوفُ مِنَ الْحَوَرِ
لَمْ أَنْسَهُ لَيْلَ ازْتِقَابِ هِلَالِهِ وَالْقَلْبُ مِنْ شَكِّ الظُّوُورِ عَلَى غَرَرِ
بِقَنَا نُرَانِيهِ بِأَوَّلِ أَيْسَلِي فَإِذَا بَعْدَ قَدْ لَاحَ فِي نِصْفِ الشَّهْرِ
طَالَعَتُهُ فِي رَوْضَةٍ كَخِلَالِهِ وَالطَّيِّبُ مِنْ هَذِي وَتَالِكَ قَدْ اشْتَهَرَ
وَكِلَاهُمَا يَبْدِي مَحَاسِنَ حِجَّةٍ مِلءُ الْمَسَامِيرِ^(٣) وَالسَّامِعِ وَالْبَصَرِ
وَالْكَاثُ تَطَالُعُ تَحْمُسِهَا فِي خَدِّهِ فَتَسْكَادُ نَعِيشِي بِالْأَشْعَةِ مَنْ نَظَرَ

[٣١٢]

(١) في نصح الطيب : « مل » .

(٢) في نصح الطيب : « صوغ » .

(٣) كذا في م وط . وفي نصح الطيب المخطوط والطبع : « التنسم » .

نُورِيَّةٌ كَجَبِينِهِ وَكَلَاهُمَا ^(١)
 هِيَ شَيْمَةٌ ^(٢) لِشَيْخٍ فِيهَا نِسْبَةٌ
 أَفْرَغَتْ فِي جِسْمِ الزُّجَاجَةِ رُوحَهَا
 لَا تَسْقِي غَيْرَ الرُّوضِ فَضْلَةً كَأُيُهَا
 مَا هَبَّ خَفَافُ النَّسِيمِ مَعَ السَّحَرِ
 نَاجِيَ الْقُلُوبِ الْخَافِقَاتِ كَمِثْلِهِ ^(٣)
 وَرَوَى عَنِ الصَّحَّاحِ ^(٤) مِنْ زَهْرِ الرَّبَا
 وَتَحَكَّمْتُ عَنْهُ صَحِيحٌ حَدِيثُهُ
 يَا قَصْرَ شَدِيدٍ وَرَبُّكَ آهْلُهُ
 اللَّهُ بِحُجْرَتِكَ وَالصَّبَا قَدْ سَرَدَتْ
 وَالْأَمْسَ حَمَّ عِذَارُهُ مِنْ حَوْلِهِ
 قَبْلَ أَنْ يَنْعُرَ الزَّهْرُ كَفَّ خَلِيفَةُ
 وَأَفْرِشَ خُدُودِ الْوَرْدِ تَحْتَ نِعَالِهِ
 وَأَنْظِمُ غِنَاءَ الطَّيْرِ فِيهِ مَدَامِحُ
 الْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الشَّرَفِ الَّذِي
 وَالْمُجْتَنَى مِنْ غُنْصَرِ الثُّورِ الَّذِي
 يَجْلُو ظِلَامَ اللَّيْلِ بِأَلْوَجِهِ الْأَغْرَ
 مَا إِنَّ بَرَآءَ بَرْعَانِ مِنَ السَّكِرِ
 فَرَأَيْتُ رُوحَ الْإِنْسِ مِنْهَا قَدْ بَهَرَ
 فَأَلْفَضْتُ فِي ذَيْلِ الْأَزَاهِرِ قَدْ عُدَّ ^(٥)
 إِلَّا وَقَدْ شَاقَ الدُّمُوسُ وَقَدْ سَحَرَ
 وَوَدَى عَمَّا نَحْنِي السَّكَامُ مِنَ الزَّهْرِ
 مَا أَسْنَدَ الزَّهْرِيُّ عَنْهُ عَنْ مَطَرٍ
 رُسُلُ النَّسِيمِ وَصَدَّقَ الْخَبِيرُ الْخَبِيرُ
 وَالرُّوضُ مِنْكَ عَلَى الْجِبَالِ قَدْ أَقْتَصَرَ
 مِنْهُ دُرُوعًا تَحْتَ أَعْلَامِ الشَّجَرِ
 عَنْ كُلِّ مَنْ يَهْوَى الْعِدَارَ قَدْ اعْتَدَرَ
 يُغْنِيكَ صَوْبُ الْجُودِ مِنْهُ عَنْ اللَّطَرِ
 وَاجْعَلْ بِهَا لَوْنُ الْمَصَاعِفِ عَنْ خَفَرِ ^(٦)
 وَانْتَرُ مِنَ الزَّهْرِ الدَّرَاهِمِ وَالْدُرُ
 فِي مَدْحِهِ قَدْ أَنْزَلَتْ آيُ الشُّوْزِ
 فِي مَطْلَعِ الْهُدَى الْمُقَدَّسِ قَدْ ظَهَرَ

(١) في نفع الطيب . « وعلاهما » .

(٢) كذا في ط . وفي نفع الطيب : « نسخة » . ولعل كلا المتعطين محرف عن « شَيْمَةٌ » .

(٣) كذا في نفع الطيب المطبوع والمخطوط . وفي ط و م : « زهر » .

(٤) في م : كشكته . وفي نفع الطيب : « لثله » .

(٥) في نفع الطيب : « عن » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي م : « الخف » . ويمكن حذف الكلمة يماس في ط .

ذُو سَطْوَةٍ مِّنْهَا كَفَى ذُو رَحْمَةٍ
 كَمْ سَائِلٍ لِلذَّهْرِ أَفْسَمَ قَاتِلًا
 مَوْلَايَ سَعْدُكَ كَالْمُهَنْدِ فِي الرَّغَى
 مَوْلَايَ وَجْهَكَ وَالصَّبَاحُ تَشَابَهَا
 إِنَّ الْمَوْلَى كَوَاكِبُ أَخْفَيْتَهَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ زَمَانِكَ مُوسِمٌ
 فَاسْتَقْبِلِ الْآيَاتِمْ يَنْدَى رَوْضُهَا
 قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْعَشَايَا ضِعْفَ مَا
 يَأْتِي الدِّينَ إِذَا تُعَدُّ خِلَالَهُمْ
 إِنَّ أَوْرَدُوا هَيْمَ السُّيُوفِ غَدَاثًا
 سَائِلٍ يَبْذُرُ عَلَيْهِمْ بَذَرَ الْهُدَى
 وَاسْأَلْ مَوَاقِفَهُمْ بِكُلِّ مَشَاهِدٍ^(١)
 تَجِدُ الثَّنَاءَ بَيِّنَاتِهِمْ وَبِجُودِهِمْ
 فَيُمِثِّلُ هَذِيكَ فَلْتُنِزْ شَمْسُ الصُّحَى
 مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ وَصْفٍ مُّعْجَزُ
 تِلْكَ الْمَنَاقِبُ كَالْثَوَاقِبِ فِي الْعَلَا
 إِنْ غَابَ عَبْدُكَ عَنْ رِحَاكَ فَإِنَّهُ

مِّنْهَا عَفَا ذُو عَفْوَةٍ مِّنْهَا قَدَّرُ
 وَاللَّهِ مَا أَبَاؤُهُ إِلَّا عَزُزُ
 لَمْ يُبْقِ مِنْ رَّسَمِ الضَّلَالِ وَلَمْ يَذَرُ
 وَكَلاَهُمَا فِي الْخَارِقَيْنِ قَدْ اسْتَهَرُ
 وَطَلَمَتْ وَجْهَكَ فِي مَظَاهِرِهَا قَرُ
 فِي طَبَقِهِ لِلْخَلْقِ أَعْيَادُ كُبَرُ
 وَبَرَفٍ وَالنَّصْرُ الْعَزِيزُ لَهُ تَمَرُ
 قَدْ فَصَّصَتْ مِنْهَا الْحَاسِنُ فِي السَّحَرِ
 نَقَدَ الْحِسَابُ وَأَعْمَزَتْ عَنْهَا الْقُدْرُ
 مَعْقُولَةٌ فَلَطَّأَ مَا أَحْدَوْا الصَّدْرُ
 فِيهِمْ^(٢) عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ قَدْ انْتَصَرَ
 وَأَقْرَ التَّعَازِي فِي الصَّحِيحِ وَفِي السَّيْرِ
 فِي مُصْحَفِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مُسْتَعْلَزُ
 وَبِمِثْلِ قَوْمِكَ فَلْيَفَاحِزْ مَنْ فَخَرُ
 وَالْقَوْلُ فِيكَ مَعَ الْإِطَالَةِ مُحْتَضَرُ
 مَنْ رَامَهَا بِالْخُصْرِ أَذْرَكَهُ الْخُصْرُ
 بِالْقَلْبِ فِي تِلْكَ التَّشَاهِدِ قَدْ حَضَرَ

(١) في نفع الطيب : « وحده » .

(٢) في ط : « في جوانبها » .

(٣) في م : « كل » مكان قوله : « فيهم » .

(٤) في نفع الطيب : « مشهر » .

فَاذْكُرْهُ إِنَّ الدَّكْرَ مِنْكَ سَعَادَةٌ وَبَهَا عَلَى كُلِّ الْأَمَامِ قَدْ افْتَحَرَ
وَرِضَاكَ عَنْهُ غَايَةٌ مَا بَعْدَهَا إِلَّا رِضَا اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَعَ الْبَشَرَ
فَأَشْكُرْ صَنِيعَ اللَّهِ فِيكَ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ضَمِنَ التَّمْزِيدَ لِعَنْ شَكَرْ
وَعَلَيْكَ مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ تَهْفُو إِلَيْكَ مَعَ الْأَصَائِلِ وَالْبُكَرِ

ثم قال : ومن أغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهي ، في الشكر على
ضروب من التثخيف التي يفتضحها ^(١) التحقني السلطاني بأولياء خدمته ، مُبْدً
متعددة فيما يظهر : فمنها قوله :

يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ الْمُلُوكَ بِجُودِهِ وَبَفَضْلِهِ قَدْ أَشْبَهَ الْأَمْثَلَاكَ
وَاللَّهُ مَا عَرَفَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ أَمْثَلًا وَيُمْنًا دَائِمًا لَوْلَاكَ
وَأَقْبَتَ ^(٢) أَهْلِي بِالرِّيَاضِ عَشِيَّةً فِي رَوْضِ جَاهِكِ تَحْتَ ظِلِّ رِضَاكَ ^(٣)
فَوَجَدْتُهُ قَدْ طَلَعُ صَوْبُ النَّدَى بِسَحَابٍ تَهْلُ مِنْ يُمْنَاكَ
وَسَعَاتِنِ مَشْعُونَةٍ أَلْقَى بِهَا بَحْرُ السَّمَاحِ يَجِيشُ مِنْ نُعْمَاكَ
رُطَبٌ مِنَ الطَّلَعِ النُّصِيدِ كَأَنَّهَا قَدْ نَظَّمَتْ مِنْ حُسْنِهَا أَسْلَاكَ
مِنْ كُلِّ مَا كَانَ النَّبِيُّ يَجْعَلُهَا وَأَحَبَّهَا الْأَنْصَارُ مِنْ أَوْلَاكَ
وَبَدَأَ التَّحْفِ الْتِي قَدْ أَطْلَعَتْ مِثْلَ الْبُدُورِ أَنْارَتْ الْأَحْلَاكَ ^(٤)
نُظْفَ ^(٥) مِنَ الثُّورِ الثُّمِينِ تَجَسَّمَتْ حَتَّى حَسَبْنَا أَنَّهُنَّ هَذَاكَ

(١) في ط : « يتقيا » . وفي م : « بتقنيا » . والنصوب من فتح الطيب .

(٢) في ط : « ولقيت » . وما أنبتاه من م وفتح الطيب .

(٣) في فتح الطيب « ذراكا » .

(٤) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « فثارت الأفلاك » .

(٥) كذا في فتح الطيب المطبوع والمخطوط . وفي الأسلين : « لطف » .

يَحْمِلُو عَلَى الْأَفْوَاهِ طِيبُ مَذَاقِهَا لَوْلَا التَّجَسُّدُ خَلَّتْهُنَّ سَنَاكَ^(١)
 طَافَتْ بِهَا النَّشْأُ الصَّغَارُ كَأَنَّهَا سِرْبُ الْقَطَا لَنَا وَرَدَنْ نَدَاكَ
 نَجَّوَاهُمْ مِنْهَا سَمِعَتْ كَلَامَهُمْ وَنِدَاهُمْ : مَوْلَايَ أَوْ مَوْلَاكَ
 أَبْلَغَتْ فِي الْأَبْنَاءِ عَبْدَكَ سُؤْلُهُ لَا زِلَّ تَبْلُغْ فِي بَيْنِكَ مَنَاكَ
 يَتَذَارِسُونَ مِنَ الدُّعَاءِ حَافِئًا كَيْفَمَا يُطِيلُ اللَّهُ فِي بُقْيَاكَ
 قَبِمَتْ شَمًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ وَهُمْ الْبُذُورُ أَمْدُهُنَّ سَنَاكَ
 ثم قال : ومنها وقد أهداه — رحمه الله — أطباقاً من حب الملوك^(٢) :

في هدية من حب
الملوك

كَتَبَ إِلَهُ عَلَى الْعِبَادِ مَحَبَّةً لَكَ كَانَ فَرَضُ كِتَابِهَا مَوْفُوتًا
 وَأَنَا الَّذِي شَرَفْتُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ حَتَّى جَعَلْتَ لَهُ الْحَبَّةَ قُوتًا
 مَا زِلْتَ تُنَجِّفُهُ بِكُلِّ ذَخِيرَةٍ حَتَّى لَقَدْ أَنْتَحَقْتَهُ الْبِقَاوَتَا
 وَإِلَى الْمُلُوكِ قَدْ اعْتَرَى مِنْ عِزِّهِ فَعَدَا لَهُ يَاقُوتُهَا تَمَقُّوتَا

ومنها في مثل ذلك :

في هدية
أخرى منه

يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ الْمُلُوكُ أَهْدَيْتَنِي حَبَّ الْمُلُوكِ
 فَكُنَّا يَاقُوتَهُمَا نَقَلْتَنَا نَقْلَ الشُّلُوكِ
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا لَجَّوْا فَعِيَاهُمْ أَنْ أُمْلُوكِ
 وَكَذَا الْعُمَاةُ إِذَا شَكَّوْا فَعِنَاهُمْ أَنْ يَسْأَلُوكِ
 فَاللَّهُ يَقْبَلُ مَنْ دَعَا لِعَلَّاكَ مِنْ أَهْلِ الشُّلُوكِ

(١) في ط وفتح الطيب : « تناكا » . وما أنبتنا عن م .

(٢) حب الملوك ، ويقال له أيضاً حب الزلم ، هو المعروف عند عامة أهل القاهرة بحب العزيز ، لأن العزيز بن المرز الطاعني كان مولاه به .

لَا زِلْتَ تَطْلُعُ غُرَّةً كَالشَّمْسِ فِي وَقْتِ الدُّلُوكِ

ومنها وقد أهداه صيداً مما صاده بنوه رضى الله تعالى عنه :

في صيد أمدي
إليه

يَا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ السَّمَاحَ عَنِ الْآلِي نَصَرُوا الْمُدَى وَتَبَوَّءُوا الْإِيمَانَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ تَحْفَةُ مُنْعِمٍ وَالْإِلْجِيلَ وَأَجْزَلَ الْإِحْسَانَا
قَدْ أَذْكَرْتَ دَارَ الْعِيمِ عَيْبِدُهُ وَتَفَعَّلْتَ مِنْ فَضْلِهِ رِضْوَانَا
تُهْدِي مَوَالِيكَ الَّذِينَ ^(١) تَفَرَّغُوا عَنْ دَوَّاحِ فَعْرِكَ فِي الْمَلَا أَغْصَانَا
لِجَلَالِكَ الْأَعْلَى قَنِيصاً أُنْعَبُوا فِي صَيْدِهِ الْأَزْوَاحَ وَالْأَبْدَانَا
فَتَحْضِنِي مِنْهُ بِأَوْفَرِ قِتْمَةٍ فَحَتَّ لِمَبْدِكَ فِي الرِّضَا مِيدَانَا
شَهْرٍ مِنْ مَوْلَى كَرِيمٍ بِالَّذِي تَهْدِي الْمَوَالِي يُتَحِفُ الْعُبْدَانَا
تَدْعُو بَنِي إِلَى الْعَسَى بِرَبِّهِ يَا رَبَّنَا أَغْنِ الَّذِي أَغْنَانَا
وَعَلَيْكَ مِنْ قُدْسِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ تَهْدِيكَ مِنْهُ الرُّوحُ وَالرِّيحَانَا

[٢١٠]

ومنها وقد أهداه رحمه الله تعالى أصنافاً من الفواكه :

في أصناف من
الفواكه أهديت
إليه

يَا مَنْ لَهُ الْوَجْهُ الْجَمِيلُ إِذَا بَدَا فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ الْبُدُورَ كَمَا لَا
وَالْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الذَّخْرِ الَّذِي فَاقَتْ الْخَلَائِفَ عِزَّةً وَجَلَالَا
مَا أَبْصَرْتَ عَيْنَايَ مِثْلَ هَدِيَّةٍ أَبَدَتْ لَنَا صُنْعَ الْإِلَهِ تَعَالَى
فِيهَا مِنَ الثَّمَارِ كُلِّ عَجِيبَةٍ تَذَكَّرِي بِرَبَّاهَا صَبَا وَشَمَالَا
تُهْدِي لَنَا نَهْدَ الْعَجِيبِ وَحْدَهُ وَتُرِي مِنَ الْوَرْدِ الْعَجِيِّ مِثَالَا
وَبَهَا مِنَ الْأَنْجُوشِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ مِنْ كُلِّ شَطْرِ اللَّغِينِ هِلَالَا
وَبَحْفُهُمَا وَرَقٌ يَرُوقُ كَأَنَّهُ وَرَقُ النُّصَارِ وَقَدْ أَجَادَ نَبَالَا ^(٢)

(١) في ط : « تهدي موالى للبين » .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب ولم يظهر لنا معنى لهذه الكلمة .

لَوْ أَنَّ الشَّيْخَ ذَهَبَتْ صَفَحَاتُهَا رَفَّتْ وَرَافَتْ بِهِجَةً وَحَمَالَا
وَبِهَا مِنَ الثَّقَلِ الشَّهِيٍّ مُذْكَرٌ عَهْدًا تَوَلَّى لَيْتَهُ يَتَوَالَى
لَهُ مِنْهَا خُضْرَةٌ مِنْ خُضْرَةِ تُغْنِي الثَّمَاةَ وَتُغْنِيهِ الْآمَالَا
أَذْكَرْتُ نَفْسِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَمَعَهْدًا كَانَتْ شُمُوسُ الرَّاحِ فِيهِ تَلَالَا
فَأَرَدْتُ تَجْدِيدَ الْعُهُودِ وَإِنَّمَا كَتَبَ التَّشْيِبُ عَلَى عِذَارِي لَا لَا
فَأَدْرْتُ مِنْ ذِكْرِكَ كَأَنَّ مَدَامَةَ وَشَرِبْتُ مِنْ حُبِّي لَهَا جِرْيَالَا
فَبَقِيَتْ شَمْسًا فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الزَّمَانُ زَوَالَا

ثم قال : ومنها يوم عاشوراء :

وله في يوم
عاشوراء

يَأْتِيهَا التَّوَلَّى الَّذِي بَرَّكَ كَانُهُ رَفَعَتْ لَوَاهِ لِلنَّدَى مَنَشُورَا
لَكَ رَاحَةٌ تَرْجِي النِّعَامَ بِأَنْمُلٍ فَجَعَلَتْ مِنْهَا بِالنَّوَالِ بُحُورَا
وَالْيَوْمَ مَوْسَمُ قُرْبَةٍ وَعِبَادَةٍ وَغَدَا ظَلَمْتُ بِأَجْرِهِ عَاشُورَا
رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبَوِيَّةٍ يَرْوِي الثَّفَاتُ حَدِيثَهَا الْمَشْهُورَا
لَا زِلَّ عَامِكَ كُلُّهُ فِي غِبْطَةٍ لَقِيَتْ مِنْهَا نَصْرَةً وَسُرُورَا

[٣١٦]

ومنها في بعض قطعه :

ومن بعض قطعه

وَالَيْتَ مَا أَوَلَيْتَ يَا بَحْرَ النَّدَى وَوَحَى وَجْهِكَ^(١) مَا رَأَيْتُ كَهَيْدِهِ
فَإِذَا يَهْرُ لَهَا الْأَسَانُ حُصَامُهُ فَصِفَاتُ فُخْرِكَ قَدْ قَضَتْ بِنَفَاذِهِ
عَلِمْتُ فُرْسَانَ الْكَلَامِ نِظَامَهَا كَتَمْتُ التَّلْمِيزَ مِنْ أَسْتَاذِهِ
وَالْبَحْرُ تَتَكَارَرُ السَّحَابُ مَاءُهُ فَتَجُودُهُ مِنْ غَيْثِهَا بَرْدَاذِهِ

(١) في م : « شهادة » وما أثبتناه من مد وفتح الطيب .

(٢) في فتح الطيب : « جودك » .

ومنها وقد أهداه بأكورا :

يَا وَارِثَ الْأَنْصَارِ وَفِي مَرِيَّةٍ
أَهْدَيْتَنِي الْبَاكُورَ وَفِي بَشَارَةٍ
وَوِلَادَةٍ لِهَيْسَلِ تَيْمٍ^(١) طَالِعٍ
هُوَ أَوَّلُ الْأَنْوَارِ فِي أَفْقِ الْهَدْيِ
مَوْلَايَ صِدْقُ الْعَالِ قَدْ جَرَّبْتُهُ

نعم قال : ومنها في جفنة تريد :

طَعَامُكَ مِنْ دَارِ النِّعَمِ بَعَثْتُهُ
بِهَضْبَةٍ نَعْمَى قَدْ سَمَوْنَا لِأَوْجِهَاتِهَا
وَقَوَّاءَ قَدْ دُرْنَا بِهَالَةٍ بِذَرْهَا
وَقَدْ حُمِلَتْ فَوْقَ الرَّهْءِ وَسِ لَأَنْهَا
فَمَا شِئْتَ مِنْ طَعْمٍ زَكَّى مِنْهَا
فَوَ أَنْهَا قَدْ قُدِّمَتْ لِخَلِيفَتِهِ
وَكَمْ لَكَ مِنْ نِعْمَى عَلَى عَمِيمَةٍ
فَلَا زِلْتَ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ مُسْلَعًا

ومنها شكرا عن كتاب :

مَوْلَايَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
فَانْعَمَ صَبَاحًا وَاعْتَمَمَ
وَابْشِرْ بِصُنْعٍ عَاجِلٍ
سُـمُودُهُ مُجْتَمِعَةٌ
أَوْفَاتُهُ الْمُجْتَمِعَةُ
أَعْلَامُهُ مُؤْتَفِقَةٌ

(١) في م ونجح الطيب : « سر » .

في باكور أهداه
إليه

في جفنة تريد

في الشكر
عن كتاب

[٢١٧]

وَأَنْتَظِرِ الْفَتْحَ الَّذِي يَا نَبِيكَ بِالنَّصْرِ مَعَهُ
وَبَيْضُهُ وَسُمْرُهُ إِلَى الْمَدَادِ مُشْرِعُهُ
وَاللَّعْلَفُ مَرْجُوهُ فَرْدُ بِفَضْلِ رَبِّي مُشْرِعُهُ
فَأَنْتَحَنِي شَرَفَتِي بِرُفْقِهِ مَرْفَعُهُ
بَلْ رَوْضَةٍ مَمْلُوءَةٍ أَزْهَارُهَا مُنَوَّعُهُ
حَدِيقَةٍ قَدْ جُدَّتْهَا بِصَوْبِ جُودِ مُنْعَرَعُهُ
وَرَايَةِ مَنْشُورَةٍ وَآيَةِ مُسْتَبَدَعِهِ
كَمْ حِكْمَةٍ لَطِيفَةٍ فِي طَيِّهَا مُسْتَوْدَعُهُ
عَنِيْلَةٍ صَوَّرَتْهَا مِنَ الْجَمَالِ مُبْدَعُهُ
سَقَيْتَنِي بِفَضْلِهَا مِنْ فَضْلِ كَأْسِ مُنْعَرَعِهِ
قَدُمُ وَأَمْلَاكَ الْوَرَى عَلَى عُيُوكَ مُجْبِعُهُ

ومنها شكرا على خلة :

في الفكر على
خلة

يَا بَدْرَ تَهْمٍ فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ خَفَّتْ نَجْوَى السَّعْدِ هَالَةً قَصْرِهِ
أَلْبَسْتَ عَبْدَكَ مِنْ نِيَابِكَ مَلْبَسًا قَدْ قَصَّرَتْ عَنْهُ مَدَارِكُ شُكْرِهِ
وَرِضَاكَ عَنْهُ خَيْرٌ مَا أَلْبَسْتَهُ فَلَقَدْ أَشَادَ بِجَاهِهِ وَبِرِّهِ
أَلْبَسْتَنِي، أَرْكَبَتَنِي، شَرَفَتَنِي أَهْدَيْتَنِي مَا لَا أَقُومُ بِحَصْرِهِ
نَظَرِي لَوْجُوكَ وَهُوَ أَجْمَلُ نَظَرٍ يُرَى عَلَى شَمْسِ الزَّمَانِ وَبَدْرِهِ
أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَا سِبَا وَأَنَا الْمُتَنَكِّمُ فِي الْحُضُورِ بِبَشْرِهِ
لَا زِلْتَ مَوْلَى لِلْمُلُوكِ مَوْلَا وَعُيُوكَ^(١) لِلْإِسْلَامِ مُفَخَّرُ دَهْرِهِ

(١) في م ونجح الطيب : « وحلاك » .

ثم قال : ومنها وقد خلع — رضوان الله عليه — على رسول من أرساله :
 أَبْحَرَ سَمَاحٍ مَدَّ عَشْرَةَ أَبْحَرٍ نَفِيسُ غَمَامِ الْجُودِ وَهِيَ الْأَتَامِلُ
 بِكَفْلِكَ غَيْثُ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا بُرُوضُ مَحَلِّ الْأَرْضِ وَالْعَامِ مَاحِلُ
 لَكَ الْخَيْرُ إِنْ أَصْبَحْتَ بِحَرِّ سَمَاحَةٍ يَوْمَ نَدَاهُ فَالْمَوَاهِبُ سَاحِلُ
 خَلَعْتَ عَلَى هَذَا الرَّسُولِ مَلَايِسًا بِهَا تَنْسَى فِي إِعْلَالِكَ^(١) الْعَامِلُ
 وَبَلَغَتْهُ آمَالُهُ كَيْفَ شَاءَهَا فَبُلُغْتَ يَا مَوْلَايَ مَا أَنْتَ آمِلُ

ثم قال بعد إيراد عدة مقطوعات وقصائد من تخط ما سبق :

[٣١٨]

وأنشده وقد مرض بعض أبنائه — رحمة الله عليه وعليهم — سائلا

عن حاله :

أَسْأَلُ بِدَرْ التَّمِّ كَيْفَ هِلَالُهُ وَأَدْعُو لَهُ الرِّمْنَنَ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَأَسْأَلُهُ تَعَجِيلَ رَاحَتِهِ الَّتِي وَسِيلَتْنَا فِيهَا النَّيُّ وَآلَهُ
 سَتِيلُهُ فِيهِ مَا نُوَمِّلُ مِنْ مَوْتِي وَرُضِيكَ يَا بَدْرَ الْكَتَالِ كَالَهُ

وفي مثله يقول رحمه الله :

أَقُولُ لِبَدْرِ التَّمِّ كَيْفَ هِلَالُكَ نَعِمْتَ صَبَاحًا بِالشُّرُورِ^(٢) وَالْأَلَا
 وَبُلُغْتَ فِي النَّجْلِ السَّعِيدِ^(٣) سَعَادَةً تَقَرُّ بِهَا عَيْنًا وَيَنْمُ بِالْأَلَا
 وَخُصِّصْتَ بِالْبُشْرَى مِنْ اللَّهِ رَبَّنَا كَمَا عَمَّ أَقْطَارَ الْجِبَاتِ نَوَالُكَ

(١) و م ونفع الطيب : « في عداك » .

(٢) في نفع الطيب : « بالسرور » .

(٣) في م ونفع الطيب : « الكريم » .

وله في السؤال عن
 حاله وقد مرض
 بعض أبنائه

في مثل ذلك

وفي التوربة باسم قائد ولآء مولانا — رضى الله عنه — على جماعة من الجند .

في التوربة
باسم قائد

يَا أَيُّهَا التَّوَلَّى^(١) الَّذِي أَبَاؤُهُ تَهْمِي بِسُحْبِ الْجُودِ مِنْ آلَائِهِ
أُبَشِّرُ إِبْجَشِيكَ بِالسَّعَادَةِ كُلَّمَا يَغْزُو فَتَنْصُرُ اللَّهُ تَحْتَ لَوَائِهِ

وَأُنْشِدُهُ — رضى الله عنه — في مجلس اتخذهُ :

في مجلس اتخذهُ

أَمْوَلَايَ يَا بَنَ السَّائِقِينَ إِلَى الْمَلَا
غَنَيْتَ بِنُورِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ زِينَةٍ
وَقَارَكَ زَادَ الْمُلْكَ عِزًّا وَهَيْبَةً
وَيَا شَمْسَ هَدَى فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ
فَيُخْجِلُ مِنْكَ الشَّمْسُ شَمْسُ هِدَايَةٍ
إِذَا أَنْتَ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَطَوَّقْتَ أَجْيَادَ الْمُلُوكِ أَبَا دِيَا
فَمَا شِئْتَ فَالْبَسْ فَا لِمَا هِدُ قَائِلُ
أَلَا كُلُّ مَنْ صَلَّى وَضَحَّى وَمَنْ دَعَا
وُجُودَكَ شَرْطُ فِي حُصُولِ قَبُولِهِ
وَمَنْ نَصَرُوا الدِّينَ الْعَنِيفِيَّ أَوْ لَا
وَأَلْبَسْتَ مِنْ رِضْوَانِهِ أَشْرَفَ الْحَلَى
وَسَوَّغَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَهْلًا
وَأَبْنَاؤُهُ الزُّهْرُ الْمُنِيرَةُ تُعْتَلَى
حَمِيلًا جَلِيلًا مُسْتَعَاذًا^(٢) مُؤَمَّلًا
وَيَحْسُدُ مِنْكَ الْبَذْرُ بَذْرًا مُكْتَلًا
مَلَابِسَ عِزٍّ لَيْسَ يُدْرِكُهَا إِلَيَّ
وَتَوَجَّهْتُمْ بِالْفَخْرِ تَاكَا مُكْتَلًا
تَبَارَكَ مَا أَسْنَى وَأَبْهَى وَأَجْمَلًا
وَمَدَّ يَدَيْهِ ضَارِعًا وَتَوَسَّلًا
وَجُودُكَ أَثَرِي كَفَهُ مُتَنَفِّلًا^(٣)

(١) في م • الملك • .

(٢) في م : « مستفادا » .

(٣) كذا في م وط - وفي نسخ الطيب : « متفلا » .

[٣١٩]

وقال برسم مايرتسم على ثوب في بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان
أبي العباس :

أَهْدِي أَبَا الْعَبَّاسِ	مَلَكَ النَّدَى وَالْبَاسِ
ثَوْبَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ	بَدْرٌ بَدَا لِلنَّاسِ
فَلَقِيَ الصَّبَاحَ بِوَجْهِهِ	عَوْدَتُهُ بِالنَّاسِ
يَكْسُو إِمَامًا لَمْ يَرْكَ	يَحِلِّي الْحَامِدِ كَلَسِ
فِيَالَهُ مِنْ مُرْنَدٍ	ثَوْبَ التَّقَى الْبَاسِ ^(١)
أَذْبَالُهُ مِنْ حَمْدِهِ ^(٢)	مُسْكِيَّةُ الْإِنْفَاسِ
وَيَهْرَازُهُ مَدْحُ زَرَى	بِالْمَدْحِ فِي الْقِرْطَاسِ
إِنْ كُنْتُ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ	بِنِسْبَةِ وَقِيَّاسِ
فَلَأَنْتَ يَا بَدْرُ الْعُلَا	شَرَفْتَنِي بِرِيَّاسِ
أَنَا مُنْشِدُ « مَا فِي وَفُو »	فِكَ سَاعَةٍ مِّنْ بَاسِ
لَتَرَى رِيَاضًا أَطْلَعَتْ	زَهْرًا عَلَى أَجْنَاسِ
أَوْزَانَهَا تَوَزِينُهَا	بِقَضَائِيهَا الْمَيَّاسِ
وَمِنَ الْمَدِيحِ مَدَامَتِي	وَمِنَ الْمُحَايِرِ كَلَسِ
فَاللَّهُ يُبْتِغِ لَأَيِّسِي	بِالْبَيْشِ وَالْإِنْبَاسِ

وفي مثل ذلك قوله رحمه الله :

إِنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا أَهْدَى الْخَلِيفَةَ أَحَدًا

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « والباس » .

(٢) في ط : « مزجه » . وما أبتناه من فتح الطيب .

في برسم على
ثوب مهدي
السلطان أبي
العباس

في مثل ما تقدم

[لِلْيَاسِرِ تَوْبًا وَفَذِ
وَعِمَامَةِ التَّقْوَى ^(٢) الَّتِي
بِاحْسِنَهَا إِذْ أُرْسِلْتَ
وَكَانَ وَشَى رُفُومَهَا
وَيُطَرِّزُهُ لَوْنُ السَّمَاءِ
فِيهِ مِنْهُ نَيْرٌ
مُسْتَنْصِرٌ أَعْلَى لَهُ
لَيْسَ الْمَحَامِدُ وَارْتَدَى ^(١)
مِنْ فَوْقَهَا شَمْسُ الْهُدَى
مَنْ كَفَّ غَيْثَ النَّدَى
بِالْبَرْقِ طُرُزَ عَسَجِدَا
وَوَجْهَهُ ^(٣) قَمَرٌ بَدَا
حَلَّ النَّازِلِ أَسْمَدَا
فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَصْعَدَا

ثم قال بعد ذكر قصيدة في الدح :

وأنشده وهو على جواد آدم :

تَجَلَّى لَنَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ
فَأَبْصَرْتُ صُبْحًا فَوْقَ لَيْلٍ ^(١) وَقَدْ حَكَى
عَلَى أَدَمٍ قَدْ رَاقَى حُسْنَ أَدِيمٍ
مُقَلَّدَ ذَلِكَ الطَّرْفِ بَعْضَ نَجُومِهِ

وله في المعنى بالله
وهو على جواد
آدم

وكتب له مع هدية زهرية :

أَمْوَلَايَ تَقْبِيلِي لِيُعْنَاكَ شَاقِي
وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ مَاطَلَنِي بِهَا
بَعَثْتُ لَكَ الزَّهْرَ الْجَنِيَّ لَعَلَّهَا
يُقْبِلُهَا عَنِّي تُغَوِّرُ مِنَ الزَّهْرِ

وله مع هدية
زهرية

وكتب إليه أيضاً منشوقاً :

كَتَبْتُ وَدَمَعِي بِلَالِ الرَّاكِبِ قَطْرُهُ
وَأَجْرِي بِرَيْنِ الْحَيَّامِ السَّوَارِقِيَا

وله منشوقاً إلى
الغنى بالله

(١) البيت من نفع الطيب .

(٢) كذا في م . وفي ط ونفع الطيب : « الشفق » .

(٣) في ط : السبا وبوجهه . وما أُنْتَهَى من نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تحت ليل » ولا يستقيم به المعنى .

حَنِينًا لِمَوْلَى أَنْفَقَ الْمَالَ جُودُهُ
وَمَا عِشْتُ بَعْدَ النَّبِيِّ إِلَّا لِأَنِّي
وَلَكِنَّهُ قَدْ خَلَدَ الْفَخْرُ بِأَقْبَا
أَرْجَى بِفَضْلِ اللَّهِ مِنْهُ التَّلَاقِيَا

وأنشده أيضًا وهو بحال تألم :

كَأَنِّي يَلُطِفُ اللَّهُ قَدْ عَمَّ خَلْقُهُ
وَقَاضَى الْقَضَاءَ الْخَتَمَ سَجَلُ حَكْمُهُ^(١)
وَعَاقَى إِمَامَ السُّلَمِينَ وَقَدْ شَفَى
وَحَطَّ عَلَى رَمَمِ الشَّعَاءِ لَهُ : ا كُتِفَى

وفي مثل ذلك :

لَكَ الْخَيْرُ يَا مَوْلَايَ أَبَشِرْ بِعِصْمَةٍ
وَعَاقِبَةٍ فِي صِحَّةٍ مُسْتَجِدَّةٍ
فَوْجُهُ النَّهَائِي مُسْرِقٌ مُتَهَلِّلٌ
وَقَدْ ظَهَرَتْ لِلْبُرْءِ مِنْكَ عَلَامَةٌ
عَقَدَتْ مَعَ الْأَبَامِ فِي حِفْظِهَا صَلَاحًا
تُجَدِّدُ لِلدِّينِ السَّعَادَةَ وَالنَّجَاحَا
وَجَوُّ الْأَمَانِي بَعْدَ مَا عَامَ قَدْ أَصْحَى
عَلَامَتُكَ الْعُظْمَى تَقُولُ لَنَا : صَحَا

وفي مثل ذلك :

يَا إِمَامًا قَدْ تَخَذْنَا
خَطَّ بُمْنَاكَ بُنَادِي
هُ مِنْ الدَّهْرِ مَلَاذًا
صَحَّ هَذَا، صَحَّ هَذَا

وقال مهنتًا بالشفاء :

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَّغْنَا الْوَعْدَى
وَفُزَّتْ بِالْأَجْرِ وَكَبَّتِ الْعِدَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بِهِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ وَزَالَ الْعَنَاءُ
وَفُزَّتْ بِالْعِزِّ وَطَلَبِ الشَّعَا
مَنْ عَلَيْنَا مِنْ ظُهُورِ الشَّعَا

(١) في نفع الطبيب : « خمه » .

وما كتب إلي
ومو في حال تألم

فمثل ذلك أيضًا

في ذلك أيضًا

وله في التهنئة
بالشفاء

وقال أيضا في نحو منه :

في هذا أيضا

نَمَّ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ وَانْشَرَحَ الصَّدْرُ وَقَدْ لَاحَ مِنْ وَجْهِ الْإِمَامِ لَنَا الْهَيْدُرُ
سَرِينَا بَلِيلِ التَّيْدِ يَكْدِبُ فِجْرُهُ فَلَمَّا تَجَلَّى بِشْرُهُ صَدَقَ الْفَجْرُ [٣٢١]
أَغْرَ الْمُحَيَّا بِالْحَيَاءِ مُقَنَّعٌ زَهَاهُ السَّكَّالُمُ الْحُرُّ وَالنَّسَبُ الْحُرُّ
إِمَامُ الْهَدَى قَدْ خَصَّهُ بِخِلَافَةٍ إِلَهٌ لَهُ فِي خَلْقِهِ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ

وقال في مثله وقد ركب رحمة الله عليه لمعاهد حضرته :

في مثل ما سبق

هَيْنِئًا هَيْنِئًا لَا تَقَادَرِ إِمَدَهُ وَبُشْرَى لِدِينِ اللَّهِ إِنْجَازُ وَعْدِهِ
قَدْ لَاحَ بِذُرِّ التَّمِّ فِي أَفْقِ السَّلا وَحَلَّ كَمَا بَرَضَى مَنَازِلَ سَعْدِهِ
وَعَلَّافَ إِمَامٍ^(١) لِلْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ بِحَضْرَتِهِ الثُّلُبَا مُبْلَغَ قَعْدِهِ
وَلَا حَتَّ بِهَا الْأَنْوَارُ مِنْ بَشَرٍ وَجْهِهِ وَفَاحَ بِهَا التَّوَارُ مِنْ نَشْرِ حَدِّهِ
[وَأَبْصَرَتِ الْأَبْصَارُ شَمْسَ هِدَايَةِ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْجَاءُ مِنْ زُهرِ وَفْدِهِ]^(٢)
وَلَوْ حَتَّ الْأَعْلَامُ فِيهَا بِنَصْرِهِ كَمَا لَوَّحَ الصَّبْحُ الْمُنِيرُ^(٣) بِنَبْدِهِ
سَهْدِي لَهُ الْأَيَّامُ كُلُّ مَسْرُوقٍ وَيُحْيِي بِدِ الرِّمَحِ أَثَارَ جَدِّهِ
فَسَلِّ حُسَامَ السَّعْدِ وَاضْرِبْ بِحَدِّهِ^(٤) وَخَلِّ حُسَامَ الْهِنْدِ فِي كَنِّ^(٥) غَدِّهِ
فَسَيَفُكَ سَيْفُ اللَّهِ مَهْمَا سَلَّتَهُ يُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ قَائِمُ حَدِّهِ

(١) في م وتفع الطيب : « أمير » .

(٢) هذا البيت عن تفع الطيب .

(٣) كذا في تفع الطيب . وفي ط : « النصر المين » .

(٤) في تفع الطيب : « به العدا » مكان قوله : « بمده » .

(٥) كذا في م . وفي ط وتفع الطيب : « كثر » .

وله يصف البازي
ويشكر ما أهدى
إليه من صيده

وأنشده رضى الله عنه في طرد مولانا الوالد ، رحمة الله تعالى عليه ، ويصف
البازي ، ويشكر ما أهداه من صيده :

يا مَنْ نَمَدُّ لَهُ الْمُلُوكُ أَكْثَفَهَا نَدَعُو الْإِلَـهَ لَهُ يَطُولُ بَقَاءُ
أَضْحَى وَلِيُّ الْعَهْدِ نَجَلُكَ صَانِدًا شَأْنُ الْمُلُوكِ الْعَلِيَّةِ الْعُظَمَاءُ
وَرَمَى الْبَرَاةَ عَلَى الْقَنَاءِ ^(١) يَصِيدُهُ صَبَدَ الْخَلِيفَةَ شَارِدَ الْأَعْدَاءُ
مَنْ كُلَّ خَافِقَةِ الْجَنَاحِ إِذَا مَشَتْ تُبْدِي اخْتِبَالَ الْغَادَةِ الْعَذْرَاءُ
أَهْدَتْ لَنَا سَبِجَ ^(٢) الْعِيُونِ وَطَوَّقَتْ أَرْجَاءَهَا بِعَقِيْفَةِ سَمَرَاءُ
وَاسْتَنَافَتْ الْيَاقُوتَ فِي مِيفَارِهَا وَمَشَتْ عَلَى الْمَرْحَانِ فِي اسْتِحْيَاءُ
وَوَشَتْ يَدُ الْأَمْدَارِ فِي أُعْطَافِهَا وَشَبَّا زَرَى بِالْحُلَّةِ السَّيْرَاءُ
مَلِكُ الْعُيُورِ أَتَى إِلَى مَلِكِ الْوَرَى فَاسْتَنَافَهَا لُثْمُ مَلِكِ الْخُلَفَاءُ
وَقَضَى سَمَاحَكَ أَنْ نَحْوَدَ بِيْعَضِهَا لِلْعَبْدِ تُمْلِيْهِ عَلَى الْجَوْرَاءُ
لِلَّهِ هَلْ شَرَفَ بُضَائِي ذَا الَّذِي أَوْلَيْتَنِي مِنْ مِّنْهُ غَرَاءُ
هَبْنَاهُ أَيْنَ جَزَاؤُهَا مِنْ شُكْرِهِ يَجْزِيكَ عَنَّا اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءُ
أَوْلَيْتَ قَدْ أَوْلَيْتَ كُلَّ خَلِيفَةٍ شَرْفًا وَغَرَبًا أَضْوَبَ الْآرَاءُ
فِلْصَاحِبِ الصَّفْرَاءِ ^(٣) فَخَرُّ حَالِدٍ يَحْطِي بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْعَقْرَاءُ
بِيْعًا وَسَمَرًا قَدْ شَرَعْتَ لِنَصْرِهِ وَأَعْنَتَ بِالْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءُ ^(٤)
لَا زِلْتَ شَمْسَ خِلَافَةٍ أَبْنَاؤُهُ مِثْلُ الْبُيُودِ بِمَرْقَبِ الْقَلْبَاءُ

[٣٢٢]

(١) كذا في م وط ، والكلمة كما يظهر يحرفه عن اسم طير أو نحو ذلك .

(٢) السبج : خرز أسود ، شبه عيون الطير به .

(٣) الصفرء : موضع قرب المدينة . ولعله يريد بصاحب الصفرء سعد بن عبادة جد

الدوح إذ كان موطنه المدينة وما جاورها .

(٤) البيضاء والصفرء هنا : كائنتان عن الفضة والذهب .

وأجاب عن أبيات خمس ، كتب — رضى الله عنه — بها إليه :

لَكَ فِي الْخِلَافَةِ مَظْهَرٌ لَا يُفْرَعُ مِنْ دُونِ مَرْقَبِهِ الشُّجُومُ الطَّلَعُ
بِأَيْهَا ذَلِكَ الَّذِي أَبَامُهُ غُرُرٌ بَوَّجَهُ الدَّهْرُ لَا تَنْفَعُ
سُبْحَانُ مَنْ حَلَاكَ بِالْخُلُقِ الرَّضَا وَكَسَاكَ مِنْهُ حُلَّةٌ لَا تُخْلَعُ
أَمَّا الْمَدَامُ فَدُمْتَ تَطْلُعُ شَعْنَهَا بَيْنَ الْبُدُورِ وَشَسْرُ وَجْهِكَ تَسْطَعُ
أَغْنَيْتَنِي عَنْهَا مَخْزِرٌ بَلَاعُفٍ فَالطَّيْبُ مِنْ نَفْعَاتِهَا يَنْصَوِعُ
بِوَأَنِّي مِنْ عِزِّ نَظْمِكَ رَوْضَةٌ طَابَ الْحَقَى مِنْهَا وَلَدَّ الشَّرْعُ
وَأَرَيْتَنِي جُنْحَ الدُّجَى غُرَّةً فَانْثُورُ مِنْ قَسَمَاتِهَا يَنْتَظِعُ
يَعْنُو لَهَا الْبَدْرُ الْعَنِيْرُ وَقَدْ عَلَا وَالْبَدْرُ تَأَجَّجَ بِالشُّجُومِ مُرْصَعُ
فَأَتَخَفْتَنِي مِنْهَا بِخُشْيٍ وَلَا نِدٍ لُتَعِيْذُهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ تَلْقَعُ^(١)
قَبْلَهَا أَلَمَّا وَبَتْ لِرَبِّهَا أَذْعُو لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَضْرَعُ

وقال يصف غربانا أجراها — رحمة الله عليه — ويتفادل له بالراحة من

وله يصف
غربانا ويتفادل

شكايه ثلاثة .

أَعْلَمُكَ الْخُمْرُ فَوْقَ السُّفْنِ حَافَقَةً وَرِيحُ سَعْدِكَ تُجَرِّبُهَا عَلَى قَدَرٍ
مَا إِنْ رَفَعْتَ قَبِيْرَ السُّفْنِ فِي وَطَنِ إِلَّا وَنِلْتَ قَصَى السُّؤْلِ وَالْوَطْرِ
قَالُوا السُّفَانُ فَوْقَ الْبَرِّ ذَا عَجَبٍ مِنْ غَيْرِ بَحْرِ وَلَا مَوْجٍ وَلَا غَرَرٍ
قُلْتُ أَنَارُ مَوْلَانَا الَّتِي سَقَرَتْ لَنَا الْعِنَايَةُ عَنْ آيَاتِهَا الْكَبَرِ
تَجْرَى بِرِيحِ سُمُودٍ فِي بَحَارِ نَدَى تُغْنِي بِنَانِكَ عَنْ بَحْرِ وَعَنْ مَطَرٍ
لِلَّهِ يَوْمٌ حَسْبُ الْعُنْعِ ذُو أَرٍ مُحَجَّلٌ رَائِقُ الْأَوْضَاحِ وَالْفَرَرِ
اسْتَبَشَرَ النَّاسُ فِيهِ بِالْمُنِيعِ وَقَدْ تَصَنَّنَ الْبَشَرُ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدَرِ

(١) يقال : لنع فلان فلانا بينه : أساء بها .

زَجَرْتُهُ بِشَيْفَاءٍ قَدْ أَتَاكَ كَمَا يُرْضَى غُلَاكَ جَمِيلَ الْخُبْرِ وَالْخَبْرِ
إِذَا شَكُوتَ فَكُلُّ الْكَوْنِ ذُو وَصَبٍ فَأَنْتَ مِنْهُ مَكَانَ السَّعْجِ وَالْبَصْرِ
وَمَنْ شَكَا بِأَيْمِهِ الْوَجْدَ فِي بَصْرِ فَقَدْ تَعَوَّدَ غَيْرَ الشَّهْدِ وَالسَّفْرِ^(١)
فَأَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ وَ لُطْفٍ يَسْرِى إِلَيْكَ بِهَا إِنْعَامُ مُقْتَدِرٍ
وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَاتِ بَحْرُمَتِهَا تَعَوَّدَ الْخَلْقُ لُطْفَ اللَّهِ فِي الْقَدَرِ

[٢٢٢]

ثم قال بعد إيراد جملة من نظمه :

وَأَنْشُدْهُ وَقَدْ عَادَ — رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ — مِنْ بَعْضِ مَتَوَجِّهَاتِهِ الْجُهَادِيَةِ
لِجَبَلِ الشَّوَارِ .

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيُّونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ قَدِمْتَ مَعَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَقَدْ عُدْتَ مِنْ جَبَلِ الشَّوَارِ لِتَجْتَلِي عَقَائِلَ لِلْفَتَحِ الْمُبِينِ بِلَا^(٢) عَدِّ
ثم قال بعد ذكر جملة :

وَقَالَ مِمَّا رَسَمَ فِي طَيِّقَانِ الْأَبْوَابِ بِالْمَبَانِي السَّعِيدَةِ الَّتِي ابْتَنَاهَا مَوْلَانَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَنَا تَاجُ كِهْلَالٍ أَنَا كَرْمِيٌّ جَمَالٍ
يَنْجَلِي الْإِزْبِيقُ فِيهِ كَمَرُوسِ ذِي اخْتِبَالٍ
جُودُ مَوْلَانَا ابْنِ نَصْرِ قَدْ حَبَّانِي بِالْكَمَالِ

وفي المعنى :

مَنْ رَأَى التَّاجَ الرَّفِيعَا قَدْ حَوَى الشُّكْلَ الْبَدِيعَا

(١) كذا ورد البيت في الأصلين ، وفيه غموض .

(٢) في م وضع الطب : وعلى عد .

في التهته بمرودة
الأمير من جبل
الشوار

في رسم
بطيخان الأبواب

في مثل هذا

نَحْسُدُ الْأَفْلَاحُ مِنْهُ قَوْسَهُ السَّهْلَ السَّيِّئَا
دَمْتَ رَبَّمَا لِلتَّهَانِي انْظُرِ الشُّنْلَ الْجَمِيْعَا

وفيه :

لِلْعَنَى بَاقَهُ قَصْرُ لِلتَّهَانِي يَضْطَفِيهِ
فِيهِ مِحْرَابُ صَلَاةٍ يَنْفُ الْإِزْبِقُ فِيهِ
تَالِيَا سُورَةَ حُيٍّ (١) وَالْمَعَالِي تَنْفَنِيهِ

وفيه :

أَيُّ قَوْسٍ ذِي كَمَالٍ سَهْمُهُ سَهْمُ السَّعَادَةِ
مَلِكُ الْإِزْبِقِ فِيهِ عَوْدُ الْإِحْسَابِ عَادَهُ
ذُو صَلَاةٍ مِنْ صَلَاتٍ كُلُّهَا دَائِبًا مُعَادَهُ
وفي المعنى مما كتبه لمبتنى لعننا الأمير سعد رحمه الله تعالى عليه :

في ميثي
للأمير سعد

انْظُرْ لَأَفْقٍ جَمَالٍ بِرِ الْأَبَارِقُ تَضَعْدُ
بَدِيعِ خُسْنِ حَبَاهُ بِرِ الْأَمِيرِ الْمَجْدُ
فَخَرُ الْإِمَارَةِ سَعْدُ بِرِ الْخَلِيفَةِ يَسْعَدُ
وَكَيْتَ لَا وَأَبُوهُ فَخَرُ الْمُلُوكِ مُحَمَّدُ
إِ عَلَيْهِ خَلُّ رِضَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَجَدَّدُ (٢)

[٣٢٤]

وفيه أيضاً :

رَفَعْتَ قَوْسَ سَمَاءٍ يُزْهِى بِتَاجِ الْهِلَالِ

(١) كذا في م ونفع الطيب المخطوط وفي ط : حسن .

(٢) هذا البيت عن م ونفع الطيب .

قَدْ قَلَّدْتَهُ نُقُوسِي دُرُّ الدَّرَارِي الْفَوَالِي
تَرَى الْأَبَارِقَ فِيهِ تُهْدِيكَ عَذْبَ الزَّلَالِ
قَدْ زَانَ قَصْرِي سَعْدُ بِسَعْدِهِ الْمَتَوَالِي
فَدَامَ يَغْمُرُ رَبِّي فِي ظِلِّ مَوْلَى الْمَوَالِي

وقال في الغرض :

مَا تَرَى فِي الرِّبَاضِ أَشْهَامِي يَسْحَرُ الْعَقْلَ حَسَنَ الْبَاهِي
زَانَ رَوْعِي أَمِيرُهُ سَعْدُ وَهُوَ نَجْلُ النَّفِيِّ بِاللَّهِ
دَامَ مِنْهُ بِمِرَّتِي عِزٌّ أَمْرٌ بِالشُّعُودِ أَوْ نَاهِي

وله في الشكر
عن هدية

وقال في غرض الشكر [عن مُعَطَّى صِهْاجِي أَهْدَاهُ إِيَّاهُ] ^(١) :

لَمِنْ قُبَّةٍ سَمَرَاهُ مَدٌّ فَصَاوُهَا تَطَابَقَ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا
وَمَا أَرْضُهَا إِلَّا خَزَائِنُ رَحْمَةٍ وَمَا قَدْ سَمَّاهُ فَوْقَ ذَلِكَ غِطَاوُهَا
وَقَدْ شَبَّهَ الرَّحْمَنُ خَلْقَتَنَا بِهَا وَحَسْبُكَ فَخْرًا بَانَ مِنْهُ أَعْتِلَاوُهَا
وَمَعْرُوشَةٌ ^(٢) الْأَرْحَاءِ مَفْرُوشَةٌ بِهَا صُنُوفٌ مِنَ النِّعَمَاءِ مِنْهَا وَطَاوُهَا
تَرَى الطَّيْرَ فِي أَجْوَاهَا قَدْ تَصَفَّفَتْ عَلَى أَنْعَمٍ ^(٣) عِنْدَ الْإِلَهِ كِفَاوُهَا
وَنَسَبَتْهُ صِهْاجَةً غَيْرَ أَنَّهُ ^(٤) نَقَصَرَ عَمَّا قَدْ حَوَى خَلْقَاوُهَا
حَبَّتَنِي بِهَا دُونَ الْعَبِيدِ خِلَافَةً عَلَى اللَّهِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ جَزَاوُهَا

(١) ما بين القوسين عن م وفتح الطيب .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي م « مفروشة » .

(٣) في م وفتح الطيب : « على نعم » .

(٤) كذا في ط . والذي في م وفتح الطيب : « ونسبها ... غير أنها » . والضمير

تذكير عائد على المعطى الهدى ، وبالتأنيث عائد على النبة .

وَفِي مِثْلِهِ :

مَا لِلْعَوَالِمِ جُمِعَتْ فِي قُبُورِ قَدْ شَادَهَا كَرَمُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
 فِي صَفْحٍ صَرَّحَ بِالرَّجَاجِ مُمَوِّدٍ وَيَجُودِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُمَهَّدٍ
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِطَائِرٍ (١) عَنْ ثَوْبٍ مُوَسَّيٍّ الرَّيَاشِ مُحَرَّدٍ
 إِنْ لَمْ تَسْكُنْ تِلْكَ الطُّيُورُ تَعَرَّدَتْ فَلَيْسَ كَرِ هَذَا الْعَبْدِ سَجْعٌ مُعَرَّدٌ
 صَفَّتْ عَلَيْهَا لِفَوَاكِهِ كُلُّ مَا قَدْ عَاهَدْنَهُ بِدَوْحِهَا الْمُتَعَوَّدُ
 لَوْ أَبْصَرْتُ صِنَاجَةً أَوْضَاعُهُ دَانَتْ لَهُ أَمْلَاكُهَا بِتَعَبُدٍ (٢)
 عَوَّدَنِي الصَّنْعَ الْجَمِيلَ تَفَضَّلَا لَا زِلْتَ خَيْرَ مُعَوِّدٍ وَمَعَوِّدٍ
 وَبِسُورَةِ الْأَنْعَامِ كَمْ مِنْ آيَةٍ ! فِيهَا لِقَارٍ بِالنَّوَالِ مُجُودٍ

[٣٢٠]

وقال تذيلاً لبيتى ابن المعتز :

« سَتَنِي فِي لَيْسَلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَذَبَهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
 فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ لِلشَّعْرِ وَالشَّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ حَمْرِ وَخَذَلٍ حَبِيبٍ
 إِلَى إِنْ بَدَأَ الصُّبْحُ الْمُمِيرُ كَأَنَّهُ لَحَيَّا ابْنَ نَهْرٍ لَمْ يَشْنِ بِغُرُوبٍ
 شَمَائِلُهُ مَهْمَا أُدِيرَتْ كَثُومُهَا فَلَا تَدُ أَسْمَاعُ وَأَنْسُ قُلُوبُ

وقال مُذْبِلًا عَلَى بَيْتِ ابْنِ وَكِيعٍ أَيْضًا :

« هِيَ فِي أَوْجَعِ النَّدَامَى عَقِيقٌ وَهِيَ مِثْلُ النَّضَارِ فِي الْإِفْدَاحِ
 كَأَنَّ نَهْرَهُ تَرَاهُ فِي الْحَرْبِ لَيْثًا وَهُوَ بَذَرُ الْهَدَى وَغَيْثُ السَّحَابِ

(١) فِي نَفْحِ الطَّيْرِ : « كَطَائِرٍ » .

(٢) الصَّنَجَرُ فِي أَوْضَاعِهِ لِلْمَطَى وَهُوَ الْقَبَّةُ الْمُرْصُوفَةُ ؟ وَفِي دَانَتْ لَهُ يَجُودُ عَلَى الْهَدَى ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ النَّفِ بِأَفْعٍ .

وله في التذييل
على بيتى ابن
المعتزوله في التذييل
على بيت ابن
وكيع

ذِكْرُهُ قَدْ نَتَى قُدُودَ النَّدَامَى وَأَعَادَ الْحَيَاةَ فِي الْأَشْبَاحِ ^(١)

وقال مما يُرْسِمُ للغنى بالله :

لِلْغِنَى بِاللَّهِ مُلْكٌ بَرْدُهُ بِالْعَزِّ مُذْهَبٌ

دَامَ فِي رَفْعَةِ شَانٍ مَا جَلَّ الإِصْبَاحُ غَيْثٌ

وقال أيضاً :

يَا بَنَ نَعْمٍ لَكَ مُلْكٌ لَيْسَ تَعْدُوهُ الْفُتُوحُ

دُمْتُ رُوحًا لِلْعَسَالِي مَا سَرَى فِي الْجَنِّمِ رُوحُ

وقال من مقطوعة :

وَابْنُ نَعْمٍ لَهُ مُحِبًّا كَصُبْحِ إِنْ تَجَلَّى جَلَدُ جَى ^(٢) كُلُّ كَرْبِ

دُو حُسَامٍ كَأَنَّهُ لَمَعُ بَرَقٍ فِي بَنَانٍ كَأَنَّهَا غَيْثُ سُحُبِ

ومن أخرى :

وَكَانَ النُّجُومُ فِي عَسَى اللَّيْلِ مُجَانٌ يُلُوحُ فِي آبُوسِ

وَكَانَ الصَّبَاحُ فِي الْأَفْقِ يُجَلَّى بِحُلَى النُّجُومِ مِثْلُ الْعَرُوسِ

وَكَانَ الرِّبَاضُ نُهْدَى ثَنَاءٍ لِلْغِنَى بِاللَّهِ فَوْقَ الطَّرُوسِ

ثم قال بعد قصائد كثيرة عبيدية :

وقال من أخرى عبيدية شاركها في كثير [من أبياتها قصيدة] ^(٣) فتحية

تقدّمت ، أولها :

(١) في م وفتح الطيب : « في الأرواح » .

(٢) في فتح الطيب : « لنا » مكان « دعى » .

(٣) النكلة عن م .

* هِيَ نَفْحَةٌ هَبَّتْ مِنَ الْأَنْصَارِ *

والمختص بهذه :

أَصِيَّاهُ هَذِي أُمُّ ضِيَّاهُ نَهَارٍ وَشَدَا الْمَحَايِدِ أُمُّ شَدَا الْأَزْهَارِ
ومنها بعد كثير :

قَسَمًا يَهْدِيكَ فِي الضِّيَاءِ وَإِنَّهُ شَمْسٌ تُبْدِي الشُّهْبَ بِالْأَنْوَارِ [٣٢٦]
ومنها أيضاً :

كَمْ مِنْ لَطَائِفٍ لِلْهُدَى أَوْضَعَتْهَا خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا ^(١) عَلَى الْأَفْكَارِ
كَمْ مِنْ جَزَائِمٍ قَدْ غَفَرَتْ عَظِيمَهَا مُسْتَنْزِلًا مِنْ رَحْمَةِ الْغَفَّارِ
عَلِمْتَ مُلُوكَ الْأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ فِي مِضَارِ
ومنها يصف الجيش :

وسف جيش

سَالَتْ بِهِ نَحْتِ الْعَجَاجِ سَفِينَةٌ نَفَحَتْ بِرِيحِ الْعَزَمِ ^(٢) مِنْ أَنْصَارِ
أَزْسَتْ بِجُودِي الْجُودِ فِي يَوْمِ النَّدَى وَجَرَتْ بِيَوْمِ الْحَرْبِ فِي تِيَارِ
ومنها :

أَلْقَى بِأَيْدِي الرِّيحِ فَضْلَ عِنَانِهِ فَكَادُ يُسْبِقُ لِمَحَّةِ الْأَنْصَارِ
ومنها :

فَقَى الْعِرَابُ مَتَى أُثْبِرَتْ فِي الْوَغَى قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ صُنْعِ لُطْفِ الْبَارِي ^(٣)

(١) في نفع الطيب : « لطائفها » .

(٢) في نفع الطيب : « العزم » .

(٣) كذا في م و نفع الطيب المخطوط . وفي م و نفع الطيب للطبوع : « اثبت » .

ومنها :

إِنْ خَاضَ فِي بَحْرِ الْعَجَاجِ ^(١) رَأَيْتَهُ يَخْلُو دُجْنَتَهُ بِوَجْهِ نَهَارٍ

ومنها :

كَمْ فِيهِمْ مِنْ قَارِي ضَيْفٍ طَارِقٍ وَضَحَتْ شَوَاهِدُ فَضْلِهِ لِلْقَارِي

ومنها :

يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَمَامُهُ غُرُزٌ تَلُوحُ بِأَوَجِّهِ الْأَعْصَارِ
 قَدْ زَارَكَ الْعَيْدُ السَّعِيدُ مُبَشِّرًا فَاتَمَحَّ لَأَنْفٍ مِثْلِهِ بِمَزَارِ
 لَمَّا أَرَدَتْهُ عَوَاطِفُ الْطَفَتَيْنِ ^(٢) عَطَفَ الْإِلَهُ عَلَيْكَ عَطَفَ سِوَارِ
 [فَأَنِّي] ^(٣) بَوْمٌ مِنْكَ هَذِيحًا صَالِحًا كَيْ ^(٤) يَسْتَمِدَّ النُّورَ بَعْدَ سِرَارِ
 وَأَنَّاكَ بَسَحَبٌ ذَبَلُ سُحُبٍ أَغْدَقَتْ تَغْرَى جُفُونُ الزُّنَيْنِ بِاسْتِقْبَارِ
 حَدَثَ بِحَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطْرِ النَّدى فَرَعَى الرَّبِيعُ لَهَا حُقُوقَ النِّجَارِ
 فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلَقًا مُشْرِقًا مُتَفَاحِكًا بِجَبَائِمِ النُّسُورِ
 لَمَّا دَعَاكَ إِلَى الْقِيَامِ بِسُنَّةٍ حَكَمْتَ دَوَاعِي الْجُودِ وَالْإِيثَارِ
 فَأَفْضَتْ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبًا حَسَنْتَ مَوَاقِمَهَا عَلَى التَّكْرَارِ
 فَاهْنَأُ بِعَيْدٍ عَادَ يَسْتَمِيلُ الرِّضَا جَذْلَانِ بِرَفْلٍ فِي حِلَى اسْتِثْشَارِ

(١) في نفع الطيب : « في ليل العجاج » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : « لقيتها » .

(٣) السكلة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « إذ يستمد » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « بحار الدمع » .

ومنها :

لَا عُدْرَ لِي أَنْ كُنْتُ فِيهِ مَقْصُورًا سَدَّتْ صِفَانُكَ أَوْجُهُ الْأَعْدَارِ
فَإِذَا تَقَلَّتْ مِنْ التَّعَارِقِ دُرُهَا شَرَفَتْنِي مِنْهَا بَنَظْمُ دَرَارِ
فَلِلَّذَلِكَ أَنْظَلَهَا فَلَا تَدَّ لَوَاؤُ لِأَلَاؤُهَا قَدْ شَفَّ بِالْأَنْوَارِ

ثم أورد هذا المؤلف قصيدة ميمية طويلة ، أولها :

من قصيدة له
ميمية

هَنَاءَ لَهُ تَعَرُّ الْهَدَى يَتَبَسَّمُ وَبُشْرَى بِهَا عَرَفَ الرِّضَا يَتَنَسَّمُ
تَبَسَّمَ تَعَرُّ النَّفْرِ عَنْهَا بِشَارَةٌ فَأَعْدَى تَعَوَّرَ الزَّهْرُ مِنْهُ التَّبَسُّمُ
وَلَا عَجَبَ مِنْ مُبَسِّمِ الزَّهْرِ فِي الرُّبَا فَلْيَبْرِقْ مِنْ خَافِ السَّحَابِ مَبَسِّمِ
عَنَابَةٌ مَنْ أَعْطَى الْخَلِيفَةَ رُبَّةً عَلَيْهَا النُّجُومُ النِّيرَاتُ نُحُومُ
فَمِنْهُ اسْتَفَادَ لِلَّكُ كُلِّ غَرِيبَةٍ نَحَطُّ عَلَى صَنْحِ الزَّمَانِ وَتُرُومِ
وَمِنْهُ تَلَقَّى الْهَدَى كُلُّ خَلِيفَةٍ كَأَنَّهُمْ يَمَّا أَفَادَ تَعَلَّمُوا

[٣٢٧]

ومنها بعد ثيف على ستم بيتاً :

وَكَمْ مِنْ لَوَادٍ فِي التَّقْوَحِ نَشْرَتُهُ وَلِلرُّعْبِ جَيْشٌ دُونَهُ يَتَقَدَّمُ
قَلَّ لِلْمُلُوكِ الْأَرْضُ دُونَكُمْ قَدْ أَعْلَمَ مَا لَا زَالَ بِالنَّصْرِ يُفْعَلُ
نَسَمَتْ بِوَالنَّصْرِ أَشْرَفُ ذِمَّةٍ لَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ مُكْرَمُ
وَكَمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ أَقَمْتَ فُرُوضَهُ يُزَارُ بِوَالْتَبِتِ التَّقِيْقُ وَزَمَمُ
وَكَمْ عَزَمَتِ جَرَدَتْ مِنْهَا إِلَى الْعِدَا حُسَامًا بِوَالِدَاهِ الضَّلَالَةِ يُحْصَمُ
وَكَمْ بَيْتَ مَالٍ فِي الْجِهَادِ بَدَلْتُهُ وَأَفْرَضْتَ مِنْهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ يَعْلَمُ
وَكَمْ لَيْسَالَةٍ قَدْ جِشَتْ فِيهَا بَلِيلُهُ مِنَ النَّفْعِ فِيهَا لِالْأَسَنَةِ أَنْجَمُ
مَهْرَتَ بِهَا وَاللَّهُ يَكْتُوبُ أَجْرَهَا تُوْمِنُ فِيهَا الْخَلْقُ وَالْخَلْقُ نُوْمُ

وَقَوْلِكَ^(١) مِنْ سَعْدٍ لَوَاءٍ مُشْهُرٍ
 إِذَا أَنْتَ جَهَزْتَ الْجِيَادَ لِغَارَةِ
 فَمِنْ أَشْهَبَ مِنْهَا يَكُرُّ رَأْيَتُهُ
 وَأَحْمَرُ قَدْ أَذْكَى بِهِ الْبَاسُ جَذْوَةً
 وَأَشْفَرُ أَعْدَى الْبَرْقِ لَوْنًا وَسُرْعَةً
 وَأَصْفَرُ فِي لَوْنِ الْعَيْنِ وَذَيْلُهُ
 وَأَدْمَمَ مِثْلِ اللَّيْلِ وَالتَّيْدُرُ عُرَّةُ
 وَاشْهَبَ كَأَفْرِ طَاسٍ قَدْ خَطَّ صَفْحَهُ
 وَرُبَّ جِلَادٍ مِنْ جِدَالٍ سَطَرَتَهُ
 وَقَامَ خَطِيبُ السَّيْفِ فَوْقَ رُوسِهِمْ
 فَكَلَّمَ مِنْ رُؤُوسٍ عَنْ جُسُومٍ أَزْهَلَهَا
 وَزُرْقٍ عُمُودٍ لِلْأَسْتَقْرِ قَدْ بَكَتْ
 وَهَبَ حُسَامٍ كُلَّمَا أَغْرَقَ الْعِدَا
 فَأَصْلَيْتَ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ مِنَ الْوَعَى
 أَبْرَ^(٢) مِنَ التَّثْلِيثِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ
 وَتَبَّهَ سُبُوحًا مَاضِيَاتٍ عَلَى الْعِدَا
 وَلِلَّهِ مِنْ شَهْرِ الْعَصِيَامِ مَوْدَعُ
 تَنَزَّلَ فِيهِ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا
 وَدُونَكَ مِنْ هَزَمٍ حُسَامٍ مُصَمَّمٍ
 فَإِنَّ صَبَاحَ الْحَيِّ أَغْبَرُ أَفْئَمٍ
 صَبَاحًا بَلِيلُ النَّفْعِ لَا يُتَسَكَّمُ
 إِذَا ابْتَلَّ عَطْفًا فِي الْوَعَى يَتَفَضَّرُ
 وَلَكِنْ لَهُ دُونَ الْبُرُوقِ التَّقْدُمُ
 وَلَوْنُ الَّذِي بَعْدَ الْعَشِيَّةِ يُعْلَمُ
 وَبِالشَّهْبِ فِي حَلِيِّ الْمُقْلَدِ مُلْجَمُ
 كِتَابٍ مِنَ النَّصْرِ الْوُزَرِ مُحْكَمُ
 يَرَاغُ الْقَنَا^(٣) فِيهِ تَخْطُ وَتَرْمُ
 فَأَعْجَبُ مِنْهُ أَعْجَمُ يَتَسَكَّمُ
 فَأَنْكَلُ مِنْهَا كُلَّ بَاغٍ يُجَسِّمُ
 وَلَا دَمْعَ إِلَّا مَا أَسِيلَ بِهِ الدَّمُ
 تَلَقَّتْهُمْ مِنْهُ سَرِيحًا جَهَنَّمُ
 سَمِيرًا بِهِ يَرْضَى الْمَسِيحُ وَمَرْيَمُ
 فَمَنْ يَمْتَصِّمُ بِاللَّهِ فَاللَّهُ يَنْعِمُ
 وَخَلَّ جُمُودَ الْمُرْقَمَاتِ تَهْوُمُ
 عَلَى كُلِّ مَحْتَوَمٍ السَّمَادَةِ يَكْرُمُ
 فَيُبْدَأُ بِالذِّكْرِ الْجَبِيلِ وَيُخَسِّمُ

[٧٢٨]

(١) كذا في م . وفي ط : « وسعدك » .

(٢) في ط : « الفنى » .

(٣) كذا في ط ، وفي م : « أبرز » . وفي اللفظ تحريف .

وَفِيهِ مِنْ لَيْكَالٍ مُنِيرَةٍ أَضَاءَ بِنُورِ الْوَحْيِ مِنْهُمْ مُظْلِمٌ
 وَصَابَتْ سَحَابُ الدَّمْرِ مَحْيَا مِنَ الصُّحُفِ أَوْزَارٌ تُحْطُّ وَمَأْتَمٌ
 وَفِيهِ لَيْثَلَةُ الْقَدْرِ قَدْ عَدَّتْ عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فِي الثَّوَابِ تَقَدَّمَ
 تَبَيَّتْ بِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ بِإِذْنِهِ مَلَائِكَةُ السَّيْرِ الطَّبَاقِ قُتِلَ
 وَبُشِّرَى بِعِيدِ الْفِطْرِ أَيْمَنَ قَادِمٍ عَلَيْكَ بِمَجْمُوعِ الْبَشَائِرِ يَقْدَمُ
 جَعَلَتْ قِرَاهُ سُنَّةَ نَبَوِيَّةٍ لَهَا فِي شِعَارِ الدِّينِ قَدْرٌ مُعْظَمُ
 وَمِنْ دَعَوَاتِ الْإِلَهِ رَفَعَتْهَا تُسَدُّ مِنْهَا لِلْإِجَابَةِ أَسْهُمُ
 وَفِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ مُحَيَّاكَ قُرَّةٌ وَفِي كُلِّ كَفٍّ مِنْ نَوَالِكَ أَنْفَمُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَفْخَرْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَلَا أَبْصَرَ لِلْمُصْتَبَاحِ مَنْ يَتَوَسَّمُ^(١)
 فَمَا هَدَى الْإِسْلَامَ غَيْرُ خَلِيفَةِ عَلَى عِطْفِهِ دُرُّ الْعَامِدِ يَنْظُمُ
 فَكَلَّمَ بَيْتَ شِعْرِ قَدْ عَمَرَتْ بِذِكْرِهِ قَبَاتَ بِرِ حَادِي الشَّرَى يَبْرَزُ
 وَلَسْنَ بَيُّونًا بَلْ قُصُورًا مَشِيدَةً تُطْلُ عَلَى أَوْجِ الْمَلَا وَتُخَيَّمُ
 وَمَا ضَرَّهَا أَنْ قَدْ نَآخَرَ عَنْهَا إِذَا طَالَ مَبْنَاهَا الَّذِينَ تَقْدُمُوا
 وَإِذْ^(٢) أَنْتَ مَوْلَاهَا وَعَايِرُ رِبْعِهَا فَكُلُّ فَخَارٍ تَدْعِيهِ مُسَلَّمُ
 أَنَا التَّيْبُ قَدْ أَشْكَنْتُهُ جَنَّةُ الرِّضَا فَلَا زِلَتْ فِيهَا خَالِدًا تَنْقَمُ
 وَلَا زِلَتْ فِي الْأَعْيَادِ سَاحِجَ رَوْضِهَا^(٣) إِذَا احْتَفَلَتْ أَشْرَافُهَا أَتْرَسَمُ
 بَقِيَتْ^(٤) مَتَى يَبْلُ الرِّمَانُ تُجِدُهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْمِمْ

(١) في ط : « من بنوم » . وما أثبتناه عن م .

(٢) كذا في م . وفي ط : « ومذا أنت » .

(٣) في ط : « ساكن » . وما أثبتناه عن م .

(٤) كذا في م . وفي ط : « أقت » .

وَدُمْتَ لِأَنْفِ مِثْلِهِ فِي سَعَادَةٍ بِذِكِّهَا تَبَاغَرُ وَبَقَرَةٍ مُسَلِّمٍ
وَلَمَّا رَأَيْتِ الْفَخْرَ جُهْدَ مُقْصِرٍ وَأَنْتِ أَعْلَى مِنْ مِدْيَحِي وَأَعْظَمِ
خَتَمْتُ ثَنَائِي بِالدُّعَاءِ وَهَئَانَا أَقْلَبُ فِي كَفِّ النَّدَى وَأَسْلَمِ

ثم قال : ولما انتقل مولانا الجدي إلى رضوان الله ونعيم خُلده ، وقام مولانا
[٣٢٩] الوالد ولي عهده بالأمر من بعده ، أنشده رثاء في السَّلف ، وهنا في الخَلَف ،
رحمة الله تعالى عليهما :

[عَزَاءٌ فَإِنَّ الشَّجَوَّ قَدْ كَانَ يُشْرِفُ وَبُشْرَى بِهَا الدَّاعِي عَلَى الْغُورِ يُشْرِفُ]
لَقَدْ طَلَعَ الْبَذْرُ الْكَمَلُ يَوْسُفُ لَقَدْ طَلَعَ الْبَذْرُ الْكَمَلُ يَوْسُفُ
وَإِنْ رُدَّ سَيْفُ الْمَلِكِ صَوْنًا لِنَعْدِهِ فَقَدْ سَلَّ مِنْ غِنْدٍ ^(١) الْخِلَافَةُ مَرْغَفُ
وَإِنْ طَوَّتِ الْبُرْدُ الْبَنَانِي يَدُ الْبَلِي فَقَدْ نَشَرَ الْبُرْدُ الْجَدِيدُ الْفُؤُفُ
وَإِنْ نَضَبَ الْوَادِي وَجَفَّ مَعِينُهُ فَقَدْ قَاصَرَ بِحَرٍّ بِالْجَوَاهِرِ يَغْدِفُ
وَإِنْ صَوَّحَ الرُّؤُوسُ الَّذِي بُنِيَتْ الْغَنَى فَقَدْ أَزْهَرَ الرُّؤُوسُ الَّذِي هُوَ يُخْلِفُ
وَإِذَا أَقْلَعَتْ سَحْبُ الْحَيَاوَةِ تَشَقَّتْ فَقَدْ نَشَأَتْ رِبْهِنًا غَائِمٌ وَكُفُ
وَإِنْ صَدَعَ الشَّيْلُ الْجَمِيعَ ^(٢) يَدُ النَّوَى يَبُوسُفُ فَخَرِ الْمُنْتَدَى يَتَأَلَّفُ
وَإِنْ رَاعَ قَلْبَ الدِّينِ نَفْيُ إِمَامِهِ فَقَدْ هَزَّ مِنْهُ بِالْبِشَارَةِ مَعْطَفُ
وَقَدْ مَلَكَ الْإِسْلَامَ خَيْرُ خَلِيقَةٍ مِنْ الْبَذْرِ أَبْهَى بَلَّ مِنَ الشَّمْسِ أَشْرَفُ
يُعِيرُ حَيَّاهُ الصَّبَاحَ إِذَا بَدَا وَنُحْجِلُ بِمَنَاهُ الْغَنَامَ وَتَخْلَفُ
فَنْ نُورِ مَرَامِ الْكَوَاكِبِ تَهْتَدِي وَمِنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ الْحَيَا نَتَوَكَّفُ

(١) هذا البيت عن م .

(٢) في ط : « سيف » . والتصويب عن م .

(٣) في ط : « الجليل » والتصويب عن م .

وَلَمَّا قَضَىٰ لِلْوَلِيِّ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ
فَلَا جَنْفَ إِلَّا مُرْسِلٌ سَحْبَ دَمْعِهِ
وَقَدْ كَادَتْ الدُّنْيَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا
وَقَدْ كَادَتْ الْأَفلاكُ تَرَفُضُ حُسْرَةَ
وَلَكِنْ تَلَفَّى اللَّهُ أَمْرَ عِبَادِهِ
فَالِدِينَ وَالْدُّنْيَا مَبْتَاحٌ وَغِيْطَةٌ
أَمَانٌ كَمَا تَنْدَى الشَّيْبَةُ نَضْرَةً (١)
طَلَعَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي ذَوْلِ الرِّضَا
بَوَجْهِ يُرِينَا الْبَدْرَ عِنْدَ طُلُوعِهِ
وَعَزَمَ كَمَا انشَقَّ الصَّبَاحُ مُصَمِّمٍ
وَحَوْلَاكَ مَنْ حَفِظَ الْإِلَهَ كِتَابُ
فَوَاللَّهِ مَا تَذَرِي وَلِلْعِلْمِ عِنْدَنَا
أَوْجُهَكَ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ تَطَلَّعَتْ
فَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرِ جَمِيلٍ وَمَفْخَرٍ
يُرَازُ بِهِ الْبَيْتَ الْعَتِيقُ وَزَمَزَمَ
وَمَنْ يَسْأَلُ الْأَيَّامَ تُخْبِرُهُ أَنَّهَا
وَهَلْ تَهْدِيهِمُ الْأَيَّامُ بُشَيَّانَ مَفْخَرٍ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَيَّامُ قَبْلُ تَفَكَّرَتْ
أَلَا لَا تَرُغْنَا الْعَادَاتُ قَانِنَا

تَحَكَّمْ فِي النَّاسِ الْأَمَى وَالْتَأَسُفُ
وَلَا قَلْبَ إِلَّا بِالْجَوَى يَتَلَهَّفُ
وَقَدْ كَادَتْ الشَّمُّ الشَّوَامِخَ تَرْجُفُ
وَكَادَتْ بِهَا الْأَنْوَارُ تَعْفُو وَتُكْسَفُ
بَوَارِئِهِ وَافَهُ بِالنَّاسِ أَرْأَفُ
وَلِلشَّعْرِ نَمْرٌ بِأَلَمَى يُتَرَشَّفُ
يُبْدُ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ أَوْفُ
فَأَمْنَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا يَتَخَوَّفُ
وَفِي وَجْنَةِ الْبَذْرِ الْمُنِيرِ التَّكْلُفُ
وَرَأَى بِهِ بَيْضَ الصَّوَامِرِ تَرْهَفُ
وَفَوْكَ مِنْ ظِلِّ السَّعَادَةِ رَفُوفُ
بَرَاهِينٍ عَنْ وَجْهِ الْحَقَائِقِ تَكْشِفُ
وَكَذَلِكَ أَمْ سَحْبُ الْحَيَا نَتَوَكَّفُ
عَمِيمٍ عَلَى أَوْجِ الْكَوَاكِبِ يَشْرِفُ
وَيَعْرِفُهُ حَتَّى الصَّغَا وَالْمَعْرِفُ
يَقُومُكَ تَرْحَى فِي الْفَخَّارِ وَتَشْرِفُ
تُشِيدُهُ آتَى كِرَامٍ وَمُصْنَعُ
فِيَا سَمِكَ يَا بَدْرَ الْهُدَى تَعْرِفُ
عِصَابَةُ تَوْجِيدٍ بِهِ نَتَشْرِفُ

[٢٢٠]

وَأَيُّ لَنَا إِلَّا التَّوَكُّلَ عَادَةً وَظَنُّ جَمِيلٍ وَعُدَّةُ لَيْسَ يُخَلَّفُ
 فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا الْفَنَى بِرَبِّهِ وَقَدْ سَارَ لِلْفِرْدَوْسِ بِحُبًّا وَيُتَخَفُ
 بَابِهِ مَا بَلَّغْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ أَمَانِيٍّ لِلرَّحْمَنِ تَذَنُّي وَتَزَلُّفُ
 وَعَذَكَ بِرُؤْيَى النَّاسِ كُلِّ غَرِيبَةٍ بِرُؤْيَى لَنَا مِنْهَا الْقَرِيبُ الْمُصَنَّفُ^(١)
 فَكَثَّرْتَ غَمًّا لَا وَهَدَمْتَ بَيْمَةً وَنَاقَوْهَا بِالْكَفْرِ يَهْدِي وَيَهْتِفُ
 وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ بِالْأَذَانِ عَمَرَتْهُ فَصَارَتْ بِهِ الْأَذَانُ بَعْدُ تُشَفُّ
 وَسِرَتْ وَقَدْ خَلَفْتَ خَيْرَ خَلِيفَةٍ لَكَ الْفَخْرُ مِنْهُ وَالشَّكَاةُ لِلْخَلَفِ
 أَيُّسُفُ قَدْ أَرْضَيْتَهُ أَجَلَ الرِّضَا وَكَانَ بِمَا تَرْضَى وَتَخْتَارُ يَكْلَفُ
 وَكُنْتَ لَهُ يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ قُرَّةً عَلَى بِرِّهِ الْمَحْنُومِ تَخْنُو وَتَرَأَفُ
 سَتَجَرِي عَلَى آثَارِهِ سَابِقُ الْمَدَى فَيُهْدَى لَهُ مِنْكَ الشَّكَاةُ الْمُضْعَفُ
 سَبَّاقِي عَدُوِّ الدِّينِ مِنْكَ عَزَائِمًا إِلَيْهِ بِجَرَارِ الْكَتَائِبِ تَرْخَفُ
 وَيَأْسَفُ لَنَا يُبْصِرُ الْهَرَّ بِرَمْيِ بِفُرْسَانِهِ وَالتَّخَرُّ بِالشُّغْنِ يَقْدِفُ
 وَتَفْتَحُ مِنْ بُلْدَانِهِ كُلِّ مَقْفَلٍ^(٢) يُعْبَدُ عَبَادَ الْعَلِيلِ وَيُؤَسِّفُ
 فَمَا أَرَوْسُ الْكَفَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ بِسَيْفِكَ سَيْفِ اللَّهِ تَجْعَى وَتُظْلَفُ
 حُسَامُكَ رَفْرَاقُ الصَّيْحِ كَأَنَّهُ بِكَفِّكَ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ^(٣) يُنْطَفُ
 ضَعِيفُ يَمِصُّ النَّصْرُ مِنْ فَتَاكِهِ فَيُرْوَى لَنَا مِنْهُ الصَّحِيحُ الْمُضْعَفُ^(٤)
 وَرُحُكَ مُرْتَاحُ الْمَاعِظِ هِرَّةً كَأَنَّ قَدْ سَقَمَتْهُ مِنْ دَمِ الْكَفْرِ قَرْفُ
 وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ سِنَانَهُ إِذَا سَمَّ رَجَحَ النَّقَمَ فِي الْحَرْبِ بِرَعْفُ

(١) في البيت ثورية بكتاب « القرب المصنف » في اللغة ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .

(٢) في م : « مقفل » .

(٣) في م : « ماء السحابة » .

(٤) في م : « المصنف » .

فَإِنْ كُنتَ^(١) الْأَبْطَلُ فِي حَوْمَةِ الرِّغَى يُشِيرُ لَنَا مِنْهُ الْبَنَانُ الْمُطَرَفُ^(٢)
 أَعَدَّ فَخْرَ الْإِسْلَامِ مِنْكَ بَيْبَعَةً وَزَالَ بِهَا عَنْهُ الْأَمْسَى وَالتَّخَوُّفُ
 وَالْبَسْنَةُ بُرْدًا مِنَ الْفَخْرِ ضَافِيَا عَلَى عِطْفِهِ وَشَى الْمَدِيحُ يُقَوِّفُ
 وَقَدْ نَفِطَمْتُ فِيهِ السُّعُودَ^(٣) مَيَامِنَا كَمَا يَنْظُمُ الْعَيْدُ النَّفِيسُ وَيُرْصَفُ^(٤) [٣٣١]
 فَدُمْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ غِبْطَةٍ بِمَا شِئْتُ مِنْ أَمَالِكِ الْغُرِّ تُسَعَفُ

وَأُنْشِدُ عَلَى لَحْدِهِ لِلْقُدْسِ — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — فِي الْعَقْدِ قَوْلُهُ :

وله على لحد
 العنق بالغة

صَرِيحٌ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ بِخُصُوكَ رَبِّي بِالسَّلَامِ لِلرُّدِّ
 وَحَيَاكَ^(٥) مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَرُوحُ وَتَفْتَنَدِي
 وَشَقَّتْ جُبُوبُ الزُّهْرِ فَيْكَ^(٦) كَأَنَّمْ يَرِفُ بِهَا الرِّيحُ نَحْنُ عَنْ خَفِيرِ^(٧) نَدَى
 وَصَابَتْ مِنَ الرِّغْمِ^(٨) عَلَيْكَ عَمَائِمٌ تَرَوَى تَرَى هَذَا الصَّرِيحَ الْمُجَدِّ
 وَزَارَتْكَ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ أَوَانِسٌ نَوَاعِمُ فِي كُلِّ النَّعِيمِ الْمُخَلَّدِ
 وَجَاءَتْكَ بِالْبُشْرَى مَلَانِكَةُ الرِّضَا كَمَا جَاءَ فِي الدَّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُجَدِّ
 وَصَافَحَ مِنْكَ الرُّؤُوسُ أَحْلَبِيْبَ زُرْبَةَ وَعَاهَدَ مِنْكَ الْمَزْنَ أَكْرَمَ مَعَهْدِ
 رِضَا اللَّهِ وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ وَغَفْوُهُ^(٩) يُوَالِي عَلَى ذَلِكَ الصَّفِيحِ الْمُنْقَضِ

(١) كنت : جبلت .

(٢) طرفت المرأة بئانها : إذا خضعت بالحناء ، يشبه ستان الرمح المتعصب بالدم بالبنان المتعصب بالحناء .

(٣) كذا في م . وفي ط : « وقد نظمت فيه المدح »

(٤) في الأصلين : « بوصف » بالواو . ولعلها محرفة عما أئبنتاه .

(٥) في م : « وجاءتك » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « فيه » .

(٧) في نفع الطيب : « خضلت » .

(٨) في ط : « وطابت من المولى » والتصويب من نفع الطيب .

(٩) في ط : « والغفو الجميل وصفحه » .

وياصدقاً قد حاز من جواهر الملا
أعندك أن الحليم والعلم والنحبا
وهل أنت إلا هالة القمر الذي
وباعجبا من ذلك الغريب كيف لا
لقد ضاقت الأكوأ ونهى رحيبة
قدمنت على الرحمن أكرم^(١) مقدم
أقام بك الولي الإمام محمد
بهاء كما يرضى وترضى به الملا
ومد ظلال العدل في كل وجهة
وقام بمروض الجهاد عن الورى
قضى بعد ما قضى الخلافة حتمها
وفتح بالسيف الممالك غنوة
وكثر غنائم الصليب وأخرست
وطهر محراباً وجدد منبراً
ودانت له الأملاك شرقاً ومغرباً
وطبق معشور البسيطة ذكره
وسافر عن دار الفناء ليحجني

ليسكل^(٢) نفيس بالنفاسة مفرد
وزهر الحلى قد أدرجت طي ملحد
بنور هداة الشهب تهدي وتهدي^(٣)
يفيض ببحر السحابة مزبد
بما حُرزت من فخر عظيم وسود
وزودت من رُحماة خير مود
مومل فوز بالشفيح محمد
وأنجز لآمال^(٤) أكرم موعِد
وكف أكف التمني من كل مُعتدى
وعود دين الله خير موعِد
وعامل وجه الله في كل مقصد
ومدت له أملاكها كف مجتدى
واقبس كانت لللال بمرصد
وأعلن ذكر الله في كل مسجد
وكلهم ألقى له الملك باليد
وسارت به الرُكبَان في كل فدد
بما قدّم اليوم السعادة في غد

[٢٢٧]

(١) في فتح الطيب : « فاز من جواهر ... بكل »

(٢) في ط : « وتنفدى » .

(٣) في م : « أمين » . وما أُنبتاه من ط وفتح الطيب .

(٤) في الأصلين : « الأملاك » . وما أُنبتاه من فتح الطيب .

وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَقَّ قِيَامِهِ وَبَرَزَ مَعَهُ لَا وَإِنْ وَلَا مُؤَرَّدٍ
 لَنْ سَارَ لِلرَّحْمَنِ خَيْرٌ مُودَعٍ وَكَلَّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ أَشْرَفَ مَقْعَدٍ
 فَقَدْ خَلَّفَ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةَ يَوْفَا يُعِيدُ لَهُ غُرَّ الْمَسَامِي وَيُنْتَدِي
 سَمِيكَ فِي سُبُلِ الْمَكَارِمِ يَقْتَنِي وَهَذِيكَ يَا خَيْرَ الْأَعْمَةِ يَقْتَدِي
 مُحَمَّدٌ جَلَّى الْخُطْبِ مِنْ بَعْدِ يُوسُفَ وَيُوسُفُ جَلَّى الْخُطْبِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 وَلَوْ وَجَدَ النَّاسُ الْفِدَاءَ مُسَوِّغًا فَذَلِكَ بِبَذْلِ النَّفْسِ كُلِّ مُوَحَّدٍ
 سَبَّحَكَ أَرْضٌ كُنْتَ غَيْثَ بِلَادِهَا وَتَبَكَّى عَلَيْكَ السُّعْبُ بِلَاجُفُوسِهَا
 وَتَلَبَّسَ فِيكَ النِّيرَاتُ ظِلَامَهَا يَدْمَعُ بِرُؤْيِ غَلَّةِ الْمُجْدِبِ الْعَصْدِي
 وَمَا مِثِّي إِلَّا أَعْيُنٌ قَدْ تَمَهَّدَتْ حِدَادًا وَيُذَكِّي النَّعْمُ جَفْنَ مُسَهَّدٍ
 فَلَا زِلْتَ فِي ظِلِّ النِّعَمِ مَحْلَدًا فَكَحَّهَا نَجْمٌ ^(١) الظَّلَامِ بِأَنْمِيدٍ
 وَأَوْرَدَكَ الرَّحْمَنُ حَوْضَ نَبِيِّهِ وَنَجَلْتُ بِحَيَا بِالتَّبَاءِ الْمُخَلَّدِ
 عَلَيْكَ سَلَامٌ مِثْلُ مَحْدُوكِ عَاطِرٍ وَأَصْدَرَ مَنْ خَلَقْتَ عَنْ خَيْرٍ مُؤَرَّدٍ
 وَصَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ يَفُضُّ خِتَامَ الْمِسْكِ عَنْ تُرْبِكَ الْوَدَى
 صَلَاةً بِهَا نَزَجُوا الشَّقَاةَ فِي غَدٍ

ثم قال : وقال أيماء في هذا الغرض من رثائه ، ومدح مولانا الوالد
 في أثنائه :

وفي رثائه
 التي لله أيضا

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَا فِيهَا غَدَاةَ نَعَتْ شَمْسِ الْخِلَافَةِ مِنْ فِيهَا
 نَعَتْ مَلَائِكَةِ الْأَمَلِكِ وَالْكَامِلِ الَّذِي يَكْفُ عَوَارِي الْحَادِثَاتِ وَيَكْفِيهَا
 عَمِيدَ بَنِي الْأَنْصَارِ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَنُحْيِي مَعَالِيهَا وَمَوْلَى مَوَالِيهَا

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « جلن » .

وَبَدَّرَ دِيَاجِيهَا وَشَمْسَ نَهَارِهَا
خَفَا الْكَوْكَبُ الْوَقَادُ قَدْ كَانَ نُورُهُ
هُوَ ^(١) الْقَمَرُ الْوَضَّاحُ مِنْ أَفْقِ الْعَمَلَا
وَقَدْ كَسَفَتْ شَمْسُ الْهِدَايَةِ بَعْدَمَا
هُوَ الْجَبَلُ الرَّاسِي تَصَدَّعَ بَعْدَ مَا
يَعِزُّ عَلَى دِينِ الْهَدَى أَنْ شَمْسُهُ
يَعِزُّ عَلَى زَهْرِ النُّجُومِ مَتَى سَرَتْ
لَا تُدَلِّسُ نِكَلٌ عَلَيْهِ مَرَدُّ
ثَلَاثِينَ حَوْلًا بَعْدَ خَمْسِ تَعَوَّدَتْ
أَبْكِيهِ لِلرَّايَاتِ يَخْفُقُ بَنَدُهَا
أَبْكِيهِ لِلْخَيْلِ الْمَعِيرَةِ بِالضُّحَى
وَيَبْكِيهِ مَعْمُورُ الْبَسِيطَةِ كُلَّهَا
وَتَبْكِيهِ سَحْبٌ أَخْجَلَتْهَا بَنَاهُ
وَتَبْكِيهِ حَتَّى الشُّهْبُ فِي أَفْقِ الْعَمَلَا
عَزَاءُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا
هُوَ التَّوْتُ وَرَدُّ لِلْخَلِيقَةِ كُلَّهَا
وَمَا يَمْنَنَّا حَتَّى وَمَا بَيْنَ آدَمَ

وَبَشَرٍ مُحْيَاها وَنُورَ تَجَالِيها
يُجَلِّي مِنَ الدُّهْمِ الْخُطُوبِ دِيَاجِيها
فَأَظْلَمَ جَوْ النَّبِيرَاتِ بِسَارِيها
أَبَانَ سَبِيلَ الْحَقِّ لِخَلْقِ هَادِيها
أَقْرَبَتْ بِعِ شَمُّ الْجِبَالِ رَوَاسِيها
يَطُولُ بِأَطْبَاقِ التُّرَابِ تَوَارِيها ^(٢)
وَلَا تَلْمَحُ الْهَدَى الَّذِي كَانَ يَهْدِيها
لَهُ لَيْسَتْ سُوْدُ الْمُسُوحِ نَوَاجِيها ^(٣)
يُدَافِعُ عَنْهَا كُلَّ خَطْبٍ وَيَحْمِيها
وَفِي مَرْقَبِ النَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ يُعْلِيها
وَقَدْ أَبْعَدَ الْفَتْحُ الْمَيِّينَ مَرَامِيها
وَمَا ضَمَّ مِنْ دَانِي الْبِلَادِ وَقَاصِيها
وَتُرْسِلُ دَمْعَ الْغَيْثِ حَزَنًا مَآقِيها
وَتَلْبَسُ جِلْبَابَ الظَّلَامِ جَوَارِيها
مَقَادِيرُ رَبِّ الْخَلْقِ فِي الْخَلْقِ يُجَرِّيها
أَوَاخِرُهَا تَقْفُو سَبِيلَ أَوَالِيها
أَلَا هَكَذَا سَوَى الْبَرِيَّةِ بَارِيها

(١) في ط : « هو » وهو تحريف .

(٢) كذا في م ، وفي ط : « رواسيها » . وهو تحريف .

(٣) كذا في ط . وفي م : « لبالها » .

وَفِي مَوْتِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَكْبَرُ أَسْوَةٍ
 أَمْوَالَى لَوْ كَانَ الْفِدَاءَ مُسَوِّغًا
 أَمْوَالَى كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لَكَ عِنْدَنَا
 أَمْوَالَى خَلَقْتَ الْعَبِيدَ إِلَى الْأَسَى
 وَقَدْ مَاتَ مِنَّا الصَّبْرُ إِلَّا صَبَابَةٌ
 أَمْوَالَى يَأْتُوَالَى هَلْ أَنْتَ سَامِعِي
 تَحَنَّنِي بِي حَتَّى نَضُوتُ شَبِيدَتِي
 وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنْ تَكُونَ جَنَازَتِي
 [وَقَدْ عَشْتُ حَتَّى ذُقْتُ فَقْدَكَ قَلْبًا
 وَلَوْلَا أَبُو الْحَجَّاجِ نَجَلُكَ لَمْ يَكُنْ
 وَلِسْكُنُهُ وَاللَّهُ يُجْعِلُ^(١) صَبْرَهُ
 فَخَلَقْتَنَا مِنْهُ لِأَكْرَمِ كَارِفِلِ
 سِرِّيَرَتِهِ الرُّخَى وَسِرِّيَرَتِهِ الرِّضَا
 وَسِلَّتِكَ الْمُظْمَى وَظِلَّكَ فَوْقَنَا
 فَا كُنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ قَدْ غَرَبَتْ لَنَا
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا لِلْمِسْكِ إِنْ تَخَفَ ذَائَتُهُ
 أَلَا قَدَّسَ الرَّحْمَنُ نَفْسًا كَرِيمَةً
 وَبَشَرَى لَنَا أَنَّ السَّعَادَةَ نَزَلَهَا
 وَحَاشَا وَكَلَّا أَنْ تَهْضَعَ وَسَائِلَ

تُصَبِّرُ أَحْرَارَ النُّفُوسِ وَتُسَلِّمُهَا
 فَذِينَكَ بِالدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَا فِيهَا
 إِذَا نَحْنُ رُمْنَا حَصْرَهَا لَيْسَ نُخَصِّمُهَا
 يُنَاجِيكَ مِنْ فَرْطِ الشُّجُونِ مُنَاجِيهَا
 بِذِكْرِكَ فِي جُنْحِ الدُّجَى نُخَصِّمُهَا
 أَبْنُكَ مَا يُشْجِي الْقُلُوبَ وَيُدْمِيهَا
 عَزِيزًا وَجِيهًا حَيْنَمَا رُمْتُ تَوَجُّيَهَا
 يُشِيعُهَا مِنْكَ الرِّضَا وَيُؤَارِيهَا^(٢)
 تُبَلِّغُ نَفْسٌ مَا تُرِيدُ أَتَابِيهَا
 لِيَدِينِ الْهُدَى كِرَاتٍ بِخَيْرِ جُزْئِهَا
 مَنَاقِبِكَ الْغُرَّ الْكَرَامَ سَيَحْيِيهَا
 يُحْمِلُ أَغْيَاءَ اخِلَافَةِ كَافِيهَا
 وَأَخْلَاقَهُ الْغُرَّ الْكَرِيمَةَ تَذَرِيهَا
 وَعُدَّتُنَا وَاللَّهُ فِي الْعِزِّ يُفِيهَا
 وَأَنْوَارَهَا بَدْرُ التَّمَامِ يُجَلِّيهَا
 يَمِمْ بِهَا الْعَرْفُ الدَّكِي فَيَفْشِيهَا
 بِكُلِّ عَزِيزٍ فِي الْوُجُودِ نُفَدِّيهَا
 وَأَنْ رِضَا اللَّهِ الْكَرِيمِ يُرَضِّيَهَا
 سَيَذْخُرُهَا الرَّبُّ الْكَرِيمُ وَيُنْفِثِيهَا

[٢٢٤]

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « وَبِوَالِيهَا » .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « وَبِعَدَدِهَا » .

فَكَمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ رَفَعْتَ بُيُودَهُ
كَسَرْتَ تَمَائِيلَ الصَّلِيبِ وَأَخْرَسْتَ
وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ قَدْ أَعْدَتَ أَذَانَهُ
وَكَمْ مِنْ رِيَاضٍ لِلْكَتَائِبِ قَدْ غَدَّتْ
وَمُلْتَقَتْ زَرْعَ الْأَسِنَّةِ مَزْهَرِ
إِذَا غَلِمَتْ مِنْهَا الدَّوَابِلُ فِي الْوَعَى
غِرَاسُ زَكِيٍّ لِلْجِهَادِ غَرَسْتَهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سِنِينَ قَطَعْتَهَا
صَبَرْتَ لَهَا صَبْرَ الْكِرَامِ وَإِنَّمَا
أَمَّا لَكَ فِي الْأَنْصَارِ خَيْرٌ وَسِيلَةٌ
وَحَسْبُكَ الْمَخْفَارُ كَرِيمٌ^(١) شَافِعٌ
عَلَى عَسَلِ الدُّنْيَا وَفَخْرِ مُلُوكِهَا
سَابِكِهِ مَا دَامَ الْحَمَامُ مُطَوِّقًا
وَأَهْدَبِهِ مِنْ طَيْبِ السَّلَامِ مُعْطَرًا
وَأَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ^(٢) مُنْجِبَ كَرَامَةِ
وَنَسْأَلُ فَتَحًا لِلْخَلِيفَةِ يُوَسِّفُ

وَقَدْ أَثْمَرَتْ فِيهَا الْعَمَالِيُّ^(٣) عَوَالِيهَا
نَوَاقِيسُ كَانَتْ بِالضَّلَالِ تُنَاقِيهَا
وَأَعْلَنَ فِيهِ دَعْوَةُ الْحَقِّ دَاعِيهَا
تَضْيِيقُ بِمُسْتَنِّ الْجِيَادِ نَوَاحِيهَا
وَلَكِنْ بِهِنَّ الرُّمَانُ تَعْلُو بِحَاكِنِيهَا
جَدَاوِلُ أَنْهَارِ السُّيُوفِ تَرْوِيهَا
فَصَرْتُ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ تَجْنِيهَا
رَهْنِ شَكَاةٍ لَا تَزَالُ تُعَانِيهَا
ذَخَرْتُ أَجُورًا فَضْلَ رَبِّكَ بِجَارِيهَا
وَقَدْ كُنْتُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ نُحْيِيهَا
وَسُنَّتُهُ وَاللَّهِ لَا زَانَتْ نُحْيِيهَا
تَحِيَّةُ رَبِّ لَا يَزَالُ يُوَالِيهَا
وَمَا سَجَعْتُ تَبْشِيرَ الْهَدْيِ قَسَارِيهَا
كَافَقَتْ أَبْدَى التَّجَارِ غَوَالِيهَا
تَسْعُ عَلَى ذَلِكَ الْفَرَجِ غَوَادِيهَا
بِمُلْكِهِ أَقْصَى الْبِلَادِ وَمَنْ فِيهَا

وله في استطاع
السلطات
أبي الحجاج

ثم ذكر هذا المؤلف جملة نظم ابن زمرك في السلطان أبي الحجاج واستعطافه ، وما يهزله الرضا من شمائل أعطافه ، ومنها :

بِمَا قَدْ خَزَنْتَ مِنْ كَرَمِ الْحِلَالِ بِمَا أَذَرَكْتَ مِنْ رُتَبِ الْجَلَالِ

(١) كذا في م . وفي ط : « العوالى » .

(٢) في م : « أكبر » .

(٣) في م : « وأسأل رب العرش » .

[٢٢٠] بِمَا خُوِّلَتْ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا بِمَا قَدْ حُرِّتَ مِنْ شَرِّهِ الْعَالِي ^(١)
بِمَا أُوْلِيَتْ مِنْ صُنْعٍ جَمِيلٍ يُطَابِقُ لَفْظُهُ مَعْنَى الْكَمَالِ
تَعَمَّدَنِي بِفَضْلِكَ وَاعْتَمَرَهَا ذُنُوبًا فِي الْفِعَالِ وَفِي الْمَقَالِ

ثم قال : ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أباه عبد الله رحمة الله تعالى عليه ، متوسلاً بقديم ذمامه ، والخِدم المتعددة من نظامه :

وله في خطاب
السلطان
أبي عبد الله

أَتَمَطُّشُ أَوْلَادِي وَأَنْتَ عَمَامَةٌ نَعَمْ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِالْفَعْرِ وَالشُّنْيَا
وَتُظَلِّمُ أَوْفَاتِي وَوَجْهَكَ تَبَيَّرَ تَفِيضُ بِهِ الْأَنْوَارَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا
وَجَدُّكَ قَدْ سَمَّاكَ رَبُّكَ بِسَمِيحٍ وَأَوْزَيْتَكَ الرَّحْمَنُ رُتْبَتَهُ الْعُلْيَا
وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي الَّذِي أَنَا سَائِلٌ وَسَوَّغَنِي مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا نُنْيَا ^(٢)
وَشِعْرِي فِي عَرِّ الْمَصَانِعِ خَالِدٌ يُحْيِي عَنِّي فِي أَلَمَاتٍ فِي التَّحْيَا
وَسَامَزْتُ أَهْدَى الدَّخِ مِسْكَامَةً فَتَحَمَّلَهُ الْأَزْوَاجَ عَاطِرَةَ الرِّيَا
وَقَدْ كَثُرَ الْعَبْدُ ^(٣) التَّشْكِيُّ وَإِنَّهُ وَحَقَّكَ بِافْخَرِ لِلْمُلُوكِ قَدْ اسْتَحْيَا
وَمَا الْجُودُ إِلَّا مَيِّتٌ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَفَخَّتْ بِمَنَّاكَ فِي رُوحِهِ يَحْيَا
فَعَنْ شَاءٍ أَنْ يَدْعُو لِدِينِ مُحَمَّدٍ فَيَدْعُو لِمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ بِالْبُقْيَا

ثم ذكر قصائد كثيرة ومقطوعات في مدحه لأخيه أبي عبد الله ، إلى أن قال :

ومن شعره في
أبي عبد الله

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة .
مَنْزِلُ الْيُمْنِ وَالرَّضَا وَالشُّعُودِ أَنْجَزَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الْوُعُودِ

(١) في نصح الطيب : « الجمال » .

(٢) ولا نُنْيَا : أي من غير استثناء .

(٣) في الأصلين : « أضمر » . وما أمكننا من نصح الطيب .

كَلَّ يَوْمَ نَزَاهَةٍ إِنْ تَقَصَّتْ أَنْشَدَتْهَا السُّعُودُ بِاللَّهِ عُودِي
جَمَعَ الْمُسْتَعِينُ وَصَفَ كَالِ بَيْنَ بَأْسِ عَمِّ الْمُلُوكِ وَجُودِ
فَاهَنَ فِي غِبْطَةٍ وَعِزَّةٍ مُلْكٍ أَنْتَ وَاللَّهِ فَخْرُ هَذَا الْوُجُودِ
وقال أيضاً مشيراً لتوليته العلامة :

لَكَ غُرَّةٌ وَدَّ الصَّبَاحُ بِجَمَالِهَا وَتَحَاسَنُ تَهَوَّى الْبَدُورُ كَأَنَّمَا
وَسَمَائِلُ تَحْشِكِي الرِّيَاضُ خِلَالِهَا وَأَنَامِلُ تَرْجُو الْأَنَامُ خِلَالِهَا ^(١)
لِلْمُسْتَعِينِ خِلَافَةٌ ^(٢) نَصْرِيَّةٌ عَرَفَتْ مُلُوكَ الْعَالَمِينَ بِجَمَالِهَا ^(٣)
وَأَنَا الَّذِي قَدْ نَالَ مِنْكَ مَعَالِيَا تَهَوَّى النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ مَنَالِهَا
هُدْيِهِ مَا قَدْ نَلَيْتُهُ مِنْ بَعْضِهَا وَالْفَخْرُ كُلُّ الْفَخْرِ فِيمَنْ نَالَهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ مَنَّةٌ مُنْمِرٌ لَوْ طَاوَلَتْ سَمَكَ الْعِلَا ^(٤) مَاطَلِهَا
بَلَّغْتَ آمَالَ الْقَمِيدِ قَبْلَئِذَا فِيكَ الْقَمِيدُ مِنَ الْبَقَا آمَالِهَا
ثم قال : وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أَيَا مَلِكًا لَمْ يُبْدِرِ لِلْعَيْنِ حُسْنُهُ سَوَى مَلِكٍ قَدْ حَلَّ مِنْ عَالَمِ الْقُدْسِ
لَكَ الْخَيْرُ خُذْهَا كَالْأَنَامِلِ ^(٥) حَسَّةً تَعُوذُ مَرَّكَ الْمُسْكِدُ بِالْخَمْسِ
فَمَنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ مَرَّكَ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ أَوْ آيَةِ الْكَرْمِ

ثم قال بعد ذكر قصيدة : وقال يخاطب مولانا الوالد — رحمة الله عليه —
وله في خطاب مولاه الوالد

- (١) في م : « تربي الأنام حلالها » . وفي فتح الطيب : « تربي الأنام حلالها » .
(٢) في ط : « جلالة » . وما أبتداء عن م ، وفي فتح الطيب .
(٣) في فتح الطيب : « جلالة » .
(٤) في فتح الطيب : « السما » .
(٥) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « من أنامل » .

وقد مرّ منه فحصى رية ، والثلج قد عم أنديته ، وبسط أرديته ، في وجهه
توجّهها مولانا الجلد — تغمده الله تعالى — برحمته إلى مائة :

يَا مَنْ بِهِ رَبُّ الْعَالِي ^(١) تَغَلَّى وَمَعَالِمُ الْفَخْرِ لِلشَّيْءِ تَبَتَّى
أَزْجُرُ بِهَذَا التَّلَجِّ قَالَا إِنَّهُ ثَلَجُ الْبَيْنِ يَنْصُرُ مَوْلَانَا الْغَنَى
بَسَطَ الْبَيَاضَ كَرَامَةً لِقُدُومِهِ وَأَفْتَرُ ثَغْرًا عَنْ مَسَرَّةٍ مُغْتَى
فَالْأَرْضُ جَوْهَرَةٌ تَلُوحُ لِمُجْتَلِي وَالْدُّوْحُ ^(٢) مَرْهَرَةٌ تَفُوحُ لِمُجْتَى
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى الْوُجُودَ وَجُودَهُ لِيَذُلَّ مِنْهُ عَلَى الْجَوَادِ الْمُخْسِنِ
وَبَدَائِعِ الْأَكْوَانِ فِي إِنْتَانِهَا أَتَرُ يُشِيرُ إِلَى الْبَدِيعِ الْمُتَقِنِ

ثم قال : ومن غير الشاطانيات ، مما برّ فيه سبقاً وتبريراً ، وعرضه على
نقّدة البيان ، فرأت منه كل مذهبة خلّصت إبريزاً ، مرثيته للقاضي المعظم الشريف
أبي القاسم الحسنى من شيوخه ، أنجزها الوعد السابق في المقدمة بها :

أَغْرَى سَرَاةَ الْحَيِّ بِالْإِطْرَاقِ تَبَا أَمَمَ مَسَامِعَ الْآفَاقِ
أَمْسَى بِهِ لَيْلُ الْخَوَادِثِ دَاجِيًا وَالشُّبُحُ أَصْبَحَ كَاسِفَ الْإِشْرَاقِ
فُجِعَ الْجَبِيعُ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ شَتَى الْعَلَا وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
هَبُّوا لِحُكْمِكُمْ الرّٰصِينَ فَإِنَّهُ صَرُفُ الْقَضَاءِ فَمَا لَهُ مِنْ وَاقِ
نَقَشَ ^(٣) الزَّمَانُ بِصَرَفِهِ فِي صَفْحَةٍ كُلُّ اجْتِمَاعٍ مُؤَذَّبٌ بِفِرَاقِ
مَاذَا تَرَجَّيَ مِنْ زَمَانِكَ بَعْدَمَا عَلِقَ الْقَنَاءُ بِأَنْفَسِ الْأَغْلَاقِ
مَنْ تَحَسَّدُ السَّبْعَ الطَّبَاقُ عِلَاءَهُ عَالُوا عَلَيْهِ فِي الثَّرَى بَطْلَاقِ

[٣٣٧]

(١) في فتح الطيب المخطوط : « الإمامة » . وفي الطبوع : « الإمارة » .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « والأرض » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « نقر » .

مرثيته
لأبي القاسم
الحسنى

إِنَّ الْمَنَابِيَّ لِلْجَبَابَا غَايَةً
 لَمَّا حَسِينَا^(١) أَنْ تُعَوَّلَ أَبُوْنَا
 مَا كَانَ إِلَّا الْبَدْرَ طَالَّ سِرَاوُهُ
 [أَنِفَ الْمُقَامِ مَعَ الْفَنَاءِ نَزَاهَةً
 عَدِمَ الْمُوَافِقَ فِي مُوَافَقَةِ الدُّنَا
 أَسْمًا عَلَى ذَلِكَ الْجَلَالِ تَقَلَّصَتْ
 يَا أَمْرِي بِالصَّبْرِ عَيْلَ تَصْبِرِي
 وَذَرِ^(٢) الْهَرَاغَ تَيْشِي بِدَمْعٍ مِدَادِهَا
 يَا حَسْرَتِي لِلْعِلْمِ أَفْقَرُ رَبُّهُ
 دَكَّدَتْ رِيَّاحُ التَّمْلُؤَاتِ لِفَقْدِهَا
 كَمْ مِنْ غَوَامِضٍ قَدْ صَدَعَتْ فِيهِهَا
 كَمْ قَاعِيدٍ فِي الْبَيْدِ فَوْقَ قَعُودِهِ
 لِمَنِ الرَّكَابُ بَعْدَ بَعْدِكَ تُنْتَضَى
 تَقْلِي الْفَلَاحَ بِمَنَاسِمٍ مَفْسُولَةٍ
 كَانَتْ إِذَا اشْتَكَيْتِ الْوَجْعَى وَنَوَقَتْ
 فَإِذَا تَنَسَّمَتِ الشَّكَاةَ أَمَامَهَا
 يَا مُرْجِي الْبُذْنِ الْفَلَاحِ خَوَافِقًا
 سَبَقَ الْكِرَامُ لِخَصْلِهَا بِسَبَاقِ
 كَشَفَتْ عَوَانَ حُرُوبِهَا عَنْ سَاقِ
 حَتَّى رَمَتْهُ يَدُ الرَّدَى^(٣) بِمَحَاقِ
 فَنَوَى الرَّحِيلَ إِلَى مُعْلَمٍ تَاقِي
 فَتَنَى^(٤) الرَّكْلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْبَاقِي
 أَفْيَاؤُهُ وَعُهُدَنَ حَسِيدَ رَوَاقِ
 دَغْنِي عَدْنِكَ تَوَاعِجُ الْأَشْوَاقِ
 وَنَشَى الْقَرِيبُ بِرُوقِ فِي الْأَوْرَاقِ
 وَالْعَدْلُ جُرْدَ أَجْمَلِ الْأَطْوَاقِ
 كَدَّدَتْ فِي الْآدَابِ بَعْدَ تَفَاقِ
 خَفِيتَ مَدَارِكُهَا عَلَى الْحَذَاقِ
 قَمَدَتْ فِي الْأَمَالِ دُونَ لَحَاقِ
 مَا بَيْنَ شَأْمٍ تَرْتَمِي وَعِرَاقِ
 نَسِمُ الْحَقَى بِنَجِيمِهَا الرُّفْرَاقِ
 يَهْفُو نَسِيمُ نَنَائِكَ الْعَفَاقِ
 مَدَّتْ لَهَا الْأَغْنَاكَ فِي الْإِعْنَاكِ
 رِفْقًا بِهَا فَالَسَّعَى فِي إِخْفَاكِ

(١) في م : « لما خشيها » . وفي النسخ المخطوط : « حبسا » .

(٢) في ط : « الدجى » .

(٣) في م والفتح المخطوط : « قضا » .

(٤) في م : « ودع » .

ثَمَّ الَّذِي وَرِثَ الْعِلَّا عَنْ مَغْشَرٍ
 رُفِعَتْ لَهُمُ رَايَاتُ كُلِّ جَلَالَةٍ
 عَالِمُ الْهُدَاةِ وَقُطْبُ أَعْلَامِ الْوَرَى^(١)
 رَقَّتْ سَجَايَاهُ وَرَاقَتْ مُجَنَّلِي
 كَالزُّهْرِ فِي لَآلِيهِ وَالْبَدْرِ فِي
 مَهْمَا مَدَّخْتُ سِوَاهُ قَيْدَ وَضَعَهُ
 يَا وَارِثًا نَسَبَ النُّبُوَّةِ جَامِعًا
 تَابَنَ الرُّسُولِ وَإِنِّهَا لَوَسِيلَةٌ
 وَرَدَّ الْكِتَابُ بِفَضْلِكُمْ وَكَالِكُمْ
 مَوْلَايَ إِنِّي فِي عُقْلِكَ مُتَمَصِّرٌ
 وَمَنْ الَّذِي يُجْصِي مَنَاقِبَ فَضْلِكُمْ^(٢)
 يَهْنِي قُبُورًا زُرْتَهَا فَلَقَدْ قَوَّتْ
 خَطَّ الرَّدَى مِنْهَا سَطُورًا نَصَّهَا^(٣) :
 وَلَحِثَتْ تَرْجَمَةَ الْكِتَابِ وَصَدْرَهُ
 كَمْ مِنْ سَرَّاقٍ فِي الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ
 قُلُوبٌ لِلْسَّحَابِ اسْتَحَبَّ ذُبُولُكَ نَحْوَهُ
 أَوْ ذَى الَّذِي غَيَّبَ الْعِبَادَ بِكَفِّهِ

وَرِثُوا تَرَاثَ الْمَجْدِ بِاسْتِخْفَاقٍ
 فَتَمَيَّزُوا فِي حَلِيسَةِ السُّبُاقِ
 حَرَّمَ الْعَفَاةَ لِمُجْتَنَى الْأَرْزَاقِ
 كَالشَّمْسِ فِي بُعْدٍ وَفِي إِشْرَاقٍ
 عَلَيَانِي وَالزُّهْرِ فِي الْإِيزَاقِ
 وَصِدَائِهِ حَمْدٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ
 فِي الْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ
 بَرَّقَ بِهَا أَوْجَ الْمَصَاعِدِ رَاقٍ
 فَكُنِّي نَسَاءَ الْوَاحِدِ الْخَلَّاقِ
 قَدْ ضَاقَ عَنْ عِلْمِهِ^(٤) النَّجُومُ نِطَاقٍ
 عَدُّ الْحَصَى وَالرَّمْلُ غَيْرُ مَطَاقٍ
 مِمَّا مَصُونٌ جَوَانِحُ وَحِدَاقٍ
 لَا يُدَى أَنْكَ الْفَنَاءِ مُلَاقٍ
 وَفَوَانِدُ الْمَكْتُوبِ فِي الْإِلْحَاقِ
 فِي بَطْنِهَا دُرٌّ قَوَى يَحْفَاقِ
 وَالْعَبَّ بِصَارِمِ بَرَقِكَ الْخَفَاقِ
 يُزْرِي بِوَاكِفِ غَيْثِكَ الْغَيْدَاقِ

[٢٣٨]

(١) في م ونفع الطيب : « النهى » .

(٢) في م ونفع الطيب : « حصر » .

(٣) في نفع الطيب : « بخدمك » .

(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « قبورا زرتها »

إِنْ كَانَ صَوْبُكَ بِالْعِيَاةِ فَدَرْهَا
 بَشَرٌ كَثِيرٌ قَدْ نَعُوا لَهَا نُبًى^(١)
 أَلْبَسَتْهُمْ ثَوْبَ الْكَرَامَةِ ضَارِفِيَا
 يَتَقَيُّونَ ظِلَالَ جَاهِكَ كَلَمَا
 عَدِمُوا الْمَوَافِقَ فِي فِرَاقِكَ وَانْعَاوَى
 رَفَعُوا سِرِيرَكَ خَافِضِينَ رُؤُوسَهُمْ
 لَكِنْ مَصِيرُكَ لِلنَّعِيمِ مُخْلَدَا
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يَرْضَى بِحُزْنِ النَّدَى
 إِنْ يَحْمِلُوكَ عَلَى الْكُورِ أَهْلِي طَالَمَا
 أَوْ يَرْفَعُوكَ عَلَى الْعَوَانِي طَالَمَا
 وَلَئِنْ رَحَلْتَ إِلَى الْجَنَانِ فَإِنَّا
 لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ حُزْنَ مَنْ خَلَقْتَهُ
 إِنْ جَنَّ لَيْلُ جَنَّ مِنْ فَرْطِ الْأَمَى
 فَابْتِ خَيْالَكَ فِي الْكَرَى يَبْعَثُ بِهِ^(٢)
 أَغْلَيْتَ يَا رُزْهَ التَّصَبُّرِ مِثْلَمَا
 إِنْ يُخْلِفِ الْأَرْضَ الْقَسَامُ فَإِنِّي
 دُرٌّ يَرَوْضُ مَا حِلَّ الْإِمْلَاقِ
 قَاضِي الْقَضَاةِ وَعَابَ فِي الْأَطْبَاقِ
 وَأَرْحَتَ مِنْ كَثَرٍ وَمِنْ إِزْهَاقِ
 لَقَحَتِ سَمُومُ الْعَطْبِ بِالْإِخْرَاقِ
 عَنْهُمْ بِسَاطِ الرُّفْقِ وَالْإِزْفَاقِ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا حَلِيفُ سِيَّاقِ^(٣)
 كَانَ الَّذِي أَبْنَى عَلَى الْأَرْمَاقِ
 طَوْدُ الْهَدَى يَسْرِي عَلَى الْأَعْنَاقِ
 قَدْ كُنْتَ تَحْمُولًا عَلَى الْأَحْدَاقِ
 رُقِعْتَ ظَهْرَ مَنَابِرٍ وَعِثَاقِ
 نَعْلَى بِنَارِ الْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
 لَسْنَى عِنَانِكَ كَثْرَةُ الْإِشْفَاقِ
 وَسَوَى كَلَامِكَ مَالَهُ مِنْ رَاقِ
 مَبِيتِ السَّرُورِ^(٤) لَنَا كُلُّ مُشْتَاقِ
 أَرْحَضْتَ دُرَّ الدَّمْعِ فِي الْآمَاقِ
 أَسْمَى الضَّرِيحِ بِدَمْعِي الْمُهْزَاقِ

[٢٣٩]

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « قضى » .

(٢) يقال : ساق المريض سياطا : إذا أخذ في تزعج الروح ، والراد هنا الجهد والحزن .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي ما : « القصور » .

ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى مادحا ، قوله من قصيدة مطلعها :

وله في مدح
شبهه ابن الخطيب

* أَمَا وَانْصِدَاعِ الثَّوْرِ مِنْ مَطْلَعِ الْعَجْرِ *

يقول فيها بعد أبيات :

لَكَ اللَّهُ مِنْ قَدْ جَلَّالَةٍ أَوْحِدٍ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي طَالَ فَخْرُهُ
يُقَلِّدُ أَجْيَادَ الطُّرُوسِ تَمَاتِمًا
تَهَيَّبَكَ الْفَرَطُاسُ فَاحْمَرَّ إِذْ عَدَا
كَانَ رِيَاضِ الطُّرُوسِ خَدُّ مُورَدٍ
فَشَارَةً هَذَا الْمَلِكِ زَائِفَةُ الْحَلِيِّ
وَمَا رَوْضَةً غَنَاءَ تَاهَدَهَا الْخَلْبَا
نَمَتْنِي قِيَانُ الطُّسْبِ فِي جَنَبَاتِهَا
نَمْتُ لِأَكْوَاسٍ^(١) الْقَرَارِ أُنَامِلًا
وَبَحْرُسُ خَدِّ الْوَزْدِ صَارِمُ نَهْرَهَا
يُفَاخِرُ مَرَاةَا السَّمَاءِ مُحَاسِنًا
إِذَا مَسَحَتْ كَفَّ الْعَبَّاجُ نَوْرَهَا
بِأَعْطَرَ مِنْ رَيَّا ثَنَائِكَ فِي الشَّرَى
عَجِبْتُ لَهْ يَحْيِيكَ خِلَالِ حَبِيلَةٍ

نُطَاوَعُهُ الْأَمَالَ فِي التَّهْنِي وَالْأَمْرِ
عَلَى الْمَرْهَفَاتِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ الشَّمْرِ
بِصْنَفِي لَآلٍ مِنْ نَظَائِمٍ وَمِنْ تَنْثَرٍ
يُقَلِّدُ بِخُورًا مِنْ أُنَامِلِكَ الْقَسْرِ
بِطُرُوزِهِ وَشَيْءُ الْمَسْدَارِ مِنَ الْحَجْرِ
بِأَلْوَبِيدِ حُمَرٍ وَبِالْمُخْتَفِ الْحُمْرِ
تَعُوكُ بِهَا وَشَيْءُ الرِّبْعِ بَدُ الْقَطْرِ
فَيَرْفُضُنْ غُضْنَ التَّانِ فِي حُلِيِّ خُضْرِ
مِنْ السُّوسَنِ الْغَضِّ الْمُخْتَمِ بِالْثَبْرِ
وَيَمْنَعُ ثَقَرُ النُّورِ بِالْقَابِلِ الْقَضْرِ
فَتَزْرِي^(٢) نُجُومُ الزُّهْرِ مِنْهَا عَلَى الزُّهْرِ
نَنْمَسَ ثَقَرُ الزُّهْرِ عَنْ عَنَبِ الشَّعْرِ
وَأَبْهَرَ حُسْنًا مِنْ كَمَا نِلَكَ الْفَرِ
وَتَفَرَّقِي مِنْهُ الْأَشْدُ فِي مَوْفِيقِ الدَّعْرِ

(١) كذا في الأصناف ونفع الطيب ، ولم نجد الأكواس جمعًا للكأس في معاجم اللغة .

(٢) في نفع الطيب : « وتزري » .

إِذَا أَضْرَمْتَ مِنْ بَأْسِهَا الْخَرْبُ جَاحِمًا
 وَإِنْ كَلَّحَ الْأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
 لَكَ الْحَسْبُ الْوَضَّاحُ وَالْشُّوَدُّ الَّذِي
 تَشْرَفُ أَفْقُ أَنْتَ بَذَرُ كَمَالِهِ
 فَكَلَّ النَّجْجُ الْمَلِكُ مِنْكَ مُحَاسِنًا
 بِعِزِّهِ مَقْسُومِ السَّمَاءِ أَوْحَسِدِ
 طَوْسِي الْخَيْفِ مَنْشُورِ الْوَاءِ مُؤَبَّدًا [٢٤٠]
 وَمَدَّ ظِلَالُ الْأَمْنِ إِذْ قَصَرَ^(١) الْعِدَا
 إِذَا احْتَفَلَ الْإِيوَانُ يَوْمَ مَشُورَةٍ
 صَدَعَتْ بِفَضْلِ الْقَوْلِ غَيْرَ مُنَازَعٍ
 كَأَن تَطْفَرُ الْخَبْلُ الْمَغِيرَةُ بِالضَّحَى
 فَلَا زِلْتَ لِلْعُلَمَاءِ نَحْبِي دِمَارَهَا
 وَلِلْعِلْمِ فَخْرُ الدِّينِ وَالْفَتْكَ بِالْعِدَا
 يُهَيِّئُكَ عَبْدُ الْفَطْرِ مَنْ أَنْتَ عِيدُهُ
 جَبَرَتْ مِهْبَا مِنْ جَنَاحِي وَرِشَتُهُ
 وَبَوَّأَتْنِي مِنْ ذِرْوَةِ الْعِزِّ مُفْتَلًى
 وَسَوَّغَتْني الْأَمَالَ عَذَابًا مُسْتَسَلًا
 فَدَهَرِي عَيْدٌ بِالشُّرُورِ وَبِالْمَنَى
 تَأْتِجُ مِنْهُ الْعَضْبُ فِي لُجَّةِ النَّجْرِ
 تَرَقُّقَ مَاءِ الْبِشْرِ فِي صَفْحَةِ الْبَذْرِ
 يَضِيقُ نِطَاقُ الْوَصْفِ فِيهِ عَنِ الْخَضِرِ
 فَمَرْنَاطُهُ تَخْتَالُ رِبْهًا عَلَى مِضْرِ
 وَفَاخَرَتِ الْأَمْلَاكُ مِنْكَ بَنُو نَعْرِ
 وَعُرْفُو وَضَّاحَ لِّلْكَارِمِ وَالنَّجْرِ^(٢)
 فَعَزَّ حَمَى الْإِسْلَامِ بِالطُّلَى وَالنَّشْرِ
 فَيُنْتَلَى ثَنَاءُ الْمَلِكِ بِالْمَدِّ وَالْفَصْرِ
 وَتَضْطَرِبُ الْآرَاءُ مِنْ كُلِّ ذِي حِجْرِ
 وَأُطْلِعَتْ آرَاءُ فَيْسَنَ مِنَ الْفَجْرِ
 فَعَنْ رَأْيِكَ التَّيْمُونُ تَطْفَرُ بِالنَّصْرِ
 وَتَسْحَبُ أَذْكَالُ الْفَخَارِ عَلَى النَّسْرِ
 بَأْوَتْ بِهِ يَأْمَنُ الْخَطِيبُ عَلَى الْفَخْرِ
 وَيُنْفِي عَمَّا أَوْلَيْتَ مِنْ رَعْمِهِ غُرُ
 وَسَهَّلْتَ لِي مِنْ جَانِبِ الزَّمَنِ الْوَعْرِ
 وَشَرَفْتَنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرَى وَلَا أَدْرَى
 وَأَسْمَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَرَفَعْتَ مِنْ قَدْرِي
 وَكَلَّ لِيَالِي الْمُنَى لِي لُبَّةُ الْقَدْرِ

(١) في الأصلين : « وعمود » و « الفخر » ، ومنه : « وغرة » . « والنجر » .

وما أبتناه عن نفع الطب .

(٢) و ط : « ومد ظلال العدل إن قصد » .

فَأَصْبَحْتُ مَتَّبُوعًا عَلَى خَيْرِ نَعْتَةٍ يَقُولُ لِأَدْنَاهَا الْكَثِيرُ مِنَ الشُّكْرِ
قال :

وكتب إليه جوابا عن رسالة خاطب أولاده بها ، صدرها :

* مالى بحمل الهوى يدان *

قال جامع هذا الموضوع ، وفقه الله تعالى :

هذه قد تقدمت في هذا للوضوع ، فراجعها .

ثم قال : وكتب إليه جوابا عن آخر كذلك :

وله مما يخاطب به
ابن الخطيب أيضا

حَيَّتْ صَبَاحًا فَأَحْيَتْ سَاكِنِي الْقَصْبَةِ ^(١) وَاسْتَرْجَعَتْ أَنْفُسًا بِالشَّوْقِ مُفْتَصِّبَةً
قَضَى الْبَيَّانُ لَهَا أَلَّا تَغْيِرَ لَهَا نَاجِتَ طَلِيحٍ ^(٢) سُرْمِي لَا يَسْتَفِيقُ لَهَا
فَحَرَّ كَتَمُهُ عَلَى فَنَسِكَ الْكَلَالِ بِهِ وَأَذْكَرَتْ عَهْدَ مُهْدِيهَا عَلَى شَحْطِ
مَا كُنْتُ أَسْتَمَحُّ مِنْ ذَهْرِي بِجَوْهَرِهِ سَلَّ أَدْمُعُ الصَّبِّ مَنْ أَعْرَى السَّحَابَ بِهَا
فَاللَّهُ يَحْفَظُ مُهْدِيَهَا وَيَشْكُرُهُ قَوْلُهَا بِعَصَابِ الْخُسْنِ قَدْ عَصَبَتْ
مَنْ كَانَ وَارِثَ آدَابٍ ^(٣) يُسْتَعْمَلُهَا بِالْفَرْصِ إِنِّي فِي إِزْنِي لَهَا عَصَبَتْ
هَذَا أَلَمْلَازُ مَلَاذُ النَّاسِ قَاطِبَةً سُبْحَانَ مَنْ لِفَيْثِ الْخُلُقِ قَدْ نَعَبَتْ

(١) في ط : « صاحب » . وما أجمتاه عن م وفتح الطيب .

(٢) في فتح الطيب : « خصله » ، وما معنى .

(٣) في ط : « تحت طريح » وفيه تحريف ظاهر .

(٤) في فتح الطيب المخطوط : « يحفظ آدابا » .

[٣٤١]

وخاطبه كذلك ^(١) :

مَا لَفَتْهَا دُونَ الصَّبَاحِ صَبَاحَا وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كَحُسَّتِهَا
لَمَّا جَلَّتْ غُرَرُ اللَّيْلَانِ صَبَاحَا عَذْرَاءُ أَرْضَمَهَا اللَّيْلَانُ لَبَانَهُ
وَجْهًا أَغْرَى وَمَبْسِمًا وَضَّاحَا فَأَنْتِ كَمَا شِئْتَ وَشَاءَ نَحْيُهَا
وَأَطَالَ مَنُودِي عِنْدَهَا وَمَرَا لَا بَلَّ كَيْثِلِ الرُّوضِ بِأَكْرَهُ النَّحْيَا
تُذَكِّي الْحَبَا وَتُنْعِمُ الْأَزْوَاحَا وَطَوْنِ بِسَاطِ الشُّوقِ مَنَى بَعْدَ مَا

وخاطبه كذلك :

يُكَلِّفُنِي مَوْلَايَ رَجْعَ جَوَابِهِ أَجِيبُكَ لِلْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَمَا لَتَعَاطَى الْمُعْجَزَاتِ وَمَالِيَا فَأَنْتِ الَّتِي طَوَّقْتَنِي كُلَّ مِقْدَرِ
وَأَكْتُبُ مِمَّا قَدْ أَفَدْتُ الْأَمَالِيَا وَأَنْتِ الَّتِي أَغْدَى الزَّيْمَانُ كَالُ
وَأَحْيَيْتَ ^(٢) آمَالِي وَأَكْتُبْتَ مَا يَا فَلَا زِلْتُ لِلْفِعْلِ الْجَبِيلِ مُوَاحِلَا

وخاطبه كذلك :

ذَرُونِي قَائِي بِالْمَلَاءِ خَبِيرُ وَكَمْ بَتُّ أَطْوَى اللَّيْلِ فِي طَلَبِ الْعَلَا
أَسِيرُ فَإِنَّ التَّيَرَاتِ تَسِيرُ بِعِزِّهِ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رَوَاقَهُ
كَأَنِّي إِلَى نَجْمِ السَّمَاءِ سَقِيرُ أَخُو كَلْبٍ بِالْمَجْدِ لَا يَسْتَفْرِهُ
يَكْرَهُ عَلَى ظُلُمَانِهِ فَيُنِيرُ ذَامًا طَوَى يَوْمًا هَلَى السَّرَّ كَشَعَهُ
مَهَادٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَنِيرُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ نُشُورُ

(١) هذه القطعة متأخرة في النسخة التيمورية عن التي بعدها .

(٢) في ط وفتح الطيب : « وأحييت » . وما أبتناه من م .

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُنْعَ حَارُهُ
وَمَا تَعْرِيفِي فَتْرَةٌ فِي مَدَى الْعَمَلِ
وَفِي السَّرْبِ مِنْ نَجْدٍ تَعَلَّقَتْ ظَنِيَّةٌ
وَتَمْنَعُ مَبْسُورَ الْكَلَامِ أَخَا الْهَوَى
أَسْكَانُ نَجْدٍ جَادَهَا وَكَيْفَ الْعَبَا
وَيَأْسَكُنِي بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ مِنْ مَنَى
ذَكَرْتُكَ فَوْقَ الْبَحْرِ وَالْبَمْدُ بَيْنَنَا
وَأَوْ مَضَى حَفَاقِ الدُّوَاءِ بَارِقُ
وَيَهْفُو فَوَادِي كُلَّمَا هَمَّتْ ^(١) الصَّبَا
وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَذِ كَرِّكَ هَزَنِي
فَمَنْ مُبْلِغُ عَنِّي النَّوَى مَا يَسُوءُهَا
بَأَنَا غَدَاً أَوْ بَعْدَهُ سَوْفَ نَلْتَقِي
إِلَى كَمْ أَزْيَ أِكْنِي وَوَجْدِي مَصْرُوحٌ
أُمْنُجِدَ آمَالِي وَمُعْنِي كَأْسِي
أَأْنَسِي—وَلَا أُنْسِي—بِحَالِكَ أَلْتَقِي
تَزُورُكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ وَتَلْتَقِي
عَلَى أُنَى إِنْ غَبَتْ عَنْكَ قَلَمٌ تَنْبِ
فَرُوحُ وَتَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَعِنْدَهَا
فَيَطْلُكُ فَوْقَ حَيْنِهَا كُنْتُ وَارِفُ

لَتَنْسِي فَوَادِي أَعْيُنٍ وَتَفُورُ
إِلَى أَنْ أَرَى لَحْظًا عَلَيْهِ فُتُورُ
تَصُولُ عَلَى أَلْبَابِنَا وَتُسْبِرُ
وَتَبْخُلُ حَتَّى بِالْخِيَالِ يَزُورُ
هَوَاكُمُ يَقْلِي مُنْجِدٌ وَمُنْغِيرُ
وَأَيْسَرُ حَظِّي مِنْ رِضَاكِ كَثِيرُ
فَمَدَنَهُ مِنْ قَبِيضِ الدُّمُوعِ بِحُورُ
فَطَارَتْ يَقْلِي أَنَّهُ وَزَفِيرُ
أَمَّا لِفَوَادِي فِي هَوَاكِ نَصِيرُ
أَمِ الْكَأْسِ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ تَدُورُ
وَالْبَسِينِ حُكْمُ يَمْتَدِّي وَبُحُورُ
وَنُمِّي وَمِنَّا زَائِرُ وَمَزُورُ
وَأَخِي أَمَمٌ مِنْ أَهْوَاهُ وَهُوَ شَهِيرُ
وَمُصَدَّرُ حَامِي وَالْحَدِيثُ كَثِيرُ
بِهَا تَلْتَقِي نَفْسَةٌ وَسُرُورُ
وَيَمِينُ يَدَيْنَا مِنْ خَدِيدِكَ نُورُ
لَطَائِفُ لَمْ يُحْجِبْ لَهْنُ سَفُورُ
رَوَاحُ عَلَيْنَا دَائِمٌ وَبُكُورُ
وَمُؤَرِّدُ آمَالِي لَدَيْكَ نَبِيرُ

[٢٤٢]

وَعُدْرًا فَأَنْتَىٰ إِنِ أَطْلُتْ فَأَنْتَا فَصَارَ أَيْ مِنْ بَعْدِ الْبَيَانِ قُصُورُ

وكتب إليه خاتمة رسالة كذلك :

وَحَقِّكَ مَا اسْتَطَعْتُ بِمَدِّكَ غَمَضَةً مِنَ النَّوْمِ حَتَّىٰ أَذِنَ النَّجْمُ بِالْفُرُوبِ^(١)
وَعَارَضْتُ مَسْرَى الرَّيْحِ قُلْتُ أَعْلَاهَا تَنْمُ بِرَيًّا مِنْكَ عَاطِرَةَ الْهُيُوبِ
إِلَى أَنْ بَدَأَ وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ مُحْيَاكَ إِذْ نُجِّلَى بِفَرْغِهِ الْخُطُوبِ
فَقُلْتُ لِقَلْبِي اسْتَشْعِرِ الْأَنْسَ وَاسْتَرْجِعْ فَإِنْ تَبَعْدُ الْأَجْسَامَ لَمْ تَبَعْدُ الْقُلُوبِ
وَسِرْ فِي صَمَانِ اللَّهِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ رِكَابُكَ لَا تَخْشَى الْحَوَادِثَ أَنْ تَنْوُبَ

ثم قال : وقال — بعد إيراد جملة من نظمته في النسيب وما يناسبه —
وصف مصباحا :

لَقَدْ زَادَنِي وَجْدًا وَأَغْرَى بِي الْجَوَى ذُبَالٌ بِأَذْيَالِ الظَّلَامِ قَدِ انْفَعَا
تُشِيرُ وَرَاءَ اللَّيْلِ مِنْهُ بَنَانَةٌ مُخَضَّبَةٌ وَاللَّيْلُ قَدْ حَجَبَ السَّكَا
نَلُوحُ سِنَانًا حِينَ لَا تَنْفَجُ الصَّبَا وَتَبْدُو سَوَارًا حِينَ تَنْفِي لَهُ الْعِطْفَا
فَقَطَعْتُ بِهَا ثِيْلِي بِطَارِحِي الْجَوَى قَاوِنَةٌ بَبْدُو وَأَوْنَةٌ يَخْفَى
إِذَا قُلْتُ لَا بَبْدُو أَشَالَ لِسَانَهُ وَإِنْ قُلْتُ لَا يَحْبُو^(٢) الضِّيَاءُ بِهِ كَفَا
إِلَى أَنْ أَفَاقَ الصُّبْحُ مِنْ غَمْرَةِ الدُّجَى وَأَهْدَى نَسِيمُ الرُّوْضِ مِنْ طَبِيعِهِ عَرَفَا
لَكَ اللَّهُ يَا مِصْبَاحَ أَشْمِيهَتْ مُهْجَتِي وَقَدْ شَفَعَا مِنْ لَوْغَةِ الْحُبِّ مَا شَفَا

[٢١٢]

(١) غلب المفعول على هذه الأبيات في نصح الطيب ج ٣ ص ٤٤٨ طبعه الأهرمية بنوله :
« قلت : هذه غاية في مناعها لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قلوبها ومعناها . » والأبيات
من الطويل ، إلا أن التفعيلة الأخيرة تختلف عن تفعيلات الطويل .

(٢) في م : « الأسم » .

(٣) في نصح الطيب : « لا يخفى » .

وله في صدر
رسالة إلى ابن
الخطيب

ثم قال وكتب له صدر رسالة :

أزورُ بِقُلُوبِي مَعَهْدَ الْأَنْسِ وَالنَّهْوَى
وَمَهْمَا سَأَلْتُ الْبَرْقَ يَهْمُومِنَ الْحِمَى
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْأَمَانِي تَعْلَلُ
وَهَلْ جِئْتُ الْأُولَى كَمَا قَدْ عَوَّدْتُهُمْ
وَأَنْهَبُ مِنْ أَيْدِي النَّسِيمِ رَسَائِلًا
يُبَاكِدُ بِهَا دَمْعِي مُجِيئًا وَسَائِلًا
أَبْرَعَى لِي الْحَيَّ الْكَرَامُ الْوَسَائِلَا
يُؤَالُونَ بِالْإِحْسَانِ مَنْ جَاءَ سَائِلَا
ثم قال بعد أن ذكر عدة قطع :

وقال يصف الزَّرَافَةَ في قصيدة مدح بها السلطان أبا سالم ملك المغرب —
رحمه الله — وقد ورد عليه بها وقد الأحابش في هدية من ملكهم ، ونظمها :

وله يصف
الزرافة ويمدح
مدح السلطان
أبا سالم

لَوْلَا تَأْتِي بِأَرْقِ التَّذْكَارِ
لَكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا
عَلَيْهِ^(١) الشُّوقُ إِذَا تَذَكَّرَ مَعَهْدًا
أَمْذَكْرِي غَرْ نَاطِقَةً حَلَّتْ بِهَا
كَيْفَ التَّخْلُصُ لِلْحَدِيثِ وَذُوْنَهَا^(٢)
هَذَا عَلَى أَنَّ التَّغَرُّبَ مَرْكَبِي
فَلَسْكُمْ أَقْمَتُ عُدَّةً زُمْتُ عَيْبُهُمْ
وَطَافِقْتُ أَشْتَقِرِي الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ
إِنَّا بَنِي الْأَمَالِ تَخْذَعْنَا الْعُنَى
نَنْجُوهُمْ الْأَهْوَالُ فِي طَلَبِ الْمَلَا
مَا صَابَ وَأَكْفُ دَمْعِي الْبِدْرَارِ
فَدَحْتُ يَدُ الْأَشْوَاقِ زَنْدُ أَوَارِي
أَنْ يَغْرِي الْأَجْفَانِ بِاسْتِغْبَارِ
أَيْدِي السَّحَابِ أَرْزَاقَ النَّوَارِ
عَرَضُ الْفَلَاحِ وَطَافِحِ زَخَارِ
وَتَوَلَّجَ الْفَيْحِ الْفِسَاحِ شِعَارِي
أَبْنِي الْفَرَارَ وَلَا تَ حِينَ قَرَارِ
يَمْنَعُو الْبُكَاءَ مَوَاقِعَ الْآثَارِ
فَنَحَادِغُ الْآثَالِ بِالنَّشَارِ
وَتَرُوعُ سِرْبِ النُّومِ بِالْأَفْكَارِ

(١) في نفع الطيب : « وعلى » .

(٢) في نفع الطيب : « وبيتنا » .

لَا بَحْرُزُ الْمَجْدِ الْخَطِيرِ سَوَى امْرِئٍ
 إِلَّا^(١) يَفَاخِرُ بِالْمَتَادِرِ فَقَعْرُهُ
 مُسْتَبْصِرٌ مَرَمَى الْعَوَاقِبِ وَاصِلٌ
 فَأَشَدُّ مَقَادَ الْجَهْلُولِ إِلَى الرَّدىِ
 وَكَرْبٌ مُرَدِّ الْجَوَانِحِ مُزِيدٌ
 فَتَقَتْ كَمَا نِمُّ جُنْحِهِ عَنْ أَنْجِهِمْ
 مَنَاتٌ عَلَى شَاطِئِ الْمَجْرَةِ تَرْجِسًا
 فَكُنَّا نَمَّا بِبَذْرِ التَّمَامِ بِجُنْحِهِ
 وَكَأَنَّمَا حَمْسُ التُّرْبِيَا رَاحَةً
 أُسْرِجَتْ مِنْ عَزَمِي مَصَابِيحًا بِهَا
 وَأُزْمَعَتْ مِنْ بَازِي الصَّبَاحِ غُرَابُهُ
 [ومها] :

وَغَرِيْبَةٌ قَطَعَتْ إِبْطِكَ عَلَى الْوَتَى
 تُنْسِيهِ طَيْبَتُهُ الَّتِي قَدْ أَمَّا
 يَفْتَادُهَا مِنْ كُلِّ مُشْتَبِلِ الدُّجَى
 تَشْدُو^(٢) بِحَمْدِ الْمُسْتَعْمِينَ خَدَاتِهَا
 إِنَّ مَسْمُومَهُمْ لَفُحَّ الْأَهْجِيرِ أَبْلَهُمْ
 حَاصُوا بِهَا لَجَجَ الْفَلَاحُ فَتَخَلَّصَتْ
 يَبِيدًا تَبِيدُ بِهَا هُمُومُ السَّارِي
 وَالرَّكْبُ فِيهَا مَيِّتُ الْأَخْبَارِ
 وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ جُذُوءُ نَارٍ
 يَتَقَلَّلُونَ بِهَا عَلَى الْأَكْوَارِ
 مِنْهُ نَسِيمُ ثَنَائِكَ أَلِيمُطَارٍ
 مِنْهَا خُلُوصُ الْبَسْدِ بَعْدَ مِرَارِ

(١) في ط : « من لا يفاخر » . وفي م وضع الطيب : « ما يفاخر » ولعله عرف عما أبتناه .

(٢) في الأصلين : « نعدو » . وما أبتناه عن فتح الطيب .

سَلِمَتْ بِسَعْدِكَ مِنْ غَوَائِلِ مِثْلِهَا وَاتَّكَتْ بِأَمَانِكَ الزَّمَانَ عَرِيْبَةً
قَيْدُ الدَّوَائِلِ زُرْهَةٌ الْأَبْصَارِ مَوْثِقَةُ الْأَعْطَافِ زَانِعَةٌ الْحُلَى
رَقَمَتْ بِدَانِعِهَا يَدُ الْأَفْئَادِ رَاقٍ الْأُمُيُونَ أَدِيمَهَا فَكَأَنَّهُ
رَوْضٌ تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ^(١) مَهَارِ مَا بَيْنَ مُبْيَضٍّ وَأَصْفَرٍّ فَارْقِعْ
سَالَ اللَّجَيْنُ بِوَ خِلَالِ نَضَارِ يَضْكِي حَدَائِقَ زَرْجِسٍ فِي شَاهِقِ
تَنْسَابُ فِيهِ أَرْاقِمُ الْأَنْهَارِ نَحْدُو^(٢) قَوَائِمُ كَالْجُدُوعِ وَفَوْقَهَا
جَبَلُ أَشْمٍ بِنُورِهِ مُتَوَارِ وَتَمَّتْ بِجِيدِ مِثْلِ جِذْعِ مَائِلِ
سَهْلُ التَّعْطُفِ كَيْنِ خَوَارِ تَسْتَشْرِفُ الْجُدْرَانُ مِنْهُ تَرَانِبًا
فَكَأَنَّمَا هُوَ قَائِمٌ مِمَّنَّارِ تَاهَتْ بِكَكَلِكَلِهَا وَأَتْلَعَ جِيدُهَا
وَمَشَى بِهَا الْإِعْجَابُ مَشَى وَقَارِ خَرَجُوا لَهَا الْجُذْمُ الْفَنِيدُ وَكَلْهُمُ
مُتَعَجَّبٌ مِنْ لُطْفِ ضَنْعِ الْبَارِ كُلٌّ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا
كَيْفَ الْجَبَلُ تَقَادُ بِالْأَنْسَابِ أَلَقْتُ بِبَابِكَ رَحْلَهَا وَأَطْلَمَا
أَلَقَ الْغَرِيبُ بِوَ عَصَا الْفَسْتَارِ عَلِمَتْ مَلُوكُ الْأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا
فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ^(٣) فِي مِضَارِ يَقْبُوهُونَ بِوَ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى
مِنْ حَاهِكِ الْأَعْلَى أَعَزَّ جَوَارِ فَارْقِعْ لَوَاءَ الْفَخْرِ غَيْرَ مُدَافِعِ
وَأَسْحَبَ ذُبُولَ الْأَمْسَكْرِ الْعَرَارِ وَاهْنًا بِأَعْيَادِ الْفَتْوحِ مُخَوَّلَا
مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرِ وَمِنْ أَنْصَارِ وَإِلَيْكُمَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِي نَفْحَةٌ

[٣١٠]

(١) كذا في الأصلين ونفع الطيب ولعلها : « شقيقت » .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب .

(٣) في ط : « لعلك » .

فِي فَضْلِ مَنْطِقِهَا وَرَوْنِي^(١) رَسِيمًا مُسْتَمْتَعُ الْأُتْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ
وَتُمِيلُ مِنْ أَصْفَى لَهَا فَكَأَنِّي عَاطِلَتُهُ مِنْهَا كُنُوسَ عِفَارِ

وله يستنجز
كتاب الغرب
ميلادياتهم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب كتاب الإنشاء بالمغرب وقد حضر هناك
ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنشدت قصائدهم ، واستنجز بعد ذلك وعدم
بتقعيد نسخها بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها ، منها :

أَكْتَبَيْتَ الْكِتَابَ أَيْدِ جَمْعِكُمْ بَعْنَايَةِ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةِ أَحْمَدِ
لَا تَمْلُكُوا دِينَ الْقَرِيبِ قَانِي مِنْكُمْ وَإِنْ رَحِمْتَ لَذَلِكَ حُسْدِي
زَيْتُكُمْ حَمَلُ الْبَيِّنَانِ بِسِحْرِكُمْ الْيَوْمَ زَيْنَةُ سِحْرِكُمْ مِنْ مَوْعِدِ
فَلْتَسْمَحُوا لِي بِالْقَصَائِدِ عَاجِلًا وَلْتَبْلُغُوا رِمَا أَوَّلُ مَقْصِدِي
وقال أيضاً :

أَبَا عَيْنَةَ الْكِتَابِ دَعْوَةَ مُنْصِفٍ عَلَيْكُمْ بِكُمْ فِي مَقْطَعِ الْحَقِّ يَسْتَعْدِي
تَحْمُكُمُ يَنْظُرُ الدُّرُ فِي لَبَّةِ الْعُلَا فَكَمْ رَاقٍ مِنْ سِنَطِ هُنَاكَ وَمِنْ عِقْدِ
فَمَا ضَرَّكُمْ أَنْ تَسْعُوا لِي بِكُتُبِهَا فَتَسْتَجِرُوا شُكْرِي وَتَسْتَوْجِبُوا أَحْمَدِي
وقال أيضاً :

مَا عَذَّرَكُمْ^(٢) أَنْ لَمْ تَجُودُوا بَعْدَمَا مَلَكْتُمْ كَفَّ الْخَلِيفَةِ أَحْمَدِ
فَلْتَبْعُوا لِي كُلَّ بَكْرٍ قَذِي تَأْتِي بِفَخْرٍ خِلَالِهَا وَسَطَ النَّدَى

وله لاهم أيضاً
في المعنى التقدم

وكتب إليهم في المعنى أيضاً وقد كان السلطان أبو العباس أعطاه قصيدة من
نظمه [تلك الليلة] :

(١) في مع الطيب : « ورائي » .

(٢) كفا في م . وفي س : « ما صرتم » .

ظَلَّالِكُمْ تَنْدُو^(١) وَمَوْرِدُكُمْ عَذَابُ
وَأَنْتُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَنْهُمْ رَحْمَةً
أَفِيضُوا عَلَيْنَا وَانْظُرُونَا بِفَضْلِكُمْ
أَلَيْتُ الْهَوَى حَتَّى أَنْتَ يَجْوِرِهِ
وَقُلْتُ لِيَجْسِبِي إِنَّهُ نُوْبَكَ الضُّعْفَى
وَقَالُوا صَبَّأَ وَالشَّيْبُ لَاحَ صَبَّاحُهُ
نَهَبْتُ عَذَارَى الْحَيِّ لَيْلَةً عَرَضَهَا
وَلَمْ أَرِ مِنْهَا غَيْرَ رَجْعٍ حَدِيثَهَا
عَرَابٌ إِذَا اسْتَنْتَ بِشَاوٍ بِلَاغَةٍ
وَإِنْ اسْتَنْتَ مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَحَاجِرٍ
فَمَنْعَهُ صِدْقٌ لِلْخِلَافَةِ قَدْ صَفَتْ
وَجَوَّ صَبِيلٍ قَدْ جَاءَتْهُ يَدُ الْعَبَا
قُلُوا لَا أَلْنِي مِنْ دُونِهَا طَاعَةُ الْهَوَى
وَلَكِنْ نَهَانِي الشَّيْبُ أَنْ أَقْرَبَ الْهَوَى
فَلَا تَعْمَلُوا دِينَ الْمُعَلَّلِ عَنْ غِنَى
وَإِنْ لَمْ تَرَوْنِي كُفَّسُهُنَّ تَرْفَعَا
فَوَلَايَ قَدْ أَهْدَى الْعَمِيدَ عَقِيلَةً
أَدَارَتْ كُشُوسًا مِنْ مَدَامٍ صَبَابَةٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا مَوْعِدُ يَوْمُهُ غَدٌ

وَتَرْضَوْنَ أَنْ أَضْحَى وَبِالْمَلْعِ لِي شُرْبُ
تَصُوبُ وَأَحْلَامُ الْغَنَاءِ لَهَا تَصْبُو
لِنَفْسٍ نُوْرًا لَا يَخْبِي وَلَا يَخْبُو
فَكُلُّ عَذَابٍ نَأْتِي فِي الْهَوَى عَذَابُ
[٣١٦] وَقُلْتُ لِقَلْبِي إِنَّهُ إِنْكَالُ الْحُبِّ
فَقُلْتُ يَبِيضُ كَالصَّبَاحِ أَنَا صَبَّ
وَقَدْ جِلْبَتٌ مِنْهَا لِمُبْصِرٍ مَا شَهَبُ
فَتَجَهَّلُ مِنْهَا الْعَيْنُ مَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ
تَقْصُرُ مِنْ دُونِ الْحَقِ لَهَا الْعُرْبُ
تَقُولُ رُوَاةُ الشَّرْقِ يَا حَبْدَا الْغُرْبُ
عَلَى مَنْ حَوَاهُ مِنْ مَهَابَتِهِ حُجْبُ
يُسَافِرُ طَرْفُ الطَّرْفِ فِيهِ فَمَا يَكْبُو
لَحَقَتْ بِهَا حَوَالِي الْأَبَارِقِ وَالشَّرْبُ
إِذَا لَمْ يُتَبَّعْ مِمَّنْ أَحَبُّ لِي الْقُرْبُ
فَجَارِيكُمْ سَهْلٌ وَمَنْزِلُكُمْ رَحْبُ
وَصَدَّكُمْ مِنْ دُونِ خِطْبَتِهَا حَطْبُ
يُكَلِّمُكُمْ مِنْ لَفْظِهَا الْوَلْوُلُ الرُّطْبُ
كَأَمْتَزَجَ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
لَوَاجِهُكُمْ مَنَى عَلَى مَطْلَبِي الْعَنْبُ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط وَنَحْوَ الطَّبِيبِ : « تَنْدِي » .

أَكْتَابَ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ أَحْمَدُ
وَحَسْبُكُمْ الْفَخْرُ الْعَمِيمُ بِهِ حَسْبُ
بِهِ اغْتَرَبْتُ الْأَدَابُ وَأَمْتَدَّ بِأَعْيَا
وَطَالَتْ يَدَاهَا وَأَسْتَعَفَّ بِهَا الْمَجْذُوبُ
فَقُلْتُ لَمْ يَكُنْ بِالْفَصْلِ تَنْفَقُ سَوْفَهَا
لَكَانَ يَقَالُ الْتَهْزُ فِي أَزْهِرِ تَرْبُ
بِقِيَّتِهِمْ بِهِ فِي ظِلِّ جَلِيلٍ وَغَيْطَةٍ
تَعْبُثُ إِلَى لُقْيَا نَجِيبِكُمْ أَلْتَجِبُ

وقال مراجع السكاتب أبا زكريا بن أبي دلالة منهم ، وقد أجابته رحمة الله تعالى عليه :

عَلَى الطَّائِرِ الْيَمِينُ وَالطَّلَاعِ السُّعْدُ
أَتَقْنِي مَعَ أَنْصَعِ الْجَبِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَأَحْيَيْتُ يَا بَحِيٍّ بِهَا نَفْسَ مُعْرِمٍ
بُحِيلُ جِيَادِ الدَّمْعِ فِي مَلْعَبِ الشَّهْدِ
نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى وَقَانِي وَخَلَّتْ
وَأَقْفَرُ رَيْعُ الْقَلْبِ إِلَّا مِنْ الْوَجْدِ
وَمَا أَلْفَلُّ فِي نَغْرٍ مِنَ الزَّهْرِ بِأَسْمٍ
بِأَذْكَى وَأَضْفَى مِنْ ثَنَانِي وَمِنْ وَدَى
فَأَصْدَقْتُهَا مِنْ نَحْرِ فِكْرِي جَوَاهِرَا
تَنْظُمُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِي فِي عِنْدِ
وَكُنْتُ أَطِيلُ الْقَوْلَ لَوْلَا ضَرُورَةٌ
دَعَتْنِي إِلَى الْإِيحَارِ فِي سُورَةِ الْحَمْدِ

[٢١٧]

وأنشد السلطان أبا العباس للذكور في عُراب من إنشائه :

أَلْإِنْسَانُ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفَنَكَ قَدْ غَدَا
يَحْفُكُ مِنْهُ طَائِرُ الْيَمِينِ وَالسُّعْدِ
إِذَا مَا هَمًّا فَوْقَ الرُّءُوسِ شِرَاعُهُ
أَرَاكَ جَنَاحًا مَدًّا لِلْجَزْرِ وَالسُّدِّ
وَأَنْشَدَهُ فِيهِ أَيْضًا :

لَكَ الْخَيْرُ شَأْنُ الْجَفْنِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ
وَهَذَا بِعَيْنِ اللَّهِ يَحْرُسُ دَأْمًا
تَبَيَّتْ لَهُ خَمْسُ أَثَرِيَا مُعَيَّدَةٌ
تُقَلِّدُهُ زُهْرُ النُّجُومِ نَمَائِمًا

وله في السلطان
أبي العباس

فَيَا جَنُّ لَا تَنفَكْ فِي الْحِفْظِ دَائِمًا وَإِنْ كُنْتَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ عَائِمًا
اتمى ما انتقته من هذا التأليف للملكى مع أنى تركت أكثره .

قلت : وإنما أطلت في كلام الرئيس ابن زمرك رحمه الله تعالى لوجوه :
أولها : أن الذى ألفت الكتاب من أجله راغبٌ في ذلك .

للمؤلف في سبب
إطالة الحديث
عن ابن زمرك

الثاني : ولوع كثير من الناس بكلامه ، حتى قال شيخنا سيدى الإمام
العلامة المؤلف الكبير أبو العباس أحمد الشهير بابا السودانى رحمه الله ، بعد
أن ذكر فى التعريف به نحو عشرين سطرًا^(١) : إني لم أف في أمره على غير
هذا ، ولم أف على وفاته . وبالجملة فالذى تكلم خواص الناس فيه من أمره هو
ما فى الإحاطة والكتيبة ؛ وأما الجم الغفير فهم يعمزل عما فى الكتاتين فضلا
عن غيره .

الرمح الثالث : أن ما نقلته من ذلك كان عندى مقيداً فى عدة أوراق ،
نخفت عليه الدروس ، فلذا جمعت بعضه هنا .

الرابع : ما اشتمل عليه من أوصاف الجهاد والخیل وغير ذلك من الغرائب ،
وليس الخبر كالعيان .

الخامس : ما فى بعضه من أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو
المقصود بالذات وغيره تبع ، وهو فى مسك ختام هذه الأوجه الخس ، وليس
يحتاج إلى دليل نور القمر والشمس .

وقد عنى أن أذكر جملة من موشحاته لغرابتها ، ولأن جل ما وقعت عليه
منها ينفخ في سلك المغرب ، إذ أكثره من مخلع البسيط .

من موشحات
ابن زمرك

(١) يشير المؤلف إلى كتاب نبل الابتهاج بقطرير الديباج لأبي العباس أحمد بابا ، وهو
تذييل على كتاب الديباج المذهب فى علماء المنع لابن فرحون .

موشحة له في
الشوق إلى
غمرناطة

فمن ذلك قوله نشوقاً إلى غمرناطة — أعادها الله — ومادحاً الغنى بالله :
 بِاللّٰهِ يَا قَامَةَ الْقَضِيبِ وَنُحِجَلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 مِنْ مَلَأَ الْحَسَنَ فِي الْقُلُوبِ وَأَيْدِ الْأَحْطَافِ بِالْحَوَرِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُهُ رَقِيقًا لَمْ يَذَرِ مَا لَدُنْهُ الصَّبَا
 قَرِيبٌ حُرٌّ ^(١) عَدَا رَقِيقًا تَمْلِكُهُ نَفْحَةُ الصَّبَا
 نَشْوَانٌ لَمْ يَشْرَبِ الرِّيحَ ^(٢) لَكِنْ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا
 فَمَذَّبَ الْقَلْبَ بِالْوَجِيبِ وَنَعَمَ الْعَيْنَ بِالنَّظَرِ
 وَبَاتَ وَاللَّعْنُ فِي صَبِيبِ يَتَدَحُّ مِنْ قَلْبِهِ الشَّرَرُ
 أَوَاهٍ ^(٣) مِنْ قَلْبِي الْمَعْنَى يَهْفُو إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ
 لَوْ كَانَ لِلصَّبِّ مَا تَمْنَى لَطَارَ شَوْقًا بِلَا جَنَاحِ
 وَبُلْبُلُ الدَّوْحِ إِنْ تَعْنَى أَمْهَرُ لَيْسَ إِلَى الصَّبَاحِ
 عَسَاكَ إِنْ زُرْتَ يَا طَبِيبِ بِالطَّيْفِ فِي رَقْدَةِ السَّحَرِ
 أَنْ تَجْعَلَ النَّوْمَ مِنْ نَصِيبِ وَالْعَيْنَ تَخْمِي مِنَ السَّهَرِ
 كَمْ شَاكِنٍ قَادَ لِي الْحُتُوفَا يَمْرُغُ الْقَلْبُ قَدْ سَكَنَ
 يَسْلُ مِنْ أَحْظَلِ سُوُوفَا فَالْقَلْبُ بِالرَّوْعِ مَا سَكَنَ
 خُلِيتُ مِنْ عَادَى أُلُوفَا أَحِنُّ لِلْإِفِّ وَالسَّكَنِ
 غَرْنَاطَةٌ مَنَزَلُ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهَا الشُّؤْلُ وَالْوَطَرُ

(١) في الأصلين : « من قد » مكان قوله : « حر » . وما أُنْبِتَاهُ عَنْ نَفْحِ الطَّيْبِ .

(٢) في الأصلين : « الرِّيقَا » . والتصويب عن نَفْحِ الطَّيْبِ .

(٣) في نَفْحِ الطَّيْبِ : « هَبَّتِ » مكان قوله : « أَوَاهِ » .

تَهَيَّرُ بِالْمَنْظَرِ الْمَجِيبِ فَلَا عَدَا رَبَّةَا الْعَلَمِ
 عَرُوسُهُ^(١) نَاجِيَا السَّبِيكَةِ وَزَهْرُهَا الْحَسْلَى وَالْحَلَلِ
 لَمْ تَرْضَ مِنْ عِزِّهَا شَرِيكَةً بِحُسْنِهَا يُضْرَبُ الْمَثَلِ
 أَيْدِهَا اللَّهُ مِنْ مَلِيكَةٍ تَمْلِكُهَا أَشْرَفُ الثُّوَلِ
 بِدَوْلَةِ الْمَرْتَجَى التَّهْيِيبِ^(٢) الْمَلِكِ الطَّاهِرِ الْأَعْرَفِ
 نَحْنَالُ مِنْ بُرْدِهَا الْقَشِيبِ فِي حُلَّةِ النُّورِ وَالزَّهْرِ
 كَرَسِيهَا جَنَّةُ الْعَرِيفِ مِرْآتِيهَا صَفْحَةُ الْقَدِيرِ
 وَجَوْهَرُ الطَّلِّ فِي^(٣) سُؤُوفِ نُحْكِمُهُ صَنْعَةُ الْقَدِيرِ
 وَالْإِنْسُ فِيهَا عَلَى صُنُوفِ قَمِينِ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ
 كَمْ خَرَقَ الزَّهْرُ مِنْ جُبُوبِ^(٤) وَكَلَّلَ الْقُضْبَ بِالذَّرَرِ
 فَالْفَضْنُ كَالْكَاسِيبِ الْعُوبِ وَالطَّيْرُ تَشْدُو بِلَا وَتَرِ
 وَلَانَهُمُ النَّصِيرُ فِي اخْتِفَالِ وَفَرَحُ دِينِ الْهَدَى^(٥) جَدِيدِ
 سُلْطَانِهَا مُغْمِلُ^(٦) الْقَوَالِي مُحَمَّدُ الطَّافِرِ السَّعِيدِ
 وَتُحْجِلُ الْبَذَرِ فِي السَّكَالِ سُلْطَانُهَا الْمُجْتَسِبِ الْفَرِيدِ
 أَصْفَحَ مَوَالِي عَنِ الذُّنُوبِ أَكْرَمَ عَافٍ إِذَا قَدَرَ
 وَتَكْنَسُ هَدَى بِلَا مَغِيبِ وَبَحْرُ جُودٍ بِلَا حَسَرِ

(١) في ط : « غوى صروس » . وما أثبتناه من م ونفع الطيب المطبوع .

(٢) في نفع الطيب المخطوط : « المجيب » .

(٣) في ط ونفع الطيب « عن » .

(٤) في ط : « مرق » .

(٥) في نفع الطيب : « الهوى » .

(٦) في ط : « يميل » .

مَوْلَايَ يَا عَاقِدَ الْبُنُودِ تَطَلَّلُ الْأَوْجُهُ الصَّبَاحُ
أَزْحَشْتَ يَا نُحْبَةَ الْوُجُودِ غَرْنَاطَةَ هَالَةَ السَّمَاحِ
سَافَرْتَ بِالْيَمِينِ وَالشُّعُودِ وَعُدْتَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحِ
يَا مُلَهَمَ الْقَلْبِ لِلْغُيُوبِ وَمُطَمِّنَ^(١) النَّصْرِ وَالظَّفَرِ
أَسَمِعَكَ اللَّهُ عَنْ قَرِيبٍ : « عَلَى السَّلَامَا مِنَ السَّفَرِ »

وقال أيضاً من الموشحات القائمة^(٢) ، في مثل أغراض هذه السابقة ، وأشار
إلى محاسن من وصف « الرِّشَاد » :

نَسِيمُ غَرْنَاطَةِ عَلِيلُ لَكِنَّهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلِ
وَرَوْضُهَا زَاهِرٌ لَيْلِيلُ^(٣) وَرَشْفُهُ يَنْقَعُ الْعَلِيلِ
سَقَى بِنَجْدٍ رُبَاً الْمَصَلَى مُبَاكِراً رَوْسَهَا^(٤) الْغَالِمِ
فَجَفَّنَهُ كُلَّ اسْتَهْلَا تَبَسَّمَ الزَّهْرُ فِي الْكِيَامِ
وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى^(٥) وَجَرَّدَ النَّهْرُ عَنْ حُسَامِ
وَدَوَّحَهَا ظِلُّهُ ظَلِيلُ يَحْسُنُ فِي رَبْعِهِ الْمَقِيلِ
وَالْبَرْقُ وَالْجَوْ مُسْتَطِيلُ يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّعِيلِ
عَمِيْلَةٌ نَاجَهَا السَّيِّكَةُ تَطْلُ^(٦) بِالْمَرْقَبِ الْمُئِنِفِ
كَأَنَّهَا فَوْقَهُ مَلِيكَةُ كُرْسِيِّهَا جَنَّةُ الْعَرِيفِ

(١) كذا في ط ونقع الطيب الطبوع . وفي م : « مطمئن » .

(٢) في معج الطيب : « القائمة » .

(٣) كذا في ط . وفي م : « مزهر جليل » . وفي نقع الطيب : « زهره بليل » .

(٤) كذا في م . وفي ط : « روضة » ، وفي نقع الطيب : « روضه » .

(٥) في نقع الطيب المخطوط : « تجللى » .

(٦) كذا في نقع الطيب الطبوع . والتي في الأصلين والنقع المخطوط : « تطل » .

ومن موشحاته
في وصف مبنى
الرشاد

تُطْلِعُ^(١) مِنْ عَسَجِدٍ سِدِّيكِ شَمُوسُهَا كُلُّهَا تُطِيفُ
أَبْدَعَكَ الْخَالِقُ الْجَلِيلُ بَا مَنْظَرًا كُلُّهُ جَمِيلُ
قَلْبِي إِلَى حُسْنِهِ يَمِيلُ وَقَبْلَنَا قَدْ صَبَا جَمِيلُ
وَرَادَ لِلْحُسْنِ رَفِيكَ حُسْنًا مُحَمَّدُ الْحَمْدِ وَالسَّامِحُ
جَدَّدَ لِلْفَخْرِ فِيكَ مَعْنَى^(٢) فِي طَالِعِ الْيَمِينِ وَالنَّجَاحُ
تَذَقَّى رَشَادًا^(٣) وَفِيكَ مَعْنَى يَحُصِّلُ الْقَالَ بِافْتِحَاحُ
فَالنَّصْرُ وَالسَّعْدُ لَا يَزُولُ لِأَنَّهُ ثَابِتٌ أَصِيلُ
سَعْدٌ وَأَنْصَارُهُ قَبِيلُ آبَاؤُهُ عِمْرَةُ الرَّسُولِ
أَبْدَى بِهِ حِكْمَةَ الْقَدِيرِ وَتَوَجَّحَ الرُّوضُ بِالْأَقْبَابِ
وَدَرَّعَ الزَّهْرَ بِالْقَدِيرِ وَزَيْنَ النَّهْرِ^(٤) بِالْحَبَابِ
فَمِنْ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرٍ مَا أَوْلَعَ الْحُسْنَ بِالشَّبَابِ
هَبَّتْ عَلَى رَوْضِهَا الْقَبُولُ وَطَرَفَهَا^(٥) بِالشَّرَى كَلِيلُ
فَلَمْ يَرْكَنْ بَيْنَهَا يَجُولُ حَتَّى تَبَدَّتْ لَهُ حُجُولُ
لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهَا رُقُومُ تَلُوحُ لِلْعَيْنِ كَالنُّجُومِ
وَلِلنَّدَى بَيْنَهَا رُسُومُ عَقْدُ النَّدَى قَوْفَهُ نَظِيمُ
وَكُلُّ وَادٍ بِهَا يَسِيمُ وَلَمْ يَرْكَنْ حَوْلَهَا يَحُومُ

(١) في تلح الطيب : « تطيع » .

(٢) في تلح الطيب للطوبى : « مبنى » .

(٣) في ط (هنا) : « دثارا » .

(٤) في ط : « الزرع » وفي م : « الدرع » . وما أتيتاه عن تلح الطيب .

(٥) في تلح الطيب المخطوط : « وروضها » .

شَنَّبَهَا مُدَّ مِنْهُ نَيْلُ وَالشَّيْبُ أَفْءُ الْمُسْتَنْبِيلِ
 وَعَيْنُ وَادٍ بِهَا ^(١) تَسِيلُ مِنْ قَوْفٍ حَذَرٌ لَهُ أَسِيلُ
 كَمْ مِنْ ظِلَالٍ بِهِ تَرَفُّ تَضْفُو لَهَا قَوْفُهُ سُسُورُ
 وَمِنْ رُجَاجٍ بِهِ يَشِفُّ مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نُورِ
 وَمِنْ شُمُوسٍ بِهَا تُصَفُّ تُدِيرُهَا يَبْقِنَا الْبُدُورُ
 مِرْاجُهَا الْعَذْبُ سَلَسِيلُ يَأْتَلُ إِلَى رَشْفِهَا سَدِيلُ
 وَكَيْفَ وَالشَّيْبُ لِي عَذُولُ وَصِبْغُهُ صُمْرَةُ الْأَصِيلِ
 يَا مَرَحَّةَ فِي الْحَبَى ظَلِيلَهُ كَمْ نِلْتُ فِي ظِلِّكَ الْمُنَى
 رَوْضَكَ اللَّهُ مِنْ حَبِيلِهِ بَعْجَتْنِي بِهَا أَطْيَبُ الْعَجَى
 وَبَرَّ قَهْمًا صَادِقُ الْخَيْلِ مَا زَالَ بِالْعَيْثِ مُحْسِنَا
 أَنْجَزَ لِي وَعْدَكَ الْقَبُولُ فَلَمْ أَقُلْ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ
 «يَا مَرَحَّةَ الْحَيَّ يَا مَطُولُ تَمْرُحُ الَّذِي يَبْقِنَا يَطُولُ» ^(٢)

[٢٠١] ومن ذلك ما كتب به لفتى بالله :

أَرْبَلِغْ لِرِئَاظَةِ سَلَامِي وَصِفْ لَهَا غَهْدِي السَّلَامِ
 فَلَوْ رَعَى طَيْفُهَا ذِمَامِي مَا بَثُّ فِي لَيْسَلَةِ السَّلَامِ
 كَمْ بَثُّ فِيهَا عَلَى اقْتِرَاحِ أَعْلَى مِنْ سَمَرَةِ الرُّضَابِ
 أُدِيرُ مِنْهَا كُتُوسَ رَاحِ قَدْ زَانَتْ ^(٣) الثَّغَرَ بِالْحَبَابِ

(١) كذا في فتح الطيب المطبوع . وفي الأصلين والفتح المخطوط : « به » .

(٢) هذا البيت مطلع مقطوعة لسان الدين بن الخطيب ، أوردها القرى في فتح الطيب

(ج ٤ ص ٦٠) طبعة الأزهرية .

(٣) في م وضع الطيب : « زانها » .

أَخْشَاكَ كَالْمُهْرِ فِي الْجِمَاحِ تَشَوَّانَ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ
أَضَاحَكَ الزَّهْرَ فِي السَّكَامِ مُبَاهِيًا رَوْضَةَ الْوَسِيمِ
وَأَفْضَحَ الْفَضْنَ فِي الْقَوَامِ إِنْ هَبَّ مِنْ جَوْهَا نَسِيمِ
يَبْنَا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافِي وَظِلُّهُ فَوْقَنَا مَسْدِيدِ
وَمَوْزِدُ الْأَنْسِ فِيهِ صَافِي وَبُرْدُهُ ^(١) رَاتِقُ جَدِيدِ
إِذْ لَاحَ فِي الْقَوْدِ غَيْرَ خَافِي صُبْحُ يَوْمِ نَبَا الْوَلِيدِ
أَيَقُظُ مَنْ كَانَ ذَا مَنْكَمِ لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمِ
وَأَرْسَلَ الدَّمَعَ كَالْعَنَامِ فِي كُلِّ وَادٍ يَوْمَ أَهِيمِ
يَا حَيْرَةَ عَهْدِهِمْ كَرِيمِ وَفِعْلُهُمْ كُلُّهُ جَمِيلِ ^(٢)
لَا تَعْذِلُوا الصَّبَّ ^(٣) إِذْ يَهِيمُ فَمَقْبَلُهُ قَدْ صَبَا جَمِيلِ
الْقَرُبُ مِنْ رَبِّكُمْ نَعِيمِ وَبَعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلِ
كَمْ مِنْ رِيَاضٍ بِهِ وَسَامِ يَرْحَى بِهَا الرَّائِدُ ^(٤) الْمَسِيمِ ^(٥)
غَدِيرُهَا أَزْرَقُ الْجِمَامِ وَتَبَتْهَا كُلُّهُ جَمِيمِ ^(٦)
أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي بِسَامِ أَكَايِدُ الشُّوقِ وَالْحَنِينِ
أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا وَنَامِي فَالْيَوْمُ فِي الطُّولِ كَالسَّنِينِ

(١) في الأصلين : « وبرقه » . وما أشتناه عن نفع الطيب .

(٢) في م : « وكل فعل لهم جميل » .

(٣) في م : « القلب » .

(٤) في نفع الطيب : « الرائض » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي م : « السليم » وفي ط : « الوسيم » .

(٦) كذا في نفع الطيب المطبوع . وفي ط : « نعيم » . وفي م : « بهيم » .

اللَّهُ حَسْبِي فَصَكَّمُ أَقَامُوا مِنْ وَحْشَةِ الصَّغْبِ وَالْبَيْنِ
 مُطَارِحًا سَاجِعَ الْحَمَامِ شَوْقًا إِلَى الْإِنْفِ وَالْحَمِيمِ
 وَالذَّمْعُ قَدْ لَجَّ فِي انْسِجَامِ وَقَدْ وَهَى عِنْدَهُ النِّظِيمِ
 يَا سَاكِنِي جَنَّةِ الْعَرِيفِ أُنْكِنْتُمْ جَنَّةَ الْخُلُودِ
 كَمْ تَمَّ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيفِ قَدْ حَفَّ بِالْبَيْنِ وَالشُّعُودِ
 وَرُبُّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفِ أَدْوَاهُهُ الْخَفَرُ كَالْبُنُودِ
 وَالنَّهْرُ قَدْ سُلَّ كَالْحُسَامِ لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُسْتَدِيمِ
 وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامِ مُقْبِلًا رَاحَةَ النَّدِيمِ
 بَلَغَ عُبَيْدُ الْقَامِ صَحْبِي لَا زِلْمُ الْدَفْرِ فِي هَذَا
 إِقَامَكُمْ بُنْيَةَ الْمُحِبِّ وَقُرْبُكُمْ غَايَةُ الْمُنَى
 فَمِنْ دَكَمِ قَدْ تَرَكْتُ قَلْبِي فَجَدَّدَ اللَّهُ عَهْدَنَا
 وَدَارَكَ الشُّلَّ بِانْتِظَامِ مِنْ مُرْتَجَى ^(١) فَضْلِهِ الْعَمِيمِ
 فِي ظِلِّ سُلْطَانِنَا الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ الْحَلِيمِ ^(٢)
 مُؤَمِّنِ الْمُدَوَّنِينَ رِمَا يُخَافُ مِنْ سَطْوَةِ الْعِدَا
 وَفَارِجِ الْكَرْبِ إِنْ أَلَمَا وَمُذْهِبِ الْخَطْبِ ^(٣) وَالزَّادِ
 قَدْ رَاقَ حُسْنًا وَفَاقَ حِلْمَا وَمَا عَدَا غَيْرَ مَا بَدَا
 مَوْلَايَ يَا نُجْبَةَ الْأَنَامِ وَحَائِزَ الْفَخْرِ فِي الْقَدِيمِ
 كَمْ أَرْقُبُ الْبَدْرَ فِي الْقَامِ شَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ

[٣٠٢]

(١) كذا في ط. وفي مدح الطيب المطبوع والمخطوط: «من يرتجى».

(٢) في م وفتح الطيب: «الحليم».

(٣) في م: «الكرب».

ومن موشحاته في غير الخلع ، موطناً على موشح ابن سهل التي أولها :

ومن موشحاته
معارضا ابن سهل

« ليل الهوى يفظان »

قوله :

تَوَاسِمُ البُسْنَانُ تَنْزُرُ سِلَكَ الزَّهَرِ
وَالطَّلُّ فِي الْأَغْصَانِ يَنْظِمُهُ بِالْجَوْهَرِ
وَرَابِئُهُ ^(١) الإصْبَاحِ
تَنْشُرُهَا الْأَرْوَاحُ أَضَاءَ مِنْهَا الشَّرِيقِ
وَالزَّهْرُ زَهْرٌ فَاحٍ فَلَا تَزَالُ تَخْفِقُ
فَأَقِظِ النَّدْمَانَ لَهَا عَيُوبٌ تَرْمُقُ
جَوَاهِرَ الشَّهْبَانِ ^(٢) تُبْصِرُ مَا لَمْ يُبْصِرِ
فَدَخَتْ لِي ^(٣) زَنْدًا قَدْ عَرِضَتْ لِلْمُشْتَرَى
أَذْكَرْتَنِي عَهْدًا يَأْتِيهِذَا الْبَارِقُ
فَالنَّوْقُ لَا يَهْدَا إِذِ الشَّيْبَابُ رَائِقُ
وَكَيْفَ بِالشَّلْوَانِ وَلَا الْقَوَادُ الْخَافِقُ
وَسَحْبُ الْمِجْرَانِ وَالْقَلْبُ رَهْنُ الْفِكْرِ
لَوْلَا شُمُوسُ الْكَاسِ تَحْجُبُ وَجْهَ الْقَمَرِ
وَعَرَجَ الْإِنْسَانِ نُدِيرُهَا بَيْنَ الْبُدُورِ
مِنَّا عَلَى رَجَرِ الصَّدُورِ

[٢٥٢]

(١) في فتح الطيب : « وراحة » .

(٢) كذا في م . والصبيان : جمع شهاب . وفي فتح الطيب : « الشبان » ، وهو تحريف .
وفي ط : « الملبان » .

(٣) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « له » .

لَكِنَّهَا وَسْوَاسُ يُغْرِى بَرَبَاتِ الْخُدُورِ
كَمْ وَاللهِ هَيْمَاتُ بِصُبْحِ وَجْهِ مُسْفِرِ
ضِيَاؤُهُ قَدْ بَانَ مِنْ تَحْتِ لَيْلٍ مُفْعِرِ
يَا مَطْلَعِ الْأَنْوَارِ كَمْ فِيكَ مِنْ مَرَايِ جَمِيلِ
وَنُزْهَةِ الْأَبْصَارِ مَا صَرَ لَوْ تَشْفَى الْعَلِيلِ
يَا رَوْضَةَ الْأَزْهَارِ وَعَرَفُهَا يُبْرِى الْعَلِيلِ
قَضِيْبِكَ الْفَيْنَاتُ يُسْقَى بِدَمْعِ هَمِيرِ
فَلَا عِجْ الْأَشْجَانُ فَيُضِىءُ الدُّمُوعَ يُجْرِى ^(١)
هَلْ فِي الْهَوَى نَاصِرُ أَوْ هَلْ يُجَارُ الْهَائِمُ
لَوْ كَانَ لِي زَائِرُ طَائِفُ الْخَيَالِ الْحَائِمُ
مَا بَثَّ بِالسَّاهِرِ وَدَمْعُ عَيْنِي سَاجِمُ
وَالْحُبُّ ذُو عُدُونِ يَجْهَدُ فِي ظِلِّ الْبَرَى
وَصَارِمُ الْأَجْفَانِ مُؤَيَّدٌ بِالْحَوَرِ
رُحْمَاكَ فِي صَبٍّ أَذْكَرْتَهُ عَهْدَ الصَّبَا
بَوَاعِي الْعُصْبِ قَادَتْ إِلَيْهِ الْوَصْبَا
لَمْ تَهْفُ بِالْقَلْبِ رِيحُ الصَّبَا إِلَّا صَبَا ^(٢)
بَلِيلَةَ الْأُزْدَانِ قَدْ ضَمَعَتْ بِالْعَنْبَرِ
بُشَيْرُ عُصْنِ الْبَانِ مِنْهَا بِفَضْلِ اللَّيْزَرِ

(١) في ط : « يتر » . ولعلها معرفة عن : « يرى » .

(٢) في فتح الطيب : « هبا » .

طَيِّبَهَا حَمْدُ فَنَرَ الْمُلُوكِ الْبُخْتَى
 مَنْ يَرْجُحُ الْعُلُودُ مِنْ حِلْعِهِ إِذَا اخْتَبَى
 قَدْ جَرَدَ السُّنْدُ مِنْهُ حُكَمَا مُدْهَبَا
 فَالْبَاسُ وَالْإِحْسَانُ وَالْقَوْتُ لِلْمُسْتَعِيرِ
 تَحِيلُهُ الرُّكْبَانُ نَحِيَّةً لِلْيَمِينِ
 عِصَابَةُ الْكُتَّابِ حَقٌّ لَهَا الْقَوْرُ الْعَظِيمُ
 تَخْتَالُ فِي أَنْوَابِ أُلْبَسَهَا الطُّولُ الْجَسِيمُ
 فَحَسْبُهَا الْإِطْنَابُ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعِيمُ
 خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ لَا زَلَّ زَاهِي^(١) الْمَظْهَرِ
 يَا مَوْرِدَ الظُّلُمَانِ وَرَأْسَ مَالِ الْمُعْسِرِ
 خُذْهَا بِلاَ دَعْوَى تَزْهَى عَلَى الرُّوضِ الْوَسِيمِ
 حَامَتْ كَمَا تَهْوَى أَرْقَى مِنْ لَذَنِ النَّسِيمِ
 قَدْ طَارَحَتْ شَكْوَى مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ^(٢)
 «أَيْلُ الْهَوَى يَنْقُطَانُ وَالْحُبُّ تَرْبُ السَّهَرِ
 وَالصَّبْرُ لِي خَوَانُ وَالنُّومُ مِنْ عَيْنِي بَرَى»

ومن مُحَلَّلَ البسيط في الصُّبُوحِيَّاتِ قوله سامحه الله تعالى ورحمه ورضى عنه :

رَبِّحَانَةُ الْعَجْرِ قَدْ أَطْلَتْ خَضِرَاءَ بِالزَّهْرِ تَزْهَرُ

ومن موشحات
 في الصُّبُوحِيَّاتِ

(١) في م وفتح الطيب : « ساهى » .

(٢) في ط : « السَّيْمِ » . وما أثبتناه عن م وفتح الطيب .

ورأيتُ الصُّبحَ إذْ (١) أَظْلَمَتْ في مَرَقَبِ الشَّرْقِ (٢) تُنَشِّرُ
 فالشُّبُّ مِنْ غَارَةِ الصَّبَاحِ تَرَعَدُ خَوْفًا وَتَحْفَقُ
 وأدْهَمُ اللَّيْلِ فِي جَمَاحِ أَعْنَى السَّرْقِ يُطْلِقُ
 والآفُقُ فِي مُلْتَقَى الرِّيحِ بأدْمَعِ الْغَيْثِ بِشَرْقِ
 والسَّحْبُ بِالْجَوْهَرِ اسْتَهَلَّتْ فَالْبَرْقُ سَيْفٌ مُجَوِّهٌ
 صِبَاحُهُ الْبُذْهَبَانُ حَلَّتْ فِي رَاخَةِ الْجَوِّ تُشْهَرُ
 كَمَ لِلصَّبَا قَمٌ مِنْ مَتَيْلِ بِطَيْبِهِ الزَّهْمُ يَشْهَدُ
 وَالتَّهَرُّ كَالصَّارِمِ الصَّفِيلِ فِي حَلِيَّةِ (٣) النَّوْرِ يُغْنِدُ
 وَرُبُّ قَالٍ بِهِ دَفِيعِلِ لِلطَّيْرِ فِي حِينَ تُنْشِدُ
 فَأَلْسُنُ الْوُزْقِ قَدْ أَمَلَتْ مَدَانِحًا عَنْهُ تُشْكُرُ (٤)
 وَنَسَمَةُ الصُّبْحِ حِينَ كَلَّتْ (٥) فِي سُندُسِ الرُّوضِ تَعْتُرُ
 وَالسَّكْسُ فِي رَاخَةِ النَّدِيمِ يَجْلُو بِهَا غَيْبَ الْمَوْمِ
 أَفْبَسَتْ الْفَارَ (٦) فِي الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ الْكُرُومِ
 وَالْعُصْنُ (٧) فِي مَلْعَبِ النَّسِيمِ لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهِ رُفُومِ
 فَكَلْبَةُ الْقُصْبِ قَدْ تَحَلَّتْ وَالطَّلُّ فِي الْحَلِيِّ جَوَّهَرِ

(١) في نفع الطيب : « قد » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الصبح » . وفي نفع الطيب : « الشمس » .

(٣) كذا في نفع الطيب . والذي في الأصلين : « في حلبة » .

(٤) في ط ونفع الطيب : « تسكر » .

(٥) في نفع الطيب : « قد تجلت » .

(٦) في رواية : « النور » .

(٧) في نفع الطيب المطبوع : « والنهر » .

وَهَجَّةُ الْكَوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ وَالرُّوضُ بِالْحُسْنِ يَبْهَرُ
يُذَكِّرُنِي وَجَنَّةَ الْحَبِيبِ وَالْآسَ فِي صَفْحَةِ الْعِذَارِ
وَشَارِبَ الشَّارِبِ الْعَجِيبِ بَيْنَ أَقْلَحٍ وَجُلْنَازِ
يُبْدِرُ مِنْ غَيْرِهِ الشَّيْبِ سُلَاقَةً دُونَهَا الْقَمَازِ
حَلَّتْ لِأَهْلِ الْهَوَى وَجَلَّتْ بِاللَّكْرِ وَالْوَهْمِ تُسَكِرُ
كَمْ مِنْ نَفْسٍ بِهَا تَسَلَّتْ فَا لَهَا الدَّهْرُ مُنْكَرُ
يَا غُصْنَ بَابٍ يَمِيلُ زَهْوَا رِيَّانَ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ
لَوْ كُنْتَ تُصْنِئُ لِرَفْعِ شَكْوَى أَطْلَعْتُ مِنْ رِصَّةِ الْعِتَابِ
وَمَنْ لِيَسْلِي بَيْتَ نَجْوَى لِلْبَدْرِ^(١) فِي زَفَرِ السَّعَابِ
عَزَّائِمُ الصَّبْرِ فَيْكَ حُلَّتْ وَعَقْدَةُ الصَّبْرِ تَذَخَّرُ
قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْكَ مَا اسْتَقَلَّتْ وَلَيْتَ لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ
كَمْ لَيْسَلَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَا ضَيْدِينَ فِي السُّهْدِ وَالرُّقَادِ
أَسَامِرُ النَّجْمِ فَيْكَ حَتَّى عَلِمْتُ أَجْفَانَهُ^(٢) الشَّهَادِ
أَرْقُبُ بَدْرَ الدُّجَى وَأَنَا قَدْ لَحُتَ فِي هَالَةِ الْفَوَادِ
نَفْسِي وَلَيْتَ مَا تَوَلَّتْ دَعَمًا عَلَى الشَّوْقِ تَصْبِرُ
لَوْ سُمِنَتْهَا الْمَجْرُ مَا تَوَلَّتْ وَلَمْ تَكُنْ عَنْكَ تَنْفِرُ
عَلِمَهَا الصَّبْرُ فِي الْحُرُوبِ سُلْطَانَنَا عَاقِدُ الْبُنُودِ
مُعْتَرُ الصَّبْرِ لِلْجُنُوبِ أَعَزُّ مَنْ حُفَّ بِالْجُنُودِ

(١) في فتح الطيب المخطوط : « لبرق » .

(٢) في م : « أجفانها » .

نُصِرْتَ بِالرُّغْبِ فِي الْقُلُوبِ وَالْبَيْضُ لَمْ تَبْرَحِ الْعُودُ
 عِنَابَةُ اللَّهِ فِيهِ حَلَّتْ^(١) بِسَعْدِهِ الدِّينُ يُنْصَرُ
 وَالْخَلْقُ فِي عَصْرِهِ تَمَلَّتْ غَنَائِمًا لَيْسَ تُخْصَرُ
 مَوْلَايَ يَا نُكْتَةَ الزَّمَانِ دَارَ بِمَا تَرْتَفِي الْفَلَاحُ
 حَلَّتْ بِالْيَمِينِ وَالْأَمَانِ كُلِّ مَلِيكَ وَمَا مَلَكَ
 لَمْ يَذَرِ وَصْفِي وَلَا عِيَانِي أُمْلَكَ^(٢) أَنْتَ أُمُّ مَلَكْ
 جُنُودِكَ الْقَلْبُ حَيْثُ حَلَّتْ بِاللَّسْرِ وَالْفَتْحِ تُخْصَرُ
 وَعَادَةُ اللَّهِ فِيكَ دَلَّتْ أَنَّكَ بِالْكَفْرِ تَطْغَرُ
 يَا آيَةَ اللَّهِ فِي الْكَمَالِ وَتُحْجِلُ الْبَذَرِ فِي الْقَمَامِ
 قَدِمْتَ بِالْمَرْ وَالْجَلَالِ وَاللَّهْرُ فِي تَغْرِهِ أُبْسَامِ
 بَعَثْتُ فِي حُلَاةِ الْجَمَالِ وَالْبَذَرُ قَدْ عَادَ فِي اخْتِمَامِ
 رِيحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطْلَتْ خَضِرَاءَ بِالزُّهْرِ تَزْهَرُ
 وَرَايَةُ الصَّبْحِ إِذْ أَظْلَتْ فِي مَرْقَبِ الشَّرْقِ تُفْشَرُ
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَامِحَهُ :

[٢٠٦]

وَأَذَنَ اللَّيْلُ بِالرَّحِيلِ وَأَشْرَبَ عَلَى زَهْرِهِ التَّلِيلِ
 فَبَاكِرِ الرُّوضِ بِاصْطِلَاحِ لَيْسَبِرِ الدُّوحِ^(٤) تَخْطُبُ
 قَدْ طَلَعَتْ رَايَةُ الصَّبَاحِ لَيْسَبِرِ الدُّوحِ^(٤) تَخْطُبُ

(١) في نفع الطب : « جلت » .

(٢) في ط : « أملك » .

(٣) في م والنسخ المخطوط : « النبات » . وظاهر أنها معرفة عن « النبات » .

(٤) في ط : « الروض » .

تَسْجَعُ مُنْمَنَةً اللُّغَاتِ كُلُّ عَنِ الشُّوقِ يُعْزِبُ
وَالْفَضْنُ بَعْدَ الذَّهَابِ بَابِي لِأَكْثُوسِ الْعَلَلُ يَشْرِبُ
وَأَذْمَعُ الشَّحْبِ فِي أَنْسِيَا ح فِي كُلِّ رَوْضٍ لَهَا سَبِيلُ^(١)
وَالْجُؤُ مُسْتَبْشِرُ النَّوَاحِي يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلِ
فَمُ فَاعْتَمِمْ بِهَيْجَةِ الدُّفُوسِ مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نَوْرٍ
وَشَفَعِ الصَّبْحِ بِالشَّهْوَوسِ تُدِيرُهَا بَيْنَنَا الْبُودُوسِ
وَنَبْسِ الشَّرْبِ لِلْكَؤُوسِ تُمَزَّجُ مِنْ رَيْفِ الثُّغُورِ
مَا أَجَلَّ الرَّاحَ قَوْقَى رَاحِ صَفَرَاءُ كَالشَّمْسِ فِي الْأَصِيلِ
تُكَادِرُ الصَّدْرَ ذَا انْشِرَاحِ لِلْأَنَسِ فِي طَنِيهِ^(٢) مَقِيلِ
وَلَا تَذَرُ حَمْرَةَ الْجَمُودِ فَسَكْرُهَا فِي الْهَوَى حُجُونُ
وَلَقَدْ خَشَّ مِنْ أَشْهُمِ الْعِيُونِ فَإِنَّهَا رَانِدُ الْعَنُونِ
عَرَّضْتُ مِنْهَا إِلَى الْفَتُونِ وَكُلُّ خَطْبٍ لَهَا يَهُونُ
أَهْمُ بِالْعَادَةِ الرَّدَّاحِ وَالْجِنُّ مِنْ حُبِّهَا عَلِيلُ
لَوْ بَتُّ مِنْهَا عَلَى افْتِرَاحِ نَقَمْتُ مِنْ رَيْفِهَا الْغَلِيلِ
أَوَاعِدُ الطَّيِّفِ لِلنَّمَامِ وَمَنْ لِعَيْفٍ بِالْمَنَامِ
أَسْهَرُ فِي لَبْلِهِ النَّمَامِ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ فِي النَّمَامِ
وَأَلَمُ الزَّهَرِ فِي الْكِمَامِ عَلَيْهِ مِنْ تَعْرِكَ ابْتِمَامِ

(١) كذا في النسخ المطبوع والمخطوط . وفي ط : « منيل » . وفي م : « يميل » .
وظاهر أن كلتا الروايتين حرف عما أبدته .

(٢) كذا في ط . وفي م : « طبعه » . وفي النسخ المطبوع والمخطوط : « طبعه » .

سَقَرْتُ عَنْ مَبْنِيهِمُ الْأَفَاحِ وَرَيْفُكَ الْعَذْبُ سَلْسَبِيلُ
قُلْ لِي يَا رَبَّةَ الْوِشَاحِ هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ مِنْ سَبِيلُ
يَا كَعْبَةَ الْحُسَيْنِ زِدْتِ حُسْنًا وَلَا هَوَى حَوْلَكَ الْكُطَافُ
وَعُضْنٌ بَيْنَ إِذَا تَنَقَّى لَوْ كَانَ^(١) مِنْ زَهْرِكَ الْكُطَافُ
أَلَا انْعِطَافٌ عَلَى الْمَعْنَى فَالْعُضْنُ بَرُّهُوَ بِالْانْعِطَافِ
أَصْبَحْتَ تَزْهُو عَلَى الْمَلَايحِ بِذَلِكَ التَّنَظُّرِ الْجَمِيلِ
وَوَجْهَكَ الشَّمْسُ فِي انْتِضَاحِ^(٢) لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَبِيلُ
مَا الزَّهْرُ إِلَّا يَنْظُمُ دُرَّ تَحْدُ^(٣) فِي حُسْنِهِ الْمَقُودُ
لِلْفَلَاحِ الظَّاهِرِ الْأَعْرَ أَكْرَمَ مَنْ حُفَّ بِالشُّعُودِ
مُحَمَّدِ الْحَمْدِ وَابْنِ نَصْرِ وَبَاسِطِ الْعَدْلِ فِي الْوُجُودِ
مُسَاجِلِ الشَّجَرِ فِي السَّاحِ بِالْفَيْثِ مِنْ رِفْدِهِ^(٤) الْجَلِيلِ
وَمُحْجِلِ الْبَدْرِ فِي اللَّيَاحِ يَفْرَقُ مَا لَهَا مَثِيلُ
يَا مُشْرَبَ الْحُبِّ فِي الْقُلُوبِ وَوَاهِبَ الصَّفْحِ لِلصَّفَاحِ
نُصِرْتَ بِالرُّغْبِ فِي الْحُرُوبِ وَالرُّغْبُ أَجْدَى^(٥) مِنَ السَّلَاحِ
قَدْ أُحْتُ مِنْ عَالَمِ الْغُيُوبِ لَمْ تَعْدَمْ الْفَوْزَ وَالنَّجَاحِ^(٦)
مَرَاكُشُ نُهْبَةٍ افْتِنَاحِ وَالصَّنْعُ فِي فَتْحِهِمَا جَلِيلُ

(١) في ط : « كان » .

(٢) في م : « في انتضاح » .

(٣) في ط « تمسك » وهو تحريف .

(٤) في ط : « رفق » وهو تحريف .

(٥) في الأصلين : « أجرى » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

(٦) في م ونفع الطيب المطبوع : « والفلاح » .

بُشْرَاكَ بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحِ وَالشُّكْرُ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ

ومن غير الخلق قوله في المناء بالشفاء من مرض :

ومن موشعاه
التهنئة بالشفاء
من مرض

فِي كُثُوسِ النَّفَرِ مِنْ خَمْرِ اللَّعْسِ^(١) رَاحَةُ الْأَرْوَاحِ
وَتَغَشَّى^(٢) الرُّوْضَ مِشْرِكِي النَّفْسِ عَالِمُ الْأَرْوَاحِ
قَدْ كَسَا الْأُدْهَاحَ وَشَيْئًا^(٣) مَذْهَبًا يَبْهَرُ الشُّمَّا
عَسَجِدُ قَدْ حَلَّ^(٤) مِنْ فَوْقِ الرُّبَا يُبْهِجُ النَّفْسَا
فَأَنْخَذَ لِلْهَوَى فِيهِ مَرْكَبًا تَلْحَقُ الْأَنْسَا
مِنْبَرُ الْغُصْنِ عَلَيْهِ قَدْ جَلَسَ سَاحِبُ الْأَرْوَاحِ
حُلِيَ السُّنْدُسُ خُضْرًا قَدْ لَبَسَ عِطْفُهُ الْمُرْتَاحِ
فَمَ تَرَى هَذَا الْأَصِيلَ سَاحِبًا حُسْنُهُ قَدْ رَاقِ
وَلِأَذْيَالِ الْغُصُونِ سَاحِبًا فِي حِلَى الْأَوْزَاقِ
وَتَدِيمِي قَالَ لِي مُحَاطِبَا قَوْلَ ذِي إِشْفَاقِ
عَادَةً^(٥) الشَّمْسِ بِغَرْبٍ تُخْتَلَسُ هَاتِ شَمْسَ الرَّاحِ
إِنْ أَرَانَا الْبَحْرَ وَجْهًا قَدْ عَبَسَ أَوْ قَدْ الْمِصْبَاحِ
وَوُجُوهُ الشَّرْبِ تُغْنِي عَنْ شُمُوسٍ كَلَمًا تَجَلَّى
بِلِحَاطِ أَسْكَرْتَنَا عَنْ كُثُوسٍ خَمْرَهَا أَخْلَى

[٢٠٨]

(١) في فتح الطيب : « في كُثُوس ... من ذاك اللعس » .

(٢) في ط : « وعشى » .

(٣) في ط : « مسكا » .

(٤) في م : « عسجدي حل » .

(٥) في م : « عادة » . بالنين العجبة .

مُظْهِرَاتٍ مِنْ خَبَائِا ^(١) فِي النُّفُوسِ	سُورًا ^(٢) تُنْقَلِ
مَا زَمَانُ الْآنَسِ إِلَّا مُخْتَلَسٌ	فَأَغْتَمِ يَا صَاحُ
وَعُيُونُ الشُّهْبِ تُدْكِي عَنْ حَرَسِ	تَخْمِمِ الثَّمَّاحُ
مَا تَرَى تَفَرُّ الْوَمِيعِ بَاسِمًا	يُظْهِرُ الْبِشْرَا
وَنَاءَ الرُّوضِ هَبْ نَاسِمًا	عَاطِرَا نَشْرَا
بَثَّ مِنْ أَزْهَارِهِ دَرَاهِمَا	قَائِلَا بُشْرَى
رَكِبَ الْمَوَلَى مَعَ الظَّهِيرِ الْفَرَسِ	وَشَفِي ^(٣) وَارْتَأَحُ
بِحِنُودِ اللَّهِ دَأْبًا يُخَفِّرُسُ	إِنْ غَدَا أَوْ رَاحُ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا وَالْهَمَّا	بَعْضَنَا بَعْضَا
فَزَمَانُ السَّعْدِ وَضَاحُ السَّقَى	وَجْهَهُ الْأَرْضَى
أُثْمِرَتْ فِيهِ الْعَوَالِي بِالْمُسَى ^(٤)	نَمَرَا عَضَا
بَجَعَتِي الْإِسْلَامُ مِنْهَا مَا اغْتَرَسَ	سَيْفُهُ الثَّمَّاحُ
فِي ضَمِيرِ النَّفْعِ مِنْهَا قَدْ هَجَسَ	شُهُبُ تَلْتَأَحُ
تَا لِمَانَا بِالْحَسَامِ السُّنْتَقَى	نَصَرَ الْحَقَا
تَفَرُّكَ الْوَضَاحُ مَهْمَا أَوْ مَضَا	أَخْبَسَلِ الْبَرْقَا
وَدُبُونُ السَّعْدِ مِنْهُ تُقْتَفَى	تَوْصِحُ الْحَقَا
لَكَ وَجْهٌ مِنْ صَبَاحِ مُقْتَبَسِ	بِشْرُهُ وَضَاحُ

(١) في شع الطيب : « خبايا » .

(٢) كذا في م و نفع الطيب . وق ط : « سورة » .

(٣) كذا في م . وق ط و نفع الطيب : « وسى » .

(٤) في الأصلين : « بلهنا » . وما أثبتناه عن نفع الطيب .

وَجَمِيلُ الصَّنْعِ مِنْهُ مُلْتَمَسٌ هَا كَمَا تُزَجُّ لُطْفًا بِالنَّسِيمِ
مِنْهُمْ صَفَاحٌ قَدْ أَنْتَ بِالْبَرِّ وَالصَّنْعِ الْجَسِيمِ
كُلَّمَا هَبَّ أَخْبَلَتْ مَنْ قَالَ فِي الصَّبْحِ الْوَسِيمِ
تَشْكُرُ الرَّعْبَا «عَرَدَ الطَّيْرُ فَتَبَّهَ مَنْ نَعَسَ»
مُفْرَمًا صَبَا «وَتَعَرَّى الْفَجْرُ عَنْ نَوْبِ الْفَلَسِ»
يَا مُدِيرَ الرَّاحِ وَانْجَلَى الْإِصْبَاحُ

وقال في الهناء بالشفاء أيضاً ، من مَحْلَعِ البسيط :

[٣٠٩]

قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِالشِّفَاءِ وَاسْتَكَلْتَ رَاحَةَ الْإِمَامِ
فَلْتَنْطِقِ الطَّيْرُ بِالْهِنَاءِ وَلِيَضْحَكِ الزُّهْرُ فِي الْكِتَامِ
وُجُودُهُ بِهَجَاةِ الْوُجُودِ وَبُرُؤُهُ رَاحَةَ الثُّغُومِ
قَدْ لَاحَ فِي مَرْقَبِ الشُّعُودِ وَاسْتَبَشَّرْتَ أَوْجُهُ الشُّمُوسِ
فَالْدُّوحُ يَوْمِي إِلَى الشُّجُودِ أَكَاثُهُ حَطَّتْ (١) الرُّيُوسِ
وَالزُّهْرُ فِي رَوْضَةِ السَّمَاءِ كَالزُّهْرِ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامِ
وَالصَّبْحُ مُنْتَشِرُ اللَّوَاءِ وَالْبَذَرُ مُسْتَقْبِلُ التَّمَامِ
مَحَاسِنُ الْكَوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ جَمَالُهَا الْعَقْلُ يَنْهَرُ
عَرَائِسُ بَالِهَاتٍ تَحَلَّتْ وَالطَّلُّ فِي الْحَلَى جَوْهَرُ
وَأُسْنُ الْوُزْنِ قَدْ أَمَلَتْ مَدَامَنَا عَنْهُ تَشْكُرُ
تَسْتَوْفُ الْخَلْقَ بِالْفِنَاءِ كَانَهَا تُحْسِنُ الْكَلَامِ

موشحة له أخرى
في الهناء بالشفاء

(١) هذا الشطر والذي فوقه من بيتين لآل وكيه في مقطوعة له وردها ابن منظور في

كتاب «شارالأزهار والليل والتهار» ، ونس البيت فيه (صفحة ٨ طبعة الخواص) :

«غرد الطير فبه من نس وأدر كاسك فالعش خلس

سل سيف الفجر من نهد الدي وتعرى الصبح من قس الفلّس»

(٢) في الأصاين ونفع الطيب : «غطت» ، ولعلها عرفة مما أبتناه .

تُطْلِبُ اللَّهُ فِي النَّسَاءِ تَقُولُ : سَلَّمَتْ يَا سَلَامَ
 كَمْ مِنْ مُنْعُورٍ لَهَا مُنْعُورُ تَنْعِمُ إِذْ جَاءَهَا الْبَشِيرُ
 وَبَيْنَ خُذُورٍ بِهَا بَذُورُ يُشِيرُ مِنْهَا أَلْهُ الْبَشِيرُ
 تَقُولُ إِذْ حَقَّهَا الشُّرُورُ تَبَارَكَ الْمُنْعِمُ الْقَدِيرُ
 قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ فِي ظِلِّ مَوْلَى بِهِ اعْتِصَامُ
 قَدْ صَادَفَ النُّجُجَ فِي الدَّوَاءِ فَالْذَّاءِ عَنَّا لَهُ انْفِصَامُ
 يَهْنِيكَ مَوْلَايَ بَلَّ يَهْنَأُ بِبُرْنِكَ الدِّينُ وَالْهَدَى
 فَالْعَرْبُ وَالشَّرْقُ مِنْكَ بَعْنَى يَمْذَهَبُ الْخَطْبُ وَالرَّدَى
 وَاللَّهُ لَوْلَاكَ مَا تَهَنَّا مَنْ فِيهِ مِنْ سَطَوَةِ الرَّدَى
 يَا مَوْرِدَ الْأَنْفُسِ الظَّمَاءِ قَدْ كَانَ يَشْتَفِيهَا الْأَوَامُ
 وَفَرَّةَ الْعَيْنِ بِالْبَهَاءِ رَدَدَتْ لِلْأَعْيُنِ الْمَنَامُ
 لَوْ أَبْذُلُ الرُّوحِ فِي الْمِشَارَةِ بَذَلْتُ بَعْضَ الَّذِي مَلَكَ
 فَأَنْتِ يَا نَفْسُ مُسْتَعَارَةٌ مَوْلَاكَ بِالْفَضْلِ جَلَّكَ
 لَمْ أَذِرْ إِذْ أَسْطَرُ الْعِمَارَةِ أَمَلِكُ هُوَ أَمْ مَلَكَ
 لَا زِلْتَ مَوْلَايَ فِي هَنَاءِ تَبْلُغُ الْقَصْدَ وَالْعَرَامُ
 وَدُمْتَ لِلْمَلِكِ فِي اغْتِلَاءِ تَسْحَبُ أَذْيَالُهُ الْغَمَامُ

[٣٦٠]

وقال أيضاً يصف مألقة ويمدح الغنى بالله :

عَلَيْكَ يَا رَبِّهُ السَّلَامُ وَلَا عَدَا رَبِّكَ الْمَطَرُ
 مُذْ حَلَّ فِي قَضْرِكَ الْإِمَامُ فَفَرُّبُكَ الشُّؤْلُ وَالْوَطَرُ
 كَمْ فِيكَ لِلْفُرْغَمِ الْمَشُوقِ مِنْ مَنَظَرٍ يُبْهِجُ النَّفُوسَ

موشحة له في
 وصف مألقة
 ومدح الغنى بالله

وَالْوُحُ فِي رَوْضِكَ الْأَنِيقِ لِشُكْرِ قَدْ حَطَّتِ الرُّهُوسُ
وَالْجَوْ مِنْ وَجْهِكَ الشَّرِيقِ تَحْسُدُهُ أَوْجُهُ الشُّومُسُ
وَأَعْيُنُ الزُّهْرِ لَا تَنَامُ تَسْتَعِذُّ الشَّهْدَ وَالشَّهْرُ
تَنَفُّ مِنْ نَحْيَا الْغَمَامُ تَرْقِيكَ مِنْ أَعْيُنِ الزُّهْرِ^(١)
عَرُوسَةٌ أَنْتِ بَاعَقَيْلَهُ تُجَلِّي عَلَى مَظْهَرِ الْكَمَالِ
مُدَّتْ لَكَ الْكَفَّ مُسْتَقِيلَهُ تَمَسَّحُ أَعْطَاكَ الشَّامِلِ
وَالْبَحْرُ مِرْآةُكَ الصَّقِيلَهُ تَشِفُّ عَنْ ذَلِكَ الْجَبَالِ
وَالْحَلَى زَهْرٌ لَهُ انْتِظَامُ يُكَلِّلُ الْقُضْبَ بِاللُّدُرِ
قَدْ رَأَى مِنْ تَغْرِهِ ابْتِسَامُ وَالْوَرْدُ فِي خَدَّهَا خَفَرُ
إِنْ قِيلَ مَنْ بَطَلَهَا الْمُفْدَى وَمَنْ لَهُ وَصَلَهَا مُبَاحُ
أَقُولُ أَسَى^(٢) الْمُلُوكِ رَفْدَا تُحَلِّدُ الْفَخْرَ بِالصَّمَّاحِ
مُحَمَّدُ الْحَمْدُ حِينَ يَهْدَى تُسَاوِيهِ عَاطِرُ الرِّيَّاحِ
تُخَبِّرُ عَنْ طَيِّبِهِ الْكِمَامُ وَالْخَبَرُ يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ
فَالْعُذُ وَالرُّعْبُ وَالْعُمَامُ وَالنَّصْرُ آيَاتُهُ الْكَبَرِ
ذُو عُرْفٍ تَسَحَّرُ الْبُذُورَا وَطَلَعَتِ تَخْجِلُ الصَّبَاحِ
كَمْ رَايَةٍ سَامَهَا ظُهُورَا تَطْلُلُ الْأَوْجُهُ الصَّبَاحِ
وَكَمْ ظَلَامٍ^(٣) جَلَاءَهُ نُورَا أَظْفَرُ بِالْقُورِ وَالنَّجَاحِ
الظَّاهِرُ الظَّاهِرُ الْهُمَامُ أَهْرَ مِنْ صَالٍ وَافْتَعَزَ

(١) في م : « البعير » .

(٢) في ط : « أَسَى » .

(٣) في فتح الطيب : « جهاد » .

(٣٦١)

لِسَيْفِهِ فِي الْعِدَا اخْتِكَامُ
يَا مُرْسِلَ الْخَيْلِ فِي الْفِوَارِ^(١)
لَكَ الْجَوَارِي إِذَا نُجَارِي
تَسْنَنُ فِي لُجَّةِ الْبَحَارِ
فَالَّذِينَ وَلِيْقْصِرَ الْكَلَامُ
بِسَيْفِكَ اغْتَرَّ وَانْتَصَرَ
كَذَلِكَ أَشْلَاكَ الْكِرَامُ
هُمْ نَصَرُوا سَيِّدَ الْبَشَرِ

وقال من غير هذا البحر في الحديث^(٢) بمالقة :

فَدَ نَظَمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ انْتِظَامُ
وَاسْتَضْحَكَ الرُّؤُوسُ نُفُورَ الْكِمَامِ^(٣)
وَعَمَّ النُّورُ رُيُوسَ الرُّبَا
وَصَافَحَ الْقُضْبَ نَسِيمُ الصَّبَا
وَعَادَ لِلرُّؤُوسِ زَمَانُ الصَّبَا
وَأُطْلِعَ الْقَصْرُ بَدْوَرَ التَّمَامِ
خُدُورَهَا فَأَمَتَ مَقَامَ الْعَمَامِ
أَضْبَعَتْ بِأَرِيَّةٍ تَجَلَّى الشُّومُ
وَالْبَشَرُ يَسْرِي فِي تَجَمُّعِ النُّفُوسِ
وَالدُّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحْطُّ الرُّيُوسُ
وَأَنْجَمَ الزُّهْرُ بِهَا تَزَهْرُ

(١) الفوار (بالكسر) : الإغارة .

(٢) الحديث : اسم مبي هيب كان بمالقة .

(٣) في الأصلين ونفع الطيب : « الغمام » . ولعلها معرفة مما أنبتاه .

(٤) في الأصلين ونفع الطيب : « وعاود النهر » . . . فلك الزهر » ، وما أنبتاه

أولى بالسابق .

موشحة له في
وصف بناء
الحديث بمالقة

وَرَجَعَ النَّهْرُ غِنَاءَ الْعَمَامِ وَقَدْ شَدَّتْ تَسْجَعُ سَجْعَ الْخَطِيبِ
مِنْبَرِ الْفُصْنِ الرَّشِيقِ الْقَوَامِ لَمَّا انْتَفَى يَهْمُو بِقَدْرِ رَطِيبِ
يَا حَبْدًا مَبْنَاكَ فَخَرُّ الْقُصُورِ بِدَوْحِهِ طَالَتْ بُرُوجُ السَّمَاءِ
مَا مِثْلُهُ فِي سَالِفَاتِ الْعُصُورِ وَلَا الَّذِي شَادَ ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ
كَمْ فِيهِ مِنْ مَرَأَى بِهِجٍ ^(١) وَنُورٍ فِي مُرْتَقَى الْجَوِّ بِدْ قَدْ سَمَا
خَلِيفَةُ اللَّهِ وَنِعْمَ الْإِمَامُ أَنْحَفَكَ الدَّهْرُ بِصُنْعِ عَجِيبِ
يَهْنِكَ شَمْلٌ قَدْ غَدَا فِي الثَّنَامِ مُمَهَّدٌ فِي ظِلِّ عَيْشِ خَصِيبِ
نَوَائِمُ الْوَادِي عِيسِكَ تَقُوحُ وَتَفَحُّهُ النَّدَى بِدْ تَعْبَقُ ^[٣٦٢]
وَبَهْجَةُ الشَّكَاكِ فِيهِ تَلُوحُ وَجَوْهُ مِنْ نُورِهِمْ ^(٢) يُشْرِقُ
وَرَوْضُهُ بِالسَّرِّ مِنْهُ تَبُوحُ بَلَابِلٌ عَنْ وَجْهِهِ تَنْطَلِقُ
لَوْ أَنَّ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهَا الْكَلَامَ فَهِيَ تَهْنِيكَ هَنَاءَ الْأَدِيبِ
وَهَزْزُهُ قَدْ سُلَّ مِنْهُ الْحَمَامُ يَلْحَظُهُ التَّرْجِسُ لَحَظَ الْغَرِيبِ
فَأَجْمَلُ الْأَيَّامِ عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَجْمَلُ الْأَجْمَلِ يَوْمُ الْإِنْفَا
يَا دُرَّةَ الْقَمَرِ وَشَمْسَ الْقِيَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ فِي الْمُلْتَقَى
بَشْرَكَ الرَّبِّ بِحُسْنِ الْمَتَابِ مَتَمَّكَ اللَّهُ بِطَوْلِ الْبَقَا
وَلَا يَزَالُ الْقَصْرُ قَصْرُ السَّلَامِ يَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ
يَتَلَوُّ عَلَيْكَ الدَّهْرُ فِي كُلِّ عَامٍ « نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »

(١) في ط : « جبل » .

(٢) في م : « وبهجة للشكاة ... نوحا » .

(٣) في م : « ما أجل » .

موشعة له أخرى
في الهناء بالشفاء

وقال - رحمه الله - من اللُخْلُخ في الشفاء :

فِي طَالِعِ الْيَمِينِ وَالشُّؤْدُ قَدْ كَمَلْتَ رَاحَةَ الْإِمَامِ
فَأَشْرَقَ النُّورُ فِي الْوُجُودِ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ فِي الْكِتَابِ
قَدْ طَلَعَتْ رَابِعَةُ النَّجَّاحِ وَانْهَزَمَ النَّاسُ وَالْعَنَاءُ
وَقَالَ حَتَّى عَلَى الْقَلَّاحِ مُؤَذَّنُ الْقَوْزِ^(١) بِالْبَنَى
فَالْزَّهْرُ بِبَنَى بِالْإِفْرَاحِ مُسْتَقْبِلًا أَوْجَةَ الْهَنَاءِ
تَخْفِقُ مَنُشُورَةُ الْبُنُودِ وَالسَّعْدُ يَفْدُمُ مِنْ أَمَامِ
وَالْأَنْسُ مُسْتَجِمُّ الْوُفُودِ وَاللَّعْنُ مُسْتَعَذِبُ الْجَنَامِ
وَأَسْكُوسُ الطَّلِّ مُتَزَعَاتِ بِأَنْسُلِ السَّوْسَنِ النَّدَى
وَالطَّيْرُ مُتَعَتِّةُ اللِّغَاتِ تَشْدُو بِأَصْوَاتٍ مَعْبِدِ
وَالْفَضْنُ يَذْهَبُ ثُمَّ يَبَاتِ بِالشُّنْدُسِ الْفَضْ مَرْبِدِ
وَالذُّوْحُ يُورِي إِلَى الشُّجُودِ شُكْرًا لِدَى الْأَنْعَمِ الْجَسَامِ
وَالرَّيْحُ خَفَافَةُ الْبُسُودِ تَبَاكَرُ الرُّوضِ بِالْفَعَامِ
مَظَاهِرُ الْجَمَالِ تُجَالِي قَدْ هَزَّ أَعْطَافَهَا السَّرُودُ
وَبَاهِرُ الْحُسْنِ قَدْ تَجَالَى مَا بَيْنَ نَوْرِ وَبَيْنَ نَوْرٍ
قَدْ هَمَّتْ بِالشِّفَاءِ مَوَلَى بِمَعْصَرِهِ تَفَحَّرُ الْعُصُورُ
مَا بَيْنَ بَاسٍ وَبَيْنَ جُودِ قَدْ مَهَّدَ الْأَمْنُ لِلْأَنَامِ
فَالَّذِينَ دُوَّاعِيْنَ رُفُودِ وَكَانَ لَا بَطْمُ لِلنَّامِ
وَالْكَأْسُ فِي رَاحَةِ الشِّقَاةِ تَرُوحُ طَوْرًا وَتَفْقِدِي

[٣٦٢]

يُهْدِيكُمَا رَائِقُ السَّمَاتِ مَا بَيْنَ بَرَقِي وَفَرْقِي
وَالْفَنَسُ تَذْهَبُ اللَّيَّاتِ قَدْ لَبِثْتُ نَوْبَ عَسْجِدِ
وَالزَّهْرُ فِي الْيَانِعِ الْجُودِ يُقَابِلُ الشَّرْبِ بِإِنْسَامِ
وَالرُّوضُ مِنْ حِلْيَةِ الْغَمُودِ قَدْ جَرَّدَ التَّهَرُّعِ عَنْ حُسَامِ
مَوْلَايَ يَا أَشْرَفَ الْمُلُوكِ وَعِمْنَةُ الْخَلْقِ أَتَمِّمِ
أَهْدِيكَ مِنْ جَوْهَرِ السُّلُوكِ يَقْذِفُهُ بِحَرْكِ الْمَعِينِ
جَعَلْتُ تَنْظِيْمَهُ سُلُوكِي وَأَنْتَ لِي النُّجْدُ الْمَعِينِ
تَعِيمَةُ الْوَاحِدِ الْجَبِيدِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامِ
عَلَيْكَ مِنْ رَاحِمٍ وَدُودِ يَا مُخَيَّلَ الْبَسْدِ فِي التَّمَامِ

وقال رحمه الله تعالى من الرمل المَجْزُوء :

وَجْهٌ هَذَا أَلْيَوْمَ بِأَمِيمٍ وَشَذَا الْأَزْهَارِ نَاسِمٍ
هَاتِيهَا [صَاحِر] ^(١) كُنُوسَا جَالِبَاتِ السُّرُودِ
وَأَرْتَقِبْ مِنْهَا شُمُوسَا طَالِمَاتِ فِي بُدُورِ
مَا تَرَى الرُّوضِ عَرُوسَا فِي حُلَى نَوْرِ وَنُورِ
وَأَنْتَ رُسُلُ النَّوَاسِمِ تَجَسَّلِي هَذِي الْمَوَاسِمِ
قَدْ أَهَلَّتْ بِالْبَشَائِرِ أَضْحَكْتَ تَفَرُّ الْأَزَاهِرِ
سَنَحَتْ فِي بَيْتِي طَائِرِ وَنَفَلْنَ كَالْجَبَاحِ
فَانْشَرُوهَا فِي الْعَشَائِرِ إِنْ هَذَا الصَّنْعَ بَاهِرِ
وَأَسْمِعُوا فِي الْعَوَالِمِ الْغَفَى بِاللَّهِ سَلَامِ

بوشحله أخرى
لِالهَاءِ بِالشَّعَاءِ

أَيُّ نُورٍ يَتَوَقَّدُ أَيُّ بَدْرِ يَقْلَلَا
 أَيُّ فَخْرٍ يَتَخَلَّدُ أَيُّ غَيْثٍ يَسْوَإِي
 إِنَّمَا الْمَوْلَى مُحَمَّدٌ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
 كَفُّهُ بِحَرِّ الْقَاسِمِ وَبِهَا حَيْثُ الْمُبَاسِمِ
 خَيْرُ أَمْلَاقِ الرِّثَائِ مِنْ بَنِي سَعْدِ وَنَصْرِ
 مَا تَرَى أَنْ الشَّوَانِي فِي صَعِيدِ الْبَرِّ (١) تَجْرِي
 قَدْ أَطَارَتْهَا التَّهَانِي دُونَ بِحَرِيٍّ وَبَحْرِ
 مُذْ رَأَتْ بِحَرَ النِّعَانِمِ كُلُّهَا بَجَارِ وَعَانِمِ
 فَهَيْئًا بِالشِّفَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَلَنَا حَقٌّ الْمَنَاءِ وَجَمِيعِ السُّلَيْمِ (٢)
 إِنْ جَهَرْنَا بِالذُّعَاءِ يَنْطَلِقُ الدَّهْرُ أَمِينِ
 دُمْتَ مَحْرُوسَ الْمَكَارِمِ بِظَهِّيَ الْبَيْضِ الصَّوَارِمِ

[٣٦٤]

وَقَالَ يَسْقَى السُّلْطَانُ مُوسَى بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي عِنَانَ وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْهِ
 الْغَيْثُ بِاللَّهِ أُمُّهُ وَعَيَّالُهُ عِنْدَ تَمَلُّكِهِ لِلْغَرِبِ مِنْ قَبْلِهِ :

قَدْ نَظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ أَنْظِمًا وَلَاخَتْ الْأَقْفَارُ بَعْدَ الْغَيْبِ
 وَأَضْحَكَ الرُّؤُوسُ تُغَوَّرَ الْكِبَامِ عَنْ مَبْسَمِ الزَّهْرِ (٣) الْبَرُودِ الشَّفِيبِ

(١) في نفع الطب المخطوط : « البحر » .

(٢) في نفع الطب : « المالحين » .

(٣) في م : « الثفر » مكان : « الزهر » .

وَعَاوَدَ النُّصْنَ زَمَانُ الصَّبَا وَأَشْرَبَ الْإِنْسَ جَمِيعُ النُّمُونِ
وَعَمَّ^(١) النَّوْرُ رُيُوسَ الرُّبَا وَجَلَّلَ^(٢) النَّوْرُ وَجْهَهُ أَلْسُونِ
وَأَطْرَبَ الْغُصْنَ نَسِيمُ الصَّبَا فَأَلَدَّوْحُ لِلشُّكْرِ^(٣) يَحْطُ الرُّيُوسِ
وَأَسْتَقْبَلَ أَلْبَدْرُ لِيَالِي التَّمَامِ وَصَافَحَ الصَّبِيحُ بِكَفِّ خَضِيبِ
وَرَاجَعَ الْأَطْيَارُ سَجَعَ الْعَمَامِ بِكُلِّ ذِي لَحْنٍ بَدِيعِ غَرِيبِ
نَوَاسِيمِ الْوَادِي يَمْسِكُ تَفُوحَ وَنَفَحَةَ النَّوْدِ بِرِ تَعِيقِ
وَبَهْجَةِ السَّكَّانِ مِنْهُ تَلُوحَ وَجْهَهُ مِنْ نُورِهِمْ يُشْرِقُ
وَعَرَفَهُ بِالطَّيِّبِ مِنْهُمْ يَفُوحَ كَأَنَّهُ عَنْ عَنَابٍ يُفْتَقُ
وَالنَّهْرُ قَدْ سَلَ كَمِثْلِ الْحُسَامِ حَبَابُهُ تَطْفُو وَطَوْرًا تَغِيبُ
وَتَفْرُهَا قَدْ رَاقَ مِنْهُ ابْتِسَامِ يَهْنِي الْأَحْبَابَ قُرْبَ الْحَبِيبِ
كَوَاكِبِ أَزْجَانِ الْغُدُورِ يَلُوحُ عَنْهَا كُلُّ بَذْرِ لِيَاكِ
جَوَاهِرِ أَصْدَاقِهِنَّ الْقُصُورِ نَظَمَهَا السَّعْدُ كَنَظْرِ الْوِشَاحِ
بِأَحَبِّدَا وَاللَّهُ رَكْبُ السَّرُورِ يُبَشِّرُ الْمَوْلَى بِنَيْلِ اقْتِرَاحِ
ابْتِهَاجِ السَّكُونِ بِمُوسَى الْإِمَامِ وَاخْتَالَ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ
وَعَادَهُ بِخَدْمِ مِثْلِ السَّلَامِ شَبَابُهُ قَدْ عَادَ بَعْدَ الْمَشِيبِ
أَكْرَمَ بِهِ وَاللَّهُ وَفَدِ الْكَرِيمِ مَوْلَانَا «الْحُرَّة» فِي مَقْدَمِ
مَرْضَاتِهَا^(٤) تُحْطِي بِدَارِ النَّعِيمِ وَتُوجِبُ التَّوْفِيقَ مِنْ مُنْعِمِ

(١) في فتح الطيب : « وجم » .

(٢) في ط : « جل » وما أبتناه عن م وتفتح الطيب .

(٣) كذا في الأصلين والذمخ المطبوع . وفي النسخ المخطوط : « لشكر » .

(٤) في ط : « مرضاته » . وما أبتناه عن م وتفتح الطيب .

بَشَّرَ بِالنَّصْرِ^(١) وَفَتَحَ جَسِيمٌ
لِقَاؤَهَا التَّبَرُّورُ مِسْكُ الْخِتَامِ
وَقَصْرُكَ التَّمِيمُونَ قَصْرُ السَّلَامِ
مَوْلَايَ يَهْنِئُكَ وَحَقُّ الْهَنَا
قَدْ فُزْتُ بِالْفَخْرِ وَتَبَلَّى الْمَى
وَقَرَّتِ الْعَيْنُ وَزَالَ الْعَنَاءُ
فَلَا يَزَلْ مُلْكُكَ حِلْفَ الدَّوَامِ
يَتَلَوُّ عَلَيْكَ الدَّهْرُ بَعْدَ السَّلَامِ : « نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »
وَحَازِرُهُ أَجْمَعُ فِي مَقْدِمَةٍ
بَشَّرَكَ اللَّهُ بِصُنْعِ عَجِيبِ
خَصَّ بِحِفْظٍ مِنْ سَبْعِ مُجِيبِ
قَدْ نَظَّمُ الشَّمْلُ كَنَظْمِ السُّعُودِ
وَأُنَجِّزَ السَّعْدُ جَمِيعَ الْوَعُودِ
وَكَلَّمَا مَرَّ صَنِيعٌ يَعُودُ
يَحُوزُ فِي التَّخْلِيدِ أَوْ فِي نَصِيبِ
« نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »

وقال رحمه الله في وصف غرناطة والطرْد وغيرهما :

لِلَّهِ مَا أَجْمَلَ رَوْضَ الشَّكَبِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْتَحَ زَهْرُ التَّشْبِيبِ
فِي عَهْدِهِ أَدْرَتْ كَأْسَ الرِّضَابِ
حَبَابُهَا الدُّرُ بِشَرِّ الْحَبِيبِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يُحْجِلُ بَذَرَ التَّمَامِ
مَهْمَا تَبَدَّى وَجْهُهُ لِلْعُمُودِ
وَيَفْضَحُ الْفُضْنُ بِلَيْنِ الْفَوَامِ
وَأَيْنَ مِنْهُ لَيْنٌ قَدْ أَلْفُودُ
وَأَحْظَلُهُ يَمْضِي مَضَاءَ الْحُسَامِ
وَيُذْهِلُ الْقَلْبَ بِسَحْرِ الْجُمُودِ
أَبَسَرْتُ مِنْهُ إِذْ يَحْطُ النَّقَابِ
شَمْسًا وَلَكِنْ مَا هِيَ مِنْ مَغِيبِ
إِذَا تَجَلَّتْ بَعْدَ طُولِ أَرْتِقَابِ
صَرَفَتْ عَنْهَا الْأَحْظَ خَوْفَ الرَّقِيبِ
مَنْ عَاذَرِي مِنْهُ فَوَادٍ صَبَا
لِلْأَمْسِ الْبَرْقِ وَخَفَقَ الرِّيَّاحِ
يَطِيرُ إِنْ هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا
تُمِيرُهُ الرِّيحُ خُفُوقَ الْجَنَاحِ

(١) في ط : « بالنصح » . والنصوب من م وفتح الطيب .

مَا أَوْلَعَ الصَّبَّ بَعْدَ الصَّبَا وَهَلْ عَلَى مَنْ قَدْ صَبَّ مِنْ جُنَاحٍ
فَقَلْبُهُ مِنْ شَوْقِهِ فِي أَلْتِهَابٍ قَدْ أَحْرَقَ الْأَكْبَادَ مِنْهُ الرَّجِيبُ
وَأَجْلَفُنْ مِنْهُ سُعْفُهُ فِي أَنْسِكَابٍ قَدْ رَوَّضَ الْعَدَّ بِدَمْعٍ سَكِيبِ
غَرَّ نَاطِلُهُ رَمْعُ الْهَمَا وَالْمَنَى وَقُرْبُهَا السُّؤْلُ وَنَيْلُ الْوَطَرِ
وَطِيلُهَا بِالْوَصْلِ لَوْ أَمْسَكْنَا كَمْ أَقْطَعَ اللَّيْلُ بِطُولِ الْمَهْرِ
عَمَّا قَرِيبٍ حَقَّ فِيهِ الْهَمَا بِمَنْ ذِي الْعَوْدَةِ بَعْدَ السَّمْرِ
وَيَحْمَدُ النَّاسُ نَجَاحَ الْإِيَابِ بِكُلِّ صُنْعٍ مُسْتَجِدٍّ غَرِيبِ
وَيَكْتُبُ الْقَالَ عَلَى كُلِّ بَابٍ : « نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ »
مَا لَذَّةُ الْأَمْلَاقِ إِلَّا الْقَنَمُ لِأَنَّهُ الْقَالَ بِصَيْدِ الْعِدَا
كَمْ شَارِدِ جُرْعٍ فِيهِ الْفُصْمُ وَأُورِدَ لِلْحُرُوبِ وَرَدَ الرَّدَى
وَكَمْ يَذَا^(١) الْفَخْصُ لِنَامِنٍ حِصْمُ قَدْ جُمِعَ الْبَاسُ بِهَا وَالنَّدَى
وَمِنْهَا بَعْدَ أَنْبَاءٍ سَقَطَتْ :

مَوْلَايَ مَوْلَايَ وَأَنْتَ الَّذِي جَدَّدْتَ لِلْأَمْلَاقِ عَهْدَ الْجَلَالِ
وَأَلْسَمْتُ وَالتَّدْرُ مِنْ الْعَوْدِ لَمَّا رَأَتْ مِنْكَ بَدِيعَ الْجَمَالِ
وَالرَّوْضُ فِي نَعْمَتِهِ يَفْتَنَدِي بِطِيبِ مَا قَدْ حُرْنَتْهُ مِنْ خِلَالِ
بُشْرَاكَ بِشْرَاكَ يَخْضِنُ الْمَاءَ تَسْتَضْحِكُ الرُّوْضُ بِشَعْرِ شَنِيبِ
وَدُمْتَ سَحْرُوسَ الْعَلَا وَالْجَنَابِ بِعَصْمَةِ اللَّهِ السَّمِيعِ الْمُجِيبِ

(١) في الأصلين ونهج الطيب : « يذا » ، ولعله عرف عما أبتناه .

آخر موشحاته
وهي في مدح
الرسول صلى الله
عليه وسلم

وقد طال الكلام ؛ ولتجعل آخر موشحة له رحمه الله تعالى زهرية
في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تكون مسك الختام ، وهي :

لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ لَمْ تَقْدَحِ الْأَشْوَاقِ ذِكْرِي حَبِيبِ
وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبحِ الشَّيْبِ
يَا رَاكِبَ الْعَجْزِ أَلَا نَهْضَةُ قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ هَلِكِكَ الْمَعَالِ
لَا نَحْبِسُنْ أَنْ الصَّبَا رَوْضَةُ نَنَامُ فِيهَا نَحْتُ فِي الظَّلَالِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدى يَقْطَعُ وَالْمَرَّةُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْغَيَالِ
وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ وَالتَّمَتَّقِ بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبِ
وَأَنْتَ تَخْدُوعٌ يَلْعَقُ السَّرَابِ ^(١) تَحْسِبُهُ مَاءً وَلَا تَسْقِرِبِ
وَاللَّهِ مَا السَّكُونُ بَمَا قَدْ حَوَى إِلَّا ظِلَالُ نَوْمٍ الْغَائِلِ
وَعَادَةُ الظَّلِّ إِذَا مَا اسْتَوَى نُبِصْرُهُ مُنْقَلَا زَائِلِ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ عَبِيدُ الْهَوَى لَمْ نَعْرِفِ الْحَقَّ وَلَا الْبَاطِلِ
فَكُلُّ مَنْ يَرْجُو سِوَى اللَّهِ خَابِ وَإِنَّمَا الْقُوَى لَتَعْبُدِ مُدْبِ
يَسْقِطُ الرُّجْمُ بِصِدْقِ الْمَتَابِ وَرَقُبُ اللَّهِ الشَّهِيدَ الْقَرِيبِ
يَا حَسْرَتَا مَرَّ الصَّبَا وَانْقَعَى وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ يَنْقُصُ الْأَمْرِ
وَاجْتَلَا وَالرَّحْلُ قَدْ قَوَّضَا وَمَا بَقِيَ فِي الْخُبْرِ عِوْدُ الْخَبْرِ
وَلَيْفَنِي لَوْ كُنْتُ فِيهَا مَضَى أَدْخِرُ الزَّادَ لَطُولِ السَّرِّ
قَدْ حَانَ مِنْ رَكْبِ النَّصَابِ إِيَابُ وَرَأَيْدُ الرُّشْدِ أَطَالَ الْغَيْبِ
يَا أَكْمَةَ الْقَلْبِ بِغَيْنِ الْحِجَابِ كَمْ ذَا أَنَادِيكَ فَلَا تَسْتَجِيبِ

[٢٦٧]

هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِإِدَارِ الْكَرِيمِ وَالْمُضْطَلَقِ الْهَادِي شَفِيعُ مُطَاعِ
 فَجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَلِيمِ وَحُبُّهُ زَادِي وَنِعَمَ الْمُتَاعِ
 وَاللَّهُ سَمَاءُ الزَّوْفِ الرَّحِيمِ فَجَارُهُ الْمُسْكُونُ مَا إِنْ بُصَاعِ
 عَمَى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَلَجَأُ الْخَلْقِ لِذَنْبِ الْكَرُوبِ
 يَلْحَقُنِي مِنْهُ قَبُولُ مُجَابِ يَشْفَعُ لِي فِي مُوَبِقَاتِ الذُّنُوبِ
 يَا مُصْطَفَى وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْقَدَمِ وَالْكَوْنُ لَمْ يَفْتَقِ كَلِمَ الْوُجُودِ
 مَرْبِيَّةٌ أُعْطِيَتْهَا فِي الْقِدَمِ سَهَا عَلَى كُلِّ نَجْوَى تَسُودِ
 مَوْلَاكَ الْمَرْقُوبُ نَمَّا نَجَمِ أَنْجَزَ لِلْأَمَةِ وَعَدَ الشُّعُودِ
 نَادَيْتُ لَوْ يَسْمَعُ لِي بِالْجَوَابِ شَهْرَ رَبِيعٍ : بِكَارِبِيعِ الْقُلُوبِ
 أَطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بِشَيْرِ اخْتِجَابِ سَمَاءً وَلَكِنْ مَا لَهَا مِنْ غُرُوبِ
 وَلَيْسَكُنْ هَذَا آخِرَ مَا أَرَدْتَاهُ ، وَقَصْدَنَاهُ مِنْ شَأْنِ ابْنِ زَمْرِكَ وَسَرَدَنَاهُ .

وَسَنَحَ لِي أَنْ أُنْتَقِي بَعْضَ كَلَامِ ابْنِ خَلْدُونٍ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ فِي ذِكْرِ
 الْمَوْشَحَاتِ وَالْأَرْجَالِ ، فَنَقُولُ :

كلام ابن خلدون
 في الموشحات
 والأرجال

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشَّعْرُ فِي قُطْرِهِمْ وَتَهَذَّبَتْ
 مَنَاحِيهِ وَفَنُونُهُ ، وَبَلَغَ التَّنْمِيقُ فِيهِ الْغَايَةَ ، اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ فَنَاءً مِنْهُ ،
 وَسَمَوْهُ «بِالْمَوْشَحِ» ، يَنْظُمُونَهُ أَسَاطِاطًا أَسَاطِاطًا ، وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا ، يَكْتُمُونَ مِنْهَا وَمِنْ
 أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيَسَمُّونَ الْمُتَعَدِّدَ مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا ، وَيَلْتَزِمُونَ عِدَدَ قَوَافِي [٣٦٨]
 تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْرَاقِهَا مُتَنَالِيًا فِيمَا بَعْدَ ، إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا يَتِمُّ
 عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ أَبْيَاتٍ ، وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ ، عِدْدُهَا بِحَسَبِ
 الْأَغْرَاضِ وَالْمَذَاهِبِ ، وَيَنْسَبُونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ ، وَتَجَاوَزُوا

في ذلك إلى الغاية ، واستطافه الناس حُجَّةً^(١) الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله ، وقرب طريقه .

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقَدِّمُ بن مُعَاوِي الْقَبْرِي^(٢) من شعراء الأمير عبد الله بن محمد الترواني ؛ وأخذ عنه ذلك ابنُ عبدِ رَبِّهِ صاحبُ كتاب العقد ، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان أولُ من برع في هذا الشأن بعدهما عُبَادَةُ الْقَرَّاز ، شاعر المعتصم بن صَاحِبِ صاحب التريّة ؛ وقد ذكر الأَعْلَمُ الْبَطْلِيُّ^(٣) أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرَ بْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ :
كلُّ الوشاحين عيال على عُبَادَةِ الْقَرَّازِ فَمَا اتَّقَى لَهُ مِنْ قَوْلِهِ :

بَدْرُ تَيْمٍ شَمْسُ ضُحَى غُصْنُ نَقَا مِسْكُ تَيْمٍ
مَا أَتَمَّ مَا أَوْصَحَا مَا أَوْزَقَا مَا أَتَمَّ
لَا جَرَمَ مَنْ لَمَحَا قَدْ عَشِقَا قَدْ حُرِمَ

وزعموا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ عُبَادَةُ وَشَاحَ مِنْ مَعَاصِرِهِ ، الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانِ مُلُوكِ الطوائف ؛ وجاء مُصَلِّيًا خَلَقَهُ مِنْهُمْ ابْنُ أَرْفَعِ رَأْسَهُ^(٤) شاعر المأمون بن ذِي النون صاحب طُلَيْطَلَةَ^(٥) . قالوا : وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول :

(١) في الأصلين وبعض المراجع : « وحله » .

(٢) كذا في ط وبنية الشمس . وهو شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر أيضا . والقبري (يفتح الغاف وسكون الياء الوحيدة ثم راء مهملة) : نسبة إلى قرية ، بلدة بالأندلس بقرب قرطبة . (انظر نفع الطيب ج ١ ص ٦٠٤ طبعة أوربة) . وفي م : « القبري » . وظاهر أَنَّهُ مصنف مما أتبعناه .

(٣) هو أبو بكر محمد بن أرفع رَأْسَهُ (انظر نفع الطيب ج ٢ ص ١١٣ طبعة أوربة) .

(٤) اسم بلد كبير بالأندلس ، ضبطه صاحب التاموس والصالاني بضم الطاءين ، وخطأه الشارح فضبطه بضم الأول وكسر الثانية ، وصوبه علا عن مؤرخي المغرب وابن السمعاني وغيرهم .

الْعُودُ قَدْ تَرَسَّمَ بِأَبْدَعِ نَلْحِينِ
وَسَقَتِ^(١) الْمَذَانِبَ رِيَاضَ الْبَسَاتِينِ

وفي انتهائه حيث يقول :

تَخْطُرُ وَلَا تُسَلِّمُ عَسَاكَ الْقَامُوسُ
مُرُوعُ الْكَتَابِ يَحْيَى بْنُ ذِي الْقُنُونِ

ثم جاءت الحُجَّةُ التي كانت في مدة التلمُّسِ ، فظهرت لهم البدائع ؛
وفُرسانُ حُلْبَنِهِمُ الْأَعْمَى التُّطَيْلِيُّ^(٢) ، ثم يحيى بن بَيْقٍ ، وللتُّطَيْلِيِّ من الموشَّحات
المذهَّبة^(٣) قوله :

[٣٦٩] كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَبْرِي وَفِي الْعَالَمِ أَشْجَابُ
وَالْإِكْبُ وَسَطُ الْفَلَاحِ الْخَرَدِ النَّوَامِ قَدْ بَانُوا

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن
جماعة من الوُشَّاحِينَ اجتمعوا في مجلس بإشبيلية ، وكان كل واحد منهم قد
صنع موشحة ، وتأنق فيها ، فقدم الأعمى التُّطَيْلِيُّ للإِنشَاد ، فلما افتتح موشحته
المشهورة بقوله :

ضَاكِكُ عَنْ جُبَانِ سَافِرٍ عَنْ بَدْرِ
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ وَحَوَاهُ صَدْرِي

خَرَقِي^(٤) ابْنُ بَيْقٍ مُوشَّحَتَهُ ، وتبعه الياقوت .

(١) كذا في ط . وفي م وقع الطيب ومقدمة ابن خلدون : « وشفت » .

(٢) كذا في م وقع الطيب ؛ وهو منسوب إلى تطيلة « بضم فكسروها . ما كنة ولام » .

مدينة بالأندلس في شرق قرطبة . راجع معجم البلدان لياقوت . وفي ط والمقدمة :

« التُّطَيْلِيُّ » .

(٣) في م : « المذهبية » .

(٤) في م : « مرق » .

وذكر الأعمى البطلاني أنه سمع ابن زهر يقول : ما حدث قط وشاحا على قول إلا ابن بقي حين وقع له :

أَمَا تَرَى أَحْمَدُ فِي عَجْدِهِ الْعَالِي لَا يُلْحَقُ

أُطْلِقُهُ الْمَغْرِبَ فَأَرَنَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقُ

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر بن الأبيض^(١) ، وكان في عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة .

ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تينلويت صاحب سرقسطة ، فألقى على بعض [قيناته]^(٢) موشحته [التي أولها]^(٣) :

جَرَّ رِ الدَّيْلُ أَيْمًا جَرَّ

فَطَرِبَ المدوح لذلك ، وختمها بقوله :

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعُلَا أَبِي بَكْرٍ

فلما طرق ذلك التلاحين سمع ابن تينلويت صاح : واطرباه ! وشق ثيابه ، وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ! وحلف بالإيمان للعظيمة^(٤) ألا يمشی ابن باجة إلى داره إلا على الذهب ، تخاف الحكيم سوء العاقبة ، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ، ومشى عليه .

ثم قال ابن خلدون بعد كلام : واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف . ثم قال : وابن هرودس^(٥) الذي له :

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَالسُّودِ بِأَقْدَمِ عُودِي

(١) كذا في م . وفي ط والمقدمة : « أبو بكر الأبيض » .

(٢) ما بين القوسين عن مقدمة ابن خلدون .

(٣) في ط : « العظيمة » .

(٤) في مقدمة ابن خلدون طبعه بلاق : « ابن بهردوس » .

وابن موهل^(١) التي له :

مَا الْعِيدُ فِي حُلَّةٍ وَطَاقٍ وَثَمَّ طِيبٌ
وَإِنَّمَا الْعِيدُ فِي التَّلَاقِ مَعَ الْحَبِيبِ

وأبو إسحق الذَّوْنِي . قال ابن سعيد : سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه دخل على ابن زهر وقد أَسَنَّ وعليه زِيَّ البادية ، إذ كان يكن بحسن إِسْتَبْتِه^(٢) ، فلم يعرفه ، فجلس حيث انتهى به المجلس ، وَجَرَّتِ الحاضرة أَنْ أَنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كَعْلُ الدَّجَى يَجْرِي مِنْ مُقَلَّةِ الْفَجْرِ عَلَى الصَّبَاحِ
وَمِنْهُمُ النَّهْرُ فِي حُلَلِ خُضِرٍ مِنَ الْبِطَاحِ

فتحرك ابن زهر ، وقال : أنت تقول هذا ؟ قال : اختبر ؛ قال : ومن تكون ؟ فرمقه ، فقال : ارتفع ، فَوَافَّه ما عرفتكَ . قال ابن سعيد : وسابق العنابة التي أدركت هؤلاء أبو بكر ابن زهر ، وقد شرقت موشحاته وَغَرَّبَتْ . قال : وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول : قيل لابن زهر : لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ؟ فقال : كنت أقول :

مَا لِنُفُوكَ مِنْ سُكْرِهِ لَا يُفِيقُ يَا لَهْ سَكْرَانِ !
[مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ مَا لِلْكَتِيبِ التَّشَوُّقُ يَنْدُبُ الْأَوْطَانِ]^(٣)
هَلْ تُسْتَعَاذُ أَيَّامُنَا بِالْخَلِيجِ وَلَيْسَ الْيَنَّا
إِذْ يُسْتَفَادُ مِنَ النَّسِيمِ الْأَرْجِجِ مِنْكَ دَارِينَا

(١) في نفع الطيب المطبوع : « مؤهل » بالهمز .

(٢) كلفنا في مقدمة ابن خلدون . وهي من أعمال إشبيلية . وفي ط : « سجة » .

وفي م : « أشبه » . وهو تحريف .

(٣) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاط .

وَإِذْ يَكَاذُ حُسْنُ الْمَكَانِ التَّهْيِجُ أَنْ يَحْيَيْنَا
 نَهْرٌ أَظْلَهُ دَوَّحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقُ مُورِقٌ فَيَنَانُ
 وَالسَّاءُ يَجْرِي دَعَائِمٌ وَغَرِيقٌ مِنْ بَنَى الرَّحْمَانُ

واشتهر بعده ابن حَيَّوْن . إلى أن قال ابن خلدون : وبعد هؤلاء ابن حَزْمُون بمرسية . ذكر ابن الرائس أن يحيى المزرجي ^(١) دخل عليه في مجلسه ، فأنشده موشحة لنفسه ، فقال له ابن حزمون : ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف ؟ فقال : على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولي :

يَا هَاجِرِي ^(٢) هَلْ إِلَى الْوِصَالِ مِنْكَ سَبِيلُ
 أَوْ هَلْ تَرَى عَنْ هَوَاكَ سَالِي قَلْبَ الْقَلِيلِ

[٢٧١] وأبو الحسن سهل بن مالك بقرناطة . قال ابن سعيد : كان والدي يُعجِبُ بقوله :

إِنَّ سَيْلَ الْمَبْتَحِ فِي الشَّرْقِ عَادَ بَحْرًا فِي أَجْمَعِ الْأَفْقِ
 فَتَدَاعَتْ نَوَادِبُ الْوُرْقِ أَرَاهَا خَافَتْ مِنْ الْفَرْقِ
 فَبَكَتْ سُحْرَةً عَلَى الْوَرْقِ

واشتهر بإشبيلية لذلك المهد أبو الحسن بن الفضل . قال ابن سعيد عن والده : سمعت سهل بن مالك يقول له : يا ابن الفضل ، لك على الوشاحين الفضل بقولك :

وَأَحْسَرَتَا لِزَمَانٍ مَضَى عَشِيَّةَ بَنَى الْهَوَى وَأَتَقَصَّى
 وَأَفْرَدَتْ بِالرَّغْمِ لَا بِالرَّضَا وَبِثُّ عَلَى جَمْرَاتِ النَّعَى

(١) في م : « يحيى بن المزرجي » .

(٢) في ط : « ياساخرى » .

أَعَارَنِي بِالْفِكَرِ زِلْكَ الْعُلُولُ وَأَنْزِمُ بِالْوَنَمِ زِلْكَ الرُّسُومُ
قال : وسمعت أبا بكر بن الصابوني يُنشدُ الأستاذُ أبا الحسن الدُّبَّاجَ
موشحاته غير ما مرة ، فما سمعته يقول : ثُمَّ دَرَكُ إِلَّا فِي قَوْلِهِ :

قَسَمًا بِالْهَوَى لِيَذِي حَجَرٍ مَا لِلَّيْلِ التَّشْوِقُ مِنْ فَجَرٍ
حَمْدَ الصَّبِيحِ لَيْسَ يَطْرُدُ مَا لِلَّيْلِ — فِيمَا أَظُنُّ — غَدُ
صَحَّ يَا لَيْلُ أَنْتَ الْأَبَدُ

أَوْ قُصِّتْ^(١) قَوَادِمُ النَّسْرِ فَتُجُومُ السَّمَاءُ لَا تَمْرِي
ومن [محاسن]^(٢) موشحات ابن الصابوني قوله :

مَاحِلُ صَبٍّ ذِي صَفَى وَاكْتِثَابُ أَمْرَضَهُ يَا وَيْلَتَاهُ الطَّبِيبُ
عَانَلَهُ تَحْبُوبُهُ بِاجْتِنَابِ ثُمَّ اقْتَدَى فِيهِ الْكَرْسَى بِالْحَبِيبِ
جَفَا جُتُونِي النَّوْمُ لُحْكِنِي لَمْ أَبْكِهِ إِلَّا لِفَقْدِ الْغَيْالِ
وَدَا الرِّصَالُ الْيَوْمَ قَدْ عَزَّنِي مِنْهُ كَمَا شَاءَ وَشَاءَ الرِّصَالِ
فَلَسْتُ بِاللَّامِرِ مَنْ صَدَّنِي بِصُورَةِ الْحَقِّ وَلَا بِالْمَحَالِ
واشتهر ببرِّ العُدُوَّةِ ابْنُ خَلْفٍ الْجَزَائِرِيِّ صَاحِبُ اللُّوْشَعَةِ الْمَشْهُورَةِ :

يَدُ الْإِصْبَاحِ قَدَحَتْ زِنَادَ الْأَنْوَارِ مِنْ تَجَامِرِ الزَّهْرِ
وَابْنُ خَرْزِ^(٣) الْجِيَانِي ، وَلَهُ مِنْ مَوْشَحَةٍ :

تَمَرُّ الزَّمَانِ مُوَافِقُ حَيَاكَ مِنْهُ بِإِقْسَامِ

(١) كذا في إحدى روايات المقدمة طبعة باريس ؟ وقد وردت هذه الكلمة مضطربة في الأصلين ونفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .

(٣) في المقدمة طبعة بلاغ : « ابن خزر » . وفي نفع الطيب : « خزر » .

ومن محاسن الموشحات [للمتأخرين] ^(١) ، موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية
وسبقة من بعدها ، [فنها قوله] ^(٢) :

هَلْ دَرَى ظَلْمِي الْحَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّ عَنْ مَكْنَسِ
فَهَوَّ فِي نَارٍ ^(٣) وَخَفَقَ مِثْلَنَا لَمِعَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر
الأندلس [وللمغرب اعصره] ^(٤) ، قال :

جَادَلَكِ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلْمًا فِي الْكَرَى أَوْ خُلْسَةً الْمُخْتَلِ
إِذْ يَقُودُ الذَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى تَنْقُلُ الْخَطَاوَةَ عَلَى مَا يَرْمُمُ
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَوُفَى مِثْلَنَا يَدْعُو الْوُفُودَ الْمَوْسِمُ
وَالْحَمَى قَدْ جَالَ الرُّوضِ سَفَى فَتُغَوِّرُ الزَّهْرُ ^(٥) فِيهِ تَبَسُّمُ
وَزَوَى الشَّعْأَنْ عَنْ مَاءِ الْمَاءِ كَيْفَ يَرَوِي مَالِكُ عَنْ أَنَسِ
فَسَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُغْلَمًا يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَيْمَى مَلَسِ
فِي لَيْالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الْهَوَى بِالذَّجَى لَوْلَا كُفْمُوسُ الْفَرَرِ
مَالَ نَجْمُ السَّكَاكِ فِيهَا وَهَوَى مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
وَطَرَّ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سَوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلْبَحِ الْبَصَرِ
حِينَ لَدَّ النَّوْمُ ^(٦) مَعَ خُلُوفِ اللَّيْلِ ^(٧) هَجَمَ الصَّبِيحُ هُجُومَ الْخَرَسِ

(١) هذه السكلمة من مقدمة ابن خلدون .

(٢) في نفع الطيب : « في حر » . (٣) التكلمة عن نفع الطيب .

(٤) في الأصلين ومقدمة ابن خلدون : « فسى الأزهار » وما أثبتناه من نفع الطيب .

(٥) كذا في الأصلين ومقدمة ابن خلدون طبعة بلاق ؟ وفي النفع الطبع والمخطوط ،
والقدمة طبعة باريس : « الأنس » .

(٦) كذا في كتاب « العسذاري المائسات في الأزيال والموشحات » . والذي في

الأصلين ونفع الطيب ومقدمة ابن خلدون : « شيتا أو كما » .

غَارَتْ الشَّهْبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا أَثَرَتْ فِينَا عُيُونُ التَّرْجِسِ
أَيُّ شَيْءٍ لَامَرْنِي قَدْ خَلَصَا فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مُسَكَّنٌ ^(١) فِينَا
تَهَبُّ الْأَزْهَارُ مِنْهُ الْقُرْصَا أَمِنْتُ مِنْ مَسْكِرِهِ مَا تَنْقِيهِ
فَإِذَا أَلْتَاهُ تَنَاجَى وَالْحَصَى وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيْرَ بَرِّمَا يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي
وَرَى الْأَسَّ لَبِيْبًا قَوْمًا يَسْرِقُ السَّعْ بِأَذْنِي فَرَسِ
يَأْهِنُ الْحَيَّ مِنْ وَادِي الْقَمَى وَيَقْلِي مَسْكَنٌ ^(٢) أَنْتُمْ بِهِ
صَاقٍ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَصَا لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنْسٍ قَدْ مَضَى تُعْتَقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَخْبُوا مُعَرَّمَا يَتَلَاوِي نَفْسًا فِي نَفْسِ
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَّمَا أَفْتَرِضُونَ عَفَاءً ^(٣) الْحَبْسِ
وَيَقْلِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ بِأَحَادِيثِ أَلْمَى وَهُوَ بَعِيدُ
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ شِفْوَةَ الْمَغْرَمَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ
سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَسْئُولُ اللَّمَى جَالٌ فِي النَّفْسِ تَجَالِ النَّفْسِ
سَدَّدَ الدَّهْمَ وَتَمَّى وَرَمَى فَقُوَادِي نُهْبَهُ الْمَفْتَرَسِ
إِنْ يَكُنْ حَارَ وَخَابَ الْأَمَلُ وَقُوَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ

[٢٧٢]

(١) في الأصلين : « كُن » . وما أثبتناه عن نفع الطيب والمقدمة طبعة باريس .

كذا في م ونفع الطيب المخطوط والمقدمة . وفي ط : « سَكَن » .

(٢) في المقدمة طبعة بلاط : « خَرَاب » .

فَهَوِّ لِلنَّفْسِ حَبِيبُ أَوَّلُ لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمُحِبُّوبٍ ذُنُوبُ
 أَمْرُهُ مُنْتَمِدٌ^(١) مُمْتَلُ فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَّأَهَا وَقُلُوبُ
 حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَأَحْتَكَمَا لَمْ يَرَأَيْتُ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ
 مُنْصِفَ الظُّلُومِ مِمَّنْ ظَلَّلَا وَمُجَازِي الْهَرِّ مِنْهَا وَالْمُسَى
 مَا لِقَائِي كَلَّمَا هَبْتُ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشُّوقِ جَدِيدُ
 كَانَ فِي الْوُحْشِ لَهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ : « إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدُ »
 جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصَابَا فَهَوِّ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَاهِدُ
 لَا يَصِجُ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرِمَا فَهِيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَسْرِ
 لَمْ يَدْعُ فِي مُهْجَتِي إِلَّا ذَمًّا كَبَقَاءِ الصُّبْحِ بِمَدِّ الْعَلَسِ
 سَلَّمِي يَا نَفْسُ فِي حُكْمِ الْقَضَا وَأَعْمُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابِ
 دَعَاكَ مِنْ ذِكْرِي زَمَانٍ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُنْيِي قَدْ تَقَضَّتْ وَعَتَابِ
 وَأَضْرِي فِي الْقَوْلِ إِلَى التَّوَلَّى الرُّضَا مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ
 الْكَرِيمِ الْمُتَنَهَّى وَالْمُنْتَهَى أَسَدِ السَّرِجِ^(٢) وَبَذْرِ الْمَجْلِسِ
 يَنْزِلُ التَّنْصُرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدْسِ

قال : وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عايناه من الموشحات . ومن
 أحسن ما وقع لم في ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري ، التي اشتهرت
 شرقاً وغرباً ، أولها :

حَبِيبِي أَرْفَعُ حِجَابَ الثُّمُوزِ عَنِ الْعِذَارِ [٣٧٤]

(١) في النسخ والمقدمة : « معتدل » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « السرج » .

نَنْظُرُ لِلشَّكِّ عَلَى الْكَافُورِ فِي جُلَّتْكَزْ
كَتَلِي يَا سَحْبُ تَيْجَانَ الزُّهَى بِالْحَلِي
وَأَجْمَلِي سِوَارَةً^(١) مُنْقَطِفَ الْجَدُولِ

ولما شاع فن التوشيع في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتتميق كلامه ، وتصريح أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ، ونظموا على طريقته بلغتهم الحصرية ، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا ، واستحدثوا فنا سموه بالزجل ، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد ، فجاءوا فيه بالغرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال ، بحسب لغتهم المستعجبة .

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان ، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس ، لكن لم تظهر حلاها ، ولا انسبكت معانيها ، ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه ، وكان إمام الملتزمين^(٢) ، وهو إمام الزجالين على الإطلاق . قال ابن سعيد : ورأيت أزجاله مزوية يبيد أكرما رأيتها بمواضر المغرب . قال : وممعت أبا الحسن^(٣) بن جحدر الإشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول : ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة ، وقد خرج إلى منزله مع بعض أصحابه جلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء من فيه على صفائح من الحجر ، فقال :

وَعَرِيشٌ قَدْ قَامَ عَلَى دُكَّانٍ بِحَالٍ رَوَاقٍ
وَأَسَدٌ قَدْ ابْتَلَعَ ثُمْبَانُ فِي غِلْظِ سَاقٍ

(١) كذا في موط . وفي كثير من الأصول الأخرى : « سوارك » . ولا يستقيم به المعنى ، لأن المراد أن يجعل السحب النهر المنقطف سوارا للربا .

(٢) هو أبو بكر محمد بن قزمان ، توفي سنة ٥٥٥ هـ .

(٣) في موطع الطب المخطوط : « أبا الحسين » .

وَفَتَحَ فَتُوْهُ بِحَاكِنِ إِنْشَانٍ بِمِ الْفَوَاقِ
وَانْطَلَقَ بِجُحْرِ^(١) عَلَى الصَّمَاغِ وَالْقَى الصَّبَاغِ^(٢)
وكان ابن قزمان مع أنه قرطبي الدار كثيرا ما يتردد إلى إشبيلية ، رينتاب
نهرها .

[٢٧٠] ثم ذكر ابن خلدون عنه وعن جماعة حكاية وكلاما ، إلى أن قال : وجاءت
بعدم حليمة كان سابقها مَدْعَلَيْس ، وقمت له العجائب في هذه الطريقة ،
فن قوله في زجله المشهور :

وَرَدَّاذُ دِقِّ يَنْزِلُ وَشَمَاعُ الشَّمْسِ يَضْرِبُ
فَتَرَى الْوَاحِدَ يَفْضُضُ وَتَرَى الْآخَرَ يَذْهَبُ
وَالنَّبَاتُ يَشْرَبُ وَيَشْكُرُ وَالْعُصُونُ تَرْقُصُ وَتَطْرَبُ
وَتُرِيدُ نَجَى إِلَيْسَا ثُمَّ تَسْتَحِي وَتَهْرَبُ^(٣)
ومن محاسن أزجاله قوله :

* لَاحَ الضِّيا وَالنَّجُومَ حَيَازَى^(٤) *

ثم قال ابن خلدون : وظهر بعد هؤلاء في إشبيلية ابن جحدر ، الذي فضل
على الزجالين في فتح مَيُورَقَة بِالزَّجَلِ المشهور الذي أوله :
مَنْ عَانَدَ أَلْتَوْحِيدِ بِالسَّيْفِ يُنْحَقُ أَنَا بَرَى مِمَّنْ يُعَانِدُ أَلْحَقُ
قال ابن سعيد : لقيته ولقيت تلميذه البعيع^(٥) صاحب الزجل المشهور
الذي أوله :

- (١) كذا في المقدمة طبعة ملاق . والدي في الأصلين وسائر المراجع : « ثم » .
- (٢) في بعض المراجع : « ولقي » . كما أن في بعضها « الصباح » .
- (٣) في الأصلين : « وترجع » . والنصوب عن مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق .
- (٤) في م والنقح « سكرى » .
- (٥) كذا في الأصلين ونقح الطيب . وفي المقدمة طبعة باريس : « الينع » . وبهامشها روايات آخر . وفي المقدمة طبعة بلاق : « اللمع » .

يَا لَيْتَنِي إِنْ رَيْتُ^(١) حَبِيبِي أَفْقِلَ^(٢) اذْنُو بِالرُّسَيْلَا^(٣)
لَيْشَ أَخَذْتُ عَنْقَ الْفَزَيْلِ وَسَرَقْتُ فَمَ الْحُجَيْلَا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن مهمل بن مالك إمام الآداب ، ثم من بعدهم
لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب ، إمام النظم والنثر في اللغة
الإسلامية غير مدافع ، فمن محاسنه في هذه الطريقة :

امزج الأكواس واملأ لي فجذد ما خلق السال إلا أن يُبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو مذهبي الشُّعْرَى منهم :

بَيْنَ طُلُوعٍ وَبَيْنَ زُؤُولٍ اخْتَلَطَتْ الْفَزُولُ

وَمَضَى مَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَقِيَ مَنْ لَمْ يَزُولُ

ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى :

الْبُعْدُ عَنْكَ يَا بَنِي أَعْظَمَ مَصَائِبِي

وَحِينَ حَصَلَ لِي قُرْبُكَ نَيْسَبَتْ أَفَارِئِي

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم ، من أهل

وادي آش ، وكان إماما في هذه الطريقة ، وله من زجل يعارض به مَدْعُلَيْسَ [٣٧١]

في قوله :

* لَأَخِ الضُّيَا وَالتَّجُومِ حَيَّازِي *

بقوله :

حَلَّ الْمُجُونُ يَا هُلَّ الشَّطَارَا مُذْ حَلَّتْ الشَّمْسُ بِالْحَمَلِ

(١) كذا في م . وفي ط والمقدمة طبعة بلاي : « رأيت » . وفي النسخ المخطوط : « لليت » .

(٢) في الأصلين : « أفبل » . وما أنبتاه عن المقدمة طبعة باريس .

(٣) الرسيلا (في الأصل) : الرسالة ، مصغرة الرسالة (بالكسر) ، وهي التؤدة والرفق .

يريد أنه يترك أذن حبيبه في لين ورفق .

ثم ذكر ابن خلدون جملة من هذا الزجل ، وقال بعد ذلك : وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد ، هي فنّ العامة بالأندلس من الشعر ، وفيها نظمهم ، حتى إنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر ، لكن بلغتهم العامية ، ويستونون الشعر الزجلي . إلى أن قال : وكان من المجيدين في هذه الطريقة لأول هذه المنة ، الأديب أبو عبد الله اللؤشى ، وله من قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الأحمر :

طَلَّ الصَّبَاحُ قُمْ يَا نَدِيمِ نَشْرِبُو وَنَضْحَكُو مِنْ بَدَأَ مَا نِعْطِرُو
ثم مرّدها ابن خلدون ، وهي طويلة جدًا .

ثم قال : ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنّا آخر من الشعر ، في أعاريض مزوجة كالوشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضريّة أيضا ، وسمّوه عروض البلد ، وكان أول من استحدثه بينهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس ، يُعرف بابن مُحمّد ، فنظم قطعة على طريقة اللؤشّح ، ولم يخرج فيها عن مذهب الإعراب [إلا قليلا] ^(١) ، مطلعها :

أَبْكَانِي ^(٢) بِشَاطِئِ النَّهْرِ نَوْحَ الْحَمَامِ عَلَى الْفُضْنِ فِي الْبُسْتَانِ قَرِيبَ الصَّبَاحِ
وَكَفَّ السَّحَرُ تَمَحَّوْ مِدَادَ الظَّلَامِ وَمَاءَ الْفَدَى يَجْرِي بِغَيْرِ الْأَقْلَامِ
بَاكَرْتُ الرِّيَاضَ وَالطَّلَّ فِيهِ افْتِرَاقُ ^(٣) مَرَّ ^(٤) الْجَوَاهِرُ فِي نُحُورِ الْجَوَازِ
وَدَمَعُ النَّسْوَاعِرِ يَنْهَرِقُ أَنْهَرَاقُ يَحَاكِي ثَعَالِينَ حَلَقَتْ بِالنَّسَارِ
لَوْوَا ^(٥) بِالْعُصُونِ خُلُجَالٌ عَلَى كُلِّ سَاقٍ وَدَارَ الْجَمِيمِ بِالرُّعُوسِ دَوْرَ السَّوَارِ

(١) التكملة عن مقدمة ابن خلدون طبعة باريس .

(٢) في م : « بكاني » .

(٣) كذا في المقدمة طبعة بلانق . وفي ط والمقدمة طبعة باريس : « كثير » . وفي م :

« كلن » .

(٤) في م : « لو ترى » .

وَأَيْدِي النَّدَى تَخْرُقُ جُبُوبَ السَّكَمِ
وَعَاجِ الضَّمَا يُطْلَى بِمِثْكِ الْعَمَامِ
رَأَيْتِ الْحَمَامَ بَيْنَ الْوَرَقِ فِي الْقَضِيبِ
يَنْوَحُ مِثْلَ ذَاكَ الْمُسْتَهَامِ الْغَرِيبِ
وَلَكِنَّ بَغَاهُ أَتَمَرُ وَسَاقِ خَضِيبِ
جَلَسَ بَيْنَ الْأَغْصَانِ جِلْسَةَ الْمُسْتَهَامِ
وَصَارَ يَشْتَكِي مَا فِي الْفُؤَادِ مِنْ غَرَامِ
فَقُلْتُ أَحْمَامُ أَخْرَمْتَ عَيْنِي الْمَجُوعِ
قَالَ لِي بِكَيْتِ حَتَّى صَفَتَ لِي الدُّمُوعِ
عَلَى فَرْخِ طَارِ لِي لَمْ يَكُنْ لَوْ رُجُوعِ
كَذَاكَ هُوَ الْوَقْتُ كَذَا هُوَ الدَّمَامُ^(١)
وَإِنَّهُمْ مِنْ بَكِي مِنْكُمْ إِذَا تَمَّ عَامُ
فَقُلْتُ أَحْمَامُ لَوْ خُصَّتْ بِحَرْ الضَّيِّ
وَلَوْ كَانَ بِقَلْبِكَ مَا بَقِيَ أَنَا
الْيَوْمَ لِي نَقَاصِي الْهَجَرِ كَمْ مِنْ سَنَاءِ
وَمِمَّا كَسَا [جِسْمِي] النُّحُولُ وَالسَّقَامُ

وَتَحْمِلُ نَسِيمَ الشِّكِّ عَنْهَا رِيَّاحُ
وَجَرَ النَّسِيمِ ذِيْلُو عَلَيْهَا وَقَاحُ
قَدْ أَبْتَلَتْ أَرْبَابُشُو بِقَطْرِ النَّدَى
قَدْ أَلْتَفَتْ مِنْ ثُوبِ الْجَدِيدِ فِي رِدَا
يَنْظُمُ سُلُوكَ جَوْهَرٍ وَيَنْقَلِّدَا^[٢٧٧]
جَنَاحًا تَوَسَّدَ وَالْتَوَى فِي جَنَاحِ
مِنْهَا ضَمَّ مِنْقَارُو لِصَدْرُو وَصَاحُ
أَدَى مَا تَزَالَ^(٢) تَبْسِكِي بِدَمْعِ سَوْحِ
بَلَا دَمْعٍ يَنْقَى طُولَ حَيَاتِي نِنْوَحُ
أَلَيْتِ الْبُسْكَ وَالْحَزْنَ مِنْ عَهْدِ نُوْحِ
أَنْظُرُ لِلْجُفُونِ صَارَتْ بِحَالِ الْجِرَاحِ
يَقُولُ قَدْ عَيَانِي^(٣) ذَا الْبُسْكَ وَالنُّوَاحِ
كَانَ تَبْسِكِي وَتَرْنِي لِي بِدَمْعٍ هَتُونِ
رَمَادُ كَانَ يَصِيرُ تَحْتِكَ فُرُوعُ الْفُصُونِ
حَتَّى لَا سَبِيلَ لِحُلَّةِ تَرَانِي الْغُبُونِ
أَخْفَانِي نُحُولِي عَنْ عُيُونِ اللُّوَاحِ

(١) كذا في م . وفي بعض المراجع : « أراك ما تزال » .

(٢) كذا في ط . وفي المقدمة طبعة باريس : « كذا هو الوقت كذا هو الدمام » .

وكذا ورد في المقدمة طبعة بلاق بنفس كلمة : « قلت » . وفي م : كذا هو الوقت

قل لم كذا هو الدمام » .

(٣) في المقدمة طبعة بلاق : « عياني » .

لَوْ جَنَّتِي لِلنَّايَا كَانَ نِمُوتٌ فِي الدَّمَامِ وَمَنْ مَاتَ بَعْدَ يَأْقُومٍ لَقَدْ اسْتَرَحَ
 نَمٍ قَالَ ابْنُ خَلْدُون : فاستحسنه أهل فاس ، وَوَلَعُوا بِهِ ، وَنَظَّمُوا عَلَى
 طَرِيقَتِهِ ، وَتَرَكَوا الإِعْرَابَ الَّتِي [لَيْسَ] ^(١) مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَكَثُرَ شِبَاعُهُ بَيْنَهُمْ ،
 وَاسْتَفْجَلَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَنَوْعُهُ أَصْنَافًا ، إِلَى الْمَزْدُوجِ ، [وَالْكَازِي] ^(٢) ،
 وَالْمَلْعَبَةِ ، وَالْفَزَلِ ؛ وَاخْتَلَفَتْ أَسْمَاؤُهَا بِاخْتِلَافِ اَزْدَوَاجِهَا ، وَمِلَاحِظَاتِهِمْ فِيهَا .
 فَمِنَ الْمَزْدُوجِ مَا قَالَهُ ابْنُ شُجَاعٍ ، مِنْ غُلُومٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ تَارَا :

إِنَّمَالِ زِينَةِ الدُّنْيَا وَعِزِّ النَّفُوسِ يَنْبِئِي وَجُوهًا لَيْسَ هِيَ بِأَهْيَا
 فَهَّا كُلُّ مَنْ هُوَ كَثِيرُ الْقُلُوسِ وَلَوْ ^(٣) الْكَلَامِ وَالزُّنْبَةِ الْعَالِيَا
 يَكْبُرُوا مِنْ كُتْرَمَالُو وَلَوْ كَانَ صَغِيرُ وَيَصْغُرُوا عَزِيزِ الْقَوْمِ إِذَا يَفْتَقِرُ
 مِنْ ذَا يَنْطَلِقُ صَدْرِي وَمِنْ ذَا يَنْبِرُ وَكَأْذٍ يَنْفَقِعُ لَوْ لَا الرُّجُوعُ لِلْقَدَرِ
 حَتَّى ^(٤) يَلْتَجِي مَنْ هُوَ فِي قَوْمِهِ كَبِيرُ لِمَنْ لَا أَصْلَ عِنْدُو وَلَا أَوْ خَطَرُ
 لَقَدْ يَنْبَغِي نَحْزَنَ عَلَى ذِي الْمَكُوسِ وَنُصِغَ عَلَيْهِ نُوبِي مِنْ رَاسِ ^(٥) خَابِيَا
 أَدَى صَارَتْ الْأَذْنَابُ أَمَامَ الرُّهُوسِ وَصَارَ يَسْتَفِيدُ الْوَادُ مِنَ السَّاقِيَا
 صَعَفَ النَّاسُ عَمَلُ ذَا أَوْ فَسَادَ الزَّمَانِ مَا يَنْذَرُو عَلَى مَنْ يَكْتَرُو ذَا الْعِتَابِ
 أَدَى [صَارَ] فَلَا نَ الْيَوْمَ يَصْبِحُ بُوَ فَلَانِ وَلَوْ رَيْتَ وَكَيْفَ حَتَّى يَرُدَّ الْجَوَابِ [٣٧٨]

(١) هذه الكلمة زيادة عن المقدمة .

(٢) كذا في مقدمة ابن خلدون طبعة بلاق . وفي الأصلين : « أَلَوْ » .

(٣) في المقدمة طبعة باريس : « أَدَى » .

(٤) في م والمقدمة طبعة باريس : « فَرَس » .

(٥) هذه الكلمة عن المقدمة .

عشنا والسلام^(١) حتى رأينا عياناً أنفاس السلاطين^(٢) في جلود الكلاب
كبار النفوس جذاً ضعاف الأوس^(٣) هم في ناخبا والمجد في ناخبا
بروا أنهم - والناس يروهم نبوس - وجوه البلد والعمد^(٤) الراسيا

ثم ذكر ابن خلدون كلاماً آخر لابن شجاع . ثم قال : وكان منهم على بن
المؤذن يتلisan . [وكان]^(٥) لهذه العصور القريبة من غولم بزروهون من نواحي
مكناسة^(٦) رجل يعرف بالكفيف ، أبداع في مذاهب هذا الفن ؛ ومن أحسن
ما علق له بمحفوظي قوله في رحلة السلطان أبي الحسن وبني مرين إلى إفريقية ،
يصف هزيمتهم بالقيروان ، ويعزيهم عنها ، ويؤنسهم بما وقع لغيرهم ، بعد أن
عبيهم^(٧) على غزاتهم إلى إفريقية في ملعبة من فنون هذه الطريقة ، يقول في
مفتتحها ، وهو من أبداع مذاهب البلاغة في الإشعار بالمقصد في مطلع الكلام
وافتحاه ، ويسمى براعة الاستهلال :

سُبْحَانَ مَالِكٍ خَوَاطِرِ الْأُمَرَا بِنَوَاصِيهَا فِي كُلِّ حِينٍ^(٨) وَرَمَانٍ
إِنْ طِعْنَاهُ أَعْظَمْنَا لَنَا نَفْسًا وَإِنْ عَصَيْنَاهُ عَاقِبَ بِكُلِّ هَوَانٍ^(٩)

إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص :

كُنْ مَرْجِي قُلْ وَلَا تَسْكُنْ رَايَ فَالرَّايَ عَنْ رَعِيَّتِهِ مَسْئُولٌ

(١) كذا في المقدمة . وفي ط : « يخل بالسلام » . وفي م : « يخل بالجواب » .

(٢) كذا في المقدمة . وفي ط « الشياطين » . وفي م : « شياطين » .

(٣) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي الأصلين والمقدمة طبعة بلان : « والصد » .

(٤) هذه الكلمة عن المقدمة .

(٥) في م . والمقدمة طبع بلان : « ضواحي » .

(٦) في المقدمة طبعة باريس : « عتيهم » .

(٧) في م : « فسل » .

(٨) كذا في المقدمة طبعة باريس . وقد ورد هذا البيت مضطرباً في الأصلين .

واستفتح بالصلاة على الداعي
 للخلفاء الراشدين والأنبياء
 أحجاجاً نخلوا المعسرا
 عسكر فاس المنيرة الفراء
 أحجاج بالنبي الذي زرتهم
 عن جيش الغرب حيث نزلكم
 وأمير كان بالمعطا يزودكم
 فأم كل^(١) كلس صاف الجرز
 وتركوا دم ولهب في الفسرا
 لو كان ما بين نونس الغربا
 مني من شرفها إلى غربا
 لا بد للطنيز كان يحيى بنبا
 ما أعوضها من أموز وما شرا
 لعبت بالدم وانصدع حجرا
 ادري لي بمفلك القصاص
 للإسلام والرضى السني لكمول
 واذ كرو بمدهم إذا نحب وقول
 ودروا شرح البلاد مع السكان
 أين سارت به عزائم السلطان
 وقطعتم لو كلاكيل البيدا
 المتلوف في أفريقيا السودا
 وبدع برية الحجاز رعدا
 ويعجز^(٢) شوط بعد ما ليقان^(٣)
 أدى صار إذ غار له سيعان^(٤)
 وبلاد الغرب سد الإسكندر
 طبقا بخديذ وثانيا بصفر^(٥)
 أو بأبي الرّيح عنهم بفرد خير
 لو نقرأ كل يوم على الوديان^(٦)
 وهوت الأجراف وجفت الغدران
 ونفسك لي بخاطرك جمعا

[٣٧٩]

(١) كذا في ط . وفي م والمقدمة : « قل » .

(٢) كذا في المقدمة طبعة بلاق . وفي الأصلين والمقدمة طبعة باريس : « وتغير » .

(٣) كذا في م والمقدمة طبعة باريس . وفي ط : « بخفان » . وفي المقدمة طبعة بلاق :

« بخفان » .

(٤) ورد هذا البيت مضطربا في ط والمقدمة . وما أثبتناه من م .

(٥) يريد الصفر (بضم الصاد وسكون الفاء) وهو نوع من التماس .

(٦) كذا في الأصلين والمقدمة طبعة باريس . وفي المقدمة طبعة بلاق : « الوديان » .

ولعله يريد : « الوديان » ليستقيم المعنى بها في البيت الآتي .

إِنْ كَانَ يَعْلَمُ^(١) حَتَامٌ وَلَا رَقَاصٌ عَنْ السُّلْطَانِ شَهْرٌ وَقَبْلَهُ سَبْعًا
 بِكُتَابِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَوَاصِ^(٢) وَعَلَامَاتٍ تُنَشَّرُ عَلَى الصُّنْعِ^(٣)
 إِلَّا قَوْمٌ عَازِينَ بِلَا سِنَا سَجُودَيْنِ لَا مَكَانَ وَلَا إِمَكَانَ
 لَمْ يَذَرُوا كَيْفَ يَصَوِّرُوا الْكَسْرَ أَوْ كَيْفَ دَخَلُوا مَدِينَةَ الْفَيْرَانِ
 أَمْوَلًا يُؤَلِّقُ الْخَسَنَ خَطْبًا الْبَابَ بِقَضِيَّةٍ سَمِيرِنًا إِلَى ثُونِسَ
 فِي غِيٍّ كَثَا عَنْ الْجَبْرِيدِ وَالزَّابِ وَأَيْشَ لَكَ بَعْرُ إِفْرِيقِيَّةِ الثُّونِسِ^(٤)
 مَا بَلَغَكَ عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ الْفَارُوقِ فَانْصَحِ الثُّورَى الْمُونِسَ^(٥)
 مَلِكَ الشَّامِ وَالْحِجَازِ وَتَلَجَّ كَسْرَى وَلَمْ يَفْتَحِ مِنْ أَفْرِيقِيَا دُكَانَ
 كَانَ إِذَا نَذَرَ كَرَاهَةً ذِكْرًا وَيَقُولُ اسْمُهَا^(٦) يُفَرِّقِي الْإِخْوَانَ
 هَذَا الْفَارُوقُ زَمُرْدُ الْأَكْوَانِ صَرَخَ فِي أَفْرِيقِيَا بِذَا التَّصْرِيحِ
 وَبَقَتْ رَحْمَى إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ وَفَتَحَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ تَصْحِيحِ
 لَمَّا دَخَلَتْ غَنَائِمَهَا الدِّيَّوَانَ مَاتَ عُثْمَانُ وَاتَّقَلَبَ عَلَيْنَا الرَّيْحُ
 وَافْتَرَقَ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ أُمَرَاءَ وَبَقِيَ مَا هُوَ الشُّكُوتُ عَمَّا إِيْمَانُ^(٧)
 إِذَا كَانَ ذَا فِي مُدَّةِ الْبَرَزَا إَيْشَ نَعْمَلُ فِي أَوَاخِرِ الْأَزْمَانِ
 وَأَصْعَابُ الْجَنْرِ فِي كُتُبِنَا وَفِي تَارِيخِ كَانَبَا وَكِيَوَانَا^(٨)

(١) في ط : « توجد » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « القواس » . وفي طبعة بلاق : « القصاص » .

(٣) يريد الصومعة .

(٤) كذا في م : « الثولس » . وفي ط : « الثوبس » .

(٥) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي ط والمقدمة طبعة بلاق : « المولس » . وفي

م : « البولس » .

(٦) في ط : « فيها يفرق » مكان قوله : « اسمها يفرق » .

(٧) في ط والمقدمة طبعة بلاق : « وثني ما هو للشكوات عنوان » .

(٨) كاتب : عطار د . وكيوان : زحل .

[٢٨٠]

تذكر في صُحُفِهَا^(١) وَأَيَّانَا
 ابْنِ مَرْيَمَ إِذَا انْكِسَتْ بِرَأْيَانَا^(٢)
 قَدْ ذَكَّرْنَا مَا قَالَ سَيِّدُ الْوُزَرَا
 قَالَ لِي رَبَّنَا وَأَنَا بِهَا أَدْرَى
 وَيَقُولُ لَكَ مَا رَمَى الْقَرِينَا
 رَاذِ التَّوَلَّى يَمُوتُ أَبُو يَحْيَى
 وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَا الْأَشْيَا
 شِيقَ وَسَطِيجٍ وَابْنِ مَرَّانَا^(٣)
 لِحْدَاكَ تُونِسَ فَقَدْ سَقَطَ شَانَا
 عِبْسَى بْنِ الْحَسَنِ الرَّفِيعِ الشَّانُ
 لَكِنْ إِذَا جَا الْقَضَاعِمْتَ الْأَجْفَانُ
 مِنْ حَضْرَةِ فَاسٍ إِلَى عَرَبِ دِيَابِ^(٤)
 سُلْطَانِ تُونِسَ وَصَاحِبِ الْعَنَابِ^(٥)
 جَعَلَ أَوْلَادَ أَبُو الْحَسَنِ أَنْسَابُ

ثم أخذ في ترحيل السلطان وجيوشه إلى آخر رحلته ، ومنتهى أمره مع
 أعراب إفريقية ، وأتى فيها بكل غريبة من الابداع .

وأما أهل تونس فاشتجروا فن الملعبة أيضا على لغتهم الحصرية ، إلا أن
 أكثره ردى ، ولم يعلق بمحفوظي [منه شيء]^(٦) لردائه .

وكان لعامة بغداد أيضا فن من الشعر يسمونه المواليا ، وتحتة فنون كثيرة ،
 يُسَمُّونَ مِنْهَا الْقُومَا ، وَكَانَ وَكَانَ ، وَ [منه مفرد ، ومنه في بيتين ، ويسمونه]^(٧)
 دُوَيْقَتْ ، على اختلاف الموازين المعتبرة عندهم في كل واحد منها ، وغالبها مَزُوجَةٌ
 من أربعة أغصان ، وتبهم في ذلك أهل مصر والقاهرة ، وأنوا فيها بالغرانب ،

(١) كذا في ط والمقدمة . وفي م : « شعرها » .

(٢) في المقدمة طبعة باريس : « مروانا » .

(٣) كذا في م . وفي ط : « تكس » .

(٤) في المقدمة طبعة باريس : « ذباب » .

(٥) كذا في المقدمة طبعة باريس . وفي ط : « العناب » . ولعله يريد : الأعناب .

وفي المقدمة طبعة بلاغ : « الأبواب » .

(٦) التكملة عن المقدمة .

وتجاروا^(١) فيها بأساليب البلاغة ، بمقتضى لغتهم الحضرية ، فجاءوا بالعجائب .
ورأيت في ديوان العتي الحلي من كلامه^(٢) أن المواليتا من بحر البسيط ، وهو
قو أربعة أغصان وأربع قواف ، ويسمى صوتا وبيتين ، وأنه من مخترعات أهل
واسط ، وأن « كان وكان » في قافية واحدة ، وأوزان مختلفة في أشطاره ، والشطر
الأول من البيت أطول من الشطر الثاني ، ولا تكون قافيته إلا مُرْدَقَة^(٣) بحرف
العلّة ، وأنه من مخترعات البغداديين ، وأنشد فيه .

ثم ذكر ابن خلدون عدة مقطعات من المواليتا ، ومنها :

نَادَيْتُهَا وَمَشَيْتُ قَدْ طَوَّانِي طَيَّ جُودِي عَلَى بَقِيلِهِ فِي الْهَوَى يَا مَيَّ [٢٨١]
قَالَتْ وَقَدْ تَرَكْتُ^(٤) دَاخِلُ فَوَادِي كَيَّ مَا لُنْ ذَا الْفُطْنِ يَفْشَى^(٥) فَمَنْ هُوَ حَمِي

ومنها :

يَا حَادِي الْعَيْسِ أَرْجُرُ بِالطَّلَايَا زَجْرُ وَقَفَ عَلَى مَنْزِلِ أَحْبَابِي قُبَيْلِ الْعَجْرُ
وَصَحَّ فِي حَبِّهِمْ يَا مَنْ يُرِيدُ الْأَجْرُ يَنْهَضُ يَصَلِّي عَلَى مَيِّتِ قَتِيلِ الْهَجْرُ

ومنها :

عَيْنِي الَّتِي كُنْتُ أَرْعَاكُمُ^(٦) بِهَا بَاتَتْ تِرْعَى الدُّجُومِ وَبِالتَّسْهِيدِ اقْتَنَاتَتْ
وَأَسْهُمُ الْبَيْتِ صَابِقَتِي وَلَا فَاتَتْ وَسَلَوَتِي^(٧) - عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ - مَاتَتْ

(١) في م والقدمة طبعة بلاق : « تجاروا » .

(٢) راجعا ديوان صني الدين الحلي للطبوع في بيروت سنة ١٨٩٢ م ، فلم نجد ذكرنا
لما أشار إليه ابن خلدون هنا .

(٣) في ط : « مزدوجة » . وما أُنْتَهَاهُ عَنْ م والقدمة طبعة باريس .

(٤) في المقدمة طبعة بلاق : « كوت » .

(٥) في المقدمة طبعة بلاق : « يحشى » .

(٦) في ط : « أظهركم » .

(٧) في ط : « ومبجتي » .

ثم قال : ومن الذى يسمونه دُوَيْت :

قَدْ أَتَمَّ مَنْ أَحْبَبَهُ بِالْبَارِى أَنْ بَيَّعَتْ طَيْفَهُ مَعَ الْأَسْحَارِ
يَا نَارَ أَشْوَافٍ^(١) بِهِ فَاتَّقِدِ لَيْلًا عَسَاءَ يَهْتَدِى بِالنَّارِ

واعلم أن الدوق فى معرفة البلاغة منها كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة ، وكثر استعماله لها ، ومخاطبته بين أجيالها ، حتى يحصل ملكتها ، كما^(٢) قلنا فى اللغة العربية ، فلا يشعر الأندلسى بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب ، ولا المغربى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس وللشرق ، ولا للشرق بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمغرب ؛ لأن اللسان الحضرى وتراكيبه مختلفة فيهم ، وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته ، وذائق محاسن الشعر من أهل بلده ، وفى خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وآلاتكم آيات للعالمين . انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر ، ببعض الاختصار .

قلت : كأن بمنقذ ليس له خير ، يسدّد مسهام الاعتراض ويقول كبره ، ويقول : ما لنا وإدخال الهزل فى معرض الجِدِّ الصُّراح ؟ وما الذى أحوجنا إلى ذكر هذا التنعّج والأليق طرحة كل الأطراح ؟ فنقول فى جوابه على الإنصاف : لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف ، وليس مرادهم إثارة الهزل على غيره ، وإنما ذلك من باب ترويح القلب ، وهو أعون على خيره ، وللسلف فى مثل ذلك حكايات يطول جلبها ، ولا يفدح ذلك فى سكايتهم ، ولا يتوهم لسببه سألها ، ويرحم الله تعالى عياضا إذ قال :

قُلْ الْأَحِبَّةِ وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ مَا مَرَّ أَنْ شَابَ الْوَقَارُ جُونُ
الآيات الآتية فى محالها .

(١) فى الأصلين : « شوق » . وما أمثله من القسمة . (٢) فى م : « لا » .

وليس قصدنا نحن بهذا ، عِلْمَ الله ، غَرَضًا فاسدًا ، نُنْفِقُ منه في سَوْقِ الهزل كاسدا ، وإنما غَرَضُنَا صحيح ، وَزَنَدُنَا غير صحيح . على أن القصد الأعظم مدح النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأوزان ، وكلُّ ما سبق وسيلةً إلى ذلك مما راق أوزان .

واعلم أيها الناظر ، أذهب الله عن ساحتك الأشجان ، أن كثيرا من الأئمة مَدَحُوا بذلك المبعوث رحمة إلى الإنس والجان ، صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، صلاة وسلاما يتضوع تشرُّهما في المشرق والمغرب ، ويتألق نورهما ، فيبتدى به قائلهما قضاء الأغراض والمآرب . فمن ذلك قول بعض من كَرَعَ من مهمل حبه العذب المثار ، من مؤشَّح لم أف من إلا على قوله :

أَبْلُجُلُ فِي الرِّبَاضِ أَمَّا نَشَدَا	بِالْقَوْلِ شَدَا
وَالْفُضْنُ لَهُ يَمِيلُ حَتَّى سَجَدَا	مِمَّا وَجَدَا
قَدْ مَدَّ لَهُ الْأَكْفُ مِنْ غَيْرِ نَدَا	يَمْتَسِحُ نَدَى
وَالْوَزْقُ شَدَتْ بِصَوْتِهَا اللَّحَانِ	دُونَ الْعَلَقِ ^(١)
لَمَّا ذُكِرَ بِالطَّبِيبِ ^(٢) الْأَلْعَانِ	رَبِّ الْقَلْبَانِ
لَا أَشْرَفَ مُرْسَلٍ بِهِ اللهُ هَدَى	مَنْ رَامَ هَدَى
بِالْمَدْحِ لَدَيْكَ عَبْدٌ وَهَابٍ غَدَا	بِرَجُوكَ غَدَا
يَا مَنْ مَدِيحُهُ جَلَا كُلِّ صَدَا	مِنْ رَمَدَا ^(٣)
يَا مَلَجَأَ كُلِّ خَائِفٍ أَوْ جَانِي	بِالدَّنْبِ شَقِي

(١) العلق : الهوى .

(٢) كذا في م . وفي ط : « بطيب » .

(٣) كذا في ط . يريد الله إليك وقصدك . وفي م : « صدا » .

موشحان
غير منسوبين
في مدح الرسول

[٢٨٢]

لَا زَالَ حِمَاكَ رَوْضَةً لِلْجَنَانِ وَالْمُنْتَشِقِ
يَا غُرَبَ نِهَامَةٍ حِمَاكُمْ أَرَبِي فِيهِ الْعَرَبِي
فَالسَّمْعُ لِفَيْزِ أَرْضِكُمْ لَمْ يُجِبِ حَتَّ النَّجْبِ
فَالْفَضْلُ لَكُمْ مَعَ كَالِ الْعَسْبِ عِنْدَ النَّسَبِ
مِنْ مَذْحِكُمْ^(١) تَصَرَّعَتْ أَحْزَانِي وَالْفَرْحُ بَقِيَ
عِنْدِي أَبَدًا وَفَوَّحَتْ أَوْزَانِي مِنْكَ الْعَبَقُ

ومن ذلك قول بعض المدول من أهل العصر القريب من عصرنا ، رحمه

الله تعالى :

يَا غُرَبَ الْحَيِّ مِنْ حَيِّ الْحَيِّ أَرْتُمْ عَيْدِي وَأَنْتُمْ عُرِّي
لَمْ يَحُلْ عَنْكُمْ وَدَادِي بَعْدَمَا حُلُّكُمْ ، لَا وَحَيَاةِ الْأَنْفُسِ
مَنْ عَذِرِي فِي الَّذِي أَحْبَبْتُهُ مَلَكَ الْقَابِ شَدِيدَ الْبَرَحِ^(٢)
بَدْرُ نَيْمٍ أَرْسَلَتْ مُقْلَتُهُ سَهْمَ لَحْفِ لِفُؤَادِي جَرَحًا
إِنْ تَبَدَّى أَوْ تَنَقَّى خِلْتُهُ غُصْنٌ بَانَ قَوْفُهُ شَمْسُ صُحَى
تَطْلُعُ الشَّمْسُ عِشَاءً عِنْدَمَا تَنَحَّلِي مِنْهُ أَهْبَى مَلَبَسِ^(٣)
وَرَى الْأَبْلَ أَصَا مُنْهَرِمًا وَرَى الصُّبْحَ أَصَا فِي الْفَلَسِ
يَا حَيَاةَ النَّفْسِ صِلْ بَعْدَ النَّوَى وَالْهَيَا مُضْطَى شَدِيدَ الشَّعْفِ
قَدْ بَرَأهُ الشُّغْمُ حَقِّي ذَا الْهَوَى كَادَ أَنْ يُفْضَى بِهِ لِلتَّلَفِ
أَهْ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ بِاللَّوَى وَزَمَانٍ بِالْمَوَى لَمْ يُسْعِفِ

(١) في ط : « مدحك » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « منكم قلبي قبل هذي البرح » . وفيه تحريف ظاهر .

(٣) كذا في م . وفي ط : « تلجل منه بأهبي ملابس » .

كُنْتُ أَزْجُو الطَّيْفَ بَيْنِي خُلْتُ عَائِدًا يَا نَفْسُ مِنْ ذَا قَابَأَمِي
 هَلْ يَمُودُ الطَّيْفُ صَبًّا مُغْرَمًا سَاهِرًا أَجْفَانُهُ لَمْ تَنْمُسْ
 هِمْتُ فِي أَطْلَالٍ لَيْلِي وَأَنَا لَيْسَ فِي الْأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرْبِ
 مَا مُرَادِي رَامَةٌ وَالْمُنْحَى لَا وَلَا لَيْلِي وَسَعْدِي مَطْلَبِي
 إِنَّمَا سَوَّلِي وَتَعَسَدِي وَالْمَنَى سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَاجُ الْعَرَبِ
 [أَحَدُ الْمُخْتَارِ طَهَ مِنْ سَمَا الشَّرِيفِ ابْنُ الشَّرِيفِ الْكَيْسِ] ^(١)
 خَاتَمُ الزُّهْلِ الْكَرِيمُ لِلنَّمَى طَاهِرُ الْأَصْلِ زَكِيُّ النَّفْسِ
 ولم أوقف من هذه الموسَّحات على غير هذا القدر ، وهو عجيب ، عارض
 مُوشَّحتي ابن سَهْلٍ وابن الخليل السابقي الذكر .

ومن ذلك جملة مُوشَّحات ، انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكي ^[٢٨٤]
 الصوفي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الصَّبَّاحِ الجَذَّارِيِّ ، وقد ألف ذلك
 بعضُ الأئمة في تأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراکش ، وأطال فيه
 من مُوشَّحات هذا الشيخ وسائر نظمته ، ولم أذكر من مُوشَّحاته هنا إلا القُرَر ^(٢) ،
 على أنها كلها غرر ، فمن ذلك قوله رحمه الله :

موشحات لابن
 الصباغ الجذاري
 في مدح الرسول
 أيضا

أَلِفَ الْمُضَى الشَّجُونَا وَارْتَضَى الْأَخْرَانِ دِينَا
 فَوْقَ صَفْعِ الْوَجْنَتَيْنِ أَهْلَ الدَّمْعِ الْهَتُونَا
 بَطَّعَ الْأَيَّامَ حُرْنَا وَهَبَكَاءَ وَعُويلا
 فَارْحَمُوا صَبًّا مَعَى قَلْبُهُ يُذَكِّي غَلِيلَا

(١) هذا البيت عن نفع الطيب .

(٢) كذا في م . وفي ط : « هنا على القدر » .

مُلَهَبَ الْأَحْشَاءِ مُضَيَّ
 بِالنَّوَى أَضْحَى عَلَيَّ
 ذَابَ شَوْقًا وَحَيْنًا
 وَسَفَامًا ^(١) وَأَنْبَا
 يَا لَهُ مِنْ حِلْفٍ بَيْنِ
 بَرٍّ نَفَى فِيكَ الْمُنُونَا
 أَرَى عَهْدًا تَقْصَى
 مِنْكُمْ هَلْ لِي بِعُودُ
 قَتَى عَنِّي تَرْضَى
 قَدْ بَرَى جِسْمِي الصُّدُودُ
 لَمْ أَطِقْ وَاللَّهِ نَهْضَا
 فَبِحَقِّ الْحَقِّ جُودُوا
 وَارْحَمُوا صَبًّا مَهِينَا
 كَمْ شَكَا التَّيْنِ سِفِينَا
 وَشُؤُنُ الْمُفْلَتِينَ
 تَسْكُبُ الدَّمْعَ التَّمِينَا
 قَدْ ذَوَى غَضْنُ الشَّبَابِ
 وَمَعَى عُمْرِي وَوَلَّى
 أَنْ لِي وَقْتُ الْإِتَابِ
 كَمْ أَسَلَى ^(٢) النَّفْسَ جَهْلًا
 هَذِهِ عِرْسُ الْمَتَابِ
 فِي قِبَابِ الْوَصْلِ تُجَلَّى
 وَادْخُلُوهَا آمِينَا
 حَسَنُوا فِيهَا الظُّنُونَا
 قَدْ وَصَلْنَا كُلَّ بَيْنِ
 وَعَمُونَا وَرَضِينَا
 نَحْوَ هَانِيكَ الزُّبُوعِ
 فَاجْهَدُوا كَدَّ الْحُمُولِ
 وَإِلَى قَبْرِ الشَّفِيعِ
 أَعْمِلُوا سَبْرَ الرَّحِيلِ
 إِنْ تَكُنْ خَلَى مُطِيعِي
 بِمَنْ خَيْرَ رَسُولِ
 كُنْ لِي بِأَرْبَ مُعِينَا
 وَصِلِ الصَّبَّ الْحَزِينَا
 قَبْلَ أَنْ يَحِينَ حَبْنِي
 وَأَرَى التُّوتَ يَقِينَا

[٢٨٥]

(١) في م : «وبكا» .

(٢) في م : «أسي» .

نَمَّ رِيحَاتُ التَّدَانِي وَتَرَّتْ رِيحُ الْوَصَالِ
قَدْ صَفَا وَرْدُ الْأَمَانِي فَأَنْتَهَضُ نَحْوَ التَّعَالِي
صَاحِرُكُمْ هَذَا التَّوَانِي فَاسْتَمِيعْ عَذَابَ التَّعَالِ
وَلَيْلِنَا وَابْتِلِينَا وَاشْ يَقُولُ النَّاسُ فِينَا
قُمْ بِنَا يَا نُورَ عَيْنِي نَجْعَلُ الشَّكَّ يَقِينَا

وقوله في التشوق إلى مكة وطيبة ، على ساكنها الصلاة والسلام :

زَهَرَ شَيْبُ الْمَفَارِقِ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الْكِيَامُ
فَابْكِ الزَّمَانَ الْمَفَارِقِ وَحَالِكِ فِي التَّوَسُّعِ الْحَيَامُ
عَوَّضْتُ بِالصَّبْرِ الْأَصِيلِ وَقَدْ عَرَا الْبَذْرُ انْكِسَافُ
أَلَمْ بِالْفُضْضِ الدُّبُولِ وَكَانَ لَدُنَا ذَا انْعِطَافُ
رِيحُ الصَّبَا كَانَ^(١) تُمِيلُ كَأَنْ سَقَى صِرْفَ الثَّلَافِ^(٢)
حَتَّى^(٣) رَمَى الْقَلْبَ رَاشِقُ وَفُوقَتْ نَعْوَى السَّهَامِ
وَلِسَانُ الْحَالِ نَاطِقُ يُخْبِرُنِي أَنْ لَا دَوَامُ
يَا بَذْرَ أَيَّامِ الشَّبَابِ هَلْ الْإِفْوَاحُ مِنْكَ^(٤) طُلُوعُ
أَضْحَى فَوَادِي ذَا الْمَذَابِ حَلِيفَ أَشْجَانِ فَرْوُغُ
وَنَارُ حُرْنِي فِي التَّهَابِ تَذَكَّرِي بِأَخْنَاءِ الضَّلُوعُ
فَإِنْ هَذَا الْبَرْقُ خَافِقُ ذَكَرْتُ عَهْدِي بِالْخِيَامِ

(١) في ط : « فيها » .

(٢) في الأصاين : « الزلال » ، وظاهر أنه خطأ من النسخ .

(٣) في م : « حين » .

(٤) في ط : « من » .

وَإِنْ تَأَوَّهَ عَاشِقٌ سَاجَلْتُ فِي دَمْعِي الْقَمَامَ
وَلَى الشَّبَابُ وَانْقَضَى فَدَمْعٌ عَيْنِي فِي أَنْهَمَالِ
وَفِي الْحَتَى جَمْرُ الْمَصَا لِقَدِّ هَاتِيكَ اللَّيَالِ
يَا عَهْدَ أَيَّامِ الرِّضَا هَلْ رَجَعْتُ تُذْنِي الْوَصَالِ
تَحِيًّا بِهَا نَفْسٌ وَامِقٌ مُضَى الْفَوَادِ مُسْتَهَامِ
نَحْوُ الْمُذْنِبِ وَبَارِقُ يَعْدُو بِوَ حَادِي الْفَرَامِ
(١) يَهْوِيهِ لَمْعُ الْبَوَارِقِ مِنْ طَيِّبَةٍ حِينَ تُشَامِ
فَإِنْ تَعَفَّنِي الْعَوَانِقُ أَلَمْتُ خَدِّي بِالرَّغَامِ
يَا دَارَ هَلْ يَذْنُو التَّرَازِ فَيَعْقُبُ اللَّيْلَ الصَّبَاحِ
أَهْنِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَقَصِّ أَزْيَاشِ الْجَنَاحِ
مَتَى أَرَى أَحَدُو الْقَطَارِ فَقَدْ بَرَّانِي الْإِنْتِرَاحِ
أَشْدُو الْمُطَايَا السَّوَابِقِ (٢) مَزْمَرًا عِنْدَ الْمَقَامِ :
فَعَرُّ الزَّمَانِ الْمُوَافِقُ حَيَّاكَ مِنْهُ بِابْتِسَامِ

[٢٨٦]

وقوله رحمه الله :

رُسُومُ ظَاهِرِ الْبَيْلَى بِكُلِّ رَسْمٍ طَائِمِ (٣) عُنُونُ
وَرَبِّهِمْ (٤) مَا أَشْكَلَا مِنْهَا إِكْلٌ حَازِمٌ رَيْقَانُ

(١) جاءت هذه « القفلة » في ط دون م . وكان من حقها أن تسبق بدور ذي سنة
أغصان على نظام أدوار هذه الوشحة . أو لعلها زائدة .

(٢) في م : « بالسوابق » .

(٣) في ط : « ظاهر » .

(٤) في م : « وعندهم » .

قَفَّ بِالذِّبَارِ وَاعْتَبِرْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِزِّ
 وَانْظُرْ^(١) لَهَا وَازْدَجِرْ فَإِنَّ فِيهَا الْأَجْرَ
 كَمْ مَقْلَمٍ قَدْ دَنَرَ فَلَمْ يَبَيِّنْ مِنْهُ أَثَرَ
 تَبْكِيهِ وَزُقُ الْفَلَا وَفِي بُكَاءِ الْحَمَامِ أَشْجَانُ
 فَلَمَّا نَدَبَ إِلَى الطَّلَا فَفِي قُوَادِرِ النَّاسِمْ أَحْزَانُ
 سَمَاعًا مِنَ الْوُجُودِ^(٢) عَنْهُ تَقَامُ الْمَقُولُ^(٣)
 فَغَيْبَةً وَشُهُودُ كَلَاهُمَا عَيْنُ الدَّلِيلِ
 حَتَّى مَتَى يَا مُرِيدُ تَخْتَالُ فِي ثَوْبِ الْخُودِ
 تَشْكُو لَنَا الْعِلَلَا وَأَنْتَ بِالْمَسَامِ جَذَلَانُ
 فَلَذَّ يَمِزُّ الْمَلَا فَمِنْ دَنَا لِلنَّادِمِ إِحْسَانُ
 فَنَاءُ أَهْلِ الطَّرِيقِ هُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ
 فَكُلُّ مَعْنَى دَقِيقِ يَوْصِفُهُمْ بِهَا يُحَقِّقُ
 أَنْوَارُهُمْ فِي شَرِيقِ بِهَا اسْتَضَاءَ الْمُؤَفَّقُ
 قَدْ أَوْضَحُوا الشُّبُلَا فَهُمْ لَنَا فِي الْعَالَمِ بُرْهَانُ
 فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ وَلَا تُغْفِلُ الْقَوَائِمِ إِبَانُ
 يَا نَاسِيبًا لَوْضَلْنَا أَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ الْجَوُونَ
 سَلَّمْ إِلَيْنَا فَنَلْنَا مَا كَانَ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ
 لَا حَوْلَ إِلَّا حَوْلُنَا فَغَائِبِ الشُّكُوكِ وَالظُّلُونُ

(١) في ط : « وانطق » .

(٢) كذا ورد هذا القطر بالأصلين .

(٣) في م : « عنه بما فهم القول » .

[٢٨٧]

يَا غَادِرًا قَدْ سَلَا أَقْصِرْ فَلَيْسَ يَجْمَلُ سُلُوكَانِ
 اللَّهُ مَا أَجْمَلَا مَنْ بَاتَ وَهُوَ بِالْهَوَى نَشُوكَانِ
 يَا طَالِبًا لِلنَّوْالِ يَبْنِي السَّمَاحَةَ وَالنُّوَالِ
 يَمْنُ - فُذَيْتَ - أَحْمَدَا بَذَرَ الْعَلَا شَمْسَ الْكَالِ
 وَعَدَّ عَمَّنْ شَدَا وَاسْتَفَرَّقَ الْمَدَحَ وَقَالَ:
 إِنَّ جِثَّتْ أَرْضُ سَلَا تَلْقَاكَ بِالْمَكَارِمِ فِتْيَانِ
 هُمْ سَطُورُ الْعُلَا وَبُؤْسُ بْنُ الْقَائِمِ عُنُونِ

وقوله رحمه الله :

بَارِضٍ طَيِّبَةٍ مَعْمَدُ شَوْقِي إِلَيْهِ مُجَدِّدُ
 هَلْ لِي بِتِلْكَ الطُّلُولِ
 مِنْ زَوْرَقٍ وَمَقِيلِ
 يَا قَبْرَ خَيْرِ رَسُولِ
 مَتَى بِرَاكَ فَيَسْعُدُ صَبَّ بِيْعُدِكَ مُحْكَمَدُ؟
 مَذُ قَدْ بَرَاهُ انْتِرَاحُ
 وَقُصَّ مِنْهُ الْجَنَاحُ
 لَهُ إِلَيْكَ ارْتِيَا حُ
 بِالْقُرْبِ أَضْحَى مُعَيَّدُ وَالضَّعْفُ وَالشَّيْبُ يَشْهَدُ
 رَبِّعُ التَّوَاصِلِ أَقْوَى
 فَمَنْ عَلَى الْهَجَرِ يَتَوَمَّى
 قَدْ صَيَّرَ الْجِسْمَ نَضْوَا

سَهْمٌ بِعَادٍ مُسَدَّدٌ لَقَدْ^(١) رَمَانِي فَأَقْصَدُ

مَتَى يُتَبَّاحُ التَّدَانِي

لِمُكْمِدِ الْقَلْبِ عَانِي

يَشْدُو بِكُلِّ لِسَانٍ

عَسَى الَّذِي كُنْتُ أَعْهَدُ مِمَّا تَقْصَى يُجَدِّدُ

يَا بُغْيَانِي يَا مُرَادِي

أَشْكُوكَ فَرَطًا بِعَادِي

فِي كُلِّ وَادٍ أَنَادِي :

مَالِي غَيْرُكَ مَقْصِدُ فَكَيْفَ بِالْهَجْرِ أَقْصَدُ

فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ

فَذَلِكَ وَقَفْتُ عَلَيْكَ

مَالِي شَفِيعُ لَدَيْكَ

إِلَّا بُكَائِي سَرْمَدُ فَمَنْ عَلَى الْحُسْنِ^(٢) يُسْعِدُ

بِي فَأَفْعَلْ مَا تَشَاءُ

أَتَحْيَى لِي مِنْكَ الرَّجَاءُ

فَكُلُّ دَاكِ دَوَا

وَكُلُّ رَأْيٍ^(٣) مُسَدَّدٌ وَكُلُّ أَمْرٍ مُرْشَدٌ

(١) في ط : « حين » .

(٢) كذا في الأصلين ؛ ولعلها : « الحزن » .

(٣) في م : « رأى » .

وقوله رحمه الله :

قُمْ وَتَاجِرُ اللَّهِ فِي دَاجِي الْفُلَسْ تَنْفَعِي الْأَرْوَاحَ^(١)
 وَالْتَمِسِ لِلْعَفْوِ فِيهِ مُلْتَمَسٌ وَأَنْتَبِهْ قَدْ فَاحَ
 عَرَفُ أَزْهَارِ الرِّضَا ثُمَّ اقْتَبِسْ نُورَ رُشْدِهِ لَأَخَ
 وَأَنْتَشِقْ يَا صَاحِرَ أَرْوَاحِ السَّحَرِ يَا لَهَا مَشْمُومٌ
 عَرَفُهُ إِنْ هَبَّ فِي إِثْرِ الزَّهَرِ يُنْعِشُ الزَّكُومَ
 مَرَّغِ الْخَدَّ وَتَادِ بِالنَّحِيبِ وَاهِلِ الْأَجْفَانِ
 فِتْ بِمَفْتَاهُمْ وَفُوفِ مُسْتَرِيبِ خَالَفِ الْأَشْجَانِ
 وَاشْكُ إِنْ وَافَقْتَ إِعْثَاءَ الطَّيِّبِ عَلَّةَ الْهَجْرَانِ
 كَمَسَى بِالْوَصْلِ نُحْيِي مَا دَرَرَ وَيَطْلُبُ النِّعَمِ
 فَالْتَوَى مَا إِنْ عَلَيْهِ مُضْطَبَّرُ وَالْبِعَادُ أَلِيمُ
 يَا رَحِيمَ الْخَلْقِ رُحْمَاكَ فَقَدْ جِثَّ مُعْقَى رَحِيبِ
 لَيْسَ لِلْعَبْدِ عَلَى النَّارِ جَاءُ لَدَ وَهُوَ قَبْدٌ مُرِيبُ
 عَبْدٌ سَوَاءٌ [لِمَاكَ]^(٢) قَدْ قَصَدَ يَشْتَكِي بِاللَّذْنُوبِ
 مَنْ لَهُ يَوْمَ نَرَامِي بِالشَّرِّ زَفَرَاتُ الْجَحِيمِ
 فَيَهَابُ الْخَلْقَ^(٣) مِنْ خَيْرِ الْبَشَرِ كَاغِي يَا رَحِيمِ
 أَنَا مَا بَيْنَ مَقَامَيْنِ مُوَسِّمِ أَوْرَتَانِي شَجَا

(١) في م : « تَنْفَعِي الْأَرْوَاحَ » .

(٢) البياق ووزن البيت بغضبان هذه الكلمة أو ما في معناها .

(٣) في ط : « نَبِيهَا نَدَا الْخَلْقَ » .

فِي فُؤَادِي مِنْ دُمُوعِي كُلُّومٍ قَلَمًا تَرْتَجِي
 وَاعْتِلَاقِي بِجَنَابِ الْكَرِيمِ مُشْمِرٌ بِالنَّجَا
 هَا أَنَا فِي الْحَالَتَيْنِ فِي خَطَرٍ وَالْفُؤَادُ سَلِيمٌ
 سَلَكَ التَّوْحِيدُ فِيهِ بِالنَّظَرِ سُبُلَ نَهْجِ قَوِيمٍ
 أَحْلِفَ الْحُزْنَ تَشْكُو بِالْعَادِ لَذِّ تَمْجِدٍ^(١) أَثِيلِ
 فِي قِيَابِ التَّجْدِ تَحْطِي بِالْمُرَادِ حَيْثُ حُلَّ الرُّسُولِ^(٢)
 عِنْدَهُ يَشْفِي صَدَاهُ الْفُؤَادِ وَاسْأَلْنِ مَنْ يَقُولُ: (٣)
 « لَيْفَنِي رَمْلَةُ الْحَرَّةِ »^(٤)

وقوله رحمه الله :

نَأَتْ بِيَ الْأَوْطَانُ عَنْ حَضْرَةِ الْإِحْسَانِ وَلَا مُعِينِ
 فَفَنَ لِي أَحْزَانُ لَطِيبَةً قَدْ كَانَتْ لَهُ حَنِينِ
 شَعَلَتْ بِيَ الدَّارُ فَيَا شَوْقَاهُ لِي شَرْبِ
 أَحْبَابِهِ^(٥) سَارُوا وَالْبَيْنُ أَفْصَاهُ بِالْمَغْرِبِ
 فِي قَلْبِهِ نَارُ تَذَكُّرِهِ أَمْوَاهُ فَلْتَمَجِّبِ
 لَوْ سَابِقَ الْإِخْوَانُ فِي ذَلِكَ التَّيْدَانِ أَضْحَى مَكِينِ

(١) كذا في ط . وفي م : « لذ بلى مجد » .

(٢) في م : « حيثما حل » .

(٣) في ط : « واسأل من » . وفي م : « وسل عما » . ولعلهما مبدلتان عما

أثينناه ، ليجري الوزن مع ما سبق .

(٤) كذا وردت هذه العبارة في م ، ولم ترد في ط .

(٥) في ط : « أخذناه » .

فَخَالَفَ ^(١) الْأَشْجَانَ	وَاصْطَبَّ مَعَ الْأَحْيَانِ ^(٢)	قَلْبًا حَزِينًا
لِلْمَوْرِدِ الْقَذْبِ	وَالْتَهَلَّلِ السَّلْسَلِ	شَدُّوا الرَّحِيلِ
فَيَا ظَلَمًا قَلْبِي	لِذَلِكَ التَّهَلَّلِ	هَلْ مِنْ مَقِيلِ
بِسَاخَةِ الْقُرْبِ	فِيْبِرْدِ السَّلْسَلِ	حَرًّا الْغَالِيلِ
إِنْ أَشْكَنْ الْإِمْكَانَ	أَنْ يَتَكَرَّعَ الظَّلَامَانِ	مِنْ التَّعْمِينِ
فِي مَشْرَبِ الرُّضْوَانِ	فَذَاكَ مَعْدُنْ دَانِ	لِلرَّائِدِينَ
يَا سَحَادِي الطُّغْمِ	وَسَائِقِ الرِّكْبِ	إِلَى الْقَبِيْقِ
أَسِفْتُ لِلْبَيْنِ	فَهَلْ إِلَى الْقُرْبِ	يُلْقَى طَرِيقُ
مَتَى النَّوَى تُذْنِي	مِنْ مَطْلَعِ الشُّهْبِ	قَلْبًا خَفُوقِ
فَيَغْرِبُ بُسْتَانِ	لِلرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ	فِيهِ فُنُونِ
وَدَوْحُهُ الْمُرْدَانِ	تَحْيَا بِهِ الْأَكْوَانِ	فِي كُلِّ حِينِ
يَا خَيْرَ مَرْسُولِ	لِلنُّحُورِ وَالْعَبْدِ	بِالْمُعْجَزَاتِ
نِدَاهُ مَحْبُورِ	نَادَى عَلَى بُعْدِ	خَوْفِ الْمَمَاتِ
أَنْتُمْ مُنَى سُورِي	وَأَنْتُمْ قَضْدِي	وَلِي صِفَاتِ
تَعْمُجُهَا الْأَذَانِ	وَتَقْتَضِي الْمِجْرَانِ	فَمَا يَكُونِ
مِنْ ذِي شُجُونِ عَانِ	يَحْكِي بِدَوْحِ الْبَانِ	شَادِي النُّسُونِ
يَا صَاحِرَ الْقَصْدِ	أَنْ يَظْفَرَ الْأَوَاهِ	بِقَضْدِهِ

(١) في ط : « خالف » .

(٢) في ط : « الأعيان » .

إِنَّ شَفَّكَ الْبُعْدُ فَنَقُ . يَغْفِرُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِهِ
 وَدَعِ فَتَى بَشْدُو وَاللَّهُمَّ قَدْ أَلْهَمَ عَنْ رُشْدِهِ
 جَنَّانُ يَا جَنَّانُ إِخْنٍ مِنَ الْبُسْتَانِ الْبِاسِمِينَ
 وَخَلَّ الرِّيحَانُ بِحُرْمَةِ الرَّحْمَنِ لِلْمَاشِئِينَ

وقوله ^(١) رحمه الله تعالى :

لِأَتَحْمَدَ الْمُصْطَفَى مَقَامُ
 جَلَّ عَلَا فَلَا يَرَامُ
 بِنُورِهِ يَهْتَدَى الْإِنَامُ
 فَأَيُّ شَمْسٍ وَأَيُّ بَدْرِ قَدْ أَطْلَعَتْهُ لَنَا الشُّعُودُ
 بِنُورِهِ تَشْرِقُ الشُّمُوسُ
 فِي حُبِّهِ تَخْلَعُ النُّفُوسُ
 بِأَيُّهَا الْمُسْمِعُ الرَّئِيسُ
 أَدِرْ عَلَيْنَا كَكُوسَ فَخْرٍ مِنْ ذِكْرِهِ تَغْطِ مَا تُرِيدُ
 أَمْدَاحُ خَيْرِ الْوَرَى نَعِيمُ
 نَحْنُ أَنْاسُ بِهَا نَهِيمُ
 يَا مَادِحِيهِ بِاللَّهِ قَوْمُوا
 خَوْضُوا بِنَا مَوْجَ بَحْرِ فَخْرٍ مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهُوَ شَهِيدُ
 الشُّطْحُ فِي حُبِّهِ مُبَاحُ
 وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا أَرْزِيحُ
 قُلُوبُنَا حَشَوُهَا جِرَاحُ

مِنْ نَأْيٍ مَعْنَاهُ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَرَى قَبْرَهُ الْعَمِيدُ
 إِنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِالْوُضُولِ
 لِقَبْرِ خَيْرِ الْوَرَى الرَّسُولِ
 السَّيِّدِ الْأَزْفَعِ الْجَلِيلِ
 قَدْ تَخَلَّعَ ثِيَابَ طُحْرٍ وَتَوَفَّى رُوحِي لِعَنْ تَرْيِدُ
 وقوله أيضا :

لَهْفِي عَلَى مُحَمَّدٍ^(١) مَفَى وَالشَّيْبُ فِي الْقَوْدِ بَدَا وَمَا قَصَيْتُ الْفَرَصَا
 أَيَّامُ رَبْعَاءِ الشَّبَابِ وَلَتْ وَلَمْ تَنْوِ الْإِيَابِ
 فَتَارَ حُزْنِي فِي التَّهَابِ وَدَمَعُ عَيْنِي فِي انْسِكَابِ
 يَا عَهْدَ أَيَّامِ الرِّضَا هَلْ رَجَعْتُ تَشْفِي السَّدى حَقًّا وَتُثْنِي الرِّضَا
 إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّفا دَعِ عَنْكَ أَوْصَافَ الْجُفَا
 وَأَذْكَرُ لِرَمْلِهِمْ قَدْ عَفَا وَهُمْ يَمْسَحُ السُّطُفَى
 الْمَاهِيَّ الْمُرْتَفَى نَاجِ الْعُلَّاشِمْسِ الْهُدَى لَا تَبْغِرْ مِنْهُ عَوْصَا
 وَبِشْمِ رُبُوعَا لِلْحَبِيبِ وَأَنْزِلْ بِمَعْنَاهُ الرَّحِيبِ
 وَلَقَدْ بَمَرْعَاهُ الْخَطِيبِ فَهَوَّ لِمَا نَشْكُو الطَّيِّبِ
 نَادٍ بِهِ مُسْرَضًا هَلْ تَقْبَلُونَ مُكْعَدًا قَدْ كَانَ عَنْكُمْ أَعْرَضًا
 رَمَتْ فَوَادِي السُّوَى وَغُضِنُ عُمْرِي قَدْ ذَوَى
 وَالشُّوقُ قَلْبِي قَدْ كَوَى وَاعَا عَلَى قَعْدِي الْقَوَى

[٢٩٠]

(١) في م : دمره .

قَضَى النَّوْمُ مَا قَدْ نَقَى هَلْ يَسْتَطِيعُ الْجَلْدَا قَلْبٌ عَلَى جَوْرِ النَفْسِ
لَقَدْ تَنَاءَتِ الدِّيَارُ وَشَطَّ بِ عَنْهَا الذَّرَارُ
لَوْ كَانَ لِي حُكْمُ اخْتِيَارٍ مَا قَرَّ بِ عَنْهَا قَرَارُ
مَا شَاءَهُ حُكْمُ الْقَضَا يَجْرَى وَلَوْ طَالَ الْوَدَى فَلَا تَكُنْ مُعْتَرِضًا
وقوله رحمه الله :

أَطْلَعَ الصُّبْحُ رَايَةَ الْفَجْرِ فَتَبَدَّى الْمَكْتُومُ مِنْ سِرِّي
إِنْ تَكُنْ بَاحِثًا عَنِ الْأَسْرَارِ فَانْقَشِقْ صَاحِرَ نَفْعَةِ الْأَشْعَارِ
وَأَطْلُ فِي الْأَصْنَافِ الْأَذْكَارِ فَهِيَ أَذْكَى مِنْ عَاطِرِ الْأَزْهَارِ
أَيْنَ طِيبُ السُّكِّ وَشَدَا^(١) الزَّهْرِ فِي دُجَى اللَّيْلِ مِنْ شَدَا الدَّكْرِ
أَوْ مِنْ أَدْمَعِي وَمِنْ حَزَنِي فَجَمَّةُ الْبَيْنِ كَمْ رَأَى تُضْفِي
جِسْمَ مُشْتَقِي دَمِي الْجَفْنِ يَا عَدُوِّي عَلَيْهِمْ عِشِّي^(٢)
عَبْرَانِي تَهْلُ كَالْقَطْرِ وَفَوَادِي يُذْكَى عَلَى الْجَعْرِ
شَفَنِي الْوَجْدُ فَأَجْبُرُوا صَدْعِي يَوْمَ يَذْمُ عَنْ سَاحَتِي سَلْعُ
حَدَدِ الْحَدِّ سَاكِبُ الدَّمْعِ إِنْ تَعُودُوا مُنِيمَ الْجَزَعِ
بُدَلَّ الْمُسْرُ مِنْهُ بِالْبُسْرِ وَأَتَقَهُ السُّعُودُ بِالْبُسْرِ
لَيْسَ لِلْعَبَسِ مِنْكُمْ بُدُ قَدْ بَرَانِي وَشَفَنِي الْبُعْدُ

(١) كذا في الأصول . والصواب : « شدا » بدون واو المطف ، ليجرى مع

الظلم ، وهو من الخفيف .

(٢) كذا في ط . وفي م : « عشي » .

مَنْ لَصِبَ أَذَابُهُ الْوَجْدُ تَاتَ فِي دَوْحِ حُرْنِهِ يَشْدُو
 فِي هَوَاكُمُ لَقَدْ فِي عُمْرِي فَاطْفُوا بِي وَأَمْسُوا دُعْرِي
 سَيِّدِي أَنْتَ مَلَجَأُ الصَّبِّ فَأَجِرْ مِنْ ضَنَى التَّوَى قَلْبِي
 إِنْ تَكُنْ لِي أَوْ إِنْ تَكُنْ حَسْبِي فَبِكَ أَشْدُو مَقَالَ ذِي عَجَبِ
 جَرَّرَ الذَّلِيلَ أَبْيَا جَرًّا وَصَلَ الشُّكْرُ مِنْكَ بِالشُّكْرِ^(١)

وقوله رحمه الله تعالى :

[٣٩١]

لِأَحَدٍ بَهَجَهُ كَأَقْسَرِ الزَّاهِرِ فِي أَبْرُجِ السَّعْدِ
 عَلَاؤُهَا بَنِي بِنُورِهِ الْبَاهِرِ كُلَّ سَنَى تَجْدِ
 فِي عَالَمِ الْقُدْسِ قُدْسَ عَلَيْهِ فَفَاقَ فِي الْخُلْدِ
 بِالْبَذْرِ وَالشَّمْسِ بُرْزِي مُحْيَاةٍ فَجَلَّ عَنْ نِدِّ
 لِلْحَيِّ وَالْإِنْسِ أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
 أَذَلَّ بِالْعُجْبَةِ وَأَمْرِهِ الظَّاهِرِ^(٢) مَنْ خَانَ لِلْمُهْدِ
 بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ثَنَاؤُهُ الْعَاطِرِ أَنْدَى مِنَ النَّدِّ
 يَا خَيْرَ مَرْسُولٍ مِنْ خَيْرَةِ الْخَلْقِ أَذَابَنِي الْبُعْدُ
 إِلَيْكَ يَا سُوْلِي قَدْ قَادَنِي شَوْقِي فَكَمْ أَرَى أَشْدُو
 بِصَوْتِ مَحْبُولٍ حَكَمِي غِنَا وَزُقِي هَبَّجَهَا الْوَجْدُ
 غَرِقْتُ فِي لُجَّةٍ وَلَيْسَ لِي نَاصِرُ عَلَى جَوَى الْبُعْدِ

(١) هذا مطام موشحة لأبي بكر بن باجة .

(٢) في رواية : « وصل السكر منك بالسكر » .

(٣) في م : « الظاهر » .

إِلَّاكَ يَا حَسْبِي	وَأُدْمَعُ النَّاطِرُ	تَهْلُ فِي انْخَلَدُ
إِنْ عَاتَنِي ذَنْبِي	عَنِ ذَلِكَ التَّقَى	فَلَيْسَ لِي حَوْلُ
وَكَيْفَ بِالْقُرْبِ	لِلْهَانِمِ الْمُضَقِّ	وَيَبْنَسَا سُبُلُ
تُذِيبُ بِالْكَرْبِ	جِسْمًا ذَوَى حُرْنًا	وَسَفَهُ انْخَلُ
إِلَيْكُمْ وَجْهَ	وَجْهًا غَدَا حَارِزُ	وَالدَّمَغُ فِي انْخَلَدُ
بَهْلُ كَالشَّحْبِ	وَزَفَرَةُ انْخَاطِرُ	تَهْبُ بِالْوَقْدِ
يَا سَامِعَ النَّجْوَى	إِلَيْكَ أَوْصَانِي	تَشْكُو بِأَوْجَالِي
تَرَكَتْنِي نِفْسُوا	أَلُوذُ بِالنَّبَابِ	مُقَمَّمِ الْبَالِ
إِنْ كَانَ بِالْبَلْوَى	لِطُولِ أَغْيَابِي	أَسْأَلُكُمْ حَالِي
فَقَلْبُكُمْ ^(١) رَجَّةُ	بِهَا أَرَى حَاسِرُ ^(٢)	إِنْ لَمْ تَكُنْ نَذَى ^(٣)
أَعُوذُ بِالْحُبِّ	مِنْ أَمْرِكَ الْآمِرُ	بِالْبُعْدِ لِلْعَبْدِ
رَحْبُ مَنْ تُحْدَى	لِقَبْرِهِ النُّجْبُ	السَّيِّدِ الطَّاهِرُ
هَمْ دَائِمًا وَجَدَا	يَأْيُهَا الصَّبُّ	وَعَدَّ عَنْ خَاطِرُ
مَنْ قَالَ إِذْ أَوْدَى	بِقَلْبِهِ الْحُبُّ	قَوْلًا غَدَا سَايَرُ
بِدَارِعِ ^(٤) الْبَهْجَةِ	وَزُرْهَةُ النَّاطِرُ	وَجَنَّةُ الْخُلْدِ
وَبَغْبِيَةِ الْقَلْبِ	وَرَاغَةُ انْخَاطِرُ	فِي ذَلِكَ الْغَدَا

[٣٩٢]

(١) كذا في م . وفي ط : « قلبكم » . والمعنى — على كلنا الروايتين — غير واضح .

(٢) في ط : « حاسر » .

(٣) في م : « رقدى » .

(٤) في الأصلين : « براكم » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

وقوله ، رحمه الله تعالى :

لَأُحْمَدَ تَعْنُو الْأَفْكَارَ	فَمَدَّدَ فَخَّارَهُ
وَأَنْظِمَ تَنَاهُ أَشْمَارَ	وَلَا زِمَ وَفَارَهُ
لَأُحْمَدَ بَذَرِ الْأَفْقِ	وَشَمْسِ التَّمَالِي
تَأَجَّجُ نَارُ الشُّوقِ	وَكَيْفَ أَحْتَبَالِي
لَقِنَ فَازَ أَهْلُ السَّنَنِ	بِذَلِكَ الْكَمَالِ
وَحَلَّلُوا بِهَاتِيكَ الدَّارَ	وَحَازُوا جِوَارَهُ
فَبَنَى الْقَلْبَ نَارُ الْأَفْكَارَ	قَدْ أَذْكَتْ أَوَارَهُ
حَادِي الرُّكْبِ بَلَغَ عَنِّي	سَلَامًا كَثِيرًا ^(١)
وَقُلُّ مُغْرَمٌ ذُو حُزْنٍ	قَدْ أَضْحَى أَسِيرًا
أَضْمَتُهُ مِهَامُ الْبَيْتِ	لَمْ يُلْفِ نَصِيرًا
وَقَدْ أَبْهَدَتْهُ الْأَفْدَارُ	وَالْحُزْنُ أَثَارَهُ
فِي الْقَلْبِ تَنَائِي الْأَقْطَارُ	يُضْرِمُ نَارَهُ
إِذَا لَاحَ لَمْعُ الْبَرْقِ	مِنْ أَكْنَافِ نَجْدِ
دَعَانِي إِلَيْهِ شَوْفِي	وَإِفْرَاطُ وَجْدِي
إِلَى قَبْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ	سَأَجْهَدُ جَهْدِي
لَعَلِّي أَفْعَى الْأَوْطَارَ	وَأَعْطَى مَرَارَهُ

(١) كذا في م . وفي ط : « أسيرا » . ولعلها هذه الأخيرة بحرفة عن « أنيرا » .

قَمْنَى تُنْعَى الْأَوْزَارُ	إِذَا زُرْتُ دَارَهُ
يَا سَاعِدَى شَوْقِي زَمَرُمُ	بِذِكْرِ الْحَبِيبِ
يَا حَرَّ وَجْدِي ضَرَّمُ	نِيرَانِ الْوَجِيبِ
يَا دَمْعَ عَيْنِي أَرْقُمُ	يَخْدُ الْكَثِيبِ
رُسُومَ سَطُورِ التَّدْكَارِ	لِرَبْعِ أَنْارِهِ
سَمَا نُورِ وَجْهِ الْمُخْتَارِ	قَدْ أَعْلَى ^(١) مَنَارِهِ
أَيَا رَبِّ بِالْمُخْتَارِ	وَالصَّغْبِ الْكَرَامِ
قَرَّبَ قُرْبَ نَائِي الدَّارِ ^(٢)	مِنْ ذَاكَ لِلْقَامِ
وَأَغْفِرَ قَوْلِ ^(٣) ذِي إِصْرَارِ	عَنِّي فِي هُبَامِ
مَنْ يُرُونِي دَارَ الْمَطَارِ	يَذَرَا الْمَنَارِ
ثِيَابِي وَمَا تَحْوِي الدَّارِ ^(٤)	نُعْطِيهِ الْبِشَارِ

وقوله ، رحمه الله تعالى :

أَمِنْ فَرَطِ الْوَجِيبِ	أُوزِنَتْ قَلْبِي خَبْلًا
زَفَرَاتُ شَوْقِي مُدْنَفًا	مِنْكُمْ لَمْ يُمْطَ وَضَلًا
قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ	وَالْبُكَاهُ وَالْأَنْبِي
نَحْوَكُمْ لَهُ حَيْنُ	أَبْدَا بِهِ بَدِينُ

(١) في م : « ضياء » .

(٢) في م : « قرب نائي الديار » .

(٣) في ط : « قوى » .

(٤) رواية هذا الشطر في ط : « وما تحوى الدار » . والتصويب عن م .

دَمْعُ خَدَيْهِ الْهَتُونُ دَمِيتُ مِنْهُ ^(١) الْجَفُونُ
يَا سَقَايَ ^(٢) يَا حَلِييَ عَنُوكُ عَنِّي أَوْلَى
لَمْ تَزَلْ ^(٣) بِالْأَلْفِ تَوْصَفُ فَأَنْزِلْ عَبْدَكَ فَضْلًا

لَمْ تَزَلْ بِي فِي أُمُورِي سَيِّدِي مَوْلَى لَطِيفًا
أَنْتَ مَوْلَايَ نَصِيرِي فَاجْبُرِ الْعَبْدَ الضَّعِيفَا
مَنْ عَذِيرِي أَوْ مُحِيرِي إِنْ أَطَلْتَ بِي الْوُقُوفَا
يَا لِسَوْحَى الْعَصِيبِ وَسِجِلِ السُّخْفِ يُتَلَّى
وَقُلُوبُ الْخَلْقِ تَرْجُفُ وَلِنَارِ الْعَوَفِ تَمُتَّى

بِالنَّسِيِّ بِأَعْلَى ^(٤) [بِالرَّفِيعِ] الْقَدْرَ أَحَدًا
وَعَتَبِيْقِ الرُّمَى وَأَبَى حَفْصِ الْمُبْجَدِ
وَالشَّهِيدِ وَعَلَى غُرَرِ الْفَخْرِ الْمُوْبَدِ
نَحْوَ سَاعَاتِ الْحَبِيبِ فَلْتَبَسَّرْ لِي سُبُلَا
فَمَتَى بِالْقُرْبِ أَشْعَفُ أَوْ أَرَى لِدَاكَ أَهْلَا
يَا حُدَاةَ الْعَيْسِ عَنِّي فَاحْلُولُوا نَحْوَ الْعَمِيقِ
أَسْنِي وَطُولَ حُزْنِي وَبُكَائِي وَشَهِيدِي
عَنِّي بِالْعَنْفِ ^(٥) أَجْنِي زَهْرَ إِبْنِ اللَّحُوقِ

[٣٩٤]

(١) في ط: هذا : « به الجفون » وفي مجز البيت الذي قبله : « منه يدين » . ولعل

الناسخ وضع كلام من حرف الجر مكان الآخر .

(٢) كذا في م . وفي ط : « يا سقائي » .

(٣) في ط : « لا تزال » . وما أثبتناه من م .

(٤) هذه الكلمة أو ما في معناها يفتضها السياق .

(٥) في ط : « بالعنف » .

هَلْ لَصَبٍ مِنْ نَصِيبٍ فَيَمُودَ الْهَجْرُ وَضَلَا
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ اعْطِفْ وَأَنْزِلْ مُضْطَّكَ تَمَلًّا^(١)
سَيِّدِي قَدْ ذُبْتُ حُرْنَا لَا تُخَيِّبْ فِيكَ قَصْدِي
وَأُنَلِّي مِنْكَ حُسْنِي^(٢) قَدْ بَرَأَى طَوْلُ بُعْدِي
وَاعْتَقِرْ قَوْلَ مُعْنَى هَانَمَا يَشْكُو بوجْدِي
يَا فُلَانُ إِنْ زُرْتَ حَيِّي إِفْتِلْ أَذْنُو بِالرَّسِيلَا
لَيْشْ أَخَذَ عُقْقَ الْخُشَيْفِ وَبَرَّقَ قَمَّ الْحَجِيلَا^(٣)

انتهى ما قصده من موشحات هذا الشيخ النبوية .

وأما نظمه في غير الموشحات ، فنه قوله رحمه الله :

هَبِ النَّسِيمُ بِطِيبِ ذِكْرِ الْمَادِي فَتَأَرَّجَتْ نَفَحَاتُ عَرَفِ النَّادِي
يَا شَادِيَا يَشْدُو بِمَدْحِ مُحَمَّدٍ كَرَّرْ قَدَيْتَكَ مَدَحَهُ يَا شَادِي
كَرَّرْ عَلَى الْأَنْعَامِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ فَلَذِكْرُهُ بَرْدٌ عَلَى الْأَكْبَادِ
وَأَعِذْ عَلَيْنَا نَظْمَ فَخْرِهِ هَلَالٍ مِنْ بَهْرِ الْوَرَى مِنْ حَاضِرٍ أَوْ تَادِي
هُوَ ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ وَقُطْبُهُ هُوَ صَفْوَةُ الْأَشْرَافِ وَالْأَجَادِ
هُوَ بَحْرُ جُودٍ فَاضٍ عَذْبُ نَوَالِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ لَدَى الْوَرَادِ
هُوَ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ وَالْمُخْتَارِ مِنْ أَعْلَى نِجَارٍ^(٤) جَلَّ عَنْ أَنْدَادِ

(١) في م : « نيل » .

(٢) في الأصلين : « حسنا » . وما أتبعناه أول .

(٣) هذه المخرجة من زجل الجميع ، وقد وردت في سمعة ٢١٨ من هذا الجزء باختلاف في بعض الكلمات ، فلراجع .

(٤) في الأصلين « غار » . وما أتبعناه أحق بالسباق .

نظم لجنابى في
غير الموشحات

هُوَ مُنْتَهَى أَمَلٍ وَمَلْجَأُ مَفْزَعِي
هُوَ عِصْمَتِي مِمَّا أَخَافُ وَحُبِّي
إِشْرَاقُ كُلِّ النَّيِّرَاتِ وَحُسْنُهَا
لَا تَمُجِّبُوا فَمَنْيَاةُ الْخُتَارِ قَدْ
شَوَّقِي إِلَى ذَلِكَ الْعَقَامِ أَفْكَارُهُ
كَأَوْجٍ مُكْتَتِبٍ وَمَا قَدْ شَفَعُهُ
كَمْ رَأَى قُرْبَ الدَّارِ مِنْ أَحْبَابِهِ
كَمْ رَأَى أَنْ يَشْفِي بِرِوْزَتِهِ ظِلًّا
أَيَّامٍ أَطْلَعَ بِدُرِّ حُسْنِ شَبَابِهِ
فَالآنَ قَدْ لَمِعَتْ بِهِ أَيَّامُهُ [٢٩٥]
شَيْبٌ وَصَفٌ وَانْتِرَاحُ مَوَاطِنِ
لَهْفِي عَلَى عُمْرٍ تَصَرَّمَ وَأَنْقَضَى
فَلَا تُزَحِّنْ مَدَامِي أَسَفًا عَلَى
يَا حَادِي الْأَنْعَامِ يَا مُلَّ طَيِّبَةَ
وَأَنْزِلْ بِهَاتِيكَ الرُّبُوعَ وَقِفْ عَلَى
هَذَا أَسِيرٍ بِعَادِكُمْ أَجْفَانُهُ
فَمَتَى عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَشَحْطِهَا^(١)
فَعَلَيْكُمْ مِنِّي سَلَامٌ طَيِّبٌ
وقوله رحمه الله :

سَأَنْظِمُ مِنْ فَخْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
لَا لِي لَا يَنْبُلُ جَدِيدُ نِظَامِهَا

تَفَرَّوْعٌ طَيْبًا عَرَفَهَا فَكَانَ هُ
سَجَالًا أَبَتْ إِلَّا السَّمَاكِينَ مَنَزَلًا
خِلَالُ إِذَا لَاحَتْ قِيَابُ لَدَى عَلَا
إِذَا يَمْشُوا يَوْمًا إِمَامَ مَسْكَرِمِ
فَكَمْ دُؤْلًا أَوْ مَا لَدَرْكَ مَقَامِهَا
وَكَمْ ظَامِي قَدْ رَامَ يَرُوى بِرَبِّهَا
لِذَلِكَ الْعَلَا قَلْبِي مَشُوقٌ بِحَبِيبِهِمْ
فَلِلَّهِ عَيْنٌ لَا تَمَلُّ بِسُكَاةِهَا
وَتَنْقُصُ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ قَرِيبَةً
وَعَمْرٌ مَضَتْ أَيَّامٌ شَرِخَ شَبَابِهِ
فَيَا نَسْمَةَ الْأَسْحَارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبِ
وَيَا حَادِي الْأَطْعَامِ نَحْوَ قِيَابِهِمْ
تَضَوَّعُ أَزْهَارِ بَدَتْ مِنْ كِيَامِهَا
فَتَأَقَّى عَلَى الْعَالِيَاءِ عِلْقُ^(١) مَقَامِهَا
تُغَيِّفُ فَتَعْلُوها قِيَابُ خِيَامِهَا
فَأُحْمَدُ قَدْ أَضْحَى إِمَامَ إِمَامِهَا
فَمَرَّ وَلَمْ يَذْكُرْ سَرَامِي مَرَامِهَا
قَابَ وَقَدْ أَضْحَى عَلِيلُ^(٢) أَوَامِهَا
وَقَدْ شَوَّقَتْ^(٣) نَفْسِي بِطُولِ مَقَامِهَا
وَقَدْ حُرِمْتُ فِيهِ لَدَيْدَ مَنَامِهَا
تُطَارِحُ فِي التَّلَوِي حَمَامِهَا
وَقَدْ قَدْ صَرَفَ الدَّهْرَ غُضْنَ قَوَامِهَا
أَلَمِي يَنْفُسُ قَدْ ذَوَتْ بِضَرَامِهَا
أَلَا فَأَخْصَصُ الْعَلِيَّاءَ بِطَيْبِ سَلَامِهَا^(٤)

ومن ذلك قوله رحمه الله تَحَمَّسًا شعراً لغيره :

ومن تحمسه

أَلَا هَلْ إِلَى وَادِي التَّقِيْقِ طَرِيقُ
فَقَدْ هَاجَ شَوْقًا^(٥) لِلدِّيَارِ مَشُوقُ
يَقُولُ وَفِي الْأَكْبَادِ مِنْهُ خُفُوقُ

دُمُوعِي عَلَى وَادِي التَّقِيْقِ عَتِيقُ وَلِي زَفْرَةٌ تَحْدُو بِهَا وَتَسُوقُ [٢٩٦]

(١) كفا في م . وفي ط : « علو » .

(٢) في ط : « غليل » .

(٣) في ط : « سولت » .

(٤) في ط : « بطول » .

(٥) في م : « شوق » .

إِذَا مَا حَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَاجُ
 تُحَرَّكُنِي نَحْوَ الْعَمِيقِ لَوَاعِجُ
 وَعِنْدِي مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرَحِ هَاجُ
 وَفِي كَبِدِي مِنَ لَوَاعَةِ التَّبِينِ لَاعِجُ
 يَهِيحُ بِهَا سَيْنَ الضُّلُوعِ حَرِيقُ
 وَلَمَّا جَرَتْ بِي نَحْوَ طَيِّبَةِ أَسْعَدِي
 وَبُلَّغْتُ آسَالِي وَأَوْرَيْتُ مَقْصِدِي
 وَأَوْرَدْتِ التَّوْفِيقُ أَعْظَمَ مَوْرِدِ
 نَظَرْتُ فَقَالُوا إِنَّ ذَا قَبْرِ أَحْمَدِ
 وَذَلِكَ أَبُو حَفْصٍ وَذَلِكَ عَمِيقُ
 فَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي شِمْتُ بَارِقًا
 فَتَ^(١) الْجُلُوسِ مِثْلَ ضُلُوعًا خَوَافِقًا
 وَأُبْدَيْتُ وَجْدًا لِلْعَوَائِدِ حَارِقًا
 فَمَا مَلَكَتْ عَيْنِي دُمُوعًا سَوَاقِقًا
 وَلَا هَدَأَتْ لِي زَفْرَةً وَشَهيقُ
 بِذِكْرِكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ تَلْذِي
 وَيَأْسَمِكُ مِنْ خَطْبِ الْعِبَادِ تَعُوذِي
 وَمَا زَالَ قَلْبِي بِإِسْتِحَاكِكَ يَفْتَدِي
 أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حُبُّكَ يُنْقِذِي
 وَإِنِّي لَكِنِّي بِخَيْرِ الذُّلُوبِ غَرِيقُ
 عَلَيْكَ مَدَى^(٢) الْأَحْيَانِ تَهْلُ أَدْمَعِي
 وَفِيكَ وَإِنْ أُبْدِيتُ مَا زَالَ مَطْعَمِي
 شَفِيعِي حَقِّي لِلنَّبِيِّ الْمَرْفَعِ
 وَهَلْ تُعْرِقُنِ النَّارُ قَلْبِي وَأَضْلَعِي
 وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي وَأَنْتَ رَفِيقُ

فَنَأْوُكَ رَيْحَانِي وَمِسْكِي وَمَسْدَلِي
عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ كُلُّ مُعْوَلِي
حَنَانِيكَ لِلْقَلْبِ الْمُتَمِّمِ فَأَبْذُلُ
فَسَمِّ فِيهِ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ وَرَبِّكَ بِالْوَعْدِ الْكَرِيمِ حَقِيقُ
قُلْتُ : وَلنَجعل آخر ما أوردنا ^(١) من أمداحه النبوية قوله :

من نظمه في
مدح النبي

تَرَكْتُ امْتِدَاحَ الْعَالَمِينَ وَلَدْتُ مِنْ مَدَامِحِ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْمَرْوَةِ الْوُثْقَى
سَأَجْعَلُهَا كَهَنِي وَحِصْنِي وَمَلْجَأِي أَعْلَى بِالْأَمْدَاحِ أَشْتَوْجِبُ الْعِثْقَا
نَسْأَلُ اللَّهَ ، بِجَاهِ هَذَا النَّبِيِّ الشَّرِيفِ الْقَدَرِ ، الْعَظِيمِ الْمَرْيَةِ ، أَنْ يُفَتِّنَنَا
مِنَ النَّارِ ، وَيُخْرِجَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ كُلِّ مَصِيبَةٍ وَرَزِيَّةٍ ، وَأَنْ يُسَهِّلَ
عَلَيْنَا زِيَارَتَهُ الْعَظِيمَةَ الْبَرَكَاتِ ، وَأَنْ يُلْطَفَ بِنَا فِي السَّكَنَاتِ وَالْعَرَكَاتِ .

وقد عَنَّا لِي لَمَّا ذَكَرْتُ كَلَامَ ابْنِ خَلْدُونَ فِي الْمَوْشَعَاتِ أَنْ أَذْكَرَ كَلَامَ
الإمام ابن خاتمة .

لابن خاتمة في
الموشعات

[٢٩٧]

قال رحمه الله تعالى في كتابه « مَرْيَةُ الْمَرْيَةِ » في باب محمد ، ما نصه :
« مُحَمَّدٌ ^(٢) بِنُ عُبَادَةَ ، يَكْنَى أَبَا بَكْرٍ ، وَيُعْرَفُ بِالْقَرَّازِ ، وَأَحْسِبُهُ مِنْ أَهْلِ
مَالَقَةِ ، كَانَ مِنْ صُدُورِ الْأَدْبَاءِ ، وَمَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ الْأَلْبَاءِ ؛ وَبِمَنْ لَهُ بَاعٌ فَسِيحٌ ،
فِي طَرِيقَةِ التَّوَشِيحِ ؛ حَتَّى طَارَ اسْمُهُ فِيهَا كُلِّ مَطَارٍ ، وَاشْتَهَرَ بِهَا نَظْمُهُ أَيْ
اشْتَهَارَ . وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مَخْتَرَعَاتِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَمُمْتَدَّعَاتِهِمُ الْآخِذَةُ

(١) في ط : « أوردناه » .

(٢) انظر ترجمة محمد بن عبادة هذا في القسم الثاني من الدخيرة لابن بسام .

بالأنفس ؛ هم الذين نهجوا^(١) سبيلها ، ووضعوا محصوها .

قال أبو الحسن بن بكّام : وأول [من صنع أوزان هذه الموشحات بأقننا ، واخترع طريقها]^(٢) ، فيا بلغني ، محمد بن محمود^(٣) القُبَيْرِيّ الفَرِير ، وكان يصنعها^(٤) على أغاريض أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأغاريض المهملة ، غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي أو العَجَمِيّ ، يسميه المرّ كَرّ ، ويضع عليه الموشحة ، من غير تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن أبا عمر أحمد بن عبد ربّه ، صاحب كتاب « العقد » هو أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات .

وحكي للكاتب أبو الحسن علي بن سعيد القنسي في كتابه « المُتَعَلَّف من أزهار العُرف » : أن الحِجَارِيّ ذَكَر في كتابه « المُشَبَّه في غرائب اللُغَب » أن المخترع لها بجزيرة الأندلس المُقَدِّم بن مُعَاثِي^(٥) القُبَيْرِيّ ، من شعراء الأمير عبد الله المرواني ، وأخذ عنه أبو عمر بن عبد ربّه ، صاحب « العقد » ، ثم غلبهما عليه المتأخرون . وأول من برع فيه منهم عبادة بن القَزَّاز ، شاعر المعتصم صاحب المَعرِيّة .

قال الأستاذ أبو الحسن علي بن سعد الخير البَلَكَنَسِيّ في كتابه : « نُزْهَة الأَنْفُس ، وروضة النَّفْس » ، في توشيح أهل الأندلس « ضمنه عشرين وشاحا ، على طريقاتهم في الإجابة والإحسان :

العباديون ثلاثة : ابن ماء السماء ؛ وهو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة

(١) في م : « نهجوا » .

(٢) مكان ما بين القوسين في الأصلين : « وأول من اخترعها » وما أتبعناه من التفسير لابن سبّام ، طبعة الجامعة المصرية (ج ٢ ص ١) .

(٣) في النسخة : « حود » .

(٤) في م : « يصنعها » .

(٥) في الأصلين هنا : « المقدم أبو معاذ » .

[٣٩٨] ابن ماء السماء بن أفلح بن الحسين بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، من أهل مائقة. وعبادة بن محمد بن عبادة الأقرع، ومحمد بن عبادة القرأز هذا.

قال الأستاذ أبو جعفر: وكان محمد بن عبادة من شعراء المعتصم، فوشحه منها بكل دُرٍّ مُنتظم، وعقد بمعنى البلاغة والبراعة مُلتَمِّم. ومن أظرف ما وقع له في اللديح من التوشيح، موشحته التي أولها:

كَمْ فِي الْقُدُودِ اللَّيْلَانِ تَحْتَ اللَّيْلِ مِنْ أَقْمَرِ عَوَاطِي
وَمِنْ أَظْرَفِ مَارِقِعٍ لَهُ فِي خِلَالِهَا مِنْ حَسَنِ الْإِلْتِمَامِ، ومهولة النظام، ما يندُر وجود مثله في منشور الكلام، وذلك في أحد مرأكرها حيث يقول:

لَمَّا غَزَا قَادِرًا أَضْحَى قَلِيلٌ ^(١) الْمَعْدَلَةُ
يَا حَاكِمًا حَاتِرًا قَتَلْتَ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

سَطَوْتَ بِالْهَيْمَانِ ^(٢) ظُلُمًا وَلَمْ تَسْتَبِيرِ يَا سَاطِي
خَفَّ سَطْوَةُ الرَّحْمَنِ إِذَا حَكَمَ بَيْنَ الْبَرِيِّ وَالْخَاطِي

ويخرج في هذه الموشحة على قوله:

مَا أَمْلَحَ الْهَيْمَانُ وَقَلَّ يَنْبُ كَالْعَنْبَرِ لِلسَّوَاتِي
وَالْقُلُكُ كَالْعِقَابِ وَالْعَتِصِمُ بِالْمُسْكِرِ فِي الشَّاطِي

ثم قال ابن خاتمة: «ومن شعره ما أنشده الأديب أبو أحمد، جعفر بن إبراهيم ابن الحاجِّ اللعافري في كتابه «محك» ^(٣) الشعر» ونسبه إليه:

(١) فيما مر من عبارة ابن سعيد «... عبادة بن القزاز». وفيها غل عن ابن خلدون

في هذا الجزء (ص ٢٠٧): «عبادة القزاز».

(٢) في ط «مزيز»، وهي بمعناها.

(٣) في ط: «بالهيمان».

(٤) في م: «مجد».

أَوْ دَعِ نَوَادِي حُرُكَ أَوْ دَعِ ذَانِكَ تَرَدَى أَنْتَ فِي أَضْلَعِي
وَأَزِمِ سِهَامَ اللَّحْظِ أَوْ كُفِّهَا أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابُ مَعِي
مَوْقِعَهَا قَلْبِي وَأَنْتَ الَّذِي مَسْكِنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ
وله رحمه الله :

[٢٩٩] أُتَقَرُّ إِلَى الْبَدْرِ الَّذِي لَاحَ لَكَ فِي وَسْطِ اللَّجَةِ تَحْتَ الْعَلَاكَ
قَدْ جَعَلَ الْبَحْرَ سَهَاءً لَهُ وَاتَّخَذَ الْفُلُكَ مَكَانَ الْفُلَاكَ

وحضر مجلس المعتصم ابن مباح وبين أيديهم ورد مصبوب ، فبرز من داخل ورده منها الحيوان الأخضر ، الموجود في الورد ، وتسميه العرب الفيقزان^(١) فقال له المعتصم : صفه ، فقال :

وَأَخْضَرَ حَمَادِي^(٢) فِي الْوَرْدِ لَأْمَحُ عَلَى صَفْحِ وَرْدٍ حُسْنُهُ مُتَنَاهِي
كَمَا أَخَذْتُ حُسْنَاهُ فَمَنْ زُمُرِدُ بِصُفْرَةٍ مِسْوَائِكَ وَخُمْرٍ شِفَاهُ
وكتب يوما إلى المعتصم وقد تأخرت صلات شعرانه :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَارَ الْعُلَا مَعْنُ أَبَوْهُ وَخَالَهُ الْمَنْصُورُ
بِفَنَاءِ قَصْرِكَ عُصْبَةُ أَدْبِيَّةُ لَا زَالَ وَهُوَ بِشَمْلِهِمْ مَعْمُورُ
زَفُوا إِلَيْكَ بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ وَاسْتَبَطُّوكَ فَهَمْ لَهُنَّ قُصُورُ

انتهى كلام ابن خاتمة ، رحمه الله تعالى :

(١) كذا في ط . وفي م : « الفيقزان » . ولم نجد في المعاجم اسم دوية تكون في الورد بأحد هذين المعطين . ووجدنا لفظة « قنبان » اسمًا لدوية كالخنفساء ، تكون في النبات .

(٢) كذا في ط . وفي م : « حمادي » . والمعنى غير ظاهر على الروايتين .

رجع

وحيث انتهينا إلى هذا المقدار ، من الخروج عن أصل الترجمة ، فَلْيَنْتِ
العنان إلى ما أُلْمنا به أولاً من ذكر سَبْتَةِ . أعادها الله ، فنقول :

إن بعض الفقهاء يذكر في شأن سَبْتَةِ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اختلف الناس في أمره ، وقد حَدَّثَ به الفقيه أبو عبد الله محمد [بن محمد] ^(١) ابن يحيى السراج ، عن جده العلامة أبي زكريا السراج ، قال أخبرنا أبو البركات محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إبراهيم بن أحمد الغافقي ^(٢) ، حدثنا ^(٣) محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي ، حدثنا محمد ^(٤) بن حسن بن عطية ، هو ابن غازي ، حدثنا أبو الفضل عياض ، [حدثنا] ^(٥) أحمد بن قاسم أبو العباس الصنهاجي ، شيخ لا بأس به ، أنبأنا أبو علي بن خالد ، وأبو عبد الله محمد بن عيسى ، قالوا [حدثنا] ^(٦) أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ ، [حدثنا] ^(٧)

بعض ما ورد
من الأثر في
سبته

وهب بن ميسرة ، عن محمد بن وضاح ، عن سُحُنُون ، عن ابن القاسم ، عن [١٠٠] مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

« مَدِينَةُ الْمَغْرِبِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهَا عَلَى مَجْمَعِ بَحْرَيْنِ الْمَغْرِبِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بَنَاهَا سَبْتُ بْنُ سَامَ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ ، فَهِيَ سَبْتَةٌ ، وَدَعَا لَهَا بِالْبِرْكَةِ وَالنَّصْرِ ، فَلَا يَرِيدُ أَحَدٌ بِهَا سِوَا إِلَّا رَدَّ اللَّهُ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَيْهِ » .

(١) التكملة عن م .

(٢) في م : « الشافعي » .

(٣) في ط : « ابن » مكان قوله حدثنا . والتصويب عن م .

(٤) في ط : « بن عمر » مكان قوله : « حدثنا محمد » :

هكذا ذكره الشيخ الإمام الحافظ ، سيدى أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم الربانى ، سيدى الحسن بن مخلوف التلّسانى — رحمه الله — فى شرحه للشفاء ، وزواه عن شيوخه أبى عبد الله السراج المذكور ، بالسند المذكور ، وقال إثره : **تَرَدَّدَ رَأَى الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، فِي الْفُتُيَّةِ^(١) : «أَنَا بَرَاءٌ^(٢) مِنْ عَهْدَةِ هَذَا الْحَدِيثِ» .** وفيه : **«هذا حديث موضوع . وابن الشيخ لا يُتِّهِمُ ، ولا أدرى من [أين] ^(٣) دخل عليه^(٤) هذا» .** وفى المدارك^(٥) : **«هو حديث رواه ابن الشيخ عن وهب بن ميسرة ، رفعه إلى مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر : أَنَّ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ ، عَلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ، مَدِينَةٌ تَسْمَى سَبْتَةَ ، أَسْمَاهَا رَجُلٌ صَالِحٌ اسْمُهُ سَبْتٌ ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ ، وَدَعَا لَهَا بِالْقَصْرِ وَالْقَافِرِ ، فَمَا رَامَهَا أَحَدٌ بِسَوْءٍ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ بِأَسْءِ عَلَيْهِ» .**

وذكر أشياء على من راعها بسوء ، ثم قال : وهذا كله يصدق هذا الحديث . انتهى .

وكانت سَبْتَةَ مَطْمَحَ هِمِّ ملوك العُدَوَتَيْنِ ، وقد كان للناصر للروائى صاحب الأندلس عنايةً واهتمامً بدخولها فى إبلاته ، حتى حصل له ذلك ، ومنها مَلَكَ الْمَغْرِبِ ، حَسْبُهَا هو مذكور فى أخباره ، وكان تَمَلُّكُهُ إياها سنة تسع عشرة وثلاث مِئَةٍ ، وبها اشتدَّ سُلْطَانُهُ ، وملك البحرَ بَعْدَوْتِيهِ ، وصار للجَازِ فى يده ، وَتَوَطَّدَتْ طَاعَتُهُ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِ ، وكان أولَ من سما إلى ذلك من أملاك [٤٠١]

(١) الفُتُيَّةُ : كتاب لعياض ، وقد سبقت إشارة المؤلف إليه فى مقدمة الجزء الأول وسيأتى الكلام عليه عند ذكر مؤلفات عياض .

(٢) كذا فى ط . وفى م : «أبرأ» .

(٣) الكلمة عن م . (٤) فى ط : «عليهم» .

(٥) كذا فى م . يريد كتاب المدارك لعياض . وفى ط : «المذكور» . وهو تحريف .

الأندلس ، منذ سكنتها الإسلام ، فاستظهر بها على أسرها ، وخلّفها ^(١) ميراثاً لمن بعده من ولاء الأندلس ، وأكرم وجوه أهل سبّته الذين جنّحوا إلى طاعته ، ورفع منازلهم ، وقضى حوائجهم ، ووَصَلهم ، وخلع عليهم وعلى قاضيهـم حُسْن ابن فتح .

والناصر أول من تسمّى بأمر المؤمنين من بَنى أُمّية بالأندلس ، لأن الدولة عظمت في أيامه ، حين اختلّ ^(٢) نظام ملك العباسيين بالشرق ، وتغلّبت عليه الأعاجم ، ولم يتّسم أحد من سلفه ^(٣) بالأندلس إلا بالأمير . وكان مُلكه بالأندلس في غاية ما يكون من الضخامة ^(٤) ورفعة الشأن ، وهادئة الروم ، وأزدلت إليه ، تطلب مُهادنته ومُتاحتته بمُظيم الدخائر ، ولم تبقَ أُمَّةٌ سمِعت به من ملوك الروم والإفرنجية والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجرت إِيّاه ، أو وفدت خاضعة راجبة ، وانصرفت عنه راضية . وقد سرّد الإمام ابن حَيّان من ذلك في تاريخه الكبير ما هو معلوم ، وذكر هو وغيره أن صاحب مدينة القُسْطَنْطِينِيَّة العُظمى هاداه ، ورغب في مُوادعته .

خليفة الناصر

وكان وُصُول أُرْسَالِ صاحب القُسْطَنْطِينِيَّة عظيم الروم قُسْطَنْطِين بن ليون في شهر صفر سنة ثمان وثلاثين ^(٥) وثلاث مئة ، وتأهب الناصر لورودهم ، وأمر أن يُتْلَقُوا أعظم تَلَقٍّ وأنفخه ، وأحسن قبول وأكرمه ، وأخرج إلى لقائهم بِيَجَانة يحيى بن محمد بن اللَّيث وغيره ، لخدمة أسباب الطريق ، فلما صاروا بأقرب الحلات من قرطبة ، خرج إلى إيقائهم القواد ، في المدد والعُدّة

رسل ملك
الروم إليه

(١) في ط : « وخلاها » . (٢) في ط : « اختلط » .

(٣) في ط : « ممن سلف » . (٤) في ط : « الضخامة » .

(٥) كذا في م ونفع الطيب ، وفيه أيضاً مقلا عن ابن خلدون ، أنها كانت سنة ست وثلاثين ، ولم يرجع المؤلف لإحدى الروايتين . وفي ط : « ثلاث وثلاثين » .

والتعبيية ، فتلَقَّوْهُمُ قائداً بعد قائد ، وكَمَّلَ اختصاصهم بعد ذلك بأن أخرج إليهم الفتيتين الكبيرتين الخصيتين : يأسرا وتَمَّا ، إبلاغاً في الاحتفاء بهن ، فلقينهم بعد القواد ، فاستبان لهن بخروج الفتيتين إليهم بسطُ الناصر وإكرامه ^(١) ، وأنزلوا بمُنْيَةٍ ولَى العهدَ الحَكَمَ ، المنسوبة إلى نُصَيْر ^(٢) ، بعددِ قُرْطُبَةٍ في الرِّبَضِ ، ومنَعُوا وحُجُوا من لقاء الخاصة والعامة ، ومُلابسة الناس مُجَلَّةً ، ورُتَّبَ لحجابتهم رجالٌ تُخَيِّرُوا من الموالى ووجوه الحشم ^(٣) ، فَنُصِّرُوا على باب قصر هذه المُنْيَةِ ستة عشر رجلاً ، لأربع دُول ، لكل دولة أربعة منهم ، ورحل الناصر لدين الله من قَصْرِ الزَّهْرَاءِ إلى قصر قُرْطُبَةٍ ، لدخول وفود الروم عليه ، فقَعَدَ لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، من السنة المذكورة ، في بهو المجلس الزاهر ، قُعوداً حَسَنًا نبيلًا ؛ فقَعَدَ عن يمينه من بنيه ، ولَى العهدَ الحَكَمَ ، ثم عبد الله ، ثم عبد العزيز ، ثم الأصمغ ، ثم مروان ؛ وقَعَدَ عن يساره المنذر ، ثم عبد الجبار ، ثم سايان ؛ وتَخَافَ عبد الملك ، لأنه كان عليلاً لم يَطْلُقَ الحضور ؛ وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً ، ووقف الحُجَّاب من أهل الخِدْمَةِ من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم ، وقد بسط صحن الدار أجمع بعناق البُسْطِ وكرائم الدَّرَانِكِ ^(٤) ، وظَلَّتْ أبواب الدار وحناياها بِظُلْلِ الدِّيْبَاجِ ورَفِيعِ الشُّبُورِ ، فوصل [رُسل] ^(٥) ملك الروم حائرين عما ^(٦) رأوه

(١) ذكر المurray بعد هذا في النفع هذه العبارة : « لأن الفتيتين حيثنهم عظام الدولة ، لأنهم أصحاب الخالوة مع الزاهر وحرمة ، ويخدم القصر السلطان » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي م « نصر » . وفي ط « نصر » .

(٣) في ط : « المشيخة » .

(٤) الدرامك : ضروب من البسط .

(٥) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٦) في ط : « حائرين لثمة ما رأوه » . وفي م : « حائرين لثمة ما رأوه » . وما

أُتِيْنَاهُ عن نفع الطيب .

من بهجة الملك ، وفخامة السلطان ، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية ، وهو في رَقٍّ مَصْبُوغ لوناً سماوياً ، ومكتوب بالذهب بالخط الإغريقي ، وداخل الكتاب مُدْرَجَةٌ مصبوعة أيضاً ، مكتوبة بِفِصَّةٍ بخط إغريقي أيضاً ، فيها وصف هديته التي أرسل بها وعدّها ، وعلى الكتاب طابع ذهب ، وزنه أربعة مثاقيل ، على الوجه الواحد منه صورة المسيح ، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة [٤٠٣] ولده . وكان الكتاب بداخل دُرْجٍ فِصَّةٍ منقوش ، عليه غطاء ذهب ، فيه صورة قسطنطين الملك ، مغمولة من الزجاج الملون البديع ، وكان الدُرْج داخل جَعِيَّة^(١) مُلبَّسة بالدِّيَّاج ، وكان في تَرْجَمَةِ عُنْوَانِ الكتاب في سَطْر منه :

« قُسْطَنْطِينَ وَرُومَانُس^(٢) ، الْمُؤْمِنَانِ بِالْمَسِيحِ ، الْمَلِكَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ ، مَلِكَا الرُّومِ » .

وفي سطر آخر :

« الْعَظِيمِ الْإِسْتَحْقَاقِ لِلْفَخْرِ ، الشَّرِيفِ النَّسَبِ ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ عَلَى الْعَرَبِ بِالْأَنْدَلُسِ ، أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَقَاءَهُ » .

وفي خمس بقين منه نُقِلَ هُؤُلَاءِ الرُّسُلُ مِنْ مَنْزِلِهِمْ بِمَنْيَةِ نُصَيْرٍ^(٣) بِالرَّبَّضِ ، إِلَى دَارِ إِبْرَاهِيمَ الْقَتِي ، بِدَاخِلِ قُرْطُبَةٍ .

وفي آخر هذا الشهر أعاد الناصر لدين الله التَّعُودَ الثَّانِي لِرُسُلِ مَلِكِ الرُّومِ ، بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ ، فَاحْتَفَلَ لِلْمَلِكِ أَيْضاً ، وَاسْتَكْمَلَ لَهُ الْأَهْبَةَ ، وَبَالَغَ فِي الزَّيْنَةِ ، وَقَعَدَ عَلَى بَابِ السُّدَّةِ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ ، مَعَ مَنْ ضُمَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُرَفَاءِ وَالشُّرَطِ وَالْحَرَسِ ، وَهُمْ صَفُوفٌ قِيَامٌ ، وَقَامَ مَعَ سُورِ التَّصَرُّعِ رِمَاطٌ مِنَ اللُّوَالِي ، فِي

(١) كَذَا فِي ط وَنَحِ الطَّبِيبِ . وَفِي م : « جَفَنَةٌ » .

(٢) كَذَا فِي إِحْدَى رِوَايَاتِ نَفِيعِ الطَّبِيبِ (طَبِيعَةُ أُورِيَّة) . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْإِسْمُ مُضْطَرَباً

فِي الْأَصْلَيْنِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمُرَاجِعِ ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٣) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ (٣) صَفْحَةَ (٢٥٧) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

الملابس الحصان والسلاح الشاك، وألزم^(١) الفضلان^(٢) كلها مجلًا من العبيد والحشم والبوابين وغيرهم، في أشكل زبيهم.

ثم أعاد القعود لهم بالزهراء، وهذا^(٣) القعود الثالث، كان يوم الخميس ثلاث بقين منه، على ما تقدم في^(٤) الأبهة والاحتفال في الزينة.

وفي النصف من جمادى الأولى منها أدخل الناصر لدين الله هؤلاء الرسل على نفسه، في مجلس خاص، قعد لهم فيه بقصر الزهراء، في المجلس المشرف على الرياض، فلما خرجوا من عنده، أدخلوا في^(٥) ديار الصناعات والمعدة بأكناف الزهراء ودار السكة، وطيف بهم بأرجائها، ثم صُرفوا إلى دار تزولهم، فاتصل مقامهم بقرطبة في كرامة موصولة، وعطايا متوالية، إلى أن كملت الهدية التي كوفي بها الطاغية رؤسائهم، وأسلمت إليهم، مع أجوابتهم، وأُسرُوا بالرحيل.

وجلس لهم الناصر لدين الله في النصف من شوال من السنة بعدها، فدخلوا اللوداع، وجددت لهم الخلع، وانطلقوا السبيلهم، متمججين مآرأوا من عز الإسلام. وفي سنة سبع وعشرين وثلاث مئة، اثمان خلون من شهر جمادى الأولى، وردت على الناصر لدين الله هدية وزيره أحمد بن عبد الملك بن شهيد، المغليمة الشأن، التي اشتهر ذكرها إلى الآن، ووقع الإجماع على أنه لم يهاد أحد من ملوك الأندلس بمثالها، فأعجبت الناصر وأهل مملكته جميعاً، وأقروا أن نفساً

(١) كذا في م. وفي ط: «والروم». ولا يستقيم بها الكلام.

(٢) الفضلان، كما في كتب اللغة: جمع فضيل، وهو خائن قصير دون الحصن أو دون سور البلد. وقد توسع الفارابي في استعماله، فأطلقوه على ما تسميه «الجنح» وهو القسم المتقل من بناء يجمع عدة أقدام. وسترده هذه الكلمة بهذا المعنى بعد قليل في هذا الجزء.

(٣) في ط: «وهو».

(٤) في م: «من».

(٥) زادت م هنا: «رياض».

لم تسمح بإخراج مثلها ضربة عن^(١) يدها ، وكتب مع هديته هذه رسالة حسنة ، بالاعتراف للناصر لدين الله بالنعمة ، والشكر عليها ، استحسناها الناس وكتبوها . وزاد الناصر وزيره هذا حُظوة واختصاصاً ، وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعاً ، فأضعف له رِزق الوزارة ، وبلغه ثمانين ديناراً في الشهر ، وبلغ مصروفه إلى ألف دينار في السنة^(٢) ، وكُنِيَ له العظمة ، لتثنيته له الرزق ، فمياه ذا الوزارةين لذلك ، وكان أول من سُمِّي بذلك بالأندلس ، امثالاً لاسم صاعد بن محمد الوزير ، وزير بني العباس ببغداد . وأمر بتصدير فراشه في البيت ، وتقديم اسمه في زمام^(٣) الارتزاق في أول التسمية ، فمُعظم مقداره في الدولة جيداً .

وتفسير هديته هذه ، على ما ثبت في كتابه للناصر : وذلك من المال القين خمس مئة ألف دينار ؛ من العود المرتفع أربع مئة رطل ، منها في قطعة [٤٠٠] واحدة مئة وثمانون رطلاً ؛ ومن المسك الذي المفضل في جنسه مئتا أوقية واثنان عشرة أوقية ؛ ومن العنبر الأشهب الذي بقي على خلقته ولم تدخله صناعة مئة أوقية . منها قطعة بحبيبة الشكل أربعون أوقية ؛ ومن السكافور المرتفع النقي الذي ثلاث مئة أوقية ؛ ومن أنواع الثياب ثلاثون شقة ، وبقج^(٤) خاصية للباسه ، بيضا وملونة ، وخمس ظواهر شعبيية^(٥) خاصية له ، وعشرة فراء من عالي الفئك ، منها سبعة بيض خُرَاسانية ، وثلاثة ملونة ، وستة مطارف عراقية خاصية له ، وثمانى وأربعون ملحفة زهرية لسكسوته ، ومئة ملحفة زهرية

(١) في م والفتح طمة أوربة : « على » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « وبلغه ثمانين ألف دينار في السنة » ، وبس هذه العبارة

في جميع نسخ الفتح التي تحت أيدينا : « وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية » ، وبلغ معروته إل ألف دينار . (٣) في فتح الطيب : « في دفتر » .

(٤) كذا في ط . وفي م : « فتح » . وفي جميع نسخ فتح الطيب : « خنج » ،

ولعله عرف عما أثبتناه . (٥) كذا في الأصلين وفتح الطيب .

لرقاده ، وعشرة قناطير شُدَّ فيها مئة جلد سمُور ، وأربعة آلاف رطل من
الحرير المنزول ، وألف رطل من لون الحرير ، قبض جميع ذلك صاحب الطراز ،
وثلاثون بساطاً من صوف مختلفة الصناعات ، طول كل بساط منها عشرون
ذراعاً ، ومئة مُصَيِّلٍ من وجوه الفُرُش المختلفة الصناعات ، من جنس البُسُط ،
 وخمسة عشر نِخاً^(١) من عمل الخز المقطوع تَطَرُّها ، وسائرُها من جنس البُسُط
الوجوه ؛ ومن السلاح والمُدَّة مئة تَجَفَّاف^(٢) ، بأبدع الصناعات^(٣) وأغربها
وأكملها ، وألف تُرس سلطانية ، ومئة ألف سهم ؛ ومن الخيل مئة فرس ، منها
من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرساً ، وخمسة من عُرُض هذه
الخيال مسرجة ملبجة ، لمراكب الخلافة ، مجالس^(٤) سروجها خز عراقي ، وثمانون
فرساً مما يصلح للوُصُفَاء والحَشَم ، وخمسة أبقل عالية الركاب ، وأربعون وصيفاً ،
وعشرون جارية من مُتَخَيَّر الرقيق ، بكسوتهم وجميع آلاتهم .

وفي الكتاب : كان قد أمرني أيده الله بأبتياعهم من مال الأخماس
قبيل^(٥) ، فأنشعهم من نعمته عندي ، وصيرتهم من بيتي^(٦) ، ومع ذلك عشرة
قناطير سُكَّر طَبَّرَزْد ، لا سُحاق^(٧) فيه . [٤٠٦]

وفي آخر الكتاب : ولما علمت تطلع مولاي — أيده الله تعالى —
إلى قرية كذا بالعقبانية^(٧) المنقطعة الفُرس في شَرَفها ، وترداده — أيده الله

(١) في الأصلين والنسخ المخطوط « نوحا » . وفي النسخ المطبوع « نحاخا » ، والسكامة
عرفة مما أنبتاه .

(٢) التجعاف (بالسكسر) : آلة للحرب ، يليسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب .

(٣) كذا في ط ونسخ الطيب . وفي م : « الصباغات » .

(٤) كذا في جميع نسخ نفع الطيب . وفي الأصلين : « ملابس » .

(٥) في ط : « وبيتى » .

(٦) يريد بالسحاق (السكر الناعم) . ولم نجد هذه السكامة في معاجم اللغة .

(٧) كذا في الأصلين . وفي نسخ الطيب طبعة أوربة : « القبتانية » . وفي النسخ
المخطوط وطبعة القاهرة : « القبتانية » .

تعالى — لذكرها ، لم أهنأ بميش حتى أعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها ، وأكثبت وكيله ابن بقتية الوثيقة فيها باسمه ، وضممتها إلى ضياعه ، وكذلك صنعت في قرية شيرة من نَقَلَر^(١) جَيَّان ، عندما اتصل بي من وصفه لها ، وتطلعه إليها ، فازلت أتصدى لمسرته بها ، حتى ابتعتها الآن بأحوازها ، وجميع منازلها وربوعها^(٢) ، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقتية ، وصار في يده له أبقاه الله سبحانه ، وأرجو أنه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف أمداد من الأطمعة إن شاء الله تعالى . ولما علمت نافذ عزمه — أبقاه الله تعالى — في البُنَيان ، وكلفه به ، وفكرت في عدد الأماكن التي تَطْلَعُ نفسه السكريمة إلى تغليد آتاره في بنياتها ، مذل الله في عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله ، علمت أن أسسه وقوامه الصخر ، والاستكثار منه ، فأثارت لي همي ونصيحتي حكمة حيلة أحكمها سعدك وجدك ، اللذان يمشان ما لا يتوهم علمه ، حيلة أقيم لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاما ، وينتهي تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفا ، أعجل شأنه في عام ، سوى التوفير العظيم الذي يبديه العيان ، إن شاء الله تعالى ؛ وكذلك ما ثاب إلي في أمر الخشب لهذه المثنية السكرمة ، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج إليه ، ثلاث مئة ألف عود ، وتيف على عشرين ألف عود ، على أنه لا يدخل منه في السنة إلا نحو الألفي عود ، ففتح لي سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هذه الخشب العام على كماله ، بورود الجلبية لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الحسنيين ألفا إلى الستين^(٣) ألفا .

[٤٠٧]

(١) كذا في جميع نسخ نصح الطيب . وفي الأصلين : « قطر » .

(٢) في الأصلين : « وزروعها » . وما أجتناه عن نصح الطيب .

(٣) كذا في ط . وفي م والفتح : « والستين » .

اتمى ما بعث به الوزير ابن شهيد مَخَصَّصاً^(١) .

ومن غريب ما يحكى أن أمير المؤمنين أراد القصد ، فقعده في البهو بالجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء ، واستدعى الطيب لذلك ، وأخذ الطيب للْبَصْع ، وجَسَّ عَصْدُ^(٢) الناصر ، فبينما هو كذلك إذ أطلَّ زُرُور ، فصعد على إناء ذهب بالجلس ، وأنشد :

أَيُّهَا الْقَاصِدُ رِقَّتَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّمَا تَقْصِدُ عِرْقًا فِيهِ نَحْيَا الْعَالَمِينَ

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة ، فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف ، ومُرَّ به غاية السرور ، وسأل عن اهتدى إلى ذلك وعَلِمَ الزُّرُور ، فذكر له أن السيدة الكبرى مَرَّجَانة ، أم ولده ولّى عهده الحكم المستنصر بالله ، صنعت ذلك ، وأعدته لذلك الأمر ؛ فوهب لها ما يُبْتَغَى على ثلاثين ألف دينار .

والناصر المذكور هو الباقي لمدينة الزهراء العظيمة للقدار . وكان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حُذِّقَ الْقَعْلَةَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ نَسَمَةٍ ، منها ثلاث مئة بَنَاء ، ومِئَتَا نَحْجَار ، وخمس مئة من الأجرَاء وسائر أهل الصنائع ، فاستتم بِنْيَانُهُ وإِتْقَانُهُ في مدة ثمانية وأربعين يوما ، وجاء في غاية الإتقان ، من خمسة أهباء بحبيبة الصنعة . وطوله من القبلة إلى الجوف ، حاشى المقصورة ، ثلاثون ذراعا ، وعَرْضُ الْبَهْوِ الْأَوْسَطِ مِنْ أَهْبَائِهِ ، من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعا ، وعَرْضُ كُلِّ بَهْوٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ الْمُسْتَكْتَفَةِ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ ذراعا ، وطول

(١) ورد الخبر عن هدية ابن شهيد لأمير المؤمنين في نفع الطيب تملأ عن تاريخي ابن خلدون وابن الفرضي ، مرجع إليه .

(٢) في م ونفع الطيب : « يد » .

الناصر وقد
أراد القصد
يوما

بناء الناصر
جامع الزهراء

صحنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاث وأربعون ذراعاً ، وعرضه من الشرق إلى الغرب إحدى وأربعون ذراعاً ، وجميعه مفروش بالرخام الخمرى ؛ وفي وسطه قوارة يجرى فيها الماء ؛ فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف — سوى المحراب — سبع وتسعون ذراعاً ، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسع وخمسون ذراعاً ، وطول صومته في الهواء أربعون ذراعاً ، وعرضها عشر أذرع في مثلها .

وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد ، فصنع في نهاية من الحسن ، ووضع في مكانه منه ، وحطرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة . وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند إكحاله ، وذلك يوم الخميس لسبع بقرين من شعبان من سنة تسع وعشرين وثلاث مئة .

بناؤه القناء

وكان في صدر هذه السنة كمل الناصر بُنيان القناء الغربية الصنعة ، التي أُجْرِىَ فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربى قرطبة ، في المظاهر المهندسة ، وعلى الحذايا المعقودة ، يجري ماؤها بتدبير عجيب ، وصنعة غريبة محكمة ، إلى بركة عظيمة ، عليها أسد عظيم الصورة ، بديع الصنعة ، شديد الروعة ، لم يشاهد أوفى منه ولا أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر ، مطلى بذهب إبريز ، وعينه جوهرتان ، لها وميض شديد . يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد ، فيمجه في تلك البركة من فيه ، فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره ، وتُحاجَّةُ^(١) صَبَّه ؛ فتنسَّقَى من مُجَاجِه جنان هذا القصر على سمعته ، ويستفيض على ساحاته وجنَّياته ، ويمدُّ النهر الأعظم بما فضل منه ، فكانت هذه القناء وبركتها ، والمثال الذهب الذي يصب فيها ، من أعظم آثار الملوك في

(١) لم نجد هذه الكلمة من مصادر : نبح الماء ، بمعنى الصب .

غابر الدهر ، لبعد مسافتها ، واختلاف مسالكها ، ونفامة بنياتها ، وسمو أبراجها ، التي يترقى الماء فيها ، ويتصوّب من أعاليها .

[٤٠٩] وكان مدة العمل فيها ، من يوم ابتدئت من الجبل إلى أن وصلت [أعنى

القناة] ^(١) إلى هذه البركة ، أربعة عشر شهرا . وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي انصل واستمر ، يوم الخميس عُرة جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة ، أفضل فيها على عامة أهل مملكته ، ووصل المهندسين والقوّام بالعمل بصِلات حسنة جزيلة .

واستمر العمل في مدينة الزهراء من عام خمسة وعشرين وثلاث مئة [إلى آخر دولة الناصر وابنه الحكم ، وذلك نحو من أربعين سنة] ^(٢) .

ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما ذكرناه آنفاً ، كانت أول جماعة صُلّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة ثمان بقين من شعبان ، وكان الإمام لها فيه انقاض [أبا عبد الله] ^(٣) محمد بن عبد الله بن أبي عيسى . ومن القد صُلّي الناصر فيه الجمعة ؛ وأول خطيب خطّب به القاضي المذكور .

ولما بنى الناصر قصر الزهراء للتناهي في الجلالة والفخامة ، أطبق الناس على أنه لم يُبن مثله في الإسلام ألبتة ، وما دخل إليه أحد قط من سائر البلاد النائية ، والتَّحَلَّ المختلفة ، من ملك وارد ، ورسول وافد ، وتاجر ، وجهيد ، وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة ، إلا وكلمهم قطع أنه لم ير له شبيها ، بل لم يسمع به ، بل لم يتوهم كون مثله ، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله القاطع إلى الأندلس في تلك العصور النظر إليه ، والتحدث عنه ؛ والأخبار عن هذا تنسج جدا ، والأدلة عليه تكثر ، ولو لم يكن فيه إلا السطح الممرّد ،

(١) التكملة من نفع الطيب .

المشرق على الروضة ، المباهي بمجلس الذهب والفضة ومحائب ما تضمنته من
إتقان الصنعة ، ونغامة الهمة ، وحسن المستشرف ، وبراعة اللبس والخلة ،
ما بين مرمر مسنون ، وذهب موزون ، وعمد كأنما أفرغت في القوالب ، [٤١٠]
وتقوش كالرياح ، وبرك عظيمة محكمة الصنعة ، وحياض وتمائيل عجيبه
الأشخاص ، لا تهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ؛ فسبحان
الذي أقدر هذا الخلق الضعيف على إبداءها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة ،
كما يرى الغافلين عنه من عباده ، مثالا لما أعد لأهل السعادة في دار الإقامة ،
التي لا يتسلط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الزم ، لا إله إلا هو المفرد بالكرم .
وذكر المؤرخ أبو عمر بن حبان صاحب الشرطة ، أن مباني قصر الزهراء
اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة ، حاملة ومحمولة ،
وتكيف على ثلاث مئة سارية زائدة ؛ وفسر بعضهم هذا التكيف بثلاث عشرة ،
منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما أهدها صاحب القسطنطينية ؛ وأن
مصاريع أبوابها ، صغارها وكبارها ، كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها
ملبسة بالحديد والنحاس للموت ، والله أعلم ، فإنها كانت من أهول ما بناه
الإنس ، وأجله خطرا ، وأعظمه شأنا .

وقال بعض المؤرخين : وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى ، وسبع
مئة وخمسين فتى ، ودخالتهم^(١) من اللحم كل يوم ، حاشى أنواع الطير والحيات ،
ثلاثة عشر ألف رطل ؛ وعدة النساء بقصر الزهراء ، الصغار والكبار وخدم
الخادمة ، ستة آلاف وثلاث مئة امرأة وأربع عشرة . ورأيت في بعض الدولاب

(١) الدخلة بمعنى الراتب : لفظة أندلسية مولدة لم تذكرها المعاجم العربية ، وذكرها
دوزي في تكملة المعاجم العربية .

— وهو الصواب إن شاء الله — أن عدد المتيان الصقابة ثلاثة آلاف وسبع مئة وخمسون ، [وجعل بعضهم مكان الخمسين سبعة وثمانين ^(١)] ، وعدد النساء بقصر الزهراء مثل ما ذكرنا أولاً .

[١١١] ثم قال بإثره : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرباط للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحبّج وصنوف الطير وضروب الحيتان . والله تعالى أعلم .

وقال ابن حيان : ألفت بخط ابن دحون الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة ، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المنصرف في التبليط ، فإنه لم يدخل في هذا العدد . وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربع مئة بغل ، منها أربع مئة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرية الراتبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر ، يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال . وكان يرد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الأيام ألف ومئة حبل ^(٢) ، وكان فيها حمامان ، واحدة للقصر ، وثانية للعامة .

وذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء أنه قدّر النفقة فيها في كل عام بثلاث مئة ألف دينار ، مدة خمسة وعشرين عاماً [التي بقيت من دولة الناصر ، من حين ابتدائها ، لأنه توفي سنة خمسين ^(٣)] ، وحصل جميع الإنفاق فيها ، فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال .

(١) التسكعة عن فتح الطيب .

(٢) كذا في فتح الطيب : وفي الأصلين : « حبل » .

قال : وجلب إليها الرُّخام من قَرطاجنة وإفريقية وتونس ، وكان الذين يجلبونه عبدُ الله بن يونس عَرِيف البنائين ، وحسنٌ وعليٌّ^(١) ابنا جعفر الإسكندراني . وكان الناصر يصلهم على كل رخامة ، صغيرة أو كبيرة بعشرة دنانير .

وقال بعض المؤرخين الأثبات : كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير ، وعلى كل سارية بثمانية دنانير سجلجاسية^(٢) ، وكان عدد السَّواري الجلوبة من إفريقية ألف سارية ، وثلاث عشرة سارية ، ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية . وأهدى إليه ملك الروم مئة وأربعين سارية ، وسأثرها من [٤١٢] مقاطع الأندلس : طَرَّ كونة وغيرها ، والرُّخامة المخرَّع من رَبة ، والأبيض من غيرها ، والوردى والأخضر من إفريقية ، من كنيسة سَفَاقُس . وأما الخوض المنقوش اللُّذْهَب الغريب الشكل ، العالى القيمة ، فجلبه إليه أحمد اليوناني من القُسطنطينية ، مع ربيع الأسقف القادم من إيلياء ؛ وأما الخوض الصغير الأخضر المنقوش بتمثيل الإنسان ، فجلبه أحد من الشام ، وقيل من القُسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضا ، وقالوا إنه لا قيمة له ، لخرط غرابته وجماله ، وحمل من مكان إلى مكان ، حتى وصل في البحر ، ونصبه الناصر في بيت المنام ، في المجلس المستشرف الشرقى ، المعروف بالمؤنس ، وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر النفيس العالى ، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد إلى جانبه صورة غزال ، إلى جانبه صورة تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعُقاب ، وفي

(١) كذا في تنقيح الطيب . وفي الأصولين : « عامر » .

(٢) في ط : « سلاجسية » وفي م : « سلاجسية » . وظاهر أنها محرّتان عما أمشاه .

المُجَنَّبَتَيْنِ حَمَامَةً ، وشاهين ، وطاوس ، ودَجَاجَةً ، ودبك ، والثاني عشر^(١) لم يحضرني اسمه الآن ؛ وكل هذا من ذهب مرصع بالجواهر النفيس ، [ويخرج الماء من أفوهها]^(٢) . وكان التتوي لهذا البنيان المذكور ابنه الحَكَمُ ، لم يتكلم فيه الناصر على أمين غيره ، وكان يُخَبَّرُ في أيامه كل يوم برسم حِيتَانِ البحيرة^(٣) ثمان مِثَّةِ خُبْزَةٍ [وقيل أكثر]^(٤) ، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه^(٥) .

وكان الناصر قد قَسَمَ الجباية اثلاثا ، ثلث للجند ، وثلث للنساء ، وثلث مُدَّخَر . وكانت جباية الأندلس يومئذ من السُكُور والقُرَى خمسة آلاف ألف^(٦) ، وأربع مِثَّةِ ألف ، وثمانين ألف [دينار]^(٧) ، ومن السُّتُوق والمستخلص سبع مِثَّةِ ألف ، وخمسة وستين ألف دينار ؛ وأما أخماس الغنائم فلا يحسبها ديوان . وقيل إن مبلغ تحصيل النفقة في بُنيان الزهراء مِثَّةِ مُدَى^(٨) [١١٣] من الدراهم القاسمية ، بكييل قُرْطُبَةٍ . وقيل إن مبلغ النفقة فيها بالسكيل المذكور ثمانون مُدَاً وستة^(٩) أَقْزَةٍ ، من الدراهم المذكورة . واتصل بُنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة ، شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحَكَمُ كلها ، وكانت خمسة عشر عاما وأشهرها . فسحان الباقي بعد فناء الخلق ، لا إله إلا هو .

(١) لم يذكر المؤلف (هنا) غير عشرة ، وقد ذكرها في نفع الطب و زاد على ما ذكره

هنا : القبل ، والحداة ، والنسر .

(٢) السككة عن نفع الطيب .

(٣) في نفع الطيب : « البحيرات » .

(٤) ورد في كتاب « إعمال الأعلام » لسان الدين بن الخطيب (قسم ثان) في ترجمة

عبد الرحمن الناصر ذكر بناء الزهراء باختلاف في بعض التفاصيل .

(٥) في نفع الطيب : « خمسة آلاف ألف ألف » .

(٦) المدي : مكيال ، وهو غير المد .

(٧) في نفع الطيب : « سبعة » .

حي عن عمران
قرطبة

وكانت قرطبة إذ ذاك أم المدائن ، وقاعدة الأندلس ، وقرارة الملك . وكان عدد شُرطتها أربعة آلاف وثلاث مئة ، وكانت عِدَّة الدور التي في القصر الكبير أربع مئة دار [وثنيًا وثلاثين] ^(١) ، وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها ، الواجب على أهلها للبيت في السور ، مئة ألف دار ، وثلاثة عشر ألف دار ، حاشى دور الوزراء وأكابر الناس والبياض ^(٢) ، وعدد أرباضها ثمانية وعشرون ، وقيل أحد وعشرون ؛ ومبلغ ^(٣) المساجد بها ثلاثة آلاف وثمان مئة وسبعة وثلاثون مسجدًا ؛ وعدد الحمامات المبرزة للناس سبع مئة حمام ، وقيل ثلاث مئة ؛ ووسط الأرباض قَصْبَةٌ ^(٤) قرطبة ، التي تختص بالسور دونها . وأما البَيْتِيَّة التي كانت في القصر في المجلس البديع ، فإنها كانت من تحف ^(٥) قصر اليونانيين ، بعث بها صاحب القسطنطينية إلى الناصر مع تحف كثيرة سنية .

احتفال الناصر
لقدم ملك الروم
وطهور البلوطى
على سائر
الخطباء

وكان القاضى مُنذِرُ بن مسعيد البلوطى ممن يُسكرمه الناصر ويُجْلِّه ، وولاه قضاء جماعته ؛ وكان أول الأسباب في معرفته بالناصر ، وزلفاه لديه ، أن الناصر لما اخْتَزَلَ بالجلوس لدخول [رسل] ^(٦) ملك الروم الأعظم صاحب القسطنطينية غلبية بقصر قرطبة ، الاحتفال الذى اشتهر ذكره في الناس ، حسبما تقدم بعض [١١٤] الإلماع به ، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكُّر جلالة مقعده ، وعظيم سلطانه ، وتَصِفَ ما تهبأ له من توطيد الخلافة في دولته . وتقدَّم إلى الأمير الحكم ابنه وولى عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، ويقدمه أمام نشيد

(١) التكلفة عن فتح الطيب .

(٢) بريد بالبياض : خاصة الناس ، وهو في مقابل السواد والجمهور .

(٣) كذا في م وفتح الطيب . وفي ط : « وبلغ » .

(٤) في فتح الطيب : « حجة قرطبة التي تحيط بالسور » ، وفي العبارة تحريف ظاهر .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « فكانها كانت تحف » .

(٦) زيادة بتنضيتها السياق .

الشعراء ، فأمر الحكم صتيمة^(١) الفقيه محمد بن عبد البر الكُشَيْبَانِي بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، وكان يدعى من المقدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ؛ فلما قام بمحاول التكلم بما رآه ، بهره هول المقام ، وأبته الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غشى عليه ، وسقط إلى الأرض ؛ فقيل لأبي علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي ، صاحب الأموال والنوادر ، وهو [حينئذ] ^(٢) ضيف الخليفة ، الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبحر اللغة : قُم فارقع هذا الوهمي ؛ فقام ، فحمد الله وأثنى عليه ، بما هو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكتاً مُفَكِّراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك مُنْذِر بن سعيد ، وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء ، قام من ذاته ، [بدرجة من مرقاته] ^(٣) ، فوصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام غريب ، وفصل مصيب ^(٤) ، يَسْجُوهُ سَجَاً ^(٥) ، كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي ، فقال :

أما بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلائه ، والشكر لنعائمه ، والصلاة على محمد وصيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ؛ ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضلال ؛ وإني ^(٦) قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك [٤١٠]

(١) في ط : « صتيمة » . والتصويب عن م ونجح الطيب

(٢) التكلفة عن فتح الطيب .

(٣) مكان هذه العبارة : « وصل مصيب » في فتح الطيب : « ونادى من الإحسان في ذلك المقام كل مجيب » .

(٤) في م : « نسجه سَجَاً » .

(٥) في ط : « فقد » . وما أثبتناه عن م ونجح الطيب .

عظيم ، فأصغوا إلى مَشرِّ التَّلا بأسماعكم ، وَالْقَنُوا ^(١) عني بأفئدتكم ؛ إن من الحق أن يقال المحقق صدقت ، والمبطل كذبت ؛ وإن الجليل تعالى في سماه ، وتقدس بصفاته وأسمائه ، أمر كلمه موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى جميع أنبيائه ، أن يُذَكِّر قومه بأيام الله عز وجل عندهم ، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ وإني أذكركم بأيام الله عندهم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ، التي لَمَسَتْ شَعَثَكُمْ ، وَأُمْنَتْ سِرْبَكُمْ ، ورفعت قُوَّتَكُمْ ، بعد أن كنتم قليلا فكثركم ، ومُستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولآه الله رعايتكم ، وأسند إليه إمامتكم ، أيام ضربت الفتنة مُرادقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حَذَقَةِ البعير ^(٢) ، من ضيق الحال ، ونسكد العيش والتفتير ^(٣) ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء ، وانتقلتم بيمين سياسته إلى تمهيد [كنف] ^(٤) العافية بعد استيطان البلاء . أنشدكم بالله معاشر اللأ ، ألم تكن الدماء مسفوكة لحقها ، والشُّبُل مخوفة فأثنتها ، والأموال مُنْهَبَةٌ فأحرزها وحصنتها ، ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، ونغور المسلمين مُهْتَضِمة فخاها ونصرها ، فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلنكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشقَّ صدوركم ، وصرتم يداً على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، فأنشدكم الله ألم تكن خلافته قُفْل الفتنة بعد انطلاقتها من عقابها ، ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب [٤١٦] أحوالها ، ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد ، حتى يشره [بالقوة] ^(٥) والمهجة

(١) كذا في م . وفي ط ونجح الطيب : « وأنقروا » .

(٢) في م : « العين » .

(٣) في نفع الطيب : « التغير » .

(٤) هذه الكلمة من نفع الطيب .

والأولاد ، واعتزل النّسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدّعة وهي محبوبة ، وترك
 الرّكوب إلى الراحة وهي مطلوبة ، بطاويّة صحيحة ، وعزيمة صريحة . وصيرة
 نافذة ثابتة ، وريح هابّة غالبية ، ونُصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ،
 وجَدّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحدّلاً للنّصّب ، مستغلاً لما
 ناله في جانب الله من التعب . حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت
 شوكة الغفنة عند جدّتها ، ولم يبق لها غارب إلا جَبّه ، ولا يَجُم لأهلها قرْن إلا
 جدّه ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، ويلمّ أمير المؤمنين لشعْككم على أعدائه أعواناً ،
 حتى وازرت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب [الخيرات و] (١)
 البركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصيين والأدنيين
 مُستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍّ عميق ، وبلدٍ سحيق ، لأخذ حَبَل بيته
 وبينتكم ، جملة وتفصيلاً ، « ليقضَى اللهُ أمراً كان مَقولاً » ، ولَنْ يخلف الله
 وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة
 خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم : « وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الآية .
 وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولكلّ نَبَأٍ مُستَقَرٌّ ، ولكلّ أَجَلٍ
 كتاب ، فاحدثوا الله ، أيها الناس ، على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد
 أصبحتم في خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسّداد ، وألهمه بخالص
 التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قرّاراً ،
 وأمنهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجلهم صنماً ، لا تهاجون ولا تذاؤون ،
 وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهريون ، فاستمعينوا على صلاح أحوالكم ، بالمناخنة

لإمامكم ، والالتزام الطاعة لخليفتم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يداً من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومَرَّق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ؛ وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها [والتمسك بعروتها] ^(١) ، حفظ الأموال وحَقْن الدماء ، وصلاح الخاصة والذمماء ، وأن بقوام الطاعة تقام الحدود ، وتوَقَّى اليهود ، وبها وُصِلت الأرحام ، ووضَحَتْ الأحكام ، وبها سَدَّ اللهُ الخَلَلَ ، وأَمِنَ الشُّبْل ، وَوَقَّطَ الأَكْنَاف ، ورفع الاختلاف ، وبها طابَ لَكُمْ القَرَار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » الآية . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضُروب المُشْرِكِينَ ، وصُنُوف المُلْحِدِينَ ، الساعين في شَقِّ عَصَاكُمْ ، وتفريق مَلَكِكُمْ ، الآخذين في مخاذه ذينكم ، وهتِك حَرِيمِكُمْ ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولي هذا ، وأختم بالحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الغفور الرحيم ، فإنه خير المغافرين .

نخرج الناس يتحدثون عن حسن مقام مُنْذِر ، وثبات جنانه ، وبلاغة [٤١٨] لسانه ^(٢) . وكان الخليفة الناصر لدين الله أشدَّهم تعجباً منه ، فأقبل على ولي عهده ابنه الحَكَم يسأله عنه ، ولم يكن يُثْبِت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال له الحَكَم : هو منذر بن سعيد البَلُوطِي ^(٣) . فقال : والله ^(٤) لقد أحسن ما شاء ؛ فَكَلِّفْ كان حَبْر خطبته هذه وأعدّها ، مخافة أن يدور ما دار ، فيتلاقى الوحي ،

(١) هذه العبارة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في م وضع الطيب . وفي ط : « منطق » .

(٣) نسبة إلى خمس البلوط قرب قرطبة .

(٤) كذا في م وضع الطيب . وفي ط : « له » .

فإنه لبديع من قدرته واحتياطه ؛ ولئن كان أتى بها على البديهة لوقته ، إنه لأعجب وأعجب ؛ فكان ذلك سبب اتصاله به ، واستعماله له .

من خطبة
ببلوطي

وذكر ابن أصبغ الهمداني عن منذر القاضي ، أنه خطب يوماً وأراد التواضع ، فكان من فصول خطبته أن قال :

حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى أَعْظَ غَيْرِي ^(١) وَلَا أُنْعِظُ ، وَأَزْجُرُ وَلَا أُرْدَجِرُ ، أَدُلُّ
الطَّرِيقَ عَلَى الْمُسْتَدْلِينَ ^(٢) ، وَأُبْقِي مُقِيمًا مَعَ الْخَائِرِينَ ، كَلَّا ، إِنْ هَذَا لَوِ الْبَلَاءُ
الْمُبِينُ ، « إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تَضِلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ » الْآيَةُ . اللَّهُمَّ
فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ . وَلَا تَشْمَأْنِي بِمَا تَسَكَّمْتُ لِي بِهِ ، وَلَا تَحْزَمْنِي وَأَنَا
أَسْأَلُكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . قَالَ :

وكان الخليفة الناصر لدين الله كَلِمًا بَعَارَةً الْأَرْضِ ، وَإِذَامَةً مَعَالِمِهَا ، وَتَحْلِيدَ
الْأَنْارِ الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ ، وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ ، فَأَفْضَى بِهِ الْإِغْرَاقَ فِي ذَلِكَ إِلَى
أَنْ أَبْقَى مَدِينَةَ الرَّهْرَاءِ ، الْبِنَاءَ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ ، وَاسْتَفْرَغَ وَسْمَهُ فِي تَنْمِيقِهَا ،
وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا ، وَزَخْرَفَةِ مَصَانِعِهَا ^(٣) ؛ فَأَرَادَ الْقَاضِي مُنْذِرُ أَنْ يَفُضَّ مِنْهُ ، بِمَا
يَقْنَاهُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ ، بِفَضْلِ الْخَطِّاطِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالتَّذَكُّيرِ بِالْإِنْبَاءِ وَالرَّجُوعِ ^(٤) ،
فَأَدْخَلَ فِي خُطْبَتِهِ فُصْلًا ، مَبْتَدَأًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً
تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ .
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِمْ وَبَيْنِ » [١١٩]

(١) هذه الكلمة ساقطة من نصح الطيب .

(٢) كذا وردت هذه العبارة في الأصولين ونصح الطيب .

(٣) زاد القرى في نصح الطيب (هنا) العبارة الآتية : « وانهمك في ذلك حتى عطل

شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذ ، ثلاث جمع متواليات » وقد آثرنا إنباءهما .

ما توضيحا للقيام .

(٤) في ط : « والرجعة » .

بينه وبين
الناصر في
الترهيد في
تتميق البناء

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . « ولا تقولوا : » سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظْتُ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ » . « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ؛ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى » ؛ وهي دار القرار ، ومكان الجزاء .

ووصل ذلك بكلام جَزَلٍ ، وقول مُصَّسِلٍ ، ومضى في ذم تشييد البنیان ، والاستغراق في زخرفته ، والإسراف في الإلتفات [عليه] ^(١) ؛ فخرى طامًا ، وانتزع فيه قوله ^(٢) تعالى : « أَقْمِنِ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ » الآية ؛ وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت ، والتحذير من فجائته ، والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية ، والحض على اعتزالها ، والرفض لها ، والندب إلى الإعراض عنها . والإقصار عن طلب اللذات ، ونهي النفس عن اتباع هواها ؛ فأستهب في ذلك كله ، وأضاف إليه من آى القرآن ما يطابقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ، حتى اذكر من حضره من الناس ، وخضعوا ورقفوا ، واعترفوا وبكوا ، وضجوا ودعوا ، وأعلنوا التضرع إلى الله والتوبة ، والابتهال في المغفرة ، وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود ، فبكى وندم على ما سلف له [من قُرْطِهِ] ^(٣) ، واستعاذ بالله من سُخْطِهِ ؛ إلا أنه وجد على مُنْذِرِ بن سعيد ، لفظًا ما يَقْرَعُهُ به ، فشكا ذلك إلى ولده الحكيم بعد انصرافه ، وقال : والله لقد تَمَمَّتْني منذر بخطبته ، وما عني بها غيرى ؛ فأسرف على ، وأقرط في تقريري ، ولم يُحَسِّنِ السياسة في وعظي ، فزعرع قلبي ، وكاد بمصاء يَقْرَعُنِي ^(٤) ؛ واستشاط غيظًا عليه ، فأقسم ألاَّ يُصَلِّيَ [٤٢٠]

(١) هذه الكلمة عن نفع الطيب .

(٢) في ط : « بقوله » . وما أثبتناه عن م ونفع الطيب .

(٣) التكملة عن نفع الطيب .

(٤) في ط : « يصرمي » . وما أثبتناه عن م والنفع .

خلفه صلاة الجمعة خاصة ، فجعل يلتزم صلاتها وراء أحد بن مطرف^(١) ، صاحب الصلاة بقرطبة ، ويُجانب الصلاة بالزَّهراء ؛ وقال له الحكم : وما الذي يمنعك من عزيل المنذر من الصلاة بك ، والاستبدال منه إذ كرهته ؟ فزجره واتهره ، وقال له : أمثل مُنذر بن سعيد في خيره وفضله وعلمه — لا أم لك — يُعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، [سالكة غير القصد]^(٢) ؟ هذا ما لا يكون ؛ وإني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل مُنذر ، في ورعه وصدقه ، ولكنه قد أخرجني فأقسمت ؛ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَجِدُ سَبِيلًا إِلَى كِفَارَةِ يَمِينِي بِمَلِكِي ؛ بل يَصَلِّي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى .

خطبة لمنذر في
الاستسقاء

وقبِلَ الناس آخر مدة الناصر ، فأمر القاضي المذكور مُنذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس ، فتأهب لذلك ، وصام بين يديه أياما [ثلاثة]^(٣) ، تنفلا وإتابة ورهبة ، فاجتمع له الناس في مصلى الرِّبض بقرطبة ، بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم ، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانمه المرتفعة من القصر ، لبشارف^(٤) الناس ، وشاركهم في الخروج إلى الله تعالى ، والضراعة له ؛ فأبغأ القاضي حتى اجتمع الناس ، وعَصَّتْ بهم ساحة المصلى ؛ ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا ، مُخْبِتًا متخشعا ، وقام ليخطب ، فلما رأى يدار الناس إلى ارتقائه^(٥) ، واستكانتهم من خيفة الله ، وإخباتهم له ، وابتهالهم إليه ، رَقَّتْ نفسه ، وغلبته عيناه ؛ فاستعبر وبكى حينا ، ثم افتتح خطبته بأن قال :

يأيها الناس ، سلام عليكم . ثم سكت ، ووقف شبيهة الحَصِر ، ولم يكُ من

(١) في ط : • مطرف • . وما أبتناء عن م والنسخ .

(٢) التكلفة عن فتح الطب .

(٣) في ط : • ليسرف الناس • . وما أبتناء عن م والنسخ .

(٤) كذا في م . وفي ط : • ارتفائه • . وفي النسخ : • ارتقائه • .

عاداته ؛ فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، لا يدرون ما عراه ، ولا ما أراد بقوله ؛
ثم اندفع تاليا لقوله تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرِّمَّةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ؛ استغفروا ربكم
إنه كان غفارا ، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، وتزلفوا بالأعمال الصالحات لديه .

قال الحاكى : فضج الناس بالبكاء ، وجأروا بالدعاء ؛ ومضى على تمام
خطبته ، فترج النفوس ^(١) بوعظه ، وانبث الإخلاص بتذكيره ، فلم ينقض
النهار حتى أرسل الله السماء بماء مُنَمَّرٍ ، روى الثرى ، وطررد السخل ، وسكن
الأزل ، والله لطيف بعباده .

وكان له في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ؛ ومنه أن قال يوما وقد سرح
طرفة في ملا الناس ، عند ما شخّصوا إليه بأبصارهم ، فهتف بهم كالمنادى :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ » ، وكررها [عليهم] ^(٢) ، مشيرا بيسده في نواحيهم : « أَنْتُمْ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ .
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ » . فاشتد وجد الناس ، وانطلقت أعينهم بالبكاء ،
ومضى في خطبته .

قال القاضي أبو الحسن ^(٣) : ومن أخبار مُنذِرِ المحفوظة له مع الخليفة الناصر ،
في إنكاره عليه الإسراف في البناء ، أن الناصر كان اتخذ لسطح القُبْبَةِ ،
المصغرة الاسم للخصوصية ، التي كانت ماثلة على الصرح المرد المشهور شأنه
بقصر الزهراء ، قراميد مُغشاة ذهباً وفضة ، أنفق عليها مالا جسيما ، وقرمَدَ

من خطبة له
أخرى في ذلك

بمن أخباره
مع الناصر
وحدث القبية

(١) كذا في م . وفي ط والفتح : « الناس » .

(٢) هذه الكلمة من تبح الطيب .

(٣) هو القاضي أبو الحسن بن الحسن التباي ، وقد مر التصريف في صدر هذا الجزء .

سقفها به ، وجعل سقفها صفراء فاقعة ، إلى بيضاء ناصعة ، فتستلب الأبصار بأشعة أنوارها ، وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته ، فقال لقربائه ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة ، مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك : هل رأيتم [٤٢٢] أو سمعتم مَلِكًا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا : لا والله يا أمير المؤمنين ، وإنك لأوحد في شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدعائك هذه ملك رأيناه ، ولا انتهى إلينا خبره ، فأبهجه قولهم وسره . فبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي مُنْذِر بن سعيد واجبا ناكس الرأس ، فلما أخذ مجلسه ، قال له كالذي قال لوزرائه ، من ذكر السقف المذهب ، واقتداره على إبداعه ، فأقبلت دموع القاضي تتحدر على لحيته ، وقال له : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان آمنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ، ولأن تمسكنه من قيادك^(١) هذا التمسكين ، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته ، وفذلك به على المالمين ، حتى يُنزلك منازل الكافرين . قال : فأنقل عبد الرحمن لقوله ، وقال له : انظر ما تقول ، وكيف أنزلتني منزاتهم . فقال له : نعم ، أليس الله تعالى يقول : « وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ إِيَّائِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ » . فَوَجَّهَ الخليفة ، وأطرق مليا ، ودموعه تتساقط ، خشوعا لله سبحانه . ثم أقبل على منذر ، وقال له : جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا ، وعن الدين والمسلمين أحمل جزائه ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو الحق . وقام عن مجلسه ذلك [وهو يستغفر الله

تعالى] (١) ، وأمر بنقض سقف القيوبة ؛ وأعاد قمردها (٢) تراباً على صفة غيرها . انتهى .

الناصر وأيام
سروره

وحكى غير واحد أنه وجد بخط الناصر رحمه الله : أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ، ويوم كذا من كذا . وعُدَّت تلك الأيام ، فكانت أربعة عشر يوماً .

فأعجب أيها المعامل لهذه الدنيا وعدم صفاتها ، وبخلها بكال الأحوال لأوليائها . هذا الخليفة الناصر حلف السعود ، المضروب به المثل في الارتقاء [٤٢٣] في الدنيا والصعود ؛ ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ، ولم تصفُ له إلا أربعة عشر يوماً ، فسبحان ذى العزة القائمة ، والمملكة الدائمة ، تبارك اسمه وتعالى ، لا إله إلا هو .

إعذار الناصر
لأولاد ابنه وما
كان بينه وبين
الفقيه أبي إبراهيم
لتخلفه

وحكى أنه — أعنى الناصر — لما أعذَرَ لأولاد ابنه أبي مروان الأكبر عبيد الله ، اتخذ لذلك صنيعاً عظيماً بقصر الزهراء ، لم يتخلف عنه أحد من أهل مملكته ، وأمر أن يُنْذَر لشهوده الفقهاء المشاورون ، ومن يليهم من العلماء والعدول ، ووجوه الناس ، فتخلف من بينهم الفقيه المشاور أبو إبراهيم المذكور الذكر في كتب النوادر (٣) والأحكام ، وافْتَقِدَ مكانه ، لارتفاع منزلته ، فساء ذلك الخليفة الناصر ، ووجد على أبي إبراهيم ، وأمر ابنه ولي العهد بالحكم بالسكتاب إليه ، والتفنيذ له (٤) ، فكتب إليه الحكم رقعة ، نسختها :

(١) الزيادة عن فتح الطيب .

(٢) كذا في م ونعم الطيب . وفي إعمال الأعلام لابن الخطيب : « وإعادة قمرابدها تراباً على غير تلك الصفة » . وفي ط : « وأعاد سقفها ... الخ » .

(٣) في ط : « التوازل » . وما أثبتناه عن م .

(٤) في م : « والتفنيذ إليه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله وتولّاك ، وسددك ورعاك ، لما امتحن أمير المؤمنين مولاى
وسيدى أبقاه الله الأولياء الذين يستعذ بهم ، وجَدَّكَ متقدما فى الولاية ، متأخرا
عن الصلّة ، على أنه قد أنذرك ، أبقاه الله ، خصوصا للمشاركة فى السرور الذى
كان عنده ، لا أعدمه الله توالى المسرة ؛ ثم أنذرت من قبلُ إبلاغا فى التكرمة ،
فكان ، على ذلك كله ، من التخلف ما ضاقت عليك فيه المَعذرة ، واستبلغ أمير
المؤمنين فى إنكاره ، ومعاتبتك عليه ، فأغيت عليك عنك الحجة . فعرّفى
أكرمك الله ، ما العذر الذى أوجب توقّفك عن إجابة دعوته ، ومشاهدة
السرور الذى سرّ به ، ورغب للمشاركة فيه [لنعرّفه] ^(١) ، أبقاه الله بذلك ،
[٢٢٤] فتسكن نفسه العزيزة إليه ، إن شاء الله تعالى .

فأجابه أبو إبراهيم :

« سلام على الأمير ورحمة الله وبركاته .

رأت ، أبقى الله سيدى ، هذا الكتاب وفهمته ، ولم يكن توقفى لنفسى ،
إمّا كان لأمر المؤمنين سيّدنا ، أبقاه الله واسماؤه ، لعلمى بمذهبه ، واسكونى
إلى تقواه ؛ واقتفاره لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم ، فإنهم كانوا يستبقون
من هذه الطبقة بقيّة ، لا يمتنعونها بما يشينها ، ولا بما يعضّ منها ، ويطرُق
إلى تنقضها ، فيستعذون بها لدينهم ؛ ويترّيون ^(٢) بها عند رعاياهم ؛ ومن يقدّر
عليهم من قُصّادهم ، فلهذا تخلّلت ، ولعلمى بمذهبه توقفت ، إن شاء الله تعالى .
قال : فلما أقرأ الحَكَمَ أباه الناصر لدين الله جواب أبى إبراهيم إسحاق ،

(١) السكّلة عن فتح الطب .

(٢) فى م وفتح الطب : « ويترّيون » .

أعجبه واستحسن اعتذاره ، وزال ما بنفسه عليه . وكان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم ، وحُقَّ لهما أن يعظما .

بين الحكم
والفقيه
أبي إبراهيم

وقد حكى الفقيه أبو القاسم مفرج بن محمد بن مفرج قال : كنت أختلف إلى الفقيه أبي إبراهيم — رحمه الله — فيمن يختلف إليه للفتنة والرواية ، فإني لعنده في بعض الأيام في مجلسه ، بالمسجد المنسوب لأبي عثمان ، الذي كان يصلي فيه قرب داره ، بجوف قصر قرطبة ، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة ، وذلك بين الصلاتين ، إذ دخل عليه خصى^(١) من أصحاب الرسائل ، جاء من عند الخليفة الحكم ؛ فوقف وسلم ، وقال له : يا فقيه ، أجب أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فإن الأمر خرج فيك ، وها هو قاعد ينتظرك ، وقد أمرت بإحبالك ، فأثقه الله . فقال له : سمعنا وطاعة لأمر المؤمنين ، ولا عجلة ؛ فارجع إليه — وفقه الله — وعرفه عن أنك وجدتني في بيت من بيوت الله عز وجل . مع طلاب العلم ، [٤٢٥] أسمعه حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم يقيدونه عنى ، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم ، في رضا الله وطاعته ، فذلك أوكد من مسيرى إليه الساعة ، فإذا اتفقى أمر من اجتمع إلى من هؤلاء المحسبين في ذات الله ، الساعين في مرضاته ، مشيت إليه إن شاء الله تعالى .

ثم إنه أقبل على شأنه ، ومضى الخصى يهين متضاجرا من توقفه ؛ فلم يك إلا ريثا أدى جوابه وانصرف مريعا ساكن الطيش . فقال له : يا فقيه ، أنهيت قولك على نصي إلى أمير المؤمنين ، أبقاه الله ، فأصغى إليه وهو يقول [لك] ^(٢) : جزاك الله خيرا عن الدين ، وعن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ،

(١) في م ها : « الفقى » .

(٢) هذه الكلمة عن شفح الطيب .

وأتمهم بك ، وإذا أنت أوعيت ، فامض ^(١) إليه راشدا ، إن شاء الله تعالى ،
فقد أمرت أن أبقى معك حتى ينقض شمالك ، وأذكرك تمضي معي . فقال له :
حسن جميل ، ولكنني أضعف عن المشي إلى باب السدة ، ويصعب علي ركوب
دابة لشيخوختي ، وضعف أعضائي ، وباب الصناعة الذي يقرب إلى من أبواب
القصر المكرم أحوط لي ، وأرفق بي ؛ فإن رأى أمير المؤمنين ، أيده الله
تعالى ، أن يأمر بفتحه ، لأدخل إليه منه ، هون علي المشي ، وودع جسمي ؛
وأحب أن تعود ، فتنهى إليه ذلك عني ، حتى تعرف رأيه فيه ، وكذلك تعود
إلي ، فإني أراك فتي شديدا ، فكن على الخير معينا .

ومضى عنه الفتى ، ثم رجع بعد حين ، وقال : يا فقيه ، قد أجابك أمير
المؤمنين إلى ما سألت ، وأمر بفتح باب الصناعة ، وانتظارك من قبله ، ومنه [٢٢٦]
خرجت إليك ، وأمرت بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك ؛ وقال : افعل
راشدا ؛ وجلس الخصى جانبا ، حتى أكل أبو إبراهيم مجلسه ، بأكل وأنصح
ما جرت ^(٢) به عادته ، غير منزع ولا قلق ؛ فلما انفضنا عنه قام إلى داره ،
فأصلح من شأنه ، ثم مشى إلى الخليفة الحكم ، فوصل إليه من ذلك الباب ،
وقضى حاجته من لقائه ، ثم صرفه على ذاك الباب ، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه .

قال مفرج : ولقد تعذنا في تلك العشية ، إثر قيامنا عن الشيخ أبي إبراهيم ،
المروء بهذا الباب للهود إغلاقه ، بدير القصر ، لنرى الذي تجشم ^(٣) الخليفة له ،
فوجدناه كما وصف الخصى مفتوحا ، قد حقه الخدم والأعوان منزحين ، ما بين

(١) في م : « فامض » .

(٢) كذا في نصح الطيب . وفي الأصلين : « كأنصح ما جرت » .

(٣) كذا في ط ونصح الطيب . وفي م : « لرى تجشم » .

كنّاس وفرّاش ، متهيئين لانتظار أبي إبراهيم ؛ فاشتد عجبنا لذلك ، وطال تحدّثنا عنه . انتهى .

هكذا هكذا تكونُ للهالي طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طُرُقِ الزَّاحِرِ

وكان الخليفة الحَكَمُ المستنصر المذكور قد قام بأعباء الملك أحسن قيام ، لما توفي والده الناصر في يوم الأربعاء ثلاث — وقيل لاثنتين — مضيئة^(١) من شهر رمضان ، من سنة خمسين وثلاث مئة ، واستقرت الخلافة به ، حتى لم يعد من الناصر إلا شخصه ، واعتلى سرير الملك ثامن وفاة أبيه ، يوم الخميس ، وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس إلى بيعته ، واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه ، وتنقيف مملكته ، وضبط قصوره ، وترتيب أجناده . وأول ما أخذ البيعة على صقالة قصره ، الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر ، كجعفر صاحب الخيل والطراز ، وغيره من عظمائهم ، وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم ، من طبقتهم [وغيرهم]^(٢) ؛ وأوصل إلى نفسه في الليل دون هؤلاء ، [٤٢٧] الأكابر من الكتّاب والوصّفاء ، ولقّدمين والعرفاء ، فبايعوه ؛ فلما كملت بيعتهم وبيعة أهل القصر تقدم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان ، بالنهوض في أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله ، المتخاف لاملته ، بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة ؛ وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حُدَيْر بالنهوض أيضا في أبي الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني ، فضيا إليهما ، كل واحد منهما في قطع من الجند ، وأتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء ؛ ونفّذ غيرهما من وجوه الرجال في الخليل ، للاتيان بغيرهما من الإخوة ، وكانوا يومئذ ثمانية ، فوافي جميعهم الزهراء في الليل ، فنزلوا في مراتبهم

بيعة الحَكَمِ
المستنصر

(١) في م : « ثنين » .

(٢) هذه الكلمة من نفع الطبيب .

بفصلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرق والغربى ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك ، في البهو الأوسط من الأبهاء للذهبة القبلية ، التي في السطح المرء ؛ فأول من وصل إليه الإخوة - فبايعوه ، وأنصتوا لصحيفة البيعة ، والتزموا الإيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ؛ ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ، ثم أصحاب الشرطة ، وطبقات أهل الخدمة ؛ وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس ، فإنه كان قائماً يأخذ البيعة على الناس ؛ وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتمال المعروفة ؛ فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا ، إلى آخر البهو ، كل منهم على قدره في المنزلة ، عليهم الظواهر البيض ، شعار الحزن ، قد تقلدوا فوقها السيوف ، ثم تلاهم الفتيان الوصفاء ، عليهم الدروع السابغة ، والسيوف الحالية ، صفين منتظمين في السطح ، وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان [١٢٨] لابسين البياض ، بأيديهم السيوف ، يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرماة متسكبين قسيهم وجعابهم ، ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول ، شاكين في الأسلحة الرائقة ، والعدة الكاملة ، وقامت التعبئة في دار الجند والترتيب من رجالة العبيد ، عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصقلبية^(١) ، وبأيديهم الأتراس الملونة ، والأسلحة المزينة ، انتظموا صفين إلى آخر الفصل^(٢) . وعلى باب الشدة الأعظم البوابون وأعوانهم ، ومن خارج باب الشدة فرسان العبيد إلى باب الأقباء ، واتصل بهم فرسان الحشم ، وطبقات الجند والعبيد والرماة ، موكبا

(١) في م : « الصقلية » .

(٢) الفصل : واحد الفصلان (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٦١ من هذا الجزء) .
وفي الأصلين والتفج : « الفصل » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

إثر مركب ، إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء ، فلما تمت البيعة أذن للناس بالانقضاء ، إلا الإخوة والوزراء و [أهل] ^(١) الخدمة ، فإنهم مكثوا بقصر الزهراء ، إلى أن احتُمل جسد الناصر رحمه الله إلى قصر قرطبة ، للدفن هنالك في ترُبة الخلفاء .

وفي ذى الحجة من سنة خمسين المذكورة تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد ، للبيعة والتماس المطالب ، من أهل طليطلة وغيرها من قواعد الأندلس وأصقاعها ؛ فتوصلوا إلى مجلس الخليفة ، بمحضر جميع الوزراء والقاضي منذر ابن سعيد والملا ، وأخذت عليهم البيعة ، ووُقعت ^(٢) الشهادات في نسخها .

وفي آخر صفر من سنة إحدى وخمسين أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مواليه محمدا وزيدا ابني أفلح الناصري ، في كتيبة من الحشم والخدم ، لتلقي غالب ^(٣) الناصري ، صاحب مدينة سالم ، المُرَد لأطاعية أردون بن أدفونس الخبيث في الدولة ، المتملك على طوائف من أمم الجلائقة ، والمنازع لابن عمه المَلَك قبله شامجه بن رُدْمير ؛ وتبرَّع هذا اللعين أردون بالمسير إلى باب المستنصر بالله من ذاته ، غير طالب إذن ، ولا مستظهر بعهده ، وذلك عندما بلغه من اعتزام المستنصر بالله في عامه ذلك على الغزو إليه ، وأخذه في التأهب له ، فاحتال في تأميل المستنصر بالله ، والارتقاء إليه ، وخرج قبل أمان يُعَقِّد له ، أو ذمة تعصده ، في عشرين رجلا من وجوه أصحابه ، تسكنهم غالب الناصري ، الذي خرج إليه ؛ فجاء بهم نحو مولاة الحكم ؛ وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور ؛ فأنزلهم ؛ ثم تحركا بهم ثاني يوم نزولهم إلى قرطبة ، فأخرج المستنصر بالله إليهم هشام بن محمد بن عثمان المُصَنِّق ، في جيش عظيم كامل التعبئة ، وقَدِموا إلى باب قرطبة ،

وفرد أردون
عليه وحديث
ذلك

(١) هذه السكاة من نفع الطيب . (٢) في م : « ووقت » .

فروا بباب قصرها . فلما انتهى أردون^(١) إلى ما بين السدة وباب الحنان ، سأل عن مكان رَسَمِ الناصر لدين الله ، فأشير إلى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة ؛ فخلع قلنسوته ، وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قلنسوته إلى رأسه . وأمر المستنصر بأنزال أردون في دار^(٢) التاعورة ، وقد كان تقدّم في فرشها بأنواع العطاء والوطاء ، وانتهى من ذلك إلى الغاية ؛ وتوسّع له في الكرامة ولأصحابه ، فأقام بها الخميس والجمعة ، فلما كان يوم السبت ، تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه ، بعد إقامة الترتيب ، وتعبية الجيوش ، والاحتفال في ذلك ، من العدد والأسلحة والزينة ؛ وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح ، وقعد الإخوة وبنوهم ، والوزراء ونظرائهم صفّا^(٣) في المجلس ، فيهم القاضي منذر بن سعيد ، والحكام والفقهاء ؛ فأتى محمد بن القاسم بن طلس^(٤) بالملك أردون وأصحابه ، وعلى^(٥) كبوسه ثوب ديباجي رومي أبيض ، وبنّيوال من جنسه وفي لونه ؛ وعلى رأسه قلنسوة رومية منظلومة بجوهر ، وقد حفّته جماعة من نصارى وجوه الدمة بالأندلس ، يؤنسونه ويصرونه ، فيهم وليد بن حيزون^(٦) قاضي النصارى بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة ، وغيرهما^(٧) ؛ فدخل بين صفّي الترتيب ، يقلب الطرف في نظّم الصفوف ، ويحجّل النظر^(٨) في كثرتها ، وتظاهر أسلحتها ، ورائق حليتها ، فراعهم ما أبصروه ،

(١) تقدم قريبا هذا الاسم مضبوطا (بتنوع الهجزة) . والصواب (بضمها) .

(٢) في م : في منية « التاعورة » .

(٣) في الأصلين : « معاً » . وما أثبتناه عن نفع الطيب طعة مصر والمخطوط . وفي مع الطيب طبع أوربة : « جفا » . أي : جماعة .

(٤) كذا في الاستقصا للأسلاوي (ج ١ صفحة ٨٧) وفيها سيأتي من م . وفي نفع الطيب المطبوع والمخطوط : « طليس » . وفي ط وم هنا : « طلس » .

(٥) في م : « وعلى » . (٦) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « خيزران » .

(٧) مكان هذه الكلمة « وغيرها » في م : « وأصبح بن نبيل وعبد الرحمن بن لب » .

(٨) في ط : « الفكر » وما أثبتناه عن م والنفع .

وصلّوا على وجوههم ، وتأمّلوا ناكسى رؤوسهم ، غاضين من جفونهم ، قد
سُكِّرت أبصارهم ، حتى وصلوا إلى باب الأقباء ، أول باب قصر الزهراء ،
فترجّل جميع من كان خرج إلى لقائه ، وتقدم الملك أردون وخاصة قوامسه^(١) على
دوابهم ، حتى انتهوا إلى باب السُدّة ، فأمر التوامس بالترجّل هنالك ، والمشى
على الأقدام ، فترجّلوا ، ودخل الملك أردون ، حذو ، راكبا مع محمد بن طاهس^(٢) ،
فأنزل في برّطل^(٣) البهو الأوسط ، من الأسهاء التبليّة ، التي بدار الجند ، على كرمى
مرتفع ، مكسو الأوصال بالفضة ، وفي هذا المكان بعينه نزل قبله عدوّه ومناوئه
شأنجة بن رُذمير ، الوافد على الناصر لدين الله ، رحمه الله تعالى ، فتقدّم أردون على
الكرسى ، وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن لأردون الملك من المستنصر [٤٣١]
بالله ، بالدخول عليه ، فتقدم يمشى وأصحابه يتبعونه ، إلى أن وصل إلى السطح ،
فلما قابل المجلس الشرقي ، الذي فيه المستنصر بالله ، وقف وكشف رأسه ، وخلع
برؤسّه ، وبقي حاسراً ، إعظاماً لما بان له من الدنو إلى السرير ، واستنفض ، ففضى
بين الصّفين المرتبين في ساحة السطح ، إلى أن قطع السطح ، وانتهى إلى باب
البهو ، فلما قابل السرير خر ساجداً سويعة ، ثم استوى قائماً ، ثم نهض خطوات ،
وعاد إلى السجود ، ووالى ذلك مراراً ، إلى أن قدّم^(٤) بين يدي الخليفة ، وأهوى
إلى يده ، فنأله إياها ، وكرّر راجعاً ، مقهوراً على عقبه ، إلى وساد ديباج مُثَقَّل
بالذهب ، جعل له هنالك ، ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير ، جلس عليه
والبهرّ قد علاه ؛ وأنهض خلفه من استثنى من قوامسه وأتباعه ، فدنا ممتثلين

(١) القوامس : الأسراء . الواحد : قومس بوزن جعفر .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٤) صفحة (٢٨٩) من هذا الجزء .

(٣) البرطل (بجعفر وبرتن) : كلمة إسبانية ومعناها : سقيفة عند باب البيت ، أو في
أحد جوانب الفناء ، ولا تزال تستعمل في المغرب . (راجع تكملة المعاجم العربية

(٤) في م : « قام » .

لدوزي) .

فعله في تكرير الخنوع ، وناولهم الخليفة يده ، فقبلوها وانصرفوا مُتَهَيِّزِينَ ، فوقفوا على رأس ملكهم ، ووصل بوصولهم وليد بن حَبِيزُون قاضي النصارى بقرطبة^(١) ، فسكن الترحمان عن الملك أُرْدُون ذلك اليوم . وأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك أُرْدُون إثر قعوده [أمامه وقتنا]^(٢) ريثما^(٣) يُارِخُ رَوْعُهُ ، فلما رأى أن قد خُفِّضَ عليه ، افتتح تكليمه ، فقال : لِمَسْرُوكِ إقبالك ، وِمْيَظُّكَ تأمِيلُكَ ، فلدينا لك من حسن رأيِنا ، ورُحْبِ قبولِنا ، فوق ما قد طالبت .

فلما رُحِّمَ له [كلامه]^(٤) إياه ، تطأق وجه أُرْدُون ، وانحط عن رتبته ، فقبل البساط ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين مولاي ، المتدرك على فضله ، القاصد إلى مجده . الحكم في نفسه ورجاله ، غيث وضعى من فضله ، وعوضى من خدمته ، رجوت أن أتقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة . [٤٣٢]

فقال له الخليفة : أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأيِنا ، وسينالك من تقديمنا لك ، وتصيلنا إياك على أهل ملتك ، ما يُبَيِّطُكَ ، وتتمعرف به فضل جنوحنا إينا ، واستغلالك بظل سلطاننا .

فعاد أُرْدُون إلى السجود عند فهمه مقالة الخليفة ، وابتهل داعيا ، وقال : إن شاحبة ابن عمى تقدم إلى الخليفة الماضى مستجيراً به متى ، فكان من إعنازه إياه ما يكون من مثله من أعظم الملوك ، وأكأرم الخلفاء ، لمن قصدهم وأملهم ؛ وكان قصده قصد مضطر ، قد شتأته رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارتنى لمساكنه ، من غير سعى متى — علم الله ذلك — ولا دعاه إاليه ، فخلتته وأخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا ؛ فتعول عليه رحمه الله ، بأن صرفه إلى ملكه ،

(١) زادت م بعد هذه الكلمة : « وعيبد الله بن قاسم مطران طليطلة » .

(٢) هذه الكلمة عن تمنع العيب .

(٣) في ط : « كيا » ، وما أتيتاه عن م وتفع الطيب .

وقوى سلطانه ، وأعز نصره . ومع ذلك فلم يتم بفرض النعمة التي أسديت إليه ، وقصر في أداء المفروض عليه وحقه وحق أمير المؤمنين مولاي من بعده ؛ وأنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة ، من قرارة سلطاني ، وموضع احتكامي ^(١) ، مُحْكَمًا له في نفسى ورجالى ومعاقل ، ومن تحويه من ريعتي ؛ فشتان ما بيننا من قوة الثقة ، ومطرح الهمة .

فقال الخليفة : قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزلك ، وسوف يظهر من إقراضنا إليك على الخصوصية فوق شأنه ، ويتزاد من إحساننا إليك به أضعاف ما كان من أيننا رضى الله عنه إلى نذك . وإب كان له فضل التقدم بالجنوح إلينا ، والقصد إلى سلطاننا ، فليس ذلك مما يؤخره عنه ، ولا ينقصك مما أظناه ، وسنصرفك مغبوطا إلى بلدك ، [ونشد أوأخى ملكك] ^(٢) ، ونحلكك جميع من انحاش إليك من أمتك ، ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك ، نُقرر به حد ^[٤٣٣] ما بينك وبين ابن عمك ، ونقبضه عن كل ما يُصرفه من البلاد إلى يدك ، وسيرآدف عليك من إفضالنا فوق ما احتسبته . والله على ما نقول وكيل .

فكرروا أردون الخصوع ، وأسهب في الشكر ، وقام للانصراف مقهورا ، لا يولئ الخليفة ظهره ، وقد تسكنفه الحفدة من جلة الفتيان ، فأخرجوه إلى المجلس الغربى في السطح ، وقد علاه الهُز ، وأذهله الرُوع ، من هول ما باشره ، وجلالة ما عاينه ، من نخامة الخليفة ، وبهاء العزة . فلما أن دخل المجلس ، ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه ، انحط ساجدا إعظاما له ، ثم تقدم الفتيان به إلى البهو الذى بجوفى هذا المجلس ، فأجلسوه هنالك على وساد مثقل بالذهب ، وأقبل نحوه الحاجب جعفر ، فلما بصُر به قام إليه ، وخضع له ،

(١) في نصح الطبيب « أحكامى » . (٢) التكملة عن نصح الطبيب .

وأوماً إلى تقبيل يده ، فقيضها الحاجب عنه ، وأمنحنى إليه ، فعانقه ، وجلس معه ، فتمتع به ، ووعدته من إنجاز عِدات الخليفة له بما ضاعف سروره ؛ ثم أمر الحاجب جعفرًا ، فصَبَّت عليه الخِلك التي أمر له بها الخليفة ، وكانت دُرَّاعة منسوجة بالذهب ، ورُبُّ نسا مثلها ، له لوزة مُفرَّغة من حاصر النَّبَر ، مرصَّعة بالجواهر والياقوت ، ملأت عين العُلاج نَجْمة ، نغمرُ ساجدًا ، وأعلن بالدعاء ؛ ثم دعا الحاجب أصحابه رجلاً رجلاً ، فخلع عليهم ، على قدر استحقاقهم ؛ فكل جمع ذلك بحسب ما يصلح لهم . وخرَّ جميعهم خاضعين شاكرين ، ثم انطلق الملك [أردون] ^(١) وأصحابه ، وقَدَّم لركابه في أول الهو الأوسط فرس من عتاق خيل الركاب ، عليه مرج حَلَى ، ولجام حَلَى مفرَّغ ، وانصرف مع ابن طملى إلى قصر الرِّصافة ، مكان تصيفه ، وقد أُعِدَّ له فيه كل ما يصلح لمثلُه من الآلة والقَرش والمساعدون ، واستقر الملك أردون وأصحابه فيها لا كِفاه له من سعة التصفيف ، وإرغاد العاش ، واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الإسلام فيه ، ما أفاضوا في التبجَّح به ، والتحدث عنه أياماً .

[٤٣٤]

وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان ، وإنشادات لأشمار محكمة مِتان ، يطول القول في اختيارها .

فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادى من قصيدة طويلة :

مُلْكُ الخليفةِ آيةٌ ^(٢) الإقبالِ وسُعوده موصولة بنوالِ
فالمسلمون بعزة وبرضة والمشركون بذلة وسِفالِ
أَلَقْتُ بأيديها الأعاجم بحوه متوقِّعين لصوِّلة الرِّبَالِ
هذا أميرهم أَنَاهُ آخِذاً منه أواصرَ ذِمَّةٍ وجِبالِ

(١) هذه الكلمة من نفع الطيب .

(٢) في معجم الطيب : « غاية » .

متواضعا لجلاله متخشعا متبرعا لهما برغ بقتال
 سيدنا بالتأميل للعك الرضا عزا يوم عدا بالاذلال
 لا يوم أعظم للولاة مسرة وأشد غيظا على الأقبال
 من يوم أردون الذي إقباله أذل المدي ونهاية الإقبال
 ملك الأعاجم كاه اس ملوكها والي نساء الأعاجم وال
 إن كان جاء ضرورة فلقد أتى عن عز مملكة وطوع رجال
 فالحمد لله المنيل إمامنا حظ الملوك بقدره المتعالي
 هو يوم حشر الناس إلا أنهم لم يسألوا فيه عن الأعمال
 أنهى القضاء منعا^(١) يجيوشه والأفق أقم أغبر السرايل
 لا يهتدى السارى لليل قتامة إلا بصو صدارم وعوالى
 وكان أجسام السكامة تسربلت مذ غبرت منه^(٢) جسم صلال^(٣)
 وكانما العقبان عقبان الغلا منقضة ليخطف الضلال
 وكان منتصب الفنا مهتره أشطان نازحة بعيدة جال^(٤)
 وكانما خيل التجافيف^(٥) اكتست نارا توهجها بلا إشعال
 وتلعب مثل هذه الأخبار لا آخر له ؛ والله المستعان .

وكان القاضي منذر بن سعيد السابق ذكره ، سمع بالأندلس من عبيد الله [١٣٥]
 ابن يحيى بن يحيى ونظرانه ، ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلاث مئة ، فسمع من
 عدة أعلام ، منهم محمد بن المنذر النيسابورى ، سمع عليه كتابه المؤلف فى

شاه من منذر
 ابن سعيد
 البلوطى

(١) فى نفع الطيب الطوبى والمخطوط : « نجا » .

(٢) كذا فى م . وفى ط : « غرت » . وفى نفع الطيب : « حريت عنه » .

(٣) كذا فى الأصلين ونفع الطيب للطوبى والمخطوط . (٤) يريد بالجال : قمر البثر .

(٥) كذا فى م . وفى ط ونفع الطيب : « قبل التجافيف » . والتجافيف : جمع تحفاف

(السكر) وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقبه فى الحرب .

اختلاف العلماء ، المسمى بالإشراف ، وروى بمصر كتاب العين للخليل ، عن أبي العباس بن ولّاد ، وروى عن أبي جعفر بن النحاس . وكان متفتنا في ضروب العلوم ، وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن عليّ الأصبهانيّ ، المعروف بالقمياريّ^(١) ، وبالظاهرىّ ؛ فكان منذر بن سعيد يؤثر مذهبه ، ويجمع كتبه ، ويحتج لمفاتيحه ، ويأخذ به في نفسه وذويه ؛ فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، بالذى استقر عليه العمل في بلدهم ، وسمل عليه السلطان أهل مملكته .

وله تاليف مفيدة ؛ منها كتاب أحكام القرآن ؛ والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك في الفقه والعلوم والرد على أهل المذاهب ؛ وكان خطيبا بليغا ، عالما بالجدل ، حاذقا فيه ، شديد العارضة ، حاضر الجواب ، عتيده ، ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ، ومنظر جميل ، وخلق حميد ، وتواضع لأهل الطلب ، وانحطاط لهم ، وإقبال عليهم ؛ وكان مع وقاره النائم فيه دُعابة مستملحة ، وله نوادر مستحسنة ، لولا السامة لجلبنا منها طرقا . وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر ، في شهر ربيع الآخر^(٢) سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة ، وليث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته ، ثم للخليفة الحكم المستنصر ، إلى أن توفّي رحمه الله . عقب ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ؛ فكانت ولايته لقضاء الجماعة ستة عشر عاما كاملة . لم يحفظ عليه فيها جور في قضية ، ولا قسَم بغير سوية ، ولا ميل سهوى ، ولا إصغافا إلى عناية ، رحمه الله ورضى عنه . ودُفن بمقبرة قریش ، بالربض الغربي من قرطبة ، أعادها الله ، جوفى مسجد السيدة الكبرى ، بقرب داره .

(١) في م : «القمياري» . (٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي م : «الأول» .

بعض ما
كلامه

قال القاضي أبو الحسن ^(١) : كان شيخنا القاضي أبو عبد الله بن عياش الخرزجي يستحسن من كلام القاضي مُنْذِرَ قَوْلِهِ في التزكية :

اعلم أن العدالة من أشد الأشياء تفاوتاً وتبايناً ، ومتى حَصَلَتْ ذلك عرفت حالة الشهود ، لأن بين عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدالة التابعين رضى الله عنهم قوتاً ^(٢) عظيماً ، وتبايناً شديداً ؛ وبين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك مثل ما بين السماء والأرض ؛ وعدالة أهل زماننا على ما هي عليه بعيدة التباين أيضاً . والأصل في هذا عندي ، والله الموفق ، أن من كان الخير أغلب عليه من الشر ، وكان متنزّها عن الكبائر ، فواجب أن تُعْمَلَ ^(٣) شهادته ، فإن الله تعالى قد أخبرنا بنص الكتاب أن من ثَقُلَتْ موازينه فهو في عيشة راضية ، وقال في موضع آخر : « فأولئك هم المفلحون » ؛ فمن ثقلت موازين حسناته بشيء لم يدخل النار ؛ ومن استوت حسناته وسيئاته لم يدخل الجنة في زمرة الداخلين أولاً ، وهم أصحاب الأعراف ، فذلك عقوبة لهم ، إذ تخلّفوا عن أن تزيد حسناتهم على سيئاتهم ؛ فهذا حكم الله في عبادِهِ . ونحن إنما كُلِّفْنَا الحكم بالظاهر ، فن ظهر لنا أن خيره أغلب عليه من شره حكّمنا له بحكم الله في عبادِهِ ، ولم نطلب له علم الباطن ، ولا كُلِّفَ محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت عنه أنه قال : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليّ ، فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من [٤٣٧] بعض ، فأحكم له على نحو ما أسمع » . فأحكام الدنيا على ما ظهر ، وأحكام الآخرة على ما بطن ؛ لأن الله تعالى يعلم الظاهر والباطن ، ونحن لا نعلم إلا الظاهر ؛ ولأهل كل بلد قوم قد تراضى عليهم عامتهم ، فبهم تنعقد مناسكهم ويبيعهم ، وقد قدمهم في مساجدهم ولجئهم وأعيادهم ، فالواجب على من استقصى على

(١) هو أبو الحسن البناي السابق الذكر . (٢) في م : « بونا » .

(٣) لإعمال الشهادة : قبولها والعمل بها .

موضع أن يُعْمَلَ شهادة أمثالهم وقهائهم ، وأصحاب صلواتهم ، وإلا ضاعت حقوق ضميئهم وقوهم ، وبطلت أحكامهم . ويجب عليه أن يسأل إن استراب في بعضهم في الظاهر والباطن عنهم ، فمن لم يثبت عنده عليه اشتهاً في كبيرة ، فهو على عدالة ظاهرة ، حتى يثبت غير ذلك . انتهى .

نقد هو ندرى
في تشييع ابن
الخطيب على
الوقتين

قلت : تذكرت هنا ما رأيته بخط الإمام الحافظ سيدي أحمد الونشريسي رحمه الله على ظهر كتاب ابن الخطيب : « مُثَلَّى الطَّرِيقَةِ فِي ذِمِّ الْوَثِيقَةِ » ، وقد مدَّ فيه ابن الخطيب الباع في ذِمِّ الْمُؤَثَّقِينَ ^(١) ، وذكر مثالبهم ، ونصن ما ألقيته بخط المذكور :

الحمد لله . جامعُ هذا الكلام المقيّد هنا بأول ورقة منه ، قد كدّ نفسه في شيء لا يَغْنَى الأفاضل ، ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بظانل ، وأفنى طائفة من نفيس عمره في التماس مساوي طائفة ، بهم تُستَبَاح العروج ، وتُمَثَّل مُشِيدَات الدُور والبروج ، وجعلهم أُنْحَوَكَةً لَدَوَى الْفَتَكِ وَالْمَجَانَةِ ، وانزع عنهم جلباب الصدق والديانة ، سامحه الله وغفر له . قال ذلك وخطّه يميني يديه عُبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الونشريسي ، خار الله سبحانه له . انتهى .

رجع إلى سبعة
وما كان بين
ابن خميس
وبعض طلبتها

ولترجع إلى ما كنا فيه من أخبار سبعة ، فنقول :

كان أهل سبعة في غاية الذكاء والفطنة ، والعلم والعرفة ؛ وقد حكى الشيخ النظار أبو إسحاق الشاطبي في شرحه على ألفية ابن مالك ، عن شيخه أبي عبد الله الفخّار ، عن بعض أهل سبعة ، أن الشيخ أبا عبد الله بن خميس التليساني لما ورد على سبعة بقصد الإقراء بها ، اجتمع عليه عيون طلبتها ؛ فألقوا عليه

[٤٣٨]

(١) كذا في ط . وفي م : « اللوقين » .

مسائل من غوامض باب الاشتغال ، فناد عن الجواب ، بأن قال لم : أنتم عندي كرجل واحد . يعنى أن ما ألقوا عليه من المسائل إنما تلقوها من رجل واحد ، وهو ابن أبي الربيع ؛ فكأنه إنما يخاطب رجلاً واحداً ، ازدراء بهم . فاستقبله أصغر القوم سباً وعلماً ، بأن قال له : إن كنت بالمكان الذى تزعم ، فأجبنى عن هذه المسائل ، من باب معرفة علامات الإعراب ، التى أذكرها لك ؛ فإن أجبت فيها بالصواب ، لم تحط^(١) بذلك فى نفوسنا ، لصفها بالنظر إلى تعاطيك من^(٢) الإدراك والتحصيل ، وإن أخطأت فيها لم يسمعك هذا البلد ؛ وهى عشرة :

الأولى : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ تَغْزُونَ .

والثانية : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَغْزُونَ .

والثالثة : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ وَيَاهِنْدَاتُ تَغْزُونَ .

والرابعة : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَخْشَيْنَ .

والخامسة : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَخْشَيْنَ .

والسادسة : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَرْمِينَ .

والسابعة : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَرْمِينَ .

والثامنة : أَنْتَنْ يَا هِنْدَاتُ تَمْخُونُ أَوْ تَمْحَيْنَ [كيف تقول]^(٣)

والثاسعة : أَنْتِ يَا هِنْدُ تَمْحِينَ أَوْ تَمْخُونُ^(٤) كيف تقول .

والعاشر : أَنْتُمْ تَمْخَوَانِ أَوْ تَمْحِيَانِ ، كيف تقول .

(١) كذا فى م وفتح الطيب . وفى ط : « لم تحط » .

(٢) فى نفع الطيب المخطوط والطبوع : « تعاميك عن » .

(٣) التكملة عن نفع الطيب .

(٤) فى هذه الصيغة خطأ سيرضى له ابن صرزوق (فى صبعة ٣٠١) من هذا الجزء .

عند قوله : « وليس ما وقع فى السؤال ... الخ »

وهل هذه الأفعال كلها مَبْنِيَّةٌ أو مُعَرَّبَةٌ ؟ أو بعضها مبنى و بعضها معرب ؟
 وهل كلها على وزن واحد أم على أوزان مختلفة ؟ علينا السؤال ، وعليك التمييز ،
 لتعلم الجواب . فنهت الشيخ وشغل المحل بأن قال : إنما يُسأل عن هذا صغار
 الولدان . فقال له الفتى : فأنت دونهم إن لم تحب . فانزعج [الشيخ] ^(١) وقال
 هذا سوء أدب . ونهض مدصرفاً ، ولم يصبح إلا بمأقعة ، متوجهاً إلى غُرناطة ،
 فلم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم ، إلى أن مات . فعمده الله برحمته . انتهى .
 [٤٣٩] وأورد هذه الحكاية أيضاً عالم الدنيا ، سيدى أبو عبد الله بن مرزوق ،
 فى شرحه على الألفية لابن مالك . وهو شرح متسع جدا ، وقفت منه على بعضه
 بقليل ، وكان آخر السمر الأول اسم الإشارة ، وذلك السمر أعظم جرماً
 من جميع شرح المرادى ؛ ونص [محل] ^(٢) الحاجة منه :

وقد حَسِبَ أن بعض طلبة سَبَقَ أورد على أبى عبد الله بن خريس عشر
 مسائل من هذا النوع ، وهى : أَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ تَغْزُونَ : وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ
 تَغْزُونَ ؛ وَأَنْتُمْ يَا زَيْدُونَ وَيَا هِنْدَاتُ تَغْزُونَ ؛ وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ تَخْشَيْنَ ؛
 وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَخْشَيْنَ ؛ وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَرْمِينَ ؛ وَأَنْتُنَّ يَا هِنْدَاتُ تَرْمِينَ ، وَأَنْتُنَّ
 يَا هِنْدَاتُ تَمْحُونَ أو تَمْحِينَ كيف تقول . وَأَنْتِ يَا هِنْدُ تَمْحِينَ أو تَمْحِينَ كيف
 تقول ؛ وَأَنْتِ تَمْحُونَ أو تَمْحِينَ ، على لغة من قال محوت كيف تقول ؟ وهل
 هذه الأمثلة كلها مبنية أو معربة أو مختلفة ؟ وهل وزنها واحد أو مختلف ؟
 قالوا : ولم يجب بشئ . قلت : فلمه استسهل أسرها .

فأما المثال الأول شعرب ، ووزنه تَغْمُونَ ^(٣) ، إذ أصله تَغْزُونَ ،

(١) هذه الكلمة عن تلمع الطيب .

(٢) فى الأصلين : « تَمْحُونَ » وهو ظاهر التحريف .

كـتـنـظـرون^(١) ، فاستقلت ضمة الواو ، التي هي لام ، حذفت ، ثم حذفت الواو أيضا ، لانتقامها ساكنة مع واو الضمير ، وكانت أولى بالحذف ، لأن واو الضمير فاعل ، ولغير ذلك مما تقدم بعينه .

وأما الثاني فبنى ، ووزنه تَفْعَلُنْ ، كـتـخْرُجُنْ .

وأما الثالث فكالأول إعراباً ووزناً ، لأن فيه تغليبَ المذكر على المؤنث .

وأما الرابع فبنى ، ووزنه تَفْعَلُنْ ، مثل تَفْرَحُنْ ، لأنه لما احتيج إلى تسكين آخر الفعل ، لإسناده إلى نون جماعة النسوة ، رُدَّت الياء إلى أصلها ، لأنها إنما قلبت ألماً لتحركها وافتتاح ما قبلها ، والآن ذهب حركتها لاستحقاقها السكون . [٤٤٠]

وأما الخامس فعرب ، ووزنه تَفْعَلَيْنْ ، وأصله تَخْشَيْنِ ، كـتَفْرَحَيْنِ ، فقلب الياء ألماً ، لتحركها وافتتاح ما قبلها ، ثم حذفت لانتقامها ساكنة مع ياء الضمير ، وتركت فتحة الشين دالة على الألف .

وأما السادس فعرب ، ووزنه تَفْعَلَيْنْ . وأصله تَرْمِيْنِ ، كـتَضْرِبَيْنِ ، حذفت كسرة الياء لاستئصالها ، ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير .
وأما السابع فبنى ، ووزنه تَفْعِلُنْ كـتَضْرِبُنْ .

وأما الثامن والتاسع ، فصارح يحى ورد بالأوزان الثلاثة ، فن قال يمحو [قال في المضارع من جماعة النسوة : تَمْحُونْ ، مثله من غزا بناء ووزنا . ومن قال يمحى^(٢) قال فيه : تَمْحِينَ كـتَرْمِينَ ، بناء ووزنا . ومن قال يمحى قال

(١) وردت هذه الكلمة في الأصاين بعد قوله : • تفعون • على أنها تنظير للوزن .
ومكنا جرى المؤلف في الثالين الخامس والسادس . وقد أخرناهما إلى موضعها الصحيح فيما سافه المؤلف ليستقيم الكلام .

(٢) الكلمة عن تفع الطيب .

فيه تَمْحِينَ كَتَخَشِينَ ، بناء ووزنا . ويقال في مضارع الواحدة على اللغة الأولى تَمْحِينَ كَتَخَشِينَ : إعراباً ووزناً وتصريفاً . وقد تقدم في كلام المصنف . وعلى الثانية ، كما يقال لها من رمى إعراباً ووزناً وتصريفاً . وعلى الثالثة كما يقال لها من تخشى أيضاً ، وقد تقدما .

وليس ما وقع في السؤال كما نُقِلَ من خطِّ بعض الشارحين أنه يقال فيها « تَمْحُونَ » كَتَمْحَرُونَ بشيء .

وأمر التثنية ظاهر . انتهى بحروفه .

قلت : وقد جزم غير واحد بأن ابن خنيس لا يجهل مثل هذه المبادئ* ، إذ هو من أكابر الأعلام العارفين بالنحو واللغة وغيرهما من أنواع العلوم ؛ وقد نقل بعض من له خبرة بأحواله أنه كان يُحَسِّن علم السيمياء . والله أعلم .

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن محمد الحَجَّري^(١) (بفتح الحاء وسكون الجيم) ، الرُّعَيْنِي ، نسبة إلى حَجَرٍ ذِي رُعَيْن^(٢) . وهو من أهل رَيْثَسَانَ ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس . [٤٤١]

قال ابن الخطيب في «عائد الصلة» : كان رحمه الله نسيجاً وَحْدَهُ زهداً وانقباضاً وأدباً وهمة ، حسن الشببة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الرياء والهوى ، عاملاً على السياحة والعزلة ، عارفاً بالمعارف القديمة ، مضطجعاً بتفاريق النحل ، قائماً على العربية والأصليين ؛ طَبَقَةَ الوقت في الشعر ، وغل الأوان في المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب .

ثم ذكر ابن الخطيب من أحواله جملة ، إلى أن قال : وبلغ الوزير أبا عبد الله

(١) في م : « محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن محمد الحَجَّري الحِميري » .

(٢) حجر ذي رعين : أبو قبيلة من اليمن .

ابن الحكيم أنه يروم السفر، فشق ذلك عليه، وكأفقه تحريك الحديث بحضرته،
وجرى ذلك فقال الشيخ: أنا كالدلم طبعي أنحرك في كل ربيع. انتهى.
وقال ابن خاتمة في حقه، بعد أن وصفه بالشاعر الجليل: إنه رحل من تلمسان
بلده إلى سبتة، فأقام بها مدة، ومدح رؤسائها من بني العزقي، ثم أجاز البحر إلى
الأندلس، فاحتل بحضرة غرناطة في أواخر سنة ثلاث وسبع مئة، في حوار الوزير
أبي عبد الله بن الحكيم، فتقارضا لحل الحد. وتباريا في الرفد والحد، فأدبى له
ذو الوزارتين أخلاف بره وإكرامه، وخلع عليه ابن خنيس أثواب نثره ونظامه،
فله فيه القصائد التي حليت بها لبآت الآفاق. وتنفست عنها صدور الرفاق.

وكان رحمه الله من غول الشعراء، وأعلام البلغاء، يُصَرِّفُ العويص،
ويرتكب مستصعبات القوافي، ويطير في القريض مطار ذوى القوادم الباسقة
والخوافي، حافظاً لأشعار العرب وأخبارها، له مشاركة في العقليات، واستشراف
على الطالب^(١)؛ وقعد لإقراء العربية بحضرة غرناطة، وكان ما ينتحله من العلم
فوق ما يحصله. ومال بأخرة إلى التصوف والتجوال، والتحلي بحسن السمات،
وعدم الاسترسال، بعد طي بساط ما فرط له في بلده من الأحوال، وكان صنع

[٤٤٢]

البيدين. حدثني بعض من اقبله^(٢) من الشيوخ أنه صنع قدحا من الشمع على أبداع
ما يكون في شكله، واطافه جوهره، وإتقان صنعتته، وكتب بدائرة شفته:

وما كنتُ إلا زهرة في حديقة تَبَسُّمُ عني ضاحكاتُ الكاظم
فَقُلْتُ^(٣) من طورٍ لطورٍ فهأنا أقبلُ أفواه الملوك الأعظم
وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحكيم.

وأشدنا شيخنا القاضي أبو البركات ابن الحاج وحكي لنا، قال:

(١) في م: «الطوبى». (٢) في ط: «ثقيت».

(٣) كذا في م. وفي ط: «تفلت».

أُنشدني أبو عبد الله بن خميس وحكي لي ، قال : لما وقفت على الجزء الذي
ألقه ابن سبعين ، يعني أبا محمد عبد الحق بن أحمد بن إبراهيم بن نصر ، وهو
الذي سماه بالفقيرة^(١) ، كتبت على ظهره :

الْفَقْرُ عِنْدِي تَمُظْ دَقَّ مَعْنَاهُ مِنْ رَامِهِ مِنْ دَوَى الْغَايَاتِ عَنَاهُ
كَمْ مِنْ غَيٍّ بَعِيدٍ عَنْ تَصَوُّرِهِ أَرَادَ كَشَفَ مُعَمَّاهُ قَعَمَاهُ

وأُشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن ليون غير مرة ، قال : سمعت
أبا عبد الله بن خميس ينشد ، وكان يحسب أنهما له ، ويقال إنهما لابن الرومي :

رَبِّ قَوْمٍ فِي مَنَازِلِهِمْ عُرِّرَ صَارُوا بِهَا عُرَّارًا
سِتْرَ الْإِحْسَانِ مَا بِهِمْ سَتْرَى لَوْ زَالَ مَا سَتَرًا

ثم قال ابن خاتمة بعد كلام : وقد جمع شعره ودونته صاحبنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في جزء سماه : « اللؤلؤ النفيس من شعر ابن
خميس » ، وعرف به صدر الجزء . وقد نقلت منه هنا :

وقدم أبو عبد الله بن خميس المَرْيَةَ سنة ست وسبع مئة ، فزل بها في كَنَفِ
القائد الحاضر^(٢) بها حينئذ ، أبي الحسن بن كاشة ، من خدام الوزير أبي عبد الله
ابن الحكيم ، فوسع له في الإيثار والمَبَرَّة ، وبسط له وجه الكرامة طَلَّقَ الْأَمِيرَةَ ؛
وبها قال في مدح الوزير أبي عبد الله بن الحكيم قصيدته التي أولها :

الْمُشَى تَغْيَا وَالتَّوَابُغُ عَنْ شُكْرِ أَنْعَمَكَ السَّوَابِغُ
وَوَجَّهَ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَرْيَةِ . ومنها :

وَدَسَائِعُ ابْنِ كَمَاشَةِ مَعَ كُلِّ بَازِغَةٍ وَبَازِغِ

(١) في م : « بالفقيرة » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « الحافظ » .

تَأْتِي بِمَا تَهْوَى النَّفْسُ نَعْنِي مِنْ شَهِيَاتِ الْفَالِغِ
ويقال إن الوزير أبا عبد الله بن الحَكِيم اقترح عليه أن ينظم له قصيدة
هائية ، فابتدأ منها مطلعها ، وهو قوله :

لَعَنَ الْمَنَازِلُ لَا تَجِيبُ هَوَاهَا ^(١) مَحَبَّتِ مَعَالِمَهَا بِهَمٍّ صَدَّاهَا

وذلك في أواخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبع مئة . ثم لم يزد على ذلك إلى
أن توفي ؛ فكان آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد أشار معناه إلى معناه ، وقد
أذن أولاده بحضور أخراه ، فكانت وفاته بحضرة غرابة قتيلا ، نحوه يوم الفطر ،
مستهل شوال ، سنة ثمان وسبع مئة ، وهو ابن ثِيَفٍ وستين سنة ، وذلك يوم
مقتل مخدومه الوزير أبي عبد الله بن الحَكِيم ، أصابه قاتله لحقه على مخدومه .
ويقال إنه لما سمع به قاتله قال له . أنا دحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم
يلتفت إليه ، وجعل يُجْهِزُ عليه . فقال له : لم لم تقبل الدحيل يفتني وبينك ؟ فكان
آخر ما سمع منه : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم إنه استفاض بعد ذلك من
حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه ؛
فكان يصيح ويستغيث : ابن خميس يطلبي ، ابن خميس يعذبني ^(٢) ، ابن خميس
يقتلني . وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال .

[٤٤٤]

نعوذ بالله من الـوَزَطَاتِ ، ومواقعات العتَرَاتِ . انتهى كلام ابن خاتمة .
وحكي غيره أن مطلع تلك القصيدة نظمها ليهني بها ابن الحَكِيم في ذلك
العيد الذي قتل فيه ، فلم يقدر على زيادة شيء ، فلما قُتِلَ كتب بعضهم بعد قوله :

* لَعَنَ الْمَنَازِلُ لَا تَجِيبُ هَوَاهَا *

لابن الحَكِيم .

(١) في م هنا وفي سبأني : « صداه » .

(٢) في م : « يضربني » .

وَقُلْ غَيْرِ وَاحِدٍ فِي شَأْنِ قَاتِلِهِ خِلَافَ مَا حَكَاهُ ابْنُ خَاتَمَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَمِنْ مَشْهُورِ نَظْمِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

مَشُوقٌ زَارَ رَبْعِكَ يَا أُمَامَا مَحَا آثَارَ دِمَتِهَا الشَّامَا

تَنْبَعٌ رَيْقَةُ الطَّلِّ ارْتِشَافَا فَلَا نَفَقَتَ وَلَا نَفَقَتَ أَوَامَا

وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَلَسْكَتْهَا مِنْ عُرُورِ الْقَصَائِدِ ، بِمَدْحِ بَيْتِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ

وَيَذْكَرُ الْوَحْشَةَ الْوَاقِعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَطَّابٍ .

وَمِنْ بَدِيعِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ :

تُرَاجِعُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ وَتَسْأَلُهَا الْعُقْبَى ^(١) وَهِيَ فَارِكُ

تُؤَمِّلُ بَعْدَ التَّرَكِّ رَجْعَ وَدَادِهَا وَتُشْرُ وَدَادِ مَا تَوَدُّ التَّرَائِكُ

حَلَالِكَ ^(٢) مِنْهَا مَا حَلَالِكَ فِي الصَّبَا فَأَنْتَ عَلَى حَلَوَائِهِ مُنْهَالِكُ

تُظَاهَرُ بِالْأُلُوَانِ عَنْهَا تَجَمُّلَا فَتُكَلِّبُ تَحْزُونَ وَتُفَرِّكُ ضَاكِكُ

تَبْرَهَتْ عَنْهَا نَحْوَةٌ لَا زَهَادَةَ وَشَعْرُ عِذَارِي أَسْوَدُ الْوَلَوْنِ حَالِكُ

وَهِيَ مِنَ الْقَصَائِدِ الطَّنَائَةِ ، وَتَرْكُهَا لَطُولُهَا ؛ وَفِي آخِرِهَا يَقُولُ :

فَلَا تَدْعُونَ غَيْرِي لِذِفْرِ مُلْمِيَةٍ إِذَا مَا دَعَى مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ دَاهِكُ ^(٣)

فَمَا إِنْ لَذَاكَ الْعَوْتُ غَيْرِي سَامِعُ وَمَا إِنْ لَيْتَ الْحُجْدَ بَعْدِي سَامِكُ

يَنْعَمُ وَيَسْجَى نَهْشَلُ وَبُجَاشِعُ بِمَا أَوْرَثَنِي حَيْرُ وَالسَّكَاسِكُ

تُفَارِقُنِي الرُّوحُ الَّتِي لَسْتُ غَيْرَهَا وَطَيْبُ ثَنَائِي لِاصِيقُ بِي صَائِكُ

(١) فِي ط : « الْمَلِي » . وَمَا أَثْبَتَاهُ مِنْ م وَنَجْعِ الطَّيْبِ .

(٢) كَذَا فِي م وَجَعِ الطَّيْبِ . وَفِي ط : « حَلَالِكَ » .

(٣) كَذَا فِي ط . وَدَعَاكَ (كَتَمَهُ) : طَعَنَهُ وَكَسَرَهُ . وَفِي نَجْعِ الطَّيْبِ : « دَاعَاكَ » .

وَمَاذَا عَسَى تَرْجُو لِدَائِي وَأَرْتَجِي وَقَدْ شَمِطْتَ مِنِّي اللَّحْيَ وَالْأَفَانِكُ^(١)
يَعُودُ لَنَا شَرْنُخُ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى إِذَا عَادَ لَدُنِّيَا عَمِيلٌ وَمَالِكُ

ومما اشتهر من نظمه قوله :

أَرْقَى عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أَثَالٍ كَأَنَّهُ فِي جُنْحٍ كَلْبِي ذُهَالٍ
أَنَارَ شَوْقًا مِنْ صَمِيمِ^(٢) الْحَشَى وَعَبَّرَنِي فِي صَحْنٍ خَذَى أَسَالٍ
حَكِي فَوَادِي قَلْعًا وَاشْتِمَالٍ وَجَنَنَ عَيْنِي أَرْقًا وَانْهِمَالٍ
جَوَانِحُ تَلْفَحُ نِيرَانَهُمَا وَادْمَعُ تَهَلُّ مِثْلَ الْعُرَالِ^(٣)
فُولُوا وَشَاةُ الْحَبِّ مَا شِئْتُمْ^(٤) مَا لَدَّةُ الْحَبِّ سَوَى أَنْ يُقَالِ
أَعْذِرْ لَوْ أَمِي^(٥) وَلَا عَذْرَ لِي فَرَلَةُ الْعَالِمِ مَا إِنْ تُقَالِ
فَمَنْ نَظَرُ الدِّهَمِ بِشُمُولَةٍ نَقَصَرُ اللَّيْلِ إِذَا اللَّيْلُ طَالِ
وَإِطْلَا صَفَرَاءُ ذِمِّيَّةً تَمْنَعُهَا الذِّمَّةُ مِنْ^(٦) أَنْ تُقَالِ
كَأَلْسِنِكَ رِيحًا وَالْأَمْسَى مَطْمَعًا وَالتَّبَرُّ لَوْنًا وَالْهَوَا فِي اعْتِدَالِ
عَتَمَتَهَا فِي الدُّنْ خَارُهَا وَالْبِكْرُ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْحِجَالِ
لَا تُتَقَبِ الْمَصْبَاحُ لَا وَاشْفِي عَلَى سَنَى الْبَرْقِ وَضَوْءِ الْهِلَالِ

(١) الأفانك : جمع إفتيك ، وهو يجمع اللعينين أو طرفهما عند العنفة . وفي الأصلين : « الأفانك » ، بالهاء بدل الزون ؛ وفي تنقيح الطيب : « الأفانك » ؛ وظاهر أن في كلتا الروايتين تصحيحا .

(٢) في التنقيح : « صميم » .

(٣) العُرَالُ : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من البراية ونحوها .

(٤) في ط : « ما شَأْنُكُمْ » . وما أَيْتَاهُ عَلَمٌ وَتَنَقَّحَ الطَّيْبُ .

(٥) كذا في م . وفي ط وتنقيح الطيب : « عذرا لوائي » .

(٦) في التنقيح المخطوط : « ما » مكان قوله : « من » .

فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدى يَقْطَعُ^(١) وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخَيْالِ
 خُذْهَا عَلَى تَنْبِيهِمْ مُسْطَارَهَا^(٢) بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ النَّوَالِ
 فِي رَوْضَةٍ بِأَكْرُ وَتَسْمِيهَا أَحْمَلُ دَارِينَ وَأَنْسَى أَوَالِ^(٣)
 كَانَ قَارَ الْمَسْكِ مَتَّقُوقَةً^(٤) فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَا أَوْ كَمَالِ
 مِنْ كَفَّ سَاجِي الْغُرْفِ الْخَاطِلِ مَفْوَقاتُ أَبَدًا لِلنَّصَالِ
 مَنْ عَازِرِي وَالْكَلِّ لِي عَازِرُ مِنْ خَلِيٍّ الْوَعْدِ كَذَائِهِ
 كَانَ الدَّهْرُ وَأَيُّ أَمْرِي يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
 أَمَّا تَرَانِي آخِذًا نَاقِصًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي^(٥) مِنْ مُحَالِ
 وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَائِبًا كَثَلِ مَا عَابَتْهُ^(٦) قَبْلِي رِجَالِ
 يَأْتِي ثَرَاءَ الْمَالِ عَلَيَّ وَهَلْ يَجْتَمِعُ الصَّدَّانِ عَلَيَّ وَمَالِ
 وَتَأْنِفُ الْأَرْضُ مُقَامِي هَا حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ
 لَوْ لَا بَنُو زَيْبَانَ مَا لَدَّى السَّيِّئُ وَلَا هَانَتْ عَلَى الْكَيْبَالِ
 هُمْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَهُمْ خَفَفُوا عَلَى بَنَى الدُّنْيَا خُطَاهُ النَّقَالِ
 أَلْفَيْتُ^(٧) مِنْ غَامِرِهِمْ سَيِّدًا عَمَرَ رِدَاءَ الْحَدِيدِ جَمَّ النَّوَالِ

(١) السطار (ضم الميم) : الحجرة الصارعة لشاربها ، لعدة حوضتها .

(٢) دارين : فرسة بالبحرين ، كان بها سوق للمسك . وأوال (كسحاب) : جزيرة كبيرة بالبحرين ، عندها مناسم الأولو .

(٣) في النفع الطبوع : « مفتوحة » .

(٤) في النفع للطبوع : « سوفى » .

(٥) في النفع المخطوط : « بانبا ... عاب » .

(٦) في النفع وم : « لفيت » .

وَكَلْبَةً لِلْجُودِ مَنْصُوبَةً يَسْتَعِي إِلَيْهَا النَّاسُ فِي ^(١) كُلِّ حَالٍ ^(٢)
 خُذَهَا أَبَا زَيْبَانَ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَفْذَبٍ ^(٣) التَّرْعَةَ عَذْبَ الْمَقَالِ
 يَلْتَفِظُ الْأَلْفَاظَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظِمُ الْآلَاءَ نَظْمَ الْآلِ
 مُجَارِيًا مِهْيَازًا فِي قَوْلِهِ « مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخَيَالِ »

وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ مِهْيَازِ الَّتِي عَارَضَهَا ابْنُ خَمِيْسٍ هُوَ قَوْلُهُ :

« مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخَيَالِ أَتَشُدُّ لَيْلِي بَيْنَ طُولِ اللَّيَالِ »

وَرَبَّمَا يَهْجِسُ ^(٤) فِي خَاطِرٍ مِنْ يَرَى وَصْفَ هَؤُلَاءِ الْأَنْعَمَةِ لِلْخَمْرِ وَغَيْرِهَا ، أَنَّ
 ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا مَقْصِدُهُمْ بِذَلِكَ حِلَافٌ مَا يُتَوَقَّعُ ،
 فَلَا يُسَاءُ بِهِمُ الظَّنُّ ، فَإِنَّ الْمَذْرُوعَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بَيِّنٌ ، وَاعْتِقَادُ بَرَاءَتِهِمْ مِنْ
 هَذَا الشَّيْنِ مُتَعَيِّنٌ ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ شَيْخَ الشُّيُوخِ ، وَلِيِّ اللَّهِ الرَّبَّانِيَّ الشَّهِيرَ الْبَرَكَاتِ ،
 سَيِّدِي أَبَا مَدِينٍ شُعَيْبِيَا ، أَهَاضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِهِ إِذْ يَقُولُ ، طَلَى مَا نَسَبَهُ لَهُ
 بَعْضُ الْأَنْعَمَةِ :

بَكَتِ السَّحَابُ فَأَصْحَكَتْ لُبُكَائِهَا زَهَرَ الرِّيَاضِ وَقَاصَتْ الْأَنْهَارُ
 وَقَدْ أَقْبَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِخَلْقٍ خَضِرًا وَفِي إِسْرَارِهَا أَمْثَرُ
 وَأَتَى الرَّبِيعُ بِجَمِيلِهِ وَجُنُودِهِ فَتَمَتَّتْ فِي حُسْنِهِ الْأَبْصَارُ
 وَالْوَرْدُ نَادَى بِالْوُرُودِ إِلَى الْجَنَى قَسَائِقَ الْأَمْطِيَارُ وَالْأَشْجَارُ
 وَالْكَأْسُ تَرَقُّصُ الْعُقَارِ تَشْعُشَعَتْ وَالْجَوْ يَضْحَكُ وَالْحَبِيبُ يُرَارُ

شعر صوفي
لأبي مدين

(١) كَذَا فِي النَّفْحِ الْمَخْطُوطِ . وَفِي ط « مِنْ » . وَفِي م وَالتَّعْنِ الطَّبُوعِ « مِنْ » .

(٢) فِي النَّفْحِ الطَّبُوعِ وَالْمَخْطُوطِ : « نَالِ » .

(٣) فِي النَّفْحِ الطَّبِيبُ : « مُسْتَمْلَعٌ » .

(٤) فِي م : « يَنْجَمُ » .

وَالْعُودُ لِلْعِيدِ الْحَسَنِ مُجَابِبٌ وَالطَّارُ أَخْفَى صَوْتَهُ الزَّمَانُ
 لَا تَحْسَبُوا الزَّمَانَ الْحَرَامَ مُرَادَنَا مَرْمَانًا^(١) التَّسْبِيحُ وَالْأَذْكَارُ
 وَشَرَابُنَا مِنْ لُطْفِهِ وَغَنَائُنَا نِعَمَ الْحَبِيبِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارُ
 وَالْعُودُ عَادَاتُ الْجَمِيلِ وَكَاسُنَا قَبْلَ الْمَاتِ فَذَهْرُكُمْ قَسْدَارُ
 فَتَأَلَّفُوا وَتَطَيَّبُوا وَاسْتَعْنِمُوا قَبْلَ الْمَاتِ فَذَهْرُكُمْ قَسْدَارُ
 وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِالْفَقِيرِ إِذَا أَتَى مِنَ الدَّيْرِ فَإِنَّهُ غَفَّارُ
 نِمِ الصَّلَاةُ عَلَى الشَّيْخِ الْمُصْطَفَى مَا رَمَتْ بِلُغَاتِهَا الْأَطْيَارُ

وَقَدْ تَذَكَّرْتُ بِلَامِيَةِ ابْنِ خَمِيسٍ الْمَذْكُورَةِ ، قَصِيدَةً عَلَى رُويِّهَا وَوَزَنِيهَا ،
 أَوَّلُهَا قَوْلُهُ :

مَا حَالُ مَنْ فَارَقَ ذَاكَ الْجَلَالَ وَذَاقَ طَعْمَ الْهَجْرِ بَعْدَ الْوَصَالِ

[٤٤٧] وَهِيَ مِنْ نَظْمِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ الصَّالِحِ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ النَّازِي ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 رَأَيْتُ أَنْ أَذْكَرُهَا هُنَا كِفَارَةً لِمَا يَتَوَحَّه السَّامِعُ فِي لَامِيَةِ ابْنِ خَمِيسٍ ، وَقَدْ
 كُنْتُ رَأَيْتُ بِنُطْقَانِ تَحْمِيصٍ لِبَعْضِ الْأَكَارِ عَلَى قَصِيدَةِ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ هَذِهِ ،
 وَأَنْشَدْتُهُ الشَّيْخَ مَوْلَانَا الْعَمَّ ، شَيْخَ الْإِسْلَامِ ، سَيِّدِي سَعِيدَ بْنِ أَحْمَدَ الْقُرِّيَّ
 رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَأَنْفَعَلُ لَذَلِكَ غَايَةً وَاهْتِزَ ، وَهَآنَا أَذْكَرُ الْقَصِيدَةَ ضَمِنَ
 التَّحْمِيسِ ، وَهُوَ :

بَدَتْ كَفْضُنِي نَأْمَهُ فِي اعْتِدَالِ

وَأَبْدَلْتُ وَصْلِي بِصَادٍ وَدَالِ

قُلْتُ كَصَبِّ عَاشِقٍ حَيْثُ قَالَ

(١) كَذَا فِي طَوْفِ الطَّبِيبِ . وَفِي مَزْمُونِ الْفَرَادَا .

ما حالٌ مَنْ فارقَ ذاكَ الجمالَ وذاقَ طعمَ المهجرِ بعدَ الرِّصالِ
 صبَّ صباً مِنْ وَجدٍ لَحْظِ الرِّشا
 مِنْ حُبِّهِ عَنْ لُبِّهِ يُنْفَتِي ^(١)
 وسِرَّهُ يَدْمَعُهُ قَدْ فَشَا
 والمَقْلُ مِنْهُ ذَاهِبٌ والحَنَى مُلْتَهَبٌ والجِئِمُ يَخْشَى الْخَيَالِ
 شَأْنِي بِهَا مَا دُمْتُ فِي رِقِّهَا
 رَاقٍ وَلَا رَغْبَةً فِي عَيْنِهَا
 دُمْتُ لَهَا عَيْدًا وَمِنْ حَقِّهَا
 أَيْتُ أَرْعى النُّجْمَ فِي أَفْئِهَا وَلَيْلُ أَهْلِ الْحُبِّ رَحْبٌ طَوَالِ
 جَاءَ بِهَا التَّنْصِيسُ فِي جُمْلَتِي ^(٢)
 أَقْصَى بِهَا فَرْصِي وَهِيَ مِلَّتِي
 نَأَتْ بِصَبْرِي صِغْتُ وَاجْتَلَى
 والنَّمْعُ كَالذَّرَارِ مِنْ مُقْلَتِي يَجْرِي عَلَى الْوَجْنَةِ يَا لِلرَّجَالِ
 مَا عَمِرَتْ لِي بِالْهَوَى رَاحَةٌ
 مِنْ بَعْدِهَا وَلَا خَلَّتْ سَاحَةٌ
 مِنْ حُسْنِهَا إِذْ هِيَ وَضَاحَةٌ
 وَلَيْسَ لِي عَيْشٌ وَلَا رَاحَةٌ وَالْحَالُ يُغْنِي ذَا الْحِجَا عَنْ سُؤَالِ
 الْوَسْطَلُ قَدْ أَبْدَى لَنَا حُسْنَهُ

(١) انتفى : سكر . وفي الأصلين : « يَنْتَفِي » . ولعله محرف عما أبتناه .

(٢) في م : « التَّنْصِيسُ فِي حَلَقِي » .

والبعد^(١) قَدْ أَبَدَى لَنَا شَيْئَهُ^(٢)
 قُولُوا لِمَنْ لَيْلُ الْهَوَى جَنَّهُ
 يَا قَبِجَ اللَّهِ النَّوَى إِنَّهُ تَلَّ بِلا سَيْفٍ وداهِ عُضَالِ
 إِلْفِي مُذْ حَلَّ بِقَلْبِي قَضَى^(٣)
 أَعَادَهُ اللَّهُ لَنَا^(٤) بِالرَّضَا
 بِطَالِمِ السَّعْدِ وَنُورِ أَضَا
 وَيَا رَعَى اللَّهُ زَمَانًا مَضَى بِالْأَنْسِ فِي وَارِفِ تِلْكَ الظَّلَالِ
 اللَّهُ أَطْلَلُ بِهَا خَيَّمَتْ
 فَكَمْ بِهَا مِنْ أُمَّةٍ أُحْرِمَتْ
 وَيَا رَعَى اللَّهُ بِهَا مَا سَحَتْ
 ظِلَالُ نَبَاءٍ أَلَّتِي تَيَّمْتُ قَلْبِي وَخَلَّتْ مُهْجَتِي فِي نَكَالِ
 نِلْتُ لَدَيْكَ الْوَصْلَ فِي رُبِّهَا
 لَوْ دَامَ مَا غُيِّبْتُ عَنْ قُرْبِهَا
 فَكَيْفَ لَا أُغْلِنُ مِنْ حُبِّهَا
 آهًا لَهَا مَنْ لِي بِأَنْسٍ بِهَا خَوْفُ الْوَحْيِ^(٥) مَا يِنَّ تِلْكَ الْجِبَالِ
 تِلْكَ رُبُوعٌ فَازَ مَنْ حَلَّهَا

[٤٤٨]

(١) في م : « والصد » .

(٢) في الأصلين « سته » ، والظاهر أنها معرفة مما أنبتناه .

(٣) كذا في الأصلين ولعلها : « مضى » .

(٤) في ط : « علينا » .

(٥) في ط : « خوف الرجا » وفي م : « عرف الرجا » ، ولعله محرف مما أنبتناه .

وَعَقْدَةُ الْإِبْعَادِ قَدْ حَلَّهَا
 مَنْ لِي بِقُرْبِ أَجْنَتِي وَصَلَّهَا
 أَلْزَمَهَا أُبْتُ أُشْرَى لَهَا أَنْتُمْ^(١) الطَّرَفُ بِذَلِكَ الْجَمَالَ
 مَا فَازَ إِلَّا مَنْ غَدَا خِلَهَا
 وَمَنْ أَتَاهَا فَاصْطَدَا أَهْلَهَا
 يَا عَاشِقِينَ اسْتَغْطِفُوا دَلَّهَا
 اللَّهُ مَا أَحْسَنَ خَالًا لَهَا تَقْبِيلُهُ الْمَحْظُورُ عَيْنُ الْعَلَّالِ
 نَفْسِي فِدَا مَنْ حَلَّ فِي رَكْبِهَا
 وَمَرَّغَ الْغَدَّيْنِ فِي ثُرْبِهَا
 وَنَالَ ظِلَّ الْأَمْنِ فِي حِزْبِهَا
 وَمَا أَلَدَّ الْعَيْشَ فِي قُرْبِهَا فِي رِيَّةٍ بَدَلُ^(٢) الْعَطَا وَالنَّوَالِ
 يَا أَهْلَ ذَلِكَ لِلنَّصِيبِ الْمَوْتَوَى
 عَنْ حُبِّكُمْ قَلْبِي مَا يَرَعَوِي
 لِأَنْتَى مِنْ مَائِسِكُمْ أُرْتَوِي
 يَا سَادَتِي يَا صَفَوَتِي يَا ذَوِي بَرِّمِي وَشُكْرِي يَا كِرَامَ النِّعَالِ
 كَمْ بَتُّ تَيْلِي^(٣) بِكُمْ سَاهِرًا
 سَامِرُنُ فِيهِ كَوْنُكُمْ زَاهِرًا

(١) في م : « وأنتم » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « لجد بهد » مكان قوله : « في رية بدل » .

(٣) في م : « من ليل » مكان قوله : « ليلي » .

وصِرْتُ مِنْ شَوْقِي لَكُمْ ذَاكِرًا
 كَانَ سُرُورِي بِكُمْ وَافِرًا وَبَدْرُ سَعْدِي مُشْرِقًا فِي كَالٍ
 فَهَإِنَّا الْيَوْمَ أَعَانِي الْقَنَا
 وَظِلُّ أُمْنِي كَانَ فِي الْمُنْحَفَى
 وَبَدْرُ سَعْدِي نَاطِلٌ كَمِثْلِنَا
 فَانْخَفَ الْبَدْرُ وَزَاحَ الْهَمَا مَا كَانَ ذَا يَخْطُرُ مِنِّي بِيَالٍ [١١٩]
 يَا مَنْ عَادَا قَلْبِي بِهِمْ مُغْرَمًا
 مِنْ أَجْلِ خَوْدِ حُسْنِهَا قَدْ سَا
 مَنْ لِي بِهَا أَرْشَفُ ذَاكَ اللَّتَى
 يَا حَبِيبَةَ الْحَيِّ وَأَهْلَ الْحَيِّ أَنْتُمْ مَنَى قَلْبِي عَلَى كُلِّ حَالٍ
 كَانَتْ بِكُمْ لِي فِي الْهَوَى تَرْهَةً
 فَصِرْتُ^(١) أَبْكِي إِذْ بَدَتْ وَحْشَةً
 وَهَإِنَّا لَمْ تَرَقَّ لِي دَمْعَةً
 وَلَيْسَ بِي صَبْرٌ وَلَا سَلْوَةٌ عَنْكُمْ وَلَوْ شَطَّ التَّدَى وَاسْتَعْطَانُ
 يَا مَنْ قَلْبِي غَادَا مُوَلَمًا
 وَحَقٌّ مَنْ طَافَ وَمَنْ قَدْ سَمَى
 مَا الْعَبْدُ إِلَّا صَادِقٌ مَا ادَّعَى
 فَارْعَوْا ذِمَامِي وَاجْهَدُوا فِي الدُّعَا لِمُدْنَفِ الْمُضْنَى عَسَى ذُو الْجَلَالِ
 مَنَى أَرَى رَكِي بِهِمْ قَافِلًا

(١) في ط : « فسكنت » ، وما أجهتاه عن م .

وَرَبُّكُمْ أَضْحَىٰ بِهِ أَهْلًا
فَالْتَفَتَ أَرْجُو دَاعِيًا سَائِلًا
أَنْ يَجْمَعَ الشُّمْلَ بِكُمْ عَاجِلًا فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ لِلثَّالِثِ
وَمَنْ نَظَّمَ ابْنَ خَمِيْسِ الثَّلَاثَيْنِ الْمَذْكُورَ قَوْلُهُ :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي جُودًا
وَنَبَسْتُ عَنْ مِثْلِ يَمْنُطَى جَوْهَرًا
عَنْ نَاصِعٍ كَالَّذِ أَوْ كَالْبَرْزِي أَوْ
كَالطَّلَعِ أَوْ كَالْأَفْخُونِ مُؤَثِّرًا
تَجَرَّى عَلَيْهِ مِنْ لَمَاهَا نَظْفَةً
بِلِ خَمْرَةٍ لَكِنَّهَا لَمْ تُعْضِرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ خَمْرًا سَلَفًا رِيْقَهَا
تُرْزَى وَتَلَمَبُ بِالشَّهَى لَمْ تُحْطِرِ
وَكَذَلِكَ سَاجِي جَفْنِيهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ
فِيهِ مُهْتَدٌ لَحْظُهَا لَمْ يُحْذِرِ
لَوْ عَجَبْتَ طَرَفَكَ فِي حَدِيقَةِ خَدَّهَا
وَأَمِنْتَ سَطَوَةَ صُدُغِهَا الْمُتَمَنَّرِ
لَرَمَعَتْ مِنْ ذَلِكَ الْحِمَى فِي جَنَّةِ
وَكَرَعَتْ مِنْ ذَلِكَ اللَّحَى فِي كَوْتَرِ
طَرَفَتِكَ وَهَذَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا
حَضَبَاهُ دُرٌّ فِي بِسَاطِ أَخْضَرِ
وَالرَّكْبُ بَيْنَ مُصَمِّدٍ وَمُصَوَّبِ
بَيَاضًا إِذَا اعْتَسَكَرَتْ ذَوَائِبُ شَعْرِهَا
مَنْحَنَتِكَ مَا مَنَعَتْكَ بِقَطَانًا فَلَمْ
سَرَحَتْ غَلَاثِلَهَا ^(١) فَقُلْتُ سَبِيكُ
وَصَكَّأْنَا خَافَتْ بُعَاةَ وَشَاتِهَا
فَأَتَتْكَ مِنْ أَرْذَافِهَا فِي عَسْكَرِ
وَيَجِزِعُ ذَلِكَ الْمُنْحَى أَدْمَانَةً
تُخَلِّفُ مَوَاعِدَهَا وَلَمْ تَتَغَيَّرِ
تَعَطُّوْا فَتَسْطُوْا بِالْبَزْبِ الْقَسُورِ

[١٠٠]

وَتَحِيَّةُ بَجَاءِكَ فِي طَيِّ الصَّبَا أَزْكَى وَأَعَطْرُ مِنْ تَمِيمِ الْقَنْبَرِ
جَرَتْ عَلَى وَادِيكَ فَضْلٌ رَدَّاهَا فَعَرَفْتُ فِيهَا عَرَفَ ذَلِكَ الْإِذْخِرِ
هَاجَتْ بِلَابِلٍ نَازِحٍ عَنْ الْفِهِ مُنْتَوِقٍ ذَاكِ الْحَنَى مُنْتَقِرِ
وَإِذَا نَسِيتَ لَيْلَى الْقَهْدِ الَّتِي سَلَفَتْ لَنَا فَتَذَكَّرِيهَا تَذَكَّرِي
رُحْنَا تُغْنِيْنَا وَرَمُفُ نَعْرَهَا وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِثْلَ عَيْنِ الْأَخْرَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُفَضِّصٍ وَمُسْجِدِ وَالْجَوْ بَيْنَ مُمَسِّكِ وَمُعْصِرِ

وقد تذكرت بهذه القصيدة قول الأديب ابن مَرْج الكحل :

عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ الْكَتِيبِ الْأَغْفَرِ بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكَوْثَرِ
وَلْتَفْتَحْهَا قَهْوَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مِنْ رَاحَتِي أَخْوَى الرَّاشِفِ^(١) أَحْوَرِ
وَعَشِيَّةٌ قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتُهَا سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَعَذُّرِ
نَلْنَا بِهَا آمَالَنَا فِي رَوْضَةٍ تَهْدِي لِنَاشِئَتِهَا تَمِيمَ الْقَنْبَرِ
وَالدَّهْرُ مِنْ قِدَمِهِ يُسَفِّهُ رَأْيَهُ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بَغِيرِ تَسَكُّدِ^(٢)
وَالْوَزْقُ تَشْدُو وَالْأَرَاكَةُ تَنْفِي وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَبِصِ أَصْفَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُفَضِّصٍ وَمُسْجِدِ وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْزَهْمٍ وَمُدَّرِ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالزُّهَى^(٣) بِمُحْضَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعْصِرِ
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خُضْرَةَ شَطْلٍ سَيْفٌ يُسَلُّ عَلَى بِسَاطِ أَخْضَرِ

(١) كذا في ط والإحاطة (ج ٢ ص ٢٥٢) . وفي م : « اللامع » .

(٢) كذا في الإحاطة . وفي الأصلين :

« وَالنَّهْرُ مِنْ نَعْمٍ ... * فِيمَا صَفَا ... الْح »

(٣) في ط : « بِالرَّيَا » . وما أنبتاه عن م .

وَكَاَنَّا ذَاكَ الْحَبَابُ فَرِنْدُهُ مَهْمَا طَفَأَ^(١) فِي صَفْحِهِ كَالْجَوْهَرِ
وَكَاَنَّهُ وَجْهَانُهُ^(٢) مُحْفَوَّةٌ بِالْأَسِّ وَالْتُمُتِ خَذُّ مَعْدَرٍ
نَهَرُ يَهُيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهُيمَ وَيُحِيدُ فِيهِ الشَّعْرُ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
مَا أَصْفَرَهُ وَجْهُ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلَّا لَفَرْقَةٍ حُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ

وما أحسن قول ابن مَرْج الكحل للذكور :

رَأَوْا بِالْجِزْعِ بَرَقًا فَلَسْتَهُمُأُوا وَنَامَ الْعَاذِلُونَ وَلَمْ يَنَامُوا
وَعِنْدِي مِنْ مَرَاثِفِهَا^(٣) حَدِيثٌ يُخَبِّرُ أَنَّ رِبْقَتَهَا مُدَامٌ
وَفِي أَجْفَانِهَا السَّكْرَى ذَكِيلٌ وَمَا دُقْنَا وَلَا زَعَمَ الْهَمَامُ
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَجْرَى دُمُوعِي إِذَا عَرَضَتْ^(٤) لِقُلَّتِي الْخِلَامُ
وَأَشْجَانِي إِذَا لَاحَتْ بُرُوقُ وَأَطْرَبَنِي إِذَا غَفَى الْحَمَامُ

[٤٠١]

ولابن مرج
الكحل

وكان السلطان أبو عَيْنَانَ التَّيْنِي رحمه الله كثير الاعتناء بنظم الشيخ
أبي عبد الله بن خميس وحفظه وروايته . قال رحمه الله : أنشدني بلفظه الشيخ
الفقيه القاضي الحَدَّث ، الراوية العالم المدرِّس ، خطيب حضرتنا العلية ، أبو عبد الله
محمد بن الشيخ الأجل ، الصالح المبارك الراوية ، المرحوم أبي الحسن بن عبد الرزاق ،
وذلك بقصر المصاهرة يَمَنَّهُ الله ، في يوم الاثنين خامس عشر من شهر المحرم
المبارك ، مفتتح عام خمسة وخمسين وسبع مئة ؛ قال أنشدنا بلفظه شيخ الأدياء ،
وغل الشعراء ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحَمِيرِي ، ثم الحَجَرِي :
حَجَرِ زِي رُعَيْنِ ، لِنَفْسِهِ ، رحمه الله تعالى :

السلطان أبو عنان
يروى شعر
ابن خميس

(١) في الأصلين : « صفا » . والتصويب عن الإحاطة .

(٢) في الأصلين : « وكأنا وجناته » . والتصويب عن الإحاطة .

(٣) في الأصلين : « معاطلها » ، والتصويب عن الإحاطة .

(٤) في الإحاطة والنفع الطبع في مصر : « عنت » .

أَنْبَتُ وَلَسَكُنْ بَعْدَ طُولِ عِتَابٍ وَفَرَطٍ ^(١) لِحَاجِرِ ضَاعَ فِيهِ شَبَابِي
 وَمَا زِلْتُ وَالْقَابِ تَقَعَّى غَرِيمَهَا أَعْلَلُ نَفْسِي دَائِمًا بِمَشَابِ
 وَهِيَّاتٍ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ وَشَرَحِهِ يَلْدُ طَعَامِي أَوْ يَسُوعُ شَرَابِي
 خُدِعْتُ بِهَذَا الْغَيْشِ قَبْلَ بَلَانِهِ كَمَا يُخْدَعُ الصَّادِي بَلْعَ سَرَابِ
 تَقُولُ هُوَ الشَّهْدُ الْمَشُورُ حَمَالَةً وَمَا هُوَ إِلَّا السَّمُّ شَبَّ بِصَابِ
 وَمَا صَحِبَ الدُّنْيَا كِبْسَكِرٍ وَتَغْلِبِ وَلَا كَكَلَيْبٍ رَى فَعَلَّ ضِرَابِ
 إِذَا كَمَّتْ الْأَبْطَالُ عَنْهَا نَفْسُهَا أَعَارِبَ غُرَا فِي مُتُونِ عِرَابِ
 وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ نَقَامٌ مُفْضِلٌ نَلْقَاءُ مِنْهُمْ كُلُّ أَضِيدٍ نَابِ
 تَرَأَتْ لِحَسَّاسٍ نُحْيِلُهُ فُرْصَةً تَأَنَّتْ لَهُ فِي جَيْشَةٍ وَذَهَابِ
 لِحَافٍ بِهَا شَوْهَاءُ تُنْذِرُ قَوْمَهَا بِتَشْبِيدِ أَرْجَامٍ وَهَدْمِ قِبَابِ
 وَكَانَ رُغَاءُ السَّمْبِ فِي فَوْمِ صَالِحٍ حَدِيثًا فَأَنْسَاهُ رُغَاءُ سَرَابِ
 فَمَا تَسْمَعُ الْآذَانُ فِي عَرَصَانِهِمْ سَوَى نَوْحٍ تَكَلَّى أَوْ نَعْبٍ غُرَابِ
 وَنَلَّ عُرْوَةَ الرَّحَالِ ^(٢) عَنْ صِدْقِ بَاسِيهِ وَعَنْ بَيْتِهِ فِي جَمْعَرِ بْنِ كَلَابِ

(١) في م : « وطول » .

(٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، كان سيد هوازن ، ويلقب بالرحال ، وقد قتله البراء بن فليس الضمري ، جرت بين هوازن وفريش حرب الفجار الآخر ، وقد شهدها التي وله من العمر أربع عشرة سنة ، وكان يليل فيها على أعمامه . وسبب هذه الحرب أن العمان بن النضر ملك الحيرة ، كان يبعث إلى سوقي عكاظ في كل عام ، لطيفة في جوار رجل شريف من العرب يجبرها له ، حتى يتساع هناك ، ويشترى له بشئها من أدم الطائف ما يحتاج إليه ، فجهز العمان عبر الطليعة ، ثم قال : من يجبرها ؟ فقال البراء بن فليس الضمري : أنا أجبرها على بي كسامة . فقال له العمان : ما أريد إلا رجلا يجبرها على أهل نجد ونهامة . فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل هوازن كلها : أنا أجبرها لك على أهل الشيع والقبصوم ، في أهل =

وكانت على الأملاك منه وفادة
يُجِيرُ على الحَيِّين قَدْسٍ وَخِنْدِفِ
رَعاةُ مَرْجُوِّ النِّوَالِ مُؤَمِّلِ
قَمَرٍ بَرْجِيها حَواسِرَ ظُلَعًا
إلى فَدَلِكِ والمَوْتِ أَقْرَبُ ^(١) غَايَةً
تَبْرَضُ صَفْوِ العَيْشِ حَتَّى اسْتَشْفَعُ
فَأَضْبَحَ في تلكَ المَعاظِفِ نُهْرَةً
وما سَهْمُهُ عِنْدَ النَّصالِ بِأَهْزَعِ
ولكنها الدنيا تَكُرُّ على الفَتَى
وعادَتُها أَلَّا تَوَسُّطَ عِنْدَها
فلا تَرْجُحُ من دُنْيائِكَ ودا وإن يَكُنْ
وما الحَرَمُ كُلُّ الحَرَمِ إلا اجْتِنابُها
أَبَيَّتْ لَها ما دَامَ شَخْصِي أَن تَرى
فَكَمْ عَطَلْتُ مِن أَرْبَعٍ وَمَلابِ
وكم عَفَرْتُ من حَاسِرٍ وَمَدَجَجِ
إِلَيْكُمْ بى الدُّنْيا نَصِيحَةً مُشْفِقِ

[٤٠٢] إذا آتَ منها آتٌ خَيْرَ مآبِ
بِفَضْلِ يَسَّارٍ أَوْ بِفَضْلِ خِطابِ
وعَزَمُهُ مَسْوعِ الشُّعْأِ مُجَابِ
بِما سَمَلُها مِن مَتى وَرِغابِ
وهذا المَتى يَبْأَتِي بِكُلِّ عُجَابِ
فَذافَ لَه البَرَّاضِ قَشَبَ حُبابِ
لِتَهَبِ ضِبابِ أَوْ لَتَهَشِ ذِئابِ
ولا سِيبُهُ عِنْدَ المِصْاعِ ^(٢) بِنائِي
وإن كانَ منها في أَعْرَ نِصابِ
فأما سَما أَوْ تُخَوِّمُ تَرابِ
فما هو إِلَّا مِثْلُ ظِلِّ سَحابِ
فَأَشَقَّ الوَرى مَن تَصْطَلِي وتُحايِ
تَمُرُّ بِبِسابِي أَوْ تَطوُّرُ جَنابِي
وَكَمْ فَرَقْتُ مِن أَسْرَةٍ وَحِجابِ
وكم أَتَكَلَّتْ من مُنْصِرٍ وَكُتابِ
عَلَيْكُمْ بِصِيرٍ بِالْأُمُورِ نِقابِ ^(٣)

= نَحْدَ وَهَامَةٍ . فَدَفَعُها التَّيْمانَ إِلى عُرْوَةٍ ، فَنَجَّجَ بِها وَتَبِعَهُ البَرَّاضُ وَعُرْوَةَ لا يَخْضِي مِنْهُ شَيْئاً ، لِأَنَّهُ كانَ بَيْنَ ظَهْرانِي قَوْمُهُ مِنْ غُطْطانَ ، إِلى جَانِبِ فَدَكْ ، إِلى أَرْضِ يَمالَ لَها أَوارةٌ ، فَزَلَّ بِها عُرْوَةٌ ، فَضَرَبَ وَقَتْلَهُ قَيْتُهُ ؟ جَاءَ البَرَّاضُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ . وَإِلى هَذِهِ القِصَّةِ لَتِنا الأَبياتِ التَّسعةَ الَّتِي ابْتَدَأَتْ بِهَذا البَيتِ . (اَظْهَرُ تَفْصِيلُ الخَبَرِ في القِصَّةِ الفَرِيدَةِ لابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ في أَيَّامِ العَرَبِ ، عِنْدَ السَّكَّامِ عَلى يَوْمِ « الفُجَّارِ الآخِرِ » . (١) في نَبْعِ الطَّيِّبِ : « أَغْرَبَ » . (٢) المِصْاعُ : المُجالِدَةُ بِالسِّبُوفِ . وَالَّذِي في نَبْعِ الطَّيِّبِ : « الصِّراعُ » . (٣) النِقابُ (بِالسَّكْسَرِ) : الرِّجْلُ العَلَمَةُ .

طويلٍ مِرَاسٍ الذَّهْرُ جَزَلٍ مُّماحِكٍ عَرِيضٍ بِحَالٍ الِهَمُّ حِلْسٍ رِكَابٍ
تَأْتَتْ لَهُ الْأَهْوَالُ أَدَمَ سَابِقَا وَغَصَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِ
وَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي عَلَى الذَّهْرِ عَاتِبٌ فَاَعْظُمُ مَا يَنِي مِنْهُ أَيْسَرُ مَا يَنِي
وَمَا أَسْنِي إِلَّا شَبَابٌ خَلَقْتُهُ وَشَيْبٌ أَبَى إِلَّا نُصُولُ خِضَابِ
وَعُزْرَتُ مَضَى لَمْ أَحَلِّ مِنْهُ بَطَائِلَ سِوَى مَا خَلَا^(١) مِنْ لَوْعَةٍ وَتَصَابِي
لِيَالِي شَيْطَانِي عَلَى النَّعَى قَادِرٌ وَأَعَذِبُ مَا عِنْدِي أَلِيمٌ عَذَابِ
عَكَسْنَا قَضَائِنَا عَلَى حَكَمٍ عَادَا وَمَا عَكُسَهَا عِنْدَ النَّهْيِ بِصَوَابِ
عَلَى الْمُصْطَفَى الْخِتَارُ أَزْكَى تَحْيِيَّتِي فَتِلْكَ الَّتِي أَعْتَدْتُ^(٢) يَوْمَ حِسَابِي
فَتِلْكَ عَتَادِي أَوْ ثَنَاءٌ أَمْوَعُهُ كَدَّرَ سَحَابٌ أَوْ كَدَّرَ سِجَابِ

ومن مشهور نظم ابن خنيس رحمه الله تعالى :

[٤٥٣] عَجَبًا لَهَا أَيْذُوقُ طَعْمَ وَصَالِهَا مَنْ لَيْسَ بِأَمْلٍ أَنْ يَمُرَّ بِبَالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلُّهِ سَاعَةٍ مِنْهَا وَتَعْنِي زَكَاةَ جَرَالِهَا
كَمْ ذَادَ عَنِ عَيْنِي الْكَرَى مُتَأَلَّقٌ يَبْدُو وَيَخْفَى فِي خَفِيٍّ^(٣) مِطَالِهَا
يَسْمُو لَهُ بِدَرُ الدُّجَى مُتَضَائِلًا كَتَضَاوُلِ الْحَسَنَاءِ فِي أَشْمَالِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ بِقَيْسٍ نَارَهَا أَيْلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيلَةً مَالَهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَيِّفُ خَيَالِهَا فَتُصِيبُنِي الْخَاطِئُ الْبِنَالِهَا
كَمْ لِيْلَةٍ جَامَتْ بِهِ^(٤) فَكَأَنَّمَا زُفْتُ عَلَى ذُكَاةٍ وَقَتَ زَوَالِهَا

(١) في ط والنسخ : « ما خلا » . وما أبتناه عن م .

(٢) في م : « أعدت » .

(٣) في م : « في حي » . والمحلي : السحاب .

(٤) كذا في الأصلين . وفي نسخة الطيب : « جادت » .

أَسْرَى فَطَلَهَا وَعَطَلَ شُئْبَهَا بِأَيِّ شَذَا الْعِطَارِ مِنْ مِطْطَاهَا
وَسَوَادُ طُرُوتِهِ كَجَنْحِ ظَلَامِهَا وَبَيَاضُ غُرَّتِهِ كَقُصْوَةِ هِلَالِهَا
دَعَى أَشِيمَ بِالْوَهْمِ أَذَى ثَمَعَةٍ مِنْ نَقَرِهَا وَأَشْمَ مِسْكَةِ خَالِهَا
مَا رَادَّ طُرْفِي فِي حَقِيقَةِ خَدَّهَا إِلَّا لِمِثْقَلِهِ^(١) بِحَسَنِ دَلَالِهَا
أَنْسَبَ شِعْرِي رِقًّا مِثْلَ نَسِيمِهَا فَشَمُولُ رَاحِكٍ مِثْلُ رِيحِ شِمَالِهَا
وَأَنْقُلْ أَحَادِيثَ الْهَوَى وَاشْرَحْ غَرَبَ سَبْ لُغَاتِهَا وَأَذْكَرْ ثِقَاتِ رِجَالِهَا
وَإِذَا مَرَّزَتْ رَايَةَ فَتَوَقَّ مِنْ أَطْلَاسِهَا وَتَمَشَّ فِي أَطْلَالِهَا
وَأَنْصِبْ لِفُزْلِهَا^(٢) حِبَالَةَ قَانِصٍ وَدَعِ الْكَرَى شَرَّكَ كَالصَيْدِ غَزَالِهَا
وَأَسِرْ جَدَاوِلَهَا بِفَيْضِ دُمُوعِهَا وَأَنْصَحْ جَوَانِحَهَا بِفَصْلِ سِجَالِهَا
أَنَا مِنْ بَقِيَّةِ مَقْشَرِ عَرَكَتِهِمْ هَذِي النُّوَى عَرَكَ الرِّيحِ يَنْفِغَالِهَا
أَكْرِمُ بِهَا فِتْنَةَ أُرْبِقَ نَجِيمِهَا بَقِيَّةَ فَرَاقِ الْقَيْنِ حُسْنُ مَا لَهَا
خَلَّتْ مُدَامَتُهُ وَصَلِيهَا وَخَلَّتْ لَهُمْ فَإِنْ انْقَشُوا فَيَحْلُوها وَخَلَالِهَا
بَلَفَتْ بِهَرْمُسٍ غَايَةً مَا نَالَهَا أَحَدٌ وَنَاءَ لَهَا لِبُعْدِ مَنَالِهَا
وَعَدَّتْ عَلَى سُفْرَاطِ سُوْرَةٍ كَأَسِهَا فَهَرَبِقِ مَا فِي الدَّنِّ مِنْ جَرِيَالِهَا
وَسَرَتْ إِلَى كَارَابِ مِنْهَا نَفْثَةٌ^(٣) قُدْسِيَّةٌ خَافَتْ بِمُخْبَةِ آلِهَا
لِيَصُوغَ مِنَ الْخَانَةِ فِي خَانِهَا مَا سُوِّغَ الْقَيْسِ مِنْ أَرْغَامِهَا
وَتَغْلَغَلَتْ فِي سَهْرٍ وَزَدَ فَاسْتَهَرَتْ عَيْنَا بَوْرَقِهَا طُرُوقُ خِيَالِهَا

(١) فِي الْأَسْلَابِ : « نَفْثَتُهُ » . وَمَا أَتَيْنَاهُ مِنْ تَفْهِيمِ الطَّيِّبِ الطَّبُوعِ .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط وَتَفْهِيمِ الطَّيِّبِ الطَّبُوعِ : « لَمَزَلَهَا » . وَفِي التَّحْطُوطِ : « بَجَزَلَهَا » .

(٣) كَذَا فِي ط وَتَفْهِيمِ الطَّيِّبِ . وَفِي م : « نَفْثَةٌ » .

[١٥٤]

غلبا شهاب الدين لما أشرقت
 ما جنّ مثل جنونه أحد ولا
 وبدت على الشوذي^(١) منها نشوة
 بطلت حقيقته وحالت حاله
 هذى صبا بهم ررق صبا به
 اعلم أبا الفضل بن يحيى أننى
 فإذا رأيت مدلكا مثلى فخذ
 لا تعجب لي لما ترى من شأنها
 فصلاحها بفسادها ونعيمها
 ومن العجائب أن أقيم ببلدة
 شغلوا بدنيهاهم أما شغلهم
 حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم
 وإن انتسبت فأننى من دوحة
 من خير من ذى رعين من ذوى
 وإذا رجعت لطبعتى معفى فما
 لله ذلك أي نجل كريمة
 وخوى^(٢) فلم يثبت لنور جلالها
 سمحت يد بيضا^(٣) بمثل نوالها
 ما لاح منها غير أعمّة آلهها
 فيما يُعبر عن حقيقة حالها
 فيروق شاربها صفاء زلالها
 من يندبها أخرى على آملها^(٤)
 في عدل إن كنت من عدلها
 في خلها إن كان أو تر حالها
 بعدابها ورشادها بصلاحها
 يوما وأسلم من أذى جملها
 عفى فكهم ضيقت من أشغالها
 شمس الهدى عيشوا بضوء ذلالها
 يتفيا الإنسان^(٥) برّد ظللالها
 حجر من العظام من أقبالها
 سلساله بأرق من صلصالها
 ولدته فاس منك بعد حبالها

(١) كذا في نفع الطب . وفي الأصلين : « وضوى » .

(٢) ق ط : « سمحت به أبيضاً » . وفي م : « سمحت يد أبيض » : وما أتيناها
عن النفع المطبوع .(٣) كذا في الأصلين ، وهو تحريف . وفي نسخة من نفع الطب : « للشود » .
ولله محرف أبيضاً عن : « ممشاد » ، وهو ممشاد الدينوري ، صوفي مشهور ،
توفى سنة ٢٩٩ هـ .

(٤) كذا في ط . وفي م : « آسأله » . ولله محرف عن « أمثالها » .

(٥) كذا في ط . وفي م : « تنقيل الأنساب » .

وَلَأَنْتَ لَا عَدِمَتْكَ وَالِدُ نَحْرِهَا وَيَسْمَاكَ سُوْدُودِهَا وَيَبْذُرُ كَالهَا
أُغْلُظَ عَلَى مَنْ عَاثَ مِنْ أَنْدَالِهَا وَاخْشَعَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ أَبْدَالِهَا
وَالْبَسَ بِمَا أَوْلَيْتَهَا مِنْ نَعْمَةٍ حُلَّ التَّشَاءِ وَجُرَّ مِنْ أَذْيَالِهَا
خَذَهَا أَبَا الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى نُحْفَةً جَاءَتْكَ لَمْ يُنْسَجِ عَلَى مِثْوَالِهَا
مَا جَاءَ فِي مِضَارِهَا شِسْعَرٌ وَلَا سَمَحَتْ قَرِيحَةً شَاعِرٍ مِثَالِهَا
وَأُنْزِلَ أَبَا الْبَرِّ كَاتٍ مِنْ رَرَكَاتِهَا وَادْفَعَ عَمَالَ شُكُوكِهَا مِنْ آهْلِهَا^(١)

قال السلطان أبو عinar رحمه الله : أخبرنا شيخنا الإمام العالم العلامة ،
وحيد زمانه ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي رحمه الله ، قال :

لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التتسي من تلمسان إلى بلاد
المشرق ، اجتمع هناك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، فكان من [٤٠٠]
قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خديس ؟ وجعل يحلّيه بأحسن
الأوصاف ، ويطنّب في ذكر فضله ؛ فتبيّن الشيخ أبو إسحاق متعمّدا ، وقال :
من يكون هذا الذي حلّيتموه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلدي ؟ فقال له هو القاتل :
« عَجَبًا لَهَا أَيَذُوقُ طَعْمَ وَصَالِهَا »

قال : قلت له : إن هذا الرجل ليس هو عندنا بهذه الحالة التي وصفتهم ،
إنما هو عندنا شاعر فقط . فقال له : إنكم لم تُنصفوه ، وإنه لتحقيق بما وصفناه .
قال السلطان أبو عinar : وأخبرنا شيخنا أبو عبد الله المذكور أن قاضي القضاة
ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له ، تعلق موضع
جلوسه المطالعة ، وكان يُخرجها من تلك الخزانة ، ويكثر تأملها والنظر فيها .

ثم قال السلطان أبو عinar : قال لنا شيخنا أبو عبد الله الآبلي المذكور :

(١) كذا في م . وفي ط : « بحالها » . مكان قوله : « من آهْلِهَا » .

ولقد تعرفت أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة تقي الدين المذكور، لم يقرأها حتى قام بإجلالها انتهى .

وقد وصل ابن خبیس رحمه الله هذه القصيدة إلى قاضي القضاة بنتر لم أثبتة هنا أطوله ، ولما قيل إن هذا الرجل مَعَرَّى التَّرْعة ، أى نفاذه أحسن من نثره ؛ وقد أوردها ابن الخطيب في الإحاطة ، وأوردها السلطان أبو عنان في مَرْيَاتِه . وكان ابن خبیس بعد مصادفته ببلده تِلْسان ، سقى الله أرجاءها أنواء نَيْسان^(١) ، كثيرًا ما يتشوق لتشاهدتها ، ويتأوه عند تذكره لمعاهدتها ، وهى شِيمة الأحرار في حنينهم إلى أوطانهم ، ولدهر إحلاله وإسراار .

شوق ابن خبیس
إلى بلده تلسان

[٤٥٦] فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى :

تِلْسانُ لوْ أنْ الزَّمانَ بها يَسْخو	مُنَى النَّفْسِ لادارُ السلامِ ولا الكَرْخُ
ودارى بها الأولى التى حيل دُونِها	مَنارُ الأُمى لوْ أمكنَ الحَقِيقَ اللَّبِخُ ^(٢)
وعهدى بها والعمرُ فى عُنفوانِه	وما شَبابى لا أُجِيبُ ولا مَطْخُ ^(٣)
قَرارةٌ تَهَيَّامُ ومَغنى صَبابةٍ	ومَقْهَدُ أنسٍ لا يَبْلُغُ به لَطْخُ
إذِ الدَّهرُ مَنَحَنِ العِنانِ مُهِنَةً	ولا رَدْعُ يَتْنى مِنْ عِنائى ولا رَدْعُ ^(٤)
ليالى لا أَصْغى إلى عَدَلٍ عاذِلٍ	كأنَّ وقوعَ العَدْلِ فى أُذُنِي صَمَخُ ^(٥)
مَعاهِدُ أنسٍ عَطَلَتْ فَكأنَّها	ظواهرُ ألقاظٍ تَعَمِّدها النَّسْخُ
وأربُعُ آلافٍ عفا بَعْضُ آيِها	كما كانَ يَغرو بِمَعْضِ أَلوانِنا اللَّطْخُ ^(٦)

(١) كذا فى دفع الطيب . وفى الأصلين . « التيسان » .

(٢) البليخ : الاحتياج .

(٣) الطخ : ما يبنى فى الحوص والغدير من الماء الذى فيه الدعاميس ، لا يقدر على شربه .

(٤) الردخ : الردع .

(٥) الصمخ : الصرب فى صاخ الأذن .

(٦) اللطخ : النلوث .

فَمِنْ يَكُ سَكْرَانًا مِنَ الْوَجْدِ مَرَّةً فَبَيْنَ مِنْهُ طَوْلٌ دَهْرِي أَمْلَتْحُ^(١)
وَمَنْ يَقْدَحُ زَنْدًا لِمَوْقِدِ جَذْوَةٍ فَزَنْدُ اسْتِثْنَائِي لَا عَمَّارٌ وَلَا مَرَّخُ^(٢)
أَأَنْتَى وَقُوفِي لَاهِيَا فِي عِرَاصِهَا وَلَا شَاغِلٌ إِلَّا التَّوَدُّعُ وَالسَّبَخُ^(٣)
وَالَا اخْتِبَالِي مَاشِيًا فِي سِمَاطِهَا رَخِيًا كَمَا يَمْشِي بَطْرَانُهُ الرُّخُ^(٤)
وَالَا قَعْدَوِي مِثْلُ مَا يَنْفِرُ الطَّلَا وَلَيْدًا وَحَجَلِي مِثْلُ مَا يَنْهَضُ الْفَرَّخُ
كَأَنِّي فِيهَا أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكِ وَلَا مُلَّاكٌ لِي إِلَّا الشَّبِيبَةُ وَالشَّرَخُ
وَإِخْوَانُ عَيْدِي مِنْ لِمَانِي كَأَنَّهُمْ جَاذِرُ رَمْلِ لَا عِجَافٌ وَلَا بُرْخُ^(٥)
وَعَاةٌ لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْهُدَى وَعَنْ كُلِّ فَحْشَاءٍ وَمُنْكَرَةٍ صُلُخُ^(٦)
هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ سَرَيَانٍ فِي الْعَلَا شَبَابُهُمُ الْفُرْعَانُ وَالشَّبِيبَةُ الشَّلُخُ^(٧)
مَضَوْا وَمَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ وَأَنْتَهُ وَمَرَّ الصَّبَا وَالْمَالُ وَالْأَهْلُ وَالتَّبَذُخُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا لِأَهْلَامِهِمْ بِهَا صَرِيرٌ وَلَمْ يُسْمَعْ لَأَكْهَبِهِمْ جَبِينُ^(٨)
وَلَمْ يَكُ فِي أَرْوَاحِهَا^(٩) مِنْ ثَنَائِهِمْ كَتَمِيمٌ وَلَا فِي الْقَضْبِ مِنْ لِينِهِمْ مَلُخُ^(١٠)
وَلَا فِي نُحْيَا الشَّمْسِ مِنْ هَدْيِهِمْ سَتَى وَلَا فِي جَبِينِ الْبَدْرِ مِنْ طَبِيبِهِمْ ضَمُخُ^(١١)

(١) يقال سكران ملتح : إذا كان لا يفهم شيئاً ، لا خلط عقله .

(٢) العمار والرخ : نوعان من الشجر يسرع استهلاكهما .

(٣) السبخ : الفراغ .

(٤) الرخ : طائر كبير ، يرد ذكره في الفصص والحرافات .

(٥) البرخ (بالفتح) : خروج الصدر ودخول الظهر ، ومنه رحل أربخ ، وامرأة برخاء ، والجمع برخ .

(٦) صلح : جمع أصلح ، وهو الأسم جدا ، لا يسمع ألبته .

(٧) الشلخ : جمع أصلح وهو الأصلع الشديد الحررة .

(٨) الجبين : إجابة الكعاب في الميسر .

(٩) في نوح الطيب المخطوط : « في أدواحها » .

(١٠) الملح : الثني والتكسر .

(١١) الضمخ : لطخ الجسد بالطيب .

سَعَيْتُمْ بَنِي عَمُورٍ فِي شَتِّ شَمْلَانَا فَمَا نَجَرُكُمْ رِيحٌ وَلَا عَبْشَمًا رِيحٌ^(١)
 دُعَيْتُمْ إِلَى مَا يُرْتَجَى مِنْ صَلَاحِكُمْ فَرَدَّكُمْ عَنْهُ الشَّجَرُفُ وَالْبَيْمُخُ^(٢)
 نَعَالَيْتُمْ عَجَبًا فَطَمَّ عَلَيْكُمْ عُبَابٌ لَهُ فِي رَأْسِ عَلَيَانِكُمْ جَلَخٌ^(٣)
 وهي طويلة جدا ، ألمَ فيها بمدح سَبْنَةِ ومَلُوكَهَا بَنِي الْقَرْفَى ، فقال :

[٤٥٧] نَزَكْتُ لِمَيْمًا سَبْنَةً كُلُّ نَجْمَةٍ كَمَا نَزَكْتُ لِلْعَمَزِ أَهْصَابُهَا الشُّمُخُ^(٤)
 وَأَلَيْتُ أَلَّا أُرْنَوِي غَيْرَ مَا نَهَا وَلَوْ حَلَّ لِي فِي غَيْرِهِ الْمُنُّ وَالْمَذُخُ^(٥)
 وَأَلَّا أَحْطَ الدَّهْرَ إِلَّا بِغَفْرِهَا وَلَوْ بَرَأْتَنِي دَارَ إِمْرَنَهَا بَلَخُ
 فَكَمْ نَقَعْتُ مِنْ غُلَّةِ نَيْلِكُمْ الْأَضَا وَكَمْ أَبْرَأْتُ مِنْ عِلَّةِ نَيْلِكُمْ اللَّائِيخُ^(٦)
 وَحَسْبِي مَعَهَا عَدْلُهَا وَاعْتِدَالُهَا وَأَبْجُرُهَا الْعُطْلَى وَأُرِيافُهَا التُّنْفُخُ^(٧)
 وَأَمْلَاكُهَا الصَّبْدِ التَّفَاوِيلُ الْآلِي إِيْزَاهِمُ نَعْنُو الطَّرَاحَةُ الْبُلْبُخُ^(٨)
 كَوَاكِبُ هَذِي فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ نَفْصِي فَمَا يَذْجُو ضَلَالٌ وَلَا يَطْخُو^(٩)
 ثَوَابُ أَوَارٍ تُرَى كُلُّ غَامِضٍ إِذَا النَّاسُ فِي طَخْبَاءِ غَيْبِهِمُ التَّنْخُوا^(١٠)

(١) ريح (كفرح ومع) : وقع في الشدائد .

(٢) الجمع : المتكبر .

(٣) جبل السيل الوادي جلجلا : قطع أجراءه وملاؤه .

(٤) كذا في الأصلين وفي فتح الطيب : « ... للعمز أعضادهما شمع » .

(٥) المذخ : نوع من العسل يظهر في حثائر الرمان البري ، ينمصه الناس .

(٦) البليخ (محركة) : اسم حلس لشجر معروف . واحدته : لبة (التهريك) وسكن البلاء لضرورة الشعر .

(٧) الفخ : جمع فمحاء ، وهي الأرض المرتفعة المسكرة ، ليس فيها رمل ولا حجارة ، أو هي الأرض القارية فيها ارتفاع . وجمه : تماخي ، كصهارى ، لسكن الشاعر راس هذا ما فيه من الوصية ، فجمعه على فعل ، كعمراء وحر .

(٨) الطراحة : جمع مطرخم ، وهو المتكبر . والبليخ جمع أبلخ ، وهو المتكبر أيضا .

(٩) يطخو تشدد ظلالته .

(١٠) الطخباء : الطلعة الشديدة . والتخوا : حاروا والتبس عليهم الأمر .

- وَرَوَّضَاتُ آدَابٍ إِذَا مَا تَأَرَّجَتْ تَضَاعَلُ فِي أَفْبَاءِ أَفْنَانِهَا الرَّمْعُ^(١)
 تَجَامِرُ نَذْرٌ فِي حَدَائِقِ زَرْجِسَ تَنْمُ وَلَا أَلْفَحُ يُصِيبُ وَلَا دَخُ^(٢)
 وَأَجْرُ عِلْمٍ لَا حِجَاصُ رِوَايَةٍ فَيَكْبُرُ مِنْهَا النَّضْحُ أَوْ يَعْظُمُ النَّضْعُ
 بَنُو الْقَزَفَيْنِ الْآلَى مِنْ صُدُورِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ تُثْمَلُ الْقِرَاطِيسُ وَالطَّرْنُخُ^(٣)
 إِذَا مَا فَتَى مِنْهُمْ تَصْدَى لِفَايَةٍ تَأْخَرُ مَنْ يَنْحُو وَأَقْصَرُ مَنْ يَنْحُو^(٤)
 رِبَاسَةٌ أَخْبَارٍ وَمُلْكُ أَفَاضِلٍ كِرَامٌ لَمْ فِي كُلِّ صَاحِفَةٍ رَضِخُ^(٥)
 إِذَا مَا بَدَأَ مِمَّا جَفَاءَ تَعَطَّفُوا عَلَيْنَا وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا شِدَّةَ رَخْوَا^(٦)
 زَوْرُهُمْ حُسْداً نَحَاها فَتَنَنْتِي وَأَجَالْنَا دُلْحُ وَأَبْدَانْنَا دُلْحُ^(٧)
 يُرَبُّونَنَا بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنَّهْيِ فَمَا خَرَجْنَا بَرًّا وَلَا حَدَّثْنَا بَرْنُخُ^(٨)
 وَمَا الزُّهْدُ فِي أَمْلَاكٍ لَخْمٍ وَلَا التَّقَى بِيَدْعُ وَلِلدُّنْيَا لَزُوقُ بَيْنَ رَخْوِ^(٩)
 وَإِلَّا فَتَى رَبِّ الْغَوَزِ نَقَّ عُنْيَةٍ فَمَا يَوْمُهُ سِرٌّ وَلَا صِيَّتُهُ رَضِخُ^(١٠)

(١) الرمح : الشجر المجتمع .

(٢) الدخ (بفتح الدال ومنها) : الدخان .

(٣) الطرخ : اسم جنس جمي ، واحده طرخة . وهي حوص واسع يحتمل عند محرج الفتاة ليجتمع فيه الماء ، ويصب منه إلى المزرعة .

(٤) ينحو : يقتصر ويضعف .

(٥) أصل الرضخ : العطاء اليسير . والمراد هنا : العطاء ، مطلقا ، كما بينهم من الديار .

(٦) رخوا : لا توا .

(٧) حذا : جمع أخذ ، وهو الضامر . والدخ : جمع الدلوخ ، وهو الذي يمتلئ بحمله منفض الخطو لثقله ، وأصله : دُخ (بضم اللام) ، وسكن للوزن . ودخ : جمع دلوح ، أي سمين ، وأصله بضم اللام كذلك .

(٨) البر والابتنان : أخذ الشيء بغيره وقهر . والبرخ : الفهر .

(٩) أملاك لخم : يريد ملوك اللخميين . والمراد (هنا) بنو العزق أصحاب سبته ، لأنهم لخميون في أنسابهم . ويرخو : يلين .

(١٠) الحورنق : قصر بحيرة الكوفة ، بناء النعمان بن أمية الفيس بن عمرو بن عدى الحمصي ، وهو الذي ليس المسوح ، وساح في الأرض . والرضخ : خبر تسمه ولا نسبته .

- تَطْلَعُ يَوْمًا وَالسَّيْرُ أَمَامَهُ وقد نال منه العُجْبُ ما شاء. والجَفْنُ (١)
 وَعَنْ لَهُ مِنْ شِبَعَةِ الْحَقِّ قَائِمٌ بِحِجَّةٍ صِدْقٍ لَا عِبَامَ وَلَا وَشَحْ (٢)
 فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ السُّوْحَ زَهَادَةً وقد كَانَ يُؤْذِي بطنَ أَحْمَصِهِ النَّخْ (٣)
 وَفِي وَاحِدٍ الدُّنْيَا أَبِي حَاتِمٍ لَنَا دَوَاءٌ (٤) وَلَكِنْ مَا لَأَدْوَانُنَا نَفْخُ (٥)
 تَخْلَى عَنِ الدُّنْيَا تَخْلَى عَارِفٍ يَرَى أَنَّهَا فِي تَوْبٍ نَخْوَنَهُ كَفْخُ (٦)
 وَأَعْرَضَ عَنْهَا مُسْتَهِينًا بِقَدْرِهَا فَلَمْ يَقْنَنِ مِنْهَا اجْتِنَابٌ وَلَا مَضْخُ (٧)
 فَكَانَ لَهُ مِنْ قَلْبِهَا الْحُبُّ وَالْهَوَى وَكَانَ لَهَا مِنْ كَفِّهِ الطَّرْحُ وَالطَّخُ (٨)
 وَمَا مُعْرِضٌ عَنْهَا وَهِيَ فِي طِلَابِهِ كَمَنْ فِي يَدَيْهِ مِنْ مَعَانِهَا نَبْخُ (٩)
 وَلَا مُدْرِكٌ مَا شَاءَ مِنْ شَهَوَاتِهَا كَمَنْ حَفَظَهُ مِنْهَا التَّمَجُّعُ (١٠) وَالتَّنَجُّعُ (١١)
 وَلَسَكُنَّا نَعْمَى مِرَارًا عَنِ الْهُدَى وَنَصَالِحُ حَتَّى مَا لَأَذَانُنَا ضَمَخُ (١٢)

(١) السدير : نهر بناحية الحيرة . والجفن : النحر .

(٢) العبام : العمى التليل . والوشح : الردى الضعيف .

(٣) السوح : جمع سوح ، وهو توب من الشعر غليظ ، يلبسه الزهاد والمفنفون . ويجتاب السوح : يتجنبها ملبساً ، والنخ : صرب من البسط .

(٤) كذا في م . وفي ط : « بلاع » .

(٥) تنخ القى : انتزع .

(٦) تنخ التوب (كتم) : لطمه أو شقه .

(٧) كذا في نفخ الطيب ، والمصحح انتزع القى . وجذب عن جوف شيء آخر . وفي م : « فضخ » وهو كسر نبي . أجوف . وفي ط : مضخ ، وفيه تحريف .

(٨) كذا في ط . وفي م « طرقة » بدل « كفه » . والطخ : رمى القى . وإباداه .

(٩) التبع : قروح في اليد بسبب العمل تحتل ماء ، فإذا تقفأت أو بيست مجلت اليد ، فصببت .

(١٠) كذا في ط ، والتجع : الاكتفاء بالقليل من التمر اليابس والبن . وفي م : « التجع » ، وهو النوم الخفيف .

(١١) التبع : النخلة والسأم ؛ يريد أنه زاهد فيها .

(١٢) نصلح : نصح . والصبخ : جمع صباخ ، وأصله صبح (بضم الم) .

- وَمَا لِأَمْرِئٍ عِندَ اللَّهِ مَزَاحٌ وَلَا أَقْضَاءَ اللَّهِ تَقْضُ وَلَا نَسْخَ^(١) [٤٠٨]
 أَبَا طَالِبٍ لَمْ تَبْقَ شَيْعَةُ سُودْدَ يُسَادُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا سِنْخُ
 لَسَوْغَتْ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ أَيَادِيَا لِدِرَّتِهَا فِي كُلِّ سَامِعَةٍ شَخْ^(٢)
 وَأَجْرِيَتْهَا فِيهِمْ عَوَائِدُ سُودْدَ فَمَا لَمْ كَسْبُ سَوَاهَا وَلَا نَخْ^(٣)
 غَذَّتْهُمْ غَوَادِيهَا فِيهِ فِي عُرُوفِهِمْ دِمَاءٌ فِي أَعْمَاقِ أَعْظَمِهِمْ مُنْخُ
 وَغَمَّتْهُمْ حَزَنًا وَسَهْلًا فَاصْبَحُوا وَمَرَعَاهُمْ وَزَخْ وَمَرَعِيَّتُهُمْ وَلَنْخُ^(٤)
 بَنَى الْعَرَفِيِّينَ أَبْلَغُوا مَا أَرَدْتُمْ فَمَا دُونَ مَا تَبْغُونَ وَخَلْ وَلَا زَلْخُ^(٥)
 وَلَا تَقْعُدُوا عَمَّنْ أَرَادَ سِجَالَكُمْ^(٦) فَمَا غَرَبُكُمْ جُفْ^(٧) وَلَا غَرَفُكُمْ وَضَخُ
 وَخَلُّوا وَرَاءَ كُلِّ طَالِبٍ غَابِ وَتَبْهَوْا عَلَى مَنْ رَأَى شَأَوْكُمْ وَأَنْغُوا^(٨)
 وَلَا تَذَرُوا الْجُوزَاءَ تَقْلُو عَلَيْكُمْ^(٩) فِي رَأْيِهِمْ أَمِنْ وَطْءُ أَشْلَافِكُمْ شَذْخُ
 لَا فَوَاهُ أَعْدَائِي وَأَعْيُنُ حُسْدِي إِذَا جُلِيَتْ خَائِنَتِي الْقَصُ وَالْفَضْخُ
 دَعَوْهَا تَهَادَى فِي مُلَاةٍ حُسْنِهَا فِي نَفْسِهَا مِنْ مَدْحٍ أَمْثَلِهَا مَدْخُ^(١٠)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « فَسَخ » .

(٢) الشَّخْ : صَوْتُ الشَّخْبِ إِذَا حَرَجَ مِنَ الضَّرْعِ .

(٣) النَّخْ : السَّيْرُ الْمَتَبِّعُ ، وَسَوْقُ الْإِبِلِ وَزَجْرُهَا وَاحْتِثَائُهَا ؟ يُرِيدُ أَنَّ الدِّينَ عَرْدٌ مِ
 عَادَاتِ كَرَمِهِ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الرَّحَلَةِ لِاتِّبَاعِهِ غَيْرِهِ .

(٤) الْوَزْخُ : شَجَرٌ يُشَبِّهُ الْمَرْخَ فِي نَيَاطِهِ عِزُّهُ أَغْبَرُ لَهُ وَرَقٌ دَقِيقٌ . وَالْوَلْخُ مِنْ
 الْعَصَبِ : الطَّوِيلُ .

(٥) الزَّلْخُ : الْمَزَاقَةُ تَرْلُ مِنْهَا الْأَفْدَامُ لِنِدَاوَتِهَا ، لِأَنَّهَا مَسْفَاةٌ مَلْسَاءٌ .

(٦) الْغَرَبُ : الدَّلُوُ الْمَطْبِيَّةُ . أَمَّا الْجَفْ فَمِنْ مَعَانِيهِ الدَّلُوُ الْمَطْبِيَّةُ ، وَلِأَمْلِ الْمَرَادَةِ (هَآ) :
 الشَّنُّ الْبَالِي يَقْطَعُ مِنْ نَصْفِهِ ، فَيَجْعَلُ كَالدَّلُو .

(٧) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَالْغَرَفُ : أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ بَرٍّ أَوْ نَحْوِهَا . وَفِي الْأَصْلَيْنِ « عَرَفَكُمْ » .

(٨) الْوَضْخُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ .

(٩) أَنْغُوا : مِنَ الْخَوْفِ ، وَهِيَ الْإِفْتِخَارُ وَالْعِظَمُ . (١٠) الْمَدْخُ : الْمَغْظَمَةُ .

يَمَانِيَّةٌ زَارَتْ يَمَانِيْنَ فَأَنْتَنَتْ وَقَدْ جَدَّ فِيهَا الزَّهْوُ وَاسْتَحْكَمَ الزَّمْنُخُ ^(١)

ومن مطلع قصيدة لأن خميس رحمه الله في مدح بلده نلسان — حاطها
الله تعالى — قوله :

نِلْسَانُ جَادَتْهَا ^(٢) الْقَوَادِي الرِّوَانُحُ وَأَرْسَتْ بِوَادِيهَا ^(٣) الرِّيحُ الْوَافِجُ

وَسَجَّ عَلَى سَاحَاتِ بَابِ جِيَادِهَا مُلِثٌ بِصَافِي تَرْبَتِهَا وَيُصَافِحُ

يَطِيرُ فُؤَادِي كُلَّمَا لَاحَ بَارِقُ وَبَزَّ دَادُ شَوْقِي كُلَّمَا مَرَّ سَالِحُ

ولم يعلّق بحفظي من هذه القصيدة سوى ما ذكرت . وكنت تركتها
بنِلْسَان ، ولم أرها الآن بفاس ، حماها الله .

و « باب جياذ » التي أشار إليها هي إحدى ^(٤) أبواب نلسان المحروسة ،
وفيهما يقول الفقيه العلامة الناطم النائر ، أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري ، من
قصيدة رفعها للسلطان أبي حمو ، رحم الله الجميع :

أَيُّهَا الْخَافِظُونَ عَهْدَ الْوِدَادِ جَدِّدُوا أَنْسَنَا بِبَابِ الْجِيَادِ

وَصِلُوهَا أَصْلًا بَلِيَالٍ كَلَالٍ نُظْمُنْ فِي الْأَجِيَادِ

فِي رِيَاضِ مُنْصَدَاتِ الْحَيَانِ بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا وَتِلْكَ الْوِهَادِ

وَبُرُوجِ مُشَيِّدَاتِ التَّمَانِ بِأَدْيَاتِ السَّيِّ كَشْهَبِ بَرَادِي

رَقِّ فِيهَا النَّسِيمُ مِثْلَ نَسِيمِي ^(٥) وَصَا التَّهْرُ مِثْلَ صَفْوِ وَدَادِي

وَزَهَا الزَّهْرُ وَالنُّصُونُ ثَنَّتْ وَتَغَنَّتْ عَلَيْهِ وَزُقُ شَوَادِي

[٤٠٩]

(١) الزمخ : السكر . زمخ بألفه زعما (كمع) : شمع .

(٢) في ط : « جادتك »

(٣) في م : « عفاها »

(٤) كذا في الأصلين . والمعروف أن الباب مذكر ، ولكن للعارفة يؤنثونه في
لسانهم العامي .

(٥) في ط : « نسيمي »

من قصيدة
أخرى له في
الشوق إلى
نلسان

قصيدة للثغري
في وصف نلسان

وانبهرى كل جَدولٍ كخُسامٍ
وظلالُ الغُصونِ تَكُتُبُ فيه
تَذَكُّرُ الوَسمِ في معامِمِ خَوْدِ
وكُثُوسِ المُنَى تُدارُ عَلَيْنَا
واصفراءُ الأصِيلِ فيها مُدامٌ
كَمْ غَدَوْنَا هِـمًّا لِأَنسٍ وَرُحْنَا
وَلَكَمْ رَوْحَةٌ عَلَى الدَّوْحِ كَادَتْ
رَقَّتِ الشَّمْسُ فِي عَشَائِهِ حَقِّ
جَدَّدَتْ بِالْفُرُوبِ شَجَوُ غَرِيبٍ
يَا حَيَّا الْمُنْزَنَ حَبِيبًا مِنْ بِلَادِ^(١)
وَتَعَاهَدُ مَعَاهِدَ الْأَنسِ مِنْهَا
حَيْثُ تَغْنِي الْمُهْرَى وَمَلْهُى الْقَوَايِ
وَمَقَرَّ الْمُلَا وَسَرَقَ الْأَمَانِي
كُلُّ حُسْنٍ عَلَى زِلْفَانٍ وَقَفَّ
ضَحِكَ النُّورِ فِي رُبَاهَا وَأَزْبَى
وَسَمَا تَاجُهَا عَلَى كُلِّ تَاجِرٍ

عارِي المَعْدِ سُنْدُسُ النِّجَادِ
أَحْرَفًا سَطُرَتْ بِغَيْرِ مِدَادِ
قُضِبَ فَوْقَهُ ذَوَاتُ امْتِدَادِ
بِجَنَى عِفَّةٍ وَنَقْلِ اعْتِدَادِ
وصَغِيرِ الطُّيُورِ نَعْمَةٌ شَادِي
جَادَهَا رَائِحَ مِنَ الْمُنْزَنِ غَادِي
أَنْ تَرِيحَ الصَّبَا لَنَا وَهُوَ غَادِي
أَحْدَثُ^(٢) مِنْهُ رِقَّةٌ فِي الْعِجَادِ
هَاجَهُ الشُّوقُ بَعْدَ طَوْلِ الْبِعَادِ
غَرَسَ الْحُبَّ غَرَسَهَا فِي فَوَادِي
وَعُهِدَ الصَّبَا بِصَوْبِ الْعِهَادِ
وَسَرَادُ^(٣) الْمُنَى وَنَيْلُ الثَّرَادِ
وَتَجَرَّ الْقَنَا وَتَجَرَّى الْحِيَادِ
وَحُصَّوصًا عَلَى رَبَا الْعُبَادِ^(٤)
كَهَفُ ضَحَّاكِهَا عَلَى كُلِّ نَادِي^(٥)
وَسَطَا سَيْمُهَا^(٦) عَلَى كُلِّ وَادِي

(١) فِي م : « حَدَّثَ » .

(٢) فِي م : « عَرَّاسَ » .

(٣) فِي ط : « وَمَنَالَهُ » .

(٤) فِي م : « رُبَا الْعِبَادِ » .

(٥) فِي ط : « يَادِ » .

(٦) فِي ط : « يَمِطُّهَا » .

يَدْعِي غَيْرُهَا الْجَمَالَ فَيَقْضِي حَسَنًا أَنْ تَلَكَ دَعْوَى زِيَادٍ^(١)
وَيَشْرِعِي فَهَيْتُ مَعْنَى عَلَاها مِنْ حِلَالِهَا فَهَيْتُ فِي كُلِّ وَادِي
حَضْرَةُ زَانِهَا الْخَلِيفَةُ مُوسَى^(٢) زِينَةُ الْحَلِيِّ عَاطِلَ الْأَجْيَادِ
وَحَبَابُهَا بِكُلِّ بَذْلٍ وَعَـذْلٍ وَحَمَاهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِي
مَلِكٌ جَاوَزَ التَّدَى فِي التَّعَالِي فَالْتِهَاتِ عَنْهُ كَالْمَبَادِي
مَقِيلٌ لِهَدَى مَنبِعِ النَّوَاحِي مَظْهَرٌ لِلْعُلَا رَفِيعِ الْعِيَادِ
قَاتِلُ الْمُحِلِّ وَالْأَعَادِي جَمِيعَا بَغْرَارِ الْغُلْبَا وَغَرَّ^(٣) الْأَيَادِي
كَلَّمَا صَفَّتِ السَّحَابُ أُغْنَتْ رَاحَتَهُ عَنْ السَّحَابِ الْفَوَادِي
كَمْ هَيْبَاتٍ لَهُ وَكَمْ صَدَقَاتٍ عَائِدَاتٍ عَلَى الْغَفَاةِ بَوَادِي
فَأَيَادِي خَلِيفَةِ اللَّهِ مُوسَى أُجْرُ عَذْبَةٍ عَلَى الْوَرَادِ
رُكْبَ الْجُودِ فِي بَسِيطِ يَدَيْهِ فَتَلَاقَى بِهِ تِلَافَ الْعِبَادِ
جَلَّ بِأَرِيهِ مَلَجًا لِلْبَرَايَا كَالْحَيَا ضَامِنًا حَيَاةَ الْبِلَادِ
جَلَّ مَنْ خَصَّهُ بِتِلْكَ الْمَرَايَا بِأَهْرَافٍ مِنْ طَارِفٍ وَتِلَادِ
شَرِّمَ حُلُوةَ الْجَنَى وَسَجَّأَايَا يَشْهَدُ^(٤) الْخَدَّ أَنَّهَا كَالشَّهَادِ
يَا إِمَامَ الْهُدَى وَشَمْسَ الْعَالِي وَغَمَامَ النَّدَى وَبَذْرَ النَّوَادِي
لَكَ بَيْنَ الْمُلُوكِ سِرٌّ خَفِي لَيْسَ مَعَاهُ لِلْعُقُولِ بِيَادِي

[٤٦٠]

(١) يريد أنها دعوى كاذبة ، كدعوى زياد بن أبيه النسب إلى أبي سفيان .

(٢) موسى : هو أبو حو موسى بن يوسف الزياتي ، من بني عبد الواد ، كانت بينه وبين بني مرين منافسات وحروب ، أدت إلى استيلائه على تلمسان وخروجه منها عدة مرات (انظر الاستقصا للسلوى ج ٢ من ١٠٣ وما بعدها) .

(٣) في م : « وِعَم » .

(٤) في م : « شهد » .

فَكَانَ الْبِلَادَ كَفْكَ مَتَهَا كَانَ فِيهَا مِنْ يَنْتَقِي لِلْعِبَادِ^(١)
 قَبِضَتْ كَفْكَ التَّيْنَانَ عَلَيْهِ فَأَثْنَى بِالْإِذْعَانِ حِلْفَ انْقِيَادِ^(٢)
 وَبِكُمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ جَمِيعًا إِنَّ آرَاءَكُمْ صَالِحُ الْبِلَادِ
 لَمْ تَزَلْ دَائِمًا نَحْنُ إِلَيْكُمْ كَحَنِينِ السَّقِيمِ لِلْعَوَادِ
 لَوْ أُعِينَتْ بِعَطْفٍ شُكْرُكُمْ مِثْلَ شُكْرِ الْعُقَاةِ لِلْأَحْوَادِ
 قَدْ أَطَاعَتْكُمْ الْبِلَادُ جَمِيعًا طَاعَةً أَرَاغَتْ أَنْوْفَ الْأَعَادِ
 فَأَرْهَوْا الْحِيَادَ أَنْتَعِمْتُمُوهَا وَأَقْرِوْا الشُّيُوفَ فِي الْأَغْدِ
 وَاهْتَمُّوا خَالِدِينَ فِي عِزِّ مَلِكٍ فَأَتَمَّ السَّعْدُ دَائِمَ الْإِسْعَادِ
 وَإِلَيْكُمْ مِنْ مُذْهَبَاتِ الْقَوَافِي حِكْمًا سَهْلَةً^(٣) رِيَانُ الْقَوَادِ
 كُلُّ بَيْتٍ مِنَ النِّظَامِ مَشِيدٍ عَطَّرَ الْأَفْقَ بِالثَّنَاءِ الْمُسَادِ^(٤)
 ذُو ابْتِسَامٍ كَزَهْرِ رَوْضٍ مَجُودٍ وَانْتِظَامٍ كَسِلَاحٍ دُرٍّ مُجَدِّدٍ

ومن قول الثَّغْرِيِّ المذكور في تِلْهَسَانٍ وسلطانها أيضا :

تَاهَتْ تِلْهَسَانٌ بِحَسَنِ شَبَابِهَا وَبَدَأَ طِرَارُ الْحُسْنِ فِي حِلَابِهَا
 فَالْبِشْرُ يَدُو مِنْ حَبَابِ نَعُورِهَا مَتَبَسِّيًا أَوْ مِنْ نَعُورِ حِلَابِهَا
 قَدْ قَابَلَتْ زُهْرَ النَّجُومِ بِزَهْرِهَا وَبَرُوحَهَا بِبَرُوحِهَا وَقِيَابِهَا
 حَسُنَتْ بِحَسَنِ مَلِكِهَا الْمَوْلَى أَبِي نَحْوِ الَّذِي يَحْنِي رِجْلِي أَرَابِهَا
 مَلِكٌ شَمَانُهُ كَزَهْرِ رِيَاضِهَا وَنَدَاهُ فَاضَ بِهَا كَفَيْتِصَ عِبَابِهَا

[٤٦١]

نصيدة أخرى
 للثَّغْرِيِّ
 تِلْهَسَانِ

(١) كَذَا فِي ط . وَفِي م : « لِمَاد » ، وَلَعَلَّهَا : « لَعَاد » .
 (٢) كَذَا فِي م . وَفِي ط : « فَأَثْنَى بِالْإِذْعَانِ » . وَلَعَلَّهَا : « فَأَثْنَى مَدْعَا حِلْفِ انْقِيَادِ » .
 (٣) فِي م : « كَلَامًا سَهْلَةً » : مَكَانُ قَوْلِهِ : « حِكْمًا سَهْلَةً » .
 (٤) كَذَا فِي ط . وَفِي م : « النَّادِي » .

أَعْلَى^(١) الْمَلُوكِ الصَّيِّدِ مِنْ أَعْلَامِهَا وَأَجْلَهَا مِنْ صَفْوَةٍ^(٢) وَلِبَاسِهَا
 غَارَتْ بِغُرَّةٍ وَجْهَهُ شَمْسُ الضُّحَى وَتَنْقَبَتْ^(٣) خَجَلًا بِثُوبِ ضَبَابِهَا
 وَالْبَدْرُ حِينَ بَدَتْ أَشَقَّتْهَا لَهُ حُسْنًا تَضَائِلُ نُورِهِ وَخَبَا بِهَا
 اللَّهُ حَصْرَتُهُ الَّتِي قَدْ شَرَّفَتْ خُدَامَهَا فَسَمَوْا بِخِدْمَةِ بَابِهَا
 فَالَّتِي فِي يَمِينِهِ يُبْلِغُهَا الْمُنَى وَالْمَدْحُ فِي عَظِيمِهِ مِنْ أَسْبَابِهَا
 وَتَذَكَّرْتُ بِقَوْلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَيُّهَا الْخَافِظُونَ عَهْدَ الْوِدَادِ جَدُّدُوا أَنْسَنَا بِيَابَ الْجِيَادِ

قصيدة منديل
 ابن آجروم في
 ذكر فاس

قصيدة أبي المكارم منديل بن آجروم ، في ذكر فاس المحروسة وباب
 الفتوح منها ، ومواضع من متنتها ؛ ولا شك أن كل واحدة من هاتين
 القصيدتين تنظر إلى الأخرى ، ونلاحظهما متعاصران ، فالله أعلم أيهما أخذ من
 الآخر ؛ على أن الروي مختلف ، وقد يقال إن^(٤) ذلك من باب توارد الخواطر .

ونص قصيدة ابن آجروم المذكور :

أَيُّهَا الْعَارِفُونَ قَدَرَ الصَّبَوحِ جَدُّدُوا أَنْسَنَا بِيَابَ الْفُتُوحِ^(٥)
 جَدُّدُوا تَمَّ أَنْسَنَا نَمَّ جَدُّدُوا نَشْرَحَ الطَّرْفَ فِي مَكَانٍ قَسِيحِ
 حَيْثُ شَابَتْ مَفَارِقُ اللَّوْزِ نَوْرًا وَتَسَاقَطْنَ كَالْجَبَنِ^(٦) الصَّرِيحِ
 وَبَدَا مِنْهُ كُلُّ مَا احْمَرَّ بِحِكْيِ شَمَقًا مَرَّقَتْهُ أَيْدِي الرِّيحِ

(١) في ط : « أعلى » .

(٢) في م : « صفوها » .

(٣) في م : « ونقبت » .

(٤) في الأصلين : « لشأن » ، ولعلها معرفة مما أنبأه .

(٥) باب الفتوح : أحد أبواب فاس .

(٦) في ط : « كالجبين » .

وكان الذي تساقط منه
وإذا ما وصلتُم للمصلى
وبطيفورها فطوفوا بها
ولتقيموا هناك لثمعة طرفة
ثم خطوا رجالكم فوق نهر
فوق حافاته حدائق خضر
وكان الطيور فيها قيان
وهي تدعوكم إلى قبة الجو
فيه ما تشتهون من كل نور
وغصون تهيج رقصا متى ما
فأجيبوا دعاءها أيها الشر
واجتمعوا للمجون فهو جدير
واخلعوا ثم للتصابي عذارا
وإذا شئتم مكانا سواه
فانجمعوا أمركم لنحو أني^(١)
عطرت جانبيه كف الغواصي
قل ليهيار إن شئتم شذاها
أين هذا الشذا الذي من القيصوم
حبيذا ذلك المهاد مـ إذا
ثم من ذلك المهاد أفيضوا
نقط لحن من دم مسحوح
فلتخلوا بموضع التسبيح
تبصروا من ذراه كل سطوح
لتردوا بها ذماء الروح
كل في وصفه لسان المدح
ليس عنها لعاشق من تزوح
هفت بين أعجم ونصيح
ز هلموا إلى مكاف مليح
معلق في الصكام أو مفتوح
سمعت صوت كل طير صدوح
ب وخلوا مقال كل نصيح
وحلق من مثلكم بالجنوح
إن خلق العذار غير قبيح
هو أحلى من ذلكم في الوضوح
جاء كالعل من قفار فيج
بشدا عرف زهرها المنوح
قول مستخير أخى نجرم
بين داب من الرها وزوح
محو هضب من الهوم مريح

[١٦٢]

ففيه للْحُسْنِ دَوْحَةٌ وَزَوَايَا^(١) وانشرَّاحٌ لَدَيَّ قُوَادٍ قَرَجِ
وَحِجَارٌ تُذَمَّى حِجَارَ طَبُول غيرَ أَنِ التَّطْبِيلَ غَيْرُ صَحِيحِ
تَنْشُرُ الشَّمْسُ نَمَّ كُلَّ غُدْوٍ زَعْفَرَانًا مُبَلَّلًا بِنُضْ-وَحِ
وَسُبُّو^(٢) مِنْ هُنَاكَ يَنْشِي عَقُولَا وَيُحْمَلِي إِحْفَاطَ طَرْفِ طَمُوحِ
وَعْيُونُهَا تَقْرَأُ عَيْبُونَ^(٣) وَكَلَامٌ يَأْسُو كَلُومَ الْجَرَجِ
فَرُشْتُ فَوْقَهَا طَنَافِسَ زَهْرٍ لَيْسَ كَالْعَيْنِ تَسْبُحُهَا وَالْمُسُوحِ
كُلَّمَا مَرَّ فَوْقَهَا طَلِيحٌ عَادَ مِنْ حُسْنِهَا غَيْرَ طَلِيحِ
فَانْهَضُوا أَيُّهَا الْخَبِيرُونَ مِثْلِي ائْتَرَى ذَاتَ حُسْنِهَا الْمَدُوحِ^(٤)
هَكَذَا يُرَبِّحُ الزَّمَانُ وَإِلَّا كُلُّ عَيْشٍ سِوَاهُ غَيْرُ رَبِيعِ

رجع إلى نظم ابن خميس رحمه الله

ومن بديع نظمه قصيدة مدح بها الوزير ابن الحكيم .

قال ابن الخطيب : وهي من مشاهير أمداحه فيه ، وكتب بها إليه من
القربة ، وألم فيها بذكر بلده زَلَمْسَانَ ، وما حلَّ بها من البلاء والحصار^(١) في
ذلك التاريخ ، من قبيل السلطان أبي يعقوب يوسف ابن السلطان المجاهد الكبير

(١) كذا في الأصلين . وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون « روياء » جمع راوية .

والراوية : مرادة الماء ، أو الدابة التي تحمله . ولعل المراد بها : الثاعورة التي
يرفع بها الماء .

(٢) « سبو » : نهر معروف في المغرب (قرب فاس) في شرقها .

(٣) في ط : « الملووح » .

(٤) في ط : « والمضار » .

أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق^(١) ، نفعنا الله ببركاته ، في أهل تلمسان المحصورين ، فلم يقبل شفاعتهم ، فقال الشيخ سيدي أبو زيد كلاماً معناه : إن سعادة بقضى هذا ، ورجع الشيخ إلى فاس ، فاتفق أن هذا العبد^(٢) كان مع السلطان في الحمام ، وكان له عليه حقد ، فانتهر فيه القرصة ، ووجأه بحجر ، فكان في ذلك حقه ، فنفس الله عن أهل تلمسان بعد حصارها نحو العشرين . ولما وصل الخبر إلى سيدي أبي زيد بموت السلطان قال : وعبد الرحمن يموت ، يعنى نفسه ؛ و « يموت » : بتشديد الميم ، على لغة البربر ؛ فتوفاً رحمه الله ، ودُفن بمسجد الصابرين^(٣) ، وقبره مشهور مقصود الإجابة ، نفعنا الله به ؛ وقد زرتة مراراً لأحسبها ، ودعوت الله عنده عما أرجو قبوله .

وقد أشار أبو عبد الله بن خبب في هذه القصيدة إلى ذلك الحصار ؛ وكان من الاتفاق الغريب ، سرعة وقوع ما تمناه ابن خبب لتلمسان هذه من الخير ، بعد طول المحنة ، واشتداد البلاء ، ولم يتأخر ذلك عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر .

ونص القصيدة :

سَلِّ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تُسَعِدِ السَّفْنَ أَوَاهِ فَعِنْدَ صَبَاهَا مِنْ تَلْمَسَانَ أَنْبَاءَ

(١) كتبنا في الأصلين . والطاهر أن في العبارة سقطاً ، ولعل الأصل : « وقد رحل الشيخ الولي أبو زيد عبد الرحمن المزميري ، نفعنا الله ببركاته من بلده أغمات مع جماعة ، للشعاعة عند السلطان أبي يعقوب في أهل تلمسان المحصورين . . . الخ » (انظر ترجمة المزميري في نيل الابتهاج بنذيل الديباج لأحمد بابا التنبكي بهامش صفحة ١٦٤) .

(٢) يريد به الحصى « سعادة » التقدم الذكر ، وكان من ممالك السلطان يوسف (انظر خبره في الاستقصا للسلاوى ج ٢ ص ٤١) .

(٣) كذا في م . وفي ط : « الصابرين » . وفي نيل الابتهاج لأحمد بابا : « الصابرين » .

وفي خَفَّانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ إِلَيْكَ بِمَا تَنْمِي ^(١) إِلَيْكَ ^(٢) وَإِعْيَا
تَمْرُ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَلِلْأَذْنِ إِصْفَاءَ وَلِلْعَيْنِ إِكْلَاءَ ^(٣)
وَأِنِّي لِأَصْبُولَ الْعَبَا كُلَّمَا سَرَتْ ^(٤) وَلِلنَّجْمِ مَهْمَا كَانَ لِلنَّجْمِ إِسْرَاءَ ^(٥)
وَأَهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَحِيَّةً وَفِي رَدِّ إِهْدَاءِ التَّحِيَّةِ إِهْدَاءَ ^(٦)
وَأَسْتَجِيبُ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمَضْجَعِي قَتَادُ كَمَا شَاءَتْ نَوَاهَا وَسَلَاءُ
لَعَلَّ خِيَالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمْرُؤُ بِي فَنِي مَرَّءٍ بِي مِنْ جَوَى الشُّوقِ إِبْرَاءُ
وَكَيْفَ خُلُوصُ الطَّيْفِ مِنْهَا وَدُونَهَا عَيُونُ لَهَا فِي كُلِّ طَالِمَةِ رَأْيَ ^(٧)
وَأِنِّي لَأُشْتَاقُ إِلَيْهَا وَمُنِي ^(٨) بِيَعُضُ اشْتِيَاقِي لَوْ تَمَكَّنَ إِنْبَاءُ
وَكَمْ قَاتِلٌ تَفَنَّى ^(٩) غَرَامًا بِحَبِّهَا وَقَدْ أَخْلَقْتُ مِنْهَا مِلًّا وَأَمْلًا ^(١٠)
لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمْتُ إِذَا مَا مَضَى قَيْطُهَا جَاءَ إِهْرَاءُ ^(١١)
يُطَنَّبُ فِيهَا عَاشُونَ وَخُرَبٌ وَبِرَحْلٍ عَنْهَا قَاطِنُونَ وَتَنَاءُ ^(١٢)
كَأَنَّ رِمَاحَ النَّاهِبِينَ لَأَمْلِكُهَا قِدَاحٌ وَأَمْوَالٌ لِلنَّازِلِ أَبْدَاءُ ^(١٣)

[٤٦٤]

(١) في م : « تهي » .

(٢) كذا في م . وفي ط : « ونفع الطيب : » إليها » .

(٣) أكلًا بصره في الفى : ردهه فيه مصوبًا ومضدًا .

(٤) كذا في م ونفع الطيب . وفي ط : « صبت » .

(٥) في ط : « إصبا » . وما أثبتاه عن م ونفع الطيب .

(٦) كذا في ط . وفي م : « وفي ردها بعد التحية إهداء » .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة : « راء » في نفع الطيب . وفي الأصلين : « داء » .

ورواية هذا الشطر في م : « حياة لها من كل طالمة داء » .

(٨) كذا في ط . وفي م والنفع : « بلى » .

(٩) أخلفت : تغيرت . واللاد : جمع ملء ؛ والأملاء : جمع ملاء ، وهم أشراف الناس

وعليتهم .

(١٠) هراء البرد وأهراء : اشتد عليه حتى كاد يقتله .

(١١) في نفع الطيب : « وأحياء » .

(١٢) الأبداء : جمع بدء ، وهو التصيب من الجذور .

فلا تَبِينْ فِيهَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ قَدْ قَلَصْتُ مِنْهَا ظِلَالٌ وَأَفْيَاءُ
وَمَنْ عَجَبٍ أَنْ طَالَ سُمْعِي وَتَزَعُمَا وَقُمْتُ أَضْنَاءَ عَلَيْنَا وَأَطْنَاءَ^(١)
وَكَمْ أَرْجَعُوا غِيظًا بِهَا نَمِ أَرْجَعُوا فَيَكْذِبُ إِرْجَافٌ وَيَصْدُقُ إِرْجَاءُ
يُرَدِّدُهَا عُيَايُهَا الدَّهْرَ مِثْلًا^(٢) يَرُدُّدُ حَرْفَ الْقَاءِ فِي النُّطْقِ قَأْفَاءُ
فِيَا تَمِزْ لَا نَالَ الرَّدَى مِنْهُ مَا اشْتَهَى تُرَى هَلْ لِعُمَرِ الْأَنْسِ بَعْدَكَ إِنْسَاءُ
وَهَلْ لِلظَى الْحَرْبِ الَّتِي فِيكَ تَلْتَعِظِي إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ بُؤْسِكَ إِطْفَاءُ
وَهَلْ لِي زَمَانٌ أَرْتَجِي فِيهِ عَوْدَةً إِلَيْكَ وَوَجْهَ الْبَشَرِ أَزْهَرُ وَضَاءُ
فِيَا هَيَّ مَالِي^(٣) إِنْ هَلَكْتُ وَلَمْ أَقْلُ لَصَحِي بِهَا الْفَرَّ الْكَرَامِ أَلَا هَادُوا
وَلَمْ أَطْرِقِ الدَّرَبَ الَّذِي كُنْتُ طَارِفًا لِقَادٍ^(٤) وَبَذَرَ الْأَفْقَ اسْتَلْعُ^(٥) مِشْنَاءُ^(٦)
أَطِيفٌ بِهِ حَتَّى تَهَرَّ كِلَابُهُ وَقَدْ نَامَ غُصَّاسٌ وَهُوَ مَسْبَاءُ
وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا حُسَامٌ وَلَهْدَمَ وَطَرَفٌ لِحَدِّ اللَّيْلِ مُذْ كَانَ وَطَاءُ
وَأَشْجَمَ فَارِيَّ كَشَعْرِي خُلُكَةً نَلَأَ فِيهِ مِنْ سَقَى الصَّبَحِ أَضْوَاءُ
فَا لَشْرَابِي فِي سَوَالِكِ^(٧) مَزَاوَرَةٍ وَلَا لِعِلْعَامِي دُونَ مَائِكَ إِسْرَاءُ

(١) الأضناء : جمع ضئ ، وهو المرض . والأطناء : جمع طناء ، وهو الداء .
(٢) كذا في م وفتح الطيب المطبوع . وفي ط : « يرددها غيابها الدهر بعد ما » .
(٣) يقال : يا هي ، مالي ، وباء في ، مالي ، وباء شيء ، مالي ، تهمز ولا تهمز . وهي : اسم فعل أمر لتعجب ، أو للأسف والحزن والتهلف على ما فات ، بمعنى تنبه واستيقظ ، ودخل عليه حرف النداء ، كما دخل على فعل الأمر ، وبى على حركة لاختلاس من اللقاء الساكنين ، وخس بالفتحة طلسا للتحفة . وقوله : « مالي » بمعنى : أى شيء لي ؟

(٤) في الأصلين : « الدين » ، ولعله محرف عما أبتناه .
(٥) كذا في ط : وفي م : « لمادى » . ولعله : « كمادى » ، جمع عادة .
(٦) الأسلع : الذى به اليرس . والمشناء : الذى يبغيضه الناس .
(٧) كذا في م . وفي ط : « هوالك » .

ويا دارى الأولى بهدرب مَعْبِلَةٍ وقد جَدَّ عَيْثٌ فِي بِلَاها وإِرداه
أَمَا أَنَّ أَنْ يُحْمَى حِمَاكِ كَعْمِدِهِ وَيَحْتَالُ أَحْمَاسٌ عَلَيْهِ وَأَسْمَاهُ^(١)
أَمَا أَنَّ أَنْ يَعْشُو لِنَارِكِ طَارِقُ^(٢) جَنْيْبٌ لَهُ رَفَعُ إِلَيْكِ وَدَيْدَاهُ^(٣)
رُجِّى نَوَالَا أَوْ يُؤْمَلْ دَعْوَةٌ فَمَا زَالَ قَارٍ فِي ذَرَاكِ وَقَرَّاهُ
أَحْنُ لَهَا مَا أَطَّتِ النَّيْبُ حَوْلَهَا وَمَا عَاقَبَهَا عَنْ مُورِدِ اللَّاءِ أَطْلَاهُ
فَمَا فَاتَهَا مَنَى زِرَاعِ عَلَى النَّوَى وَلَا فَاتَنِي مِنْهَا عَلَى الْقُرْبِ إِجْشَاءُ^(٤)
كَذَلِكَ جَدَّى فِي صَبَابِي وَأُسْرَى وَمَنْ لِي بِدَرٍّ مِنْ أَهْلِ وَدَى إِزْفَاهُ^(٥)
وَلَوْلَا جِوَارُ ابْنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ لَمَّا كَانَتْ نَفْسِي مِنْ بَنِي الدَّهْرِ إِفْقَاهُ^(٦)
حَمَانِي فَلَمْ تَنْبُتْ سَحْلُ نَوَائِبِ بِسَوْءٍ وَلَمْ تَرَزْأُ فَوَادِي أَرْزَاهُ
وَأَكْفَأُ بَيْتِي^(٧) فِي كِفَالَةِ جَاهِهِ فَصَارُوا عَيْبِدَا لِي وَهُمْ لِي أَكْفَاهُ
يَوْمُونَ^(٨) قَصْدِي طَاعَةٌ وَحُبَّةٌ فَمَا عَفَّتُهُ عَافُوا وَمَا شَنَّتُهُ شَادُوا
دَعَانِي إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي كُنْتُ آمِلًا فَلَمْ يَكُ لِي عَنْ دَعْوَةِ الْمَجْدِ إِبْطَاءُ
وَيَوَّأَنِي مِنْ هَضْبَةِ الْعِزِّ نَاعَةً يُفَاجِئِي السُّهْبَا مِنْهَا صَعُودٌ وَطَّاءُ^(٩)

(١) الأحماس : جمع حمس (ككسف) ، وهو الشجاع . والأحما : جمع حم (حمى) ،
وم الأفارب والأسهار .

(٢) الرفع : المبالغة في السير ؛ والدَيْدَاهُ : أشد المدو .

(٣) الإجشاء : مصدر أجشأ . يقال : جشأت نفسه من حزن أو فزع : ثارت وجاشت .

(٤) كفا في ط . والإرقاء : الجوع والدنو . وفي م وتفتح الطيب المطبوع : « إن فاءوا » .

(٥) الإفقاء : التصغير والإذلال .

(٦) أكفأ البيت : جعل له سقفة من أعلاه إلى أسفله . يريد أن م ابن الحكيم
شملت أهل بيته .

(٧) الضمير : « صاروا » يعود على بني الدهر .

(٨) في م : « يرومون » . (٩) الطَّاءُ : التهبط من الأرض . والصعود : شدة .

يُسْمِعُنِي مِنْهَا إِذَا سِرْتُ حَافِظٌ وَيَكْلُؤُنِي مِنْهَا إِذَا نَمْتُ كَلَامُ
وَلَا مِثْلَ نَوْمِي فِي كِفَالَةِ غَيْرِهِ وَلِلذَّنْبِ إِلَامٌ وَلِلصَّلِ إِمَامُ
بِقَيْضَةِ لَيْثٍ أَوْ بِمَرْقَبِ خَارِبٍ مُبَرِّزٌ كُفَا فِيهِ وَتَقَطَّعَ أَكْأُ
إِذَا كَانَ لِي مِنْ نَائِبِ الْمَلِكِ كَافِلٌ فِي حَيْنِنَا هَوَمْتُ كِرْنٌ وَإِذْفَاءُ
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ مِنْ صَنَائِعِ جَاهِهِ يُبَادِرُونِي مِنْهُمْ قِيَامٌ وَإِيْلَاءُ
مِرَاعٍ لِمَا يَرْجَى مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُمْ وَمِنْ كُلِّ مَا يُحْشَى مِنَ الشَّرِّ أَمْرَاءُ
إِلَيْكَ أَمَا عَبْدُ الْإِلَهِ صَنَعْتَهَا لَزُومِيَّةٌ فِيهَا لَوْجَدَى إِفْشَاءُ
مُبَرَّاةٌ مِمَّا يَعِيبُ لَزُومَهَا إِذَا عَابَ إِكْفَاءُ سِوَاهَا وَإِطْوَ
أَذَعْتُ بِهَا السِّرَّ الَّذِي كَانَ قَبْلَهَا عَلَيْهِ لِأَخْنَاءِ الْجَوَانِحِ إِضْنَاءُ^(١)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الَّذِي كُنْتُ أَمِلَا وَأَعْوَزَ إِكْلَامُ فَمَا عَارَ إِكْلَامُ^(٢)
وَمَنْ يَتَكَلَّفُ مُنْعَمًا شُكْرَ مَنَّةٍ فَمَا لِي إِلَى ذَاكَ التَّكَلُّفِ إِبْجَاءُ
إِذَا مُنْسَدِّدٌ لَمْ يَكُنْ عَنَّا وَمَنْشَى^(٣) فَلَا كَانَ إِنْشَادٌ وَلَا كَانَ إِنْشَاءُ

التعريف بابن
الحكيم

وابن الحكيم المذكور : هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
ابن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سعد^(٣) بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن
محمد اللخمي ، من أهل رُنْدَةَ ، الكاتب الأديب البليغ ، الشهير بالأندلس ، [٤٦٦]
ويُعرف بابن الحكيم .

(١) يريد بالإضناء : كتم السر : ولعله محرف عن : « الإضناء » . يقال : أضنا على

الشيء : أضنا : سكت عليه وكنمه .

(٢) يقال : أكلأت الأرض : إذا كثرت كلؤها ، وأكلأت : إذا كثرت كائنها . يريد :

إذا لم أجد الكلام أجراً في السكأة .

(٣) في م : « سعيد » .

أصل سلفه من إشبيلية ، من أعيانها ، ثم انتقلوا إلى رُنْدَة ؛ وأول من سلفه انتقل منهم إليها جده محمد بن فتوح ، في دولة بني عبّاد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطيفه ، وكانوا قديما يُعرفون ببني فتوح .

قدم ذو الوزارتين أبو عبد الله على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قُتُوله من الحج ، فأخلفه بكتابه ، وأقام ^(١) يكتب له في ديوان الإنشاء ، إلى أن تُوُفِّيَ هذا السلطان في ثامن شعبان سنة إحدى وسبع مئة ، وتقلّد الملك بعده ولّى عهده أمير المؤمنين ، أبو عبد الله محمد المخلوع ، فقلده الوزارة والسكتانة ، وكان مشركا معه في الوزارة الوزير الجليل التقي ، أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني ، فلما تُوُفِّيَ الوزير أبو سلطان الداني ، أفرد سلطانه بالوزارة ، واتّبعه بذى الوزارتين ، وصار صاحب أمره ونهيه ، إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلا ، غدوة يوم القَطْرِ ، مُسْتَهْلَ شوال سنة ثمان وسبع مئة ، وذلك لتاريخ خَلَعَ سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المؤمنين ^(٢) أبي الجيوش مكانه ؛ ومولده ببلدة رُنْدَة في شهر ربيع الأول سنة ستين وست مئة .

وكان رحمه الله علما في الفصيلة والسرّاة ومكارم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين العزيمة ، عالي الهمة ، كاتبا بليغا ، أديبا شاعرا ، حَسَنَ الخط ، يكتب خطوطا على أنواع ، كليا جليلا الانطباع ^(٣) ، خطيبا فصيح القلم ، زاكى الشيم ، مؤثرا لأهل العلم والأدب ، برّا بأهل الفضل والحسب ، نَفَقَتْ في مدته للفضائل أسواق ، وأشرقت بإمداده للأفاضل آفاق .

ورَحَلَ إلى المشرق ، وكانت إجازته البحر من العربية ، ففغى فريضة الحج ،

(١) في م : « وكان » . (٢) في م : « المؤمنين » .

(٣) في م : « على الأنواع كلها جبل الانطباع » .

وأخذ عن أبي هنالك من الشيوخ ، فشيخته متوافرة^(١) . وكان رفيقه في هذه
الوجهة الخطيب أبو عبد الله بن رشيد ، فتعاونتا على هذا الغرض ، وقصيا منه [٤٦٧] -
كل نفل ومفترض ، واشتركا فيمن أخذاه من الأعلام ، في كل مقام .
وكانت له عناية بالرواية ، ولألوع بالأدب ، وصباية باقتناء الكتب ، جمع من
أمهاتها العتيقة ، وأصولها الرائقة الأنينة ، ما لم يجتمع في تلك الأعصر أحد
سواه ، ولا ظفرت به يداه .

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي التتوخي ، والخطيب
أبو عبد الله بن رشيد تدبج^(٢) معه ، وابنه الوزير الكاتب الأديب القاضي
أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم ، وغيرهم .

ومدحه الكاتب العلامة أبو الحسن بن الجيَّاب ، ومن بديع ما مدحه به
قصيدة رائية رائعة ، يهنئه فيها بعيد الفطر ، وهي قوله :

يا قَادِمًا عَمَّتِ الدُّنْيَا بِشَاوِرُهُ أَهْلًا بِمَقْدَمِكَ لِيَمِينِ طَائِرُهُ
وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ عِيدِ تَخَفُّهِ مِنْ السَّعَادَةِ أَجْنَادُ تَقَافِرُهُ
قَدِمْتَ فَالْخَلْقُ فِي نَعْمَتِي وَفِي جَذَلِ أَبْدَى بِكَ الْبَشَرَ بِأَدْيِهِ وَحَاضِرُهُ
وَالْأَرْضُ قَدَائِمَتْ أَثْوَابُ سُؤْدُسِهَا وَالرُّوضُ قَدِ بَسَمَتْ مِنْهُ أَزَاهِرُهُ
حَاكَتْ يَدُ الْغَيْثِ فِي سَاحَاتِهِ حُلُلًا لَمَّا سَقَاهَا دِرَاكًا مِنْهُ بِأَكْرَهُ
فَلَاحَ فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ بَاهِرُهَا وَفَاحَ فِيهَا مِنَ الثُّنُورِ عَاطِرُهُ
وَقَامَ فِيهَا خَطِيبُ الطَّيْرِ مَرْتَجِلًا وَالزَّهْرُ قَدْ رُصِّعَتْ مِنْهُ مَنَابِرُهُ
مَوْهَبِي ثَوْبٍ طَوَاهِ الدَّهْرُ أَوْنَةً فَمَا هُوَ الْيَوْمَ لِلْأَبْصَارِ نَاشِرُهُ

(١) كذا في ط وفتح الطيب طبعة الأزهرية وفي م : « وافرة » .

(٢) معنى التدبجج : أن يروي كل واحد من الثريين عن صاحبه . وسيأتي شرح هذه
الكلمة قريباً في كلام المؤلف .

تلاميذه

قصيدة ابن
الجيَّاب في مدحه

فَالْعُضْنُ مِنْ نَشْوَةِ بَيْتِي مَعَاطِلُهُ وَالطَّيْرُ مِنْ طَرَبٍ تَشْدُو مَزَاهِرُهُ
وَلِلْحِكَمِ انْشِقَاقٌ عَنْ أَزَاهِرِهَا كَمَا بَدَتْ لَكَ مِنْ خِلِّ ضَمَائِرِهِ
لِلَّهِ يَوْمُكَ مَا أَزْكَى فُضَائِلِهِ قَامَتْ لِدِينِ الْهُدَى فِيهِ شَعَائِرُهُ
فَكَمْ سِرِّرَةٍ فَضْلُ فِيكَ قَدْ خُبِئَتْ وَكَمْ جَمَالٍ بَدَا لِلنَّاسِ ظَاهِرُهُ
فَافْخَرْ بِحَقِّهِ عَلَى الْآيَامِ قَاطِبَةً فَمَا لِفُضْلِكَ مِنْ نَدَرٍ يُنْتَظَرُهُ ^(١)
فَأَنْتَ فِي عَصْرِنَا كَابِنِ الْحَكِيمِ إِذَا قِيَسَتْ بِفَخْرِ أَوْلَى الْعَالِيَا مَقَاخِرُهُ
يَلْتَأَحُ مِنْهُ بِأَفْقِ الْمُلْكِ نُورُ هُدًى تَضَالُّ الشَّمْسُ مَعَهَا لَاحَ زَاهِرُهُ ^(٢)
بِحَدِّ صَمِيمٍ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ سَمَا طَالَتْ مَبَانِيهِ وَاسْتَعْلَتْ مَظَاهِرُهُ
وَزَارَةُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ الَّتِي رُفِعَتْ أَعْلَامُهُ وَالنَّدَى الْفَيَاضُ زَاخِرُهُ
وَلَيْسَ هَذَا بِبَدْعٍ مِنْ مَكَارِمِهِ سَاوَتْ أَوَانِلَهُ فِيهِ أَوَاخِرُهُ
يَلْبَقِي الْأُمُورَ بِصَدْرِ مِنْهُ مُنْشَرَحٍ بِحَرٍّ وَأَرَاوِهِ الْعُظْمَى جَوَاهِرُهُ
رَاعَى أُمُورَ الرِّعَايَا مُعْمِلًا نَظَرًا كَثُلَ عَلَيْهِ مُعْدُومَاتُ نَظَائِرِهِ
وَالْمُلْكُ سَيَّرَ فِي تَدْبِيرِهِ حِكْمًا ^(٣) تَنَالُ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ عَسَاكِرُهُ
سِيَاسَةَ الْحِلْمِ لَا بَطْشٍ يَكْذُرُهَا فَهُوَ الْمُهَيْبُ وَمَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
لَا يَصْدُرُ الْمُلْكُ إِلَّا عَنْ إِشَارَتِهِ فَالْزُّشْدُ لَا تَعْدَاهُ مَصَائِرُهُ
تَجْرَى الْأُمُورُ عَلَى أَقْصَى إِرَادَتِهِ كَأَنَّمَا دَهْرُهُ فِيهَا يَشَاوِرُهُ
وَكَمْ مَقَامٍ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ أَنْتَ مُوَارِدُهُ فِيهَا مَصَادِرُهُ
فَقَضَاهَا طَبَقَ الْآفَاقِ أَنْجَمَهَا كَأَنَّهُ مَثَلٌ قَدْ سَارَ سَائِرُهُ
فَلَيْسَ يَجْحَدُهُ إِلَّا أَخُو حَسَدٍ يَرَى الصَّبَاحَ قِيَعَشَى مِنْهُ نَاطِرُهُ

[٤٦٨]

(١) كَذَا فِي م . وَفِي مَا وَالتَّفْجِ وَالْإِحَاطَةُ : « يَظَاهِرُهُ » .

(٢) فِي ط : « لَاحَ ظَاهِرُهُ » :

(٣) كَذَا فِي التَّفْجِ وَالْإِحَاطَةُ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « كَلَامًا » .

٧ مُلْكٌ أَكْبَرُ مِنْ مُلْكٍ يُدَبَّرُهُ لَا مُلْكَ أَسْعَدُ مِنْ مُلْكٍ يُؤَازَرُهُ
 يَا عِزُّ أَمْرٍ بِهِ اشْتَدَّتْ مَضَارِبُهُ يَا حُسْنُ مُلْكٍ بِهِ ازدانَتْ مُحَاضِرُهُ
 تُنْفِي الْبِلَادُ وَأَهْلُوهَا بِمَا عَرَفُوا وَيَشْهَدُ الدَّهْرُ آتِيَهُ وَغَابِرُهُ
 بُشِّرْ سَيِّدَ لَامِلِهِ الْمُوصُولِ مَأْمَلُهُ تَمَسُّ لِحَاسِدِهِ الْقَطُوعُ دَابِرُهُ
 فَالْعِلْمُ قَدْ أَشْرَقَتْ نُورًا مَطَالَعُهُ وَالْجُودُ قَدْ أَسْبَلَتْ سَحَابًا مَوَاطِرُهُ
 وَالنَّاسُ فِي بُسْرِهِ وَالْمَلِكُ فِي ظَلَمَرِهِ عَالٍ عَلَى كُلِّ عَالِي الْقَدْرِ قَاهِرُهُ
 وَالْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ أُمَمًا جَوَانِبُهَا بَيْنَ مَنْ خَلَصَتْ فِيهَا مِرَاثُهُ
 وَإِلَى أَيْدِيهِ مِنْ مُمْتَنَى وَمَوْحَدَةٍ تُسَاجِلُ الْبَحْرَ إِنْ فَاضَتْ زَوَاحِرُهُ
 فَكُلُّ يَوْمٍ تَلْقَانَا عَوَافِرُهُ كَسَاهُ أَمْوَالُهُ الطُّولَى دِفَافِرُهُ
 فَمَنْ يُؤَدِّي لِمَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمٍ شَكَرًا وَلَوْ أَنَّ سَخْبَانَا يُظَاهِرُهُ^(١)
 بِأَيُّهَا الْعِيدُ بَادِرُ لَيْلٍ رَاحِتِهِ فَلَتَمُهَا خَيْرُ مَأْمُولٍ تُبَادِرُهُ
 وَانْغَرَبَ أَنْ قَدْ لَقِيتَ ابْنَ الْحَكِيمِ عَلَى عَصْرِ^(٢) يَبَارِيكَ أَوْ دَهْرٍ تَقَاخِرُهُ
 وَلَى الصِّيَامِ وَقَدْ عَظُمَتْ حُرْمَتُهُ فَأَجْرُهُ لَكَ وَافِيهِ وَوَافِرُهُ
 وَأَقْبِلِ الْعِيدُ فَاسْتَقْبِلْ بِهِ جَدَلًا وَأَهْنَأُ^(٣) بِهِ قَادِمًا عَمَّتْ بِشَائِرُهُ

أبيات في رثائه ومن أحسن ما رُئي به رحمه الله تعالى ، ثلاثة أبيات لبعض الأعلام من
 أهالي ذلك الزمان ، وهي :

[٤٦٩]

قَتَلُوكَ ظُلْمًا وَاعْتَدُوا فِي رِفْعِهِمْ حَدَّ الْوُجُوبِ

(١) كَذَا فِي الْإِحَامَةِ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « يَنَاطِرُهُ » .

(٢) كَذَا فِي التَّفْجِ وَالْإِحَامَةِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « عَهْد » .

(٣) كَذَا فِي مَوْلَاهِمَا . وَفِي ط : « وَامْن » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَرَمَوْكَ أَشْـلَاءَ وَذَا أَمْرٌ قَضَتْهُ لَكَ الْغُيُوبُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ سَيِّدِي قَبْرٌ قَبْرُكَ فِي الْقُلُوبِ

قال ابن خاتمة : ومن شعره ما أنشدني ابنه الوزير أبو بكر ، مُقَدِّمَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَعْرِهِ
الرَّيَّةِ ، غَازِيَا مَعَ الْجَيْشِ الْمَنْصُورِ ، قَالَ أَنْشَدَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حُلًّا بِغَفْرِي نَذِيرًا بِتَرْحَالِ الشَّهَابِ الْمَفَارِقِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَقُلْتُ لَهَا انظُرِي إِلَى مَا أَرَى ، هَذَا ابْتِدَاءُ الْحَقَائِقِ
وَأَنْشَدَنِي شَيْخُنَا الْخَطِيبُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْعَاصِمِ إِذْنَا ، قَالَ أَنْشَدَنِي
الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعًا فَاجَاذَةً :

فَقَدْتُ حَيَاتِي بِالْفِرَاقِ وَمِنْ غَدَا بِحَالِ نَوَى عَنْ يُحِبِّ فَقَدْ فَقَدْ
وَمِنْ أَجْلِ يُعْدَى عَنْ دِيَارِ أَلْقَتْهَا جَعِمَ فَوَادَى قَدْ تَلَطَّى وَقَدْ وَقَدْ
وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى هَذَا اللَّعْنِ الْقَاتِلُ :

أَوَارِي أَوَارِي بِالْدمُوعِ تَجَسَّدَا وَكَمْ رُمْتُ إِطْفَاءَ الْهَيْبِ وَقَدْ وَقَدْ
فَلَا تَعْدُلُوا مَنْ غَابَ عَنْهُ حَيِّبُهُ فَنَ فَقَدْ الْحُبُوبَ مِثْلِي فَقَدْ فَقَدْ
هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ خَاتِمَةَ ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ هَكَذَا :

أَوَارِي أَوَارِي وَالدُّمُوعُ تُبَيِّنُهُ وَمَنْ لِي بِإِطْفَاءِ الْغُرَامِ وَقَدْ وَقَدْ
وَهُوَ الصَّوَابُ .

قال ابن خاتمة : وأنشدني رئيس الكتاب الصَّدْرُ الْبَلِيعُ الْفَاضِلُ ، أَبُو الْقَاسِمِ
عَبْدَ اللَّهِ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ رِضْوَانَ النَّجَّارِي ، قَالَ : أَنْشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ
الْجَلِيلُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُهَيْمِنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَضْرَى ، قَالَ : أَنْشَدَنِي رَئِيسُ الْكِتَابِ
ذُو الْوِزَارَتَيْنِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكِيمِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

سَحَّ الْكِتَابَ وَعَنَّهُ وَاخْتَمَّ عَلَى مُكْتَنِّهِ^(١)

وَاحْذَرْ عَلَيْهِ مِنْ مُخَا اسَةِ الرِّقَبِ بِجَفَنِهِ

وَاجْعَلْ لِسَانَكَ سِجْنَهُ كَيْ لَا تُرَى فِي سِجْنِهِ [٤٧٠]

قال ابن خاتمة : وفي سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل . انتهى .

ومن بديع نظم ذى الوزارتين ابن الحكيم قوله رحمه الله :

يَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ تَطُولُ حَيَاتِي حَتَّى أَرَى هَذَا الزَّمَانَ الْآتِيَّ ؟

يَا رَبِّ إِنْ قَدَّرْتَ لِي بِلَوْغِهِ فَاجْعَلْهُ عَصْرًا بِالسُّرُورِ مُوَاتِيَّ

وَإِنْ انْقَضَتْ أَيَّامُ عَرَى قَبْلَهُ فَاجْعَلْ عَلَى مَا تَرْضَاهُ مَمَاتِي

لَا شَيْءَ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَى مَعَا أَرْجُو إِذَا ضَاغَتْ عَلَى جَهَاتِي

إِلَّا يَتَقَيَّنِي أَنْ جُودَكَ فَوْقَ مَا يُرْجَى وَأَنْكَ غَافِرُ الزَّلَّاتِ

ومن نثره آخر فصل خاطب به الشيخ أنا على عمر الجراوى ، رحمه الله ،

ومن نثره

قوله :

وَهَؤُلَاءِ أَجْرَى مَعَهُ عَلَى حُسْنِ مُعْتَدَدِهِ ، وَأَكْلُهُ فِي هَذَا الْفَرَضِ إِلَى مَا رَأَى

بِمَقْتَضَى تَوَدُّدِهِ^(٢) ، وَأَجِيزُ لَهُ وَلَوْلَدِيهِ ، أَقْرَبُ اللَّهِ بِهِمَا عَيْنَهُ ، وَجَمْعُ بَيْنَهُمَا

وَبَيْنَهُ ، رَوَايَةٌ جَمِيعٌ مَا حَمَلْتُهُ وَنَقَلْتُهُ ، وَحُسْنُ اطَّلَاعِهِ يُفَصِّلُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْلَلْتُهُ ،

فَقَدْ أَطْلَقْتَ لِمِ الْإِذْنِ فِي جَمِيعِهِ ، وَأَبَحْتَ لِمِ الْعَمَلِ عَنِّي وَلِمِ الْإِخْتِيَارِ فِي تَنْوِيلِهِ ،

وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحْلَسُ أَعْمَالَنَا لِلدَّائِمَةِ ، وَيَجْعَلُهَا فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ .

قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللخمي بن

(١) سحى الكتاب : شده بحاية ، وهى قطعة من الورق تلتف حول الرسالة ويحتم

عليها ، وعى الكتاب : كتب عنوانه .

(٢) كذا فى ط والإمامة وضع الطيب ، وفى م : « تودده » .

الحكيم ، عفا الله عنه ، حامداً لله عز وجل ، ومصلياً على رسوله المصطفى ،
ومسلماً عليه وعلى آله ، في منتصف مُحمّدي الآخرة ، عام ثلاث وسبع مئة .

وحسبني غير واحد أن ذا الوزارتين ابن الحكيم المذكور لما اجتمع مع
الفقيه الجليل الكاتب ابن أبي مدين أنشده ابن أبي مدين ، رحمه الله تعالى :

عَشَقْتَكُمْ نَالِمْ قَبْلَ لِقَائِكُمْ وَسَمِعْتُ الْمَتَى يَهْوَى لَعَمْرِي كَطَرْفِهِ
وَحَبِّبَنِي ذَكَرَ الْجَلِيسِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا التَقَيْنَا كُنْتُمْ فَوْقَ وَصْفِهِ

فأنشده ذو الوزارتين : [٤٧١]

ما زلت أسمع عن عَليّكَ كلَّ سَنَى أبهى من الشمس أو أخلى من القمرِ
حتى رأى بصرى فوق الذى سَمِعْتُ أذنى فَوَفَّقَ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

وتذكرت هنا قول الحاج الكاتب أبي إسحاق الحسناوى رحمه الله تعالى :

سَجَرُ الْبَيَانِ بِسَاقِي صَارَ يَغْفِدُهُ وَالذَّنْفُ فِي عَقْدِهِ مِنْ مَنَظَمَتِي الْحَسَنِ
لَا أَتَشَدُّ لَمَرٍّ بِلِقَائِي وَبُبْصَرِي : أَنَا الْمُتَعِيدِي فَاسْمَعْ لِي وَلَا تَرْنِي

وكان الوزير ابن الحكيم المذكور كما أسلفناه رفيق ابن رُشيد الفهرى في
رحلته الحجازية ، وقد اشتملت رحلة ابن رُشيد على ما رأى ورَوَى .

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد^(١)
ابن مسعود بن حسن^(٢) بن محمد الفهرى ، من أهل سبته ، يُكنى أبا عبد الله ،
ويعرف بأبن رُشيد ، — وكأنه تصغير رُشد — الخطيب المحدث الشهير .

رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، ولقاء أهل العلم ، سنة ثلاث وثمانين

(١) كذا في بنية الوعاة للسيوطي ، وجذوة الاقباس لابن القاسم . وفي الأصلين :

« سعد » .

(٢) كذا في الأصلين والبدر الطالع للشوكاني . وفي جذوة الاقباس : « حسين » .

وسِت مَسَّة ، وكانت إجازته البحر من المَرِيَّة ، فتلا في بها هو وذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المذكور ، وكان قصدها واحدا ، ومسعاهما متعاضدا ؛ فترافقا في السفر ، كما ترافقا في الوَطَر . فدخل إفريقية ومصر والشام والحجاز ، وأخذ عن إني من الأئمة الأعلام ، وأكثر من ^(١) هذا الشأن ، وأجاد فيه الضبط ^(٢) والانتقان ، وتوسَّع في الرواية ، وذهب في ذلك إلى أبعد غاية . وكان له تحقُّق بعلوم الحديث وبرجاله ، وبصبط أسانيده ، ومعرفة انقطاعه وأتصاله ، إماما في هذا الشأن ، مُشارا إليه في هذا الفن ، معتقدا عليه ، مع كمال الثقة ^(٣) ، وشهرة العدالة .

قال القاضي أبو البركات ابن الحاج في حقه : ابن رُشَيْد ثقة عدل ، من أهل [٤٧٢] هذا الشأن للمتبحرين به ، وكان أيضا من أهل المعرفة بعلم القراءات ، وصناعة العربية ، وعلم البيان ، والآداب ، والعروض والقوافي ، مشاركا في غير ذلك من الفنون ، من خُذَّام السِّكِّاب والسُّنَّة ، حسن العهد ، كريم العشرة ، بَرًّا بأصدقائه ، فاضلا في جميع أنعمائه ، أديبا حطيبا بليغا ، ذا كرا ، متأدبا ^(٤) ، يقرض الشعر على تكلف ، ويُجود النثر ويُبصرُ مواقع حسنه ، وأعظمُ عنايته بعلم الحديث : متقنه وسننهِ ومعرفة رجاله ، ولذلك كان جُلُّ أشغاله ، وفيه عَظُمُ احتفاله ، حتى حَصَلَ منه على غاية قَصْدِه ومنتهى آماله

قرأ بسبْطة طرده على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع القرآن ^(٥) العزيز بالقراءات السبع ، بمضمَّن كتاب التيسير ، وتفقَّه عليه في العربية ، وقَيَّد عنه ^(٦)

شمائله

شيوخه

(١) كذا في ط وجذوة الاقتباس . وفي م : « في » .

(٢) كذا في ط . وفي م : « الحفظ » .

(٣) كذا في جذوة الاقتباس . وفي الأصلين : « الفينة » .

(٤) هذه العبارة : « أديبا متأدبا » زائدة في م .

(٥) في م : « القرآن العظيم العزيز » .

(٦) كذا في جذوة الاقتباس . وفي م : « منه » . وفي ط : عليه .

تقييدا حسنا على كتاب سيبويه ، وأخذ عنه غير ذلك . وقرأ أيضا الكتاب العزيز على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد الكتّابي ابن الخضار ، بالمقارئ السبعة ، وأخذ بالترجمة ، في اجتيازه عليها ، عن الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن الصانع ، والوزير الأديب أبي جعفر أحمد بن محمد ابن سلبطور ، قيد عنه [من] ^(١) شعره . ورحل فأخذ ببجاية عن الحافظ ^(٢) أبي محمد عبد العزيز بن عمر القيسي ابن كحيل نزيلها . وبتونس عن قاضي الجماعة بها ، أبي القاسم بن أبي بكر بن زيتون . وأخذ بإسكندرية عن القدّال المبرّز ، سراج الدين أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل ابن فارس التميمي ، والعدل الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان القرشي . وبالقاهرة عن الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذري ، والأديب الصوفي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف ابن أحمد الأنصاري ، ابن الخيمي ، نزيل أبواب الحسين رضي الله عنه من القاهرة . وبدمشق عن شيخ الشيوخ عن الدين أبي العزّ عبد الله بن عبد المنعم ابن علي الحرّاني ^(٣) ، وبقية المسندين غير الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي ، والسند أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك المقدسي . وبالحرم الشريف عن المحدث الأديب مقيم الحرم الشريف أبي إسحاق عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي ، وبقية المحدثين مقيم الحرمين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم السكي . وبالمدينة المشرفة المنورة عن الشيخ الإمام النحوي عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن محمد

[٤٧٣]

(١) زيادة عن حذوة الاقتباس .

(٢) كذا في الأصلين ؟ وفي حذوة الاقتباس : « الخطيب » .

(٣) كذا في الأصلين وحذوة الاقتباس . وفي فتح الطب والإحاطة : « أبي العزّ عبد العزيز

ابن عبد المنعم الحرّاني » .

ابن مزروع البصري وغيره . وفي أشياخه كثرة ، وقد أودهم رحلته الحافلة التي سماها : « ملء الغيبة ، فيما جُمع بطول الغيبة ، في الوجهتين السكربتيتين إلى مكة وطيبة » . وهي أربعة أسفار ، وقفت عليها بتدلسان ، وقد جمع فيها من الفوائد الحديثية ، والفرائد الأدبية ، كل غريبة وعجيبة .

ومن تأليفه « ترجمان التراجيم » ، في إبداء وجه مناسبات تراجم صحب البخاري لما تحتها ، مما ترجمت عليه . ومنها « السنين الأئمة » ، في السند المعتمدين ، و « المقدمة المعروفة ، لعلو المسافة والصفة » ، و « المحاكاة بين البخاري ومسلم » ، و « إحكام التأسيس في أحكام التجنيس » ، و « الإضاءات والإشارات » في البديع ، المسماة : « بإيراد المرتع المربع ، لرائد التسجيع والترصيع » ، و « وصل القوادم بالخوافي » ، شرح فيه كتاب القوافي لشيخه أبي الحسن حازم القرطاجني . وجزء مختصر في العروض ، وتقييد على كتاب سيبويه .

وذكر بعضهم أن الإمام ابن رُشيد كان ظاهري المذهب ، والمعروف أنه كان مالكيًا ، والله أعلم .

وكان يعتمد في شرح كلام البخاري على « المحبر الفصيح » ، في شرح البخاري الصحيح « لأبي عمرو ^(١) الصنفاسي » ، المعروف بابن التين ، لأجل حضور البربر في مجلسه ، ومعتمد المذونة ، وأبو عمرو في هذا الكتاب ينقل المذونة وكلام شراحها عليها .

وتكلم يوما بعد فراغه من إسماع الشائل ، وكانت بالمغرب فتنة ، على قوله عليه الصلاة والسلام : « بحسب أصحابي القتل » ، فقال : معنى الحديث أنه من عذاب الله تعالى ، كما قالوا : بحسبك زيد ؛ ثم قال : على أنه

(١) كذا في م عنا وفيه سيأتي . وفي ط : « صر » . (٢) في م : « ملجوم » .

تأليفه

منهجه

نسخه لتجارى

جهته في فهم الحديث

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فِتْنَةً ، فَعَظَّمَ أَمْرَهَا ؛ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَنَنُ أَدْرِكُنَا هَذَا الزَّمَانَ لَنَهْلِكَنَّ ^(١) ؛ فَقَالَ : كَلَّا ، إِنِّ بِحَسَبِكُمُ الْقَتْلُ .

ويدل على صحة هذا التأويل ما حرجه أبو داود ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُمِّي [هَذِهِ] أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنَةُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ » . وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ : « نَابَ مَا يُرْجَى فِي الْقَتْلِ » ، ثُمَّ أَدْخَلَ الْحَدِيثَ تَحْتَ التَّرْجُمَةِ .

وقال تلميذه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى : إِنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ كَذَبَ عَلَى مَتَعَمَّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَتَعَمَّدَةً مِنَ النَّارِ » . فَقَالَ : رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوُ مِثْقَلِ نَفْسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَيَمُومُ الْعَشْرَةُ الشُّهُودَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَلَا يُعْرَفُ حَدِيثٌ مِثْلُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهُ تَخْتَلِفُ ، لَكِنَّهُ هُوَ مَتَوَاتِرُ الْعَنَى .

وفى رسمه من حرف الميم من إحاطة ابن الخطيب ما نفعه :

حدثني بعض شيوخنا قال : فَعَدَّ يَوْمًا عَلَى الْمَنِيرِ ، فَقَالَ أَنَّ الْمَوْذِنَ الثَّالِثَ قَدْ فَرَّغَ ، فَقَامَ يَخْطُبُ وَالْمَوْذِنُ قَدْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِأَذَانِهِ ، فَاسْتَفْطَعَ ^(٢) ذَلِكَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ، وَهُمْ آخَرُ بِأَشْعَارِهِ وَتَنْبِيهِهِ ، وَكُلُّهُ آخِرُ ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَمَّا شَرَعَ فِيهِ ، وَقَالَ بِدِيهَةٍ : أَيُّهَا النَّاسُ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ الْوَاجِبَ لَا يَبْغِيهِ الْمُنْدُوبُ ، وَإِنَّ الْأَذَانَ الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ غَيْرُ مَشْرُوعٍ الْوَجُوبُ ، فَتَأَهَّبُوا [لِطَلْبِ الْعِلْمِ] ^(٣)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَالَّذِي فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، فِي كِتَابِ الْفِتَنِ : « لَنَنُ أَدْرِكُنَا هَذَا الزَّمَانَ لَنَهْلِكَنَا » .

(٢) زِيَادٌ عَنْ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، آخِرُ كِتَابِ الْفِتَنِ .

(٣) فِي مِمْ وَبَحْصَرِ الْإِحَاطَةِ الْمَقْطُوعِ وَالْمَقْطُوعِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ بِرَقْمِ (٥٥١٨) تَارِيخٌ : « فَاسْتَعِظْ » .

(٤) زِيَادَةٌ عَنْ مَحْصَرِ الْإِحَاطَةِ ، وَجِدْوَةُ الْإِفْتِاسِ .

وتنبهوا^(١) ، وتذكروا قوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لأخيه والإمام بخطب أنصت فقد لغأ ، ومن لغأ فلا جمعة له »^(٢) . جعلنا الله وإياكم من علم فعمل ، وعمل فقبل ، وأخلص فتخلص .

فكان ذلك مما استدلل به على قوة جنانه ، وانقياد لسانه لبيانه . انتهى . وتذكرت بهذه القضية من قام من اثنين ولم يتذكر حتى استقل ، ومن نسي المضمضة والاستنشاق حتى شرع في غسل الوجه ، وراجع شرح ابن ناجي على المدونة ، فإنه ذكر أن بعض شيوخه لم يرجع من الخطبة كما^(٣) فعل ابن رُشيد ، وبعض الأسياف رجع لمسامع المؤذن ، وفعل الأول أصوب . والله أعلم .

وكان رحمه الله تعالى (أعي ابن رُشيد) يقول : ليس بالمغرب علم إلا ابن البنا براكش ، وابن الشاطئ بسبته ، والقاضي أبا عبد الله محمد بن محمد اللخمي القرطبي . ومن المشاركة خلق كثير ، كابن دقيق العيد ، والشريف أبي الحسين العراقي ، وأخيه أبي إسحاق ، وجماعة .

وفي تأليف ابن رُشيد في التجنيس يقول صاحبه الفقيه الأديب البارع الفاضل أبو بكر محمد بن محمد القالونسي^(٤) من نظامه حين طالعه بفرناطة :

(١) في م : « وانتبهوا » .

(٢) لفظ حديث أبي هريرة في الموطأ وفي السنن إلا سنن ابن ماجه : « إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة ، فقد لغوت » . وفي حديث آخر عن علي : « من دنا من الإمام فلغا ولم يستمع ولم ينصت كان عليه كهل من الزور . ومن قال : سه فقد لغأ ، ومن لغأ فلا جمعة له » . وظاهر من هذا أن ابن رُشيد قد اتفق روايته من حديث أبي هريرة وعلى .

(٣) في ط : « حتى » .

(٤) كذا في ط . وفي م : « أبو بكر محمد القالونسي » .

تعليق لمؤلف
على موقف ابن
رُشيد

شهادة ابن رُشيد
لبعض العلماء

تقرئ بعض
تأليفه

[٤٧٦]

أَبْدَعَ فِي التَّجْنِيسِ إِنْشَاءً فَلْيَحْوَ فَضْلَ السَّبْقِ إِنْ شَاءَ

إِذْ كُلُّ مَنْ أَلْفَ مِنْ قَبْلِهِ مَا جَاءَ فِيهِ بِالْقَدَى جَاءَ

ومن شعر ابن رُشيد رحمه الله تعالى (ولنا فيه أسانيد) قوله : شيء من أفعاله

صِيَامُ عَاشُورَا أَتَى نَدْبُهُ فِي سُنَّةِ حِكْمَةٍ قَاضِيَةٍ

قَالَ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى إِنَّهُ تَكْفِيرُ ذَنْبِ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ

وَمَنْ يَوْسَعَ يَوْمُهُ لَمْ يَرْكَلْ فِي عَامِهِ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ

ومن ذلك قوله :

تَغْرَبُ وَلَا تَحْفَلُ بِفُرْقَةٍ مَعَشَرٍ^(١) تَغْرَبُ بِالْمَنَى فِي كُلِّ مَاشَتْ مِنْ حَاجِرٍ

فَلَوْلَا اغْتِرَابُ الْمَسْكِ مَا حَلَّ مَفْرَقًا وَلَوْلَا اغْتِرَابُ الدُّرِّ لَمْ يَحْفَظْ بِالنَّجَاجِ

وقوله رحمه الله تعالى في البحر وقد انبسط عليه ضوء القمر في ليلة البدر :

أَنْظُرْ إِلَى الْبَدْرِ قَدْ مُدَّتْ أَشْعَتُهُ عَلَى خُضَارَةٍ^(٢) حَتَّى ابْيَضَّ أَزْرَقُهُ

وَالرِّيحُ قَدْ صَنَعَتْ دِرْعًا مَسَامِيرُهَا حَبَابُ مَاءٍ يَرُوقُ الْعَيْنَ رَوْنَقُهُ

وذكر رحمه الله عن أبي النخير الفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن رَوَاحَةَ

الأنصاري الخزرجي أنه أُمِلَ عَلَيْهِ بِمَدِينَةِ بُلَيْثَسٍ بِمَصْرِ حَرَمِهَا اللَّهُ تَعَالَى :

وَأَرْجُو إِنْ عَجَزْتُ عَنْ الْأَمَانِي أَمَانًا مِنْ ذِمَامِكَ يَا إِلَهِي

فَلِي ظَنٌّ أَحَقُّهُ يَقِينًا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي كُلُّ لُئْنِي فِي

وَأَسْأَلُ مِنْكَ عَوْنًا لِي عَلَى مَا أَمَرْتَ بِهِ ، وَتَرَكِي لِلْعَنَافِي

(١) في جذوة الانقباس : « موطن » .

(٢) تارة : من أسماء البحر .

إشارته إلى بعض
الروايع في
الحديث

وقال رحمه الله : من محمد إلى أحاديث خراش ^(١) ودينار ^(٢) وأبي هذبة ^(٣)
وشبههم ، الذين يسميهم أهل الرواية والنقل طيور أنس ، فمثل هؤلاء لا يرجح
عليهم ، ولا يُفرح بعلومهم ^(٤) ، وروايتهم شبه الريح ، وإنما يكتب حديثهم
للتعريف به . وقد جمع الحافظ أبو الطاهر الأصبهاني جماعة منهم في بيتين ،
فأحسن ، أحسن الله إليه . أنشدني المكتسب الخير ، المقيّد ، أبو عبد الله محمد
ابن أبي العباس أحمد بن حنّان الشاطبي ، صاحبنا بتونس ، قال أنشدنا الشيخ [١٧٧]
الخطيب أبو محمد بن بركات رحمه الله ، قال : قرأت على الحافظ أبي عمر بن
عات ، قال : سمعت فيما قرئ على السلفي رحمه الله تعالى من نظمته :
حديث ابن سطور ^(٥) وقيس ويغنم ^(٦) وبعد أشج القرب ^(٧) ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة زريه . أبي هذبة القيسي شبه فراش
قال لي أبو عبد الله : قال لنا أبو محمد ، قال لنا أبو عمر : كان الحافظ
السلفي رحمه الله إذا فرغ من إنشاده لها ينفخ في يديه . فمثل هؤلاء لا يُلنفت
إليه ، ولو بلغ أقصى الممكن في القرب . انتهى .

(١) خراش بن عبد الله الذي يروي عن أنس رضي الله عنه : كذاب لا يجوز كتابته

حديثه . وحديثه خراش بن محمد بن خراش : متروك أيضا (انظر تاج العروس) .

(٢) دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك : منكر الحديث ضعيف ذاهب شبه المجهول .
وهو حنثي . (راجع تاريخ الخطيب ص ٣٨٢ ج ٨) .

(٣) أبو هذبة : هو إبراهيم بن هذبة أبو هذبة الفارسي ، كان بالبصرة ، ثم خرج إلى
أصبهان والري ، ووافي بغداد ، وحدث بها عن أنس بن مالك بالأناطيل .

(٤) كذا في ط . وفي م : « بعلومهم » .

(٥) ابن سطور : هو جعفر بن سطور الرومي

(٦) كذا في المتن في أسماء الرجال وتاج العروس . وهو يغنم بن ساء بن قنبر ،

قال ابن حبان : يضع الحديث على أنس . وجده قنبر مولى علي رضي الله عنه .

وفي الأصلين : « بيم » . وفي فتح الطيب « بيم » .

(٧) الأشج الثوري : كذاب طرقي ، كان بعد الثلاث مئة ، وادعى السماع عن علي بن

أبي طالب ؟ واسمه عثمان بن خطاب أبو عمرو ، وبعضهم سماه أبا الحسن علي بن

عثمان البلوي . (انظر لسان اللبّان لابن حجر) .

إجارته لبنت
عبد المهيم
ووفاته

ووجد بخط القاضي اليزيد ناسي^(١) ما نصه :

الحمد لله . وقتت على إجازة أبي عبد الله بن رشيد لست العرب بنت
عبد المهيم الحضرمي ، مؤرخة بغرة محرم عام إحدى وعشرين ، الذي توفي فيه ،
وقال أحسن الله افتتاحه واختتامه : ومن لم يكن يعرفني فاني :
أنا المدنب الخطاء والمفوء واسم . ولو لم يكن ذنب لما عُرف المفوء
اتمى .

حاله بعد عوده
من الشرق

ولما قفل الشيخ ابن رشيد من المشرق عاد إلى بلده سبته ، فلم يساعده
فيها المقدور ، ولم يُعرف له بها مقدار ، فسكتب إليه رفيقه الوزير ابن الحكيم
يستدعيه إلى حضرة غرناطة ، ويَعُدّه بنيل كل أمنّيه ، رعبا لما سلف له معه
من الصداقة المرّعيه ، فأعمل الرحلة إليه ، حتى قدم الحضرة الغرناطية عليه ،
فألغاه من عناية السلطان تحت جاه واسع ، فأهله^(٢) من مواليه وقرب إليه من
أمانيه كل شاسع ، وأكرم مشواه ، وحشد لديه مَعْقَبَة مُرَّاه ، وتقدم حينئذ للصلاة
والخطبة بالجامع الأعظم بغرناطة ، وخوّل كل كرامة ومَبْرَكَة . ثم لما توفي الأستاذ
أبو جعفر بن الزبير عن قضاء المناكح خلفه عليها ، فاتصلت له الأثرة بالأثرة ،
ولم يزل مقبلا بحضرة غرناطة ، منتصبيا للإقراء ، ومركزا لدائرة القراء ، إلى
أن قُتِلَ^(٣) الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فرحل من غرناطة ، ولحق بحضرة
فاس ، فخلّ بها تحت عنايه ، وفي كنف رعايه ، وجعل له الأمر السلطاني
الاختيار حيث اختار ، أو الاستقرار^(٤) ، فاختر التحول إلى مراكش ، إذ كان
قبل قد سكنها ، واستحسنها ، فورد عليها ورود الإمامه ، ونزل بها نزول البر
والكرامة ، وقدم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق ، وأقام بها سنين يبيت بها

[٤٧٨]

(١) في الأصلين : « البرناسي » ، وهو تحريف . (٢) كذا في ط . وفيه : « فأهله » .
(٣) في م : « اغتيل » . (٤) كذا في م . وفي ط : « حيث اختار الاستقرار » .

العلم ، ليس له شغل غير التدريس والتحقيق . ثم إن المقام السلطاني استدعاه منها بعد مدة إلى حضرة فاس ، فانتقل إليها انتقال الإيثار والإيناس ، فالحق بحاضرة السلطان ، وانتحف من الوجاهة والنباهة^(١) برداء سابغ الأردن ، وصار في عداد خواصه وآل مجلسه من الخلفاء^(٢) ، إلى أن توفى رحمه الله بفاس ، في الثالث والعشرين من شهر المحرم ، سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وقيل ليلة الاثنين الرابع والعشرين من شهر المحرم . وأما قول من قال إنه توفى ثامن المحرم فغلط . ودُفن خارج باب الفتوح ، بالروضة المباركة ، المعروفة بمَطْرَح الجنة^(٣) ، حيث تَدَفَّن العلماء والصلحاء ، الواردون على فاس من الغرباء .

ومولده بسببته في شهر رمضان سنة سبع وقيل تسع وخسين وست مئة .

وروى عنه الجهم الغفير ، كآبي البركات بن الحاج ، والأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن أبي العاصي التَّنُوخِي ، وآخرين رحم الله جميعهم ، ونفعنا بهم . وقد قدمنا أن ابن الحكيم تدبج معه ، ومعنى التدبج : أن يَرَوِي كل واحد من القرينين^(٤) عن صاحبه .

وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المقدم الذكر مَحَطَّ رحال الأفاضل ، وكَم لِلنَّاسِ فِيهِ مِنْ أَمْدَاحٍ وَتَأْيِيفٍ ، وله ألف الشيخ الفقيه المحدث [٤٧٩] الحافظ ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله القَرَظِي ، كتاب « الإشادة ، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة »^(٥) . وكان أبو القاسم هذا سمع من

كتاب الإشادة
قمرني

(١) في ط : « من الوجاهة والندامة والنباهة » . (٢) في ط : « الحضر » .

(٣) قال السكتاني في سلوة الأفاضل ، نقلا عن نصر الثاني : إنها تسمى : (مطرح الحلة) ، باللام ، جمع جليل . ثم قال : ويقال فيه اليوم : الحلة البتون ، وهو تفاؤل حسن .

(٤) في الأصلين : « الثريقتين » ، ولعلها محرفة عما أبتناه ؛ قال في شرح التماموس : « التدبج : رواية الأقران ، كل واحد من صاحبه » .

(٥) اسم هذا الكتاب في م : « الإشادة بذكر المشهورين من التأخرين بالإفادة » .

أبي جعفر بن الزبير ، وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء الثالث عشر من رجب الفرد ،
من عام سبعة عشر وسبع مئة ، قرب الزوال ، بالدرب الطويل من فاس المحروسة ،
وتوفي أخوه الشاعر الجليل أبو العباس أحمد بقرناطة في ذي الحجة من عام ثمانية
وسبع مئة^(١) .

ومن إنشاداته في كتاب «الإشادة» ، من شعر أخيه أبي العباس المذكور ،
رحمه الله تعالى :

لأبي العباس
العزقي في مدح
ابن الحكيم

مَدَّكَتَ^(٢) رَقِي بِالْجَمَالِ فَاجْعَلِ وَحَكَمْتَ فِي قَلْبِي بِجَوْرِكَ فَاعْدِلِ
أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَلِاحِ وَمَنْ يَرُوكَ فِي حَكَمِهِ إِلَّا جُفُونَكَ يُفْرَزَلِ
إِنْ قَبِلَ أَنْتَ الْبَدْرُ فَالْفَصْلُ الَّذِي لَكَ الْكَالُ وَتَقَعُهُ لَمْ يُجْمَلِ
لَوْلَا الْحَقْلُوطُ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ وَكَانَ دُونَكَ فِي الْحَصِيصِ الْأَسْفَلِ
عَيْنَاكَ نَازِلَتَا الْقُلُوبَ فَكَلِمَا إِمَّا جَرِيحٌ أَوْ مُصَابُ الْعَقْلِ
هَزَّتْ ظُبَاهَا بِمَسَدٍ كَمَرِ جُفُونَهَا فَأَصِيبَ قَلْبِي فِي الرَّعِيلِ^(٣) الْأَوَّلِ
مَا زِلْتَ أُعْذَلُ فِي هَوَاكَ وَلَمْ يَزَلْ سَمِعِي عَنِ الْعُذَالِ فَيْكَ بِعَزَلِ
أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِحَبِّكَ شَاغِلٍ عَنْ أَنْ أَصِيخَ إِلَى كَلَامِ الْعُذَالِ
لَمْ أَهْمَلِ الْكَتْمَانَ لَكِنْ أَدْمَعِي تَحَمَّتْ وَلَوْ لَمْ تَنْصِرْنِي لَمْ تَهْمَلِ
جَمَعَ الصَّحِيحِينَ الْوَفَاءَ مَعَ الْهَوَى قَلْبِي وَأَمَلَى الدَّمْعُ كَشَفَ الشَّكْلِ
وهي طويلة ، مدح بها الوزير ابن الحكيم المذكور ، وأجاد .

(١) كذا في ط وجذوة الاقتباس . وفي الإحاطة : « سنة سبع وسبع مئة » .

وفي م : « ثمانية عشر وسبع مئة » .

(٢) كذا في م والإحاطة . وفي ط وجذوة الاقتباس : « حلت » .

(٣) كذا في الإحاطة وجذوة الاقتباس . وفي م : « وأصيب قلبي بالرعي » . وفي

ط : « وأصيب قلبي بالرعي » .

وله من مطع قصيدة فيه أيضا

وله من مطع قصيدة فيه أيضا :

هذا الصباح فغادني بصبح
لا تسكرت لخطوب دهرك واسقى
واسرح سوام اللفظ ببعد حداثي
ففتت بزهره زهرها فتايلت
شقت شقائقها جيوب كاثم
وعيون ترجسها تلوح^(١) شواخصا
والورد تخرجه أنامل سوسن
وأنى الربيع ربوعها^(٢) بسواجع
سجت تبسرها بعود^(٣) شبابها
مالى وللأطلال أسأل صامتا
فى الراح^(٤) والريحان شغل شاغل
وأهيم فى وزد الحدود وآسها
وأصون سمعى عن مقالة عاذل
كم عرضوا لى باللام ومرحوا
ومنها أيضا :

عجبا لهم يلقوننى بعلامهم فى حب من يلقون بالقشبيح

- (١) فى م : « وأسام فى تمثيلها بمرح » . ولعله محرف عما أئتناه . ولم يرد من هذا الشطر فى ط غير : « فى مثنا بمرح » .
(٢) كذا فى م . وفى ط : « أسف على رقى بحد جريح » .
(٣) كذا فى ط . وفى م : « تميل » .
(٤) فى ط : « ربيعها » . (٥) كذا فى ط . وفى م : « بهد » .
(٦) كذا فى م . وفى ط : « فى الروح » . (٧) فى م : « فى الحب » .

إِن صَوَّحَ الرُّوضِ النَّصِيرَ نَغْدَهُ أَزْهَارُهُ أَمِنَتْ مِنَ التَّصَوُّجِ
وَتَحَارَ أَعْيُنُ مَبْصِرِهِ إِذَا بَدَأَ فِي ثَقْلِ أُرْدَانِ وَخَفَةِ رُوحِ
قَلْبِي بِمَذْلُومٍ يَزِيدُ تَوَقُّدًا لَا غَرَوَ فِي نَارِ تَشَبُّهِ بَرِّيجِ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ (١).

كلام للناسي
أبي حفص
في كتاب
الإشادة

ومما أورده في «الإشادة» لبعض الأعلام، وأظنه قاضى الموحدين أبا حفص
ابن عمر رحمه الله تعالى، في وصف الدنيا، كلام بديع نصه :

هذه الدنيا — حفظك الله — كما قد علمته ، فأعرض بحملك عن جهلها ،
وارغب بنفسك عن أهلها ، واذكر قبائح أنبيائها ، واضرم وصل أنبيائها ؛
لا ترع في رؤسهم ، ولا تسكرع في حوضهم ، وقُلْ اللهُ نَمِ ذَرَمٌ فِي خَوْضِهِمْ ،
وإذا سررت باللاعنين (٢) بذكر محاسنها ، اللاهين بحسن ظاهرها عن قبيح باطنها ،
فأله عن لهوم ، ومُرْ كَرِيمًا بَلْغُومٌ ، مَرَّ المَهْتَدَى فِي سِيرِهِ ، وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى
يَخْوَضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ، فَالْسيَادَةُ وَالسَّعَادَةُ فِي نَبْذِهَا ، لَا فِي أَخْذِهَا ، وَفِي
تَرْكِهَا ، لَا فِي دَرْكِهَا ، وَإِلَيْكَ عَنْ وَصْلِهَا إِلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ بِهَجْرِهَا عَلَيْكَ ، وَاتْلُ
قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ » ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى : « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » ،
وَاحْرِصْ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ؛ فَزَخْرُفِ الدُّنْيَا فِي نَظَرِ الْعَيْنِ زَيْنٌ ، وَفِي نَظَرِ الْعَقْلِ
شَيْنٌ ؛ فَعَمَّضْ عَيْنَيْكَ تَبْصِرَ ، وَلَا تَمُدَّنَّهَا وَأَقْصِرْ ؛ جَعَلْنَا اللهُ مِنْ نَظَرِ بَقْلِهِ ،
وَأَبْصَرَ بَلْبَهُ ، فَأَوَّلُوا الْأَبْلَابُ وَالْفِكَرُ ، الْخُصُوصُونَ بِالذِّكْرِ ، وَالْعِلْمُ أَرْفَعُ الْمَزَايَا ،
وَأَوْسَعُ الْعَطَايَا ، هُوَ غَايَةُ اللَّذَالِ وَالْأَذْرَكُ ، مَنْ نَالَهُ أَيْ شَيْءٌ فَاتَهُ ، وَمَنْ فَاتَهُ أَيْ
شَيْءٌ أَذْرَكَ ؟ وَلَا عِلْمٌ إِلَّا عِلْمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ، هُمَا أَفْضَلُ الْعَطَايَا وَالْمَنَّةِ ، فَمَنْ

(١) إلى هنا ينتهى المجلد الثانى من النسخة التيمورية (رقم ٨٩٤ تاريخ) .

(٢) في ط : « بالمولين » .

عليهما ، ونظر فيهما ، وعمل بهما ، نال غاية السعادة ، وأدرك منتهى السيادة ؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » . هذه المزايا العاليه ، والعطايا الواسعة الباقية ، لا ما نهت عنه الآية الثانية ^(١) ، جعلنا الله ممن أبصر رشده ، وذكر مراده ، ووجه إليه قصده ، ورأى في أول أمره آخره ، وابتنى فيما آتاه الله الدار الآخرة ، بمنه وفضله . آمين .

(٢) يَا رَاكِضًا فِي طَلَابِ دُنْيَا لَيْسَ لِمَنْ تَصْرَعُ انْتِمَاشُ
تَنْحُ يَا عُرْضَةً لِرَامٍ أَسْمُهُ بِالرَّذَى تُرَاشُ
تَحْشُ ^(٣) نَارًا هَوَى لَهَا بَيْنَ لَهُ حَوْلًا أَنْهَاشُ
أَعْدَرُ مِنْكَ الْقَرَّاشُ أَلَا عَلِمْتَ مَا يَجْهَلُ الْقَرَّاشُ
تَطْلُبُهَا لَا تَسَامُ عَيْنُ عَنْهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جِلَاشُ
مَنْ لَكَ بِالرَّحَى مِنْ شَرَابٍ يَشْتَدُّ مِنْ شُرْبِهِ الْعِطَاشُ ^(٤)
دَعَا فَطْلَانُهَا رَعَا طَاشَتْ بِأَلْبَابِهِمْ فَطَاشُوا
وَاطْلُ لَتَزْوَى وَكُنْ كَقَوْمٍ مَاتُوا بِهَا عِفَّةً فَعَاشُوا
لَمْ يَرِدُوهَا فَهَمَّ رِوَا وَوَارِدُوهَا هُمُ الْعِطَاشُ
كَأَنَّ آمَالَنَا ظِلَابًا وَنَحْنُ مِنْ حَقِيرَةِ خِرَاشٍ ^(٥)
لَا نَأْتِيَنَّ بِهَا انْبِطَاطًا بِهِ لِأَعْمَارِنَا انْكَاشُ ^(٦)

- (١) يريد قوله تعالى : « وَلَا تَعْدُنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَعَا بِهِ زُرْعَانَا مِنْهُمْ ... الخ » .
(٢) من هنا إلى قوله : « جِوَادُ مَالِكٍ وَالتَّصَوُّرُ عِنْدُومٍ » ص ٣٦٢ ساقط من نسخة ط .
(٣) تحش : توفد . وفي م : « تحش » وظاهر أنه محرف عما أبتناه .
(٤) يريد بالعطاش : العطش ، مصدر عطش .
(٥) في الأصل : « خفاش » ، وظاهر أنه محرف عما أبتناه . وهو يشير إلى البيت المشهور :
نكاثرت الطيأ على خراش فما يدرى خراش ما بعبد
(٦) في م : « لا أمتنا » ، وهو محرف عما أبتناه .

كَأَنَّ آجَالَنَا صُفُورٌ وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشٌ

انتهى .

وَأَبُو حَفْصِ بْنِ عَمْرٍ هَذَا ، هُوَ الْقَاضِي الْجَلِيلُ أَبُو حَفْصِ عَمْرِ بْنِ الْقَاضِي
الجليل أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر الشَّامِيِّ . وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ
الْأَثَرِ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ جَزِيرَةِ شُقْرٍ ^(١) . قَالَ : وَوُلِدَ بِأَنْغَاتٍ ، وَسَكَنَ مَدِينَةَ فَاسَ .
رَوَى عَنْ جَدِّهِ لِأَمِّهِ ، أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَخْمِيِّ ، أَجَازَ لَهُ فِي صِفَرِهِ ؛
وَعَنْ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ مَسْرَّةٍ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّمَاةِ ، وَأَخَذَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ
طَاهِرٍ كِتَابَ سَبْيُوهِهِ تَفْهِيمًا ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْيَقِينِ ، أَدِيبًا شَاحِرًا ، مُجِيدًا ،
غَلَبَ عَلَيْهِ الْأَدَبُ ، حَتَّى عُرِفَ بِهِ وَشَمِرَ ، مَعَ جُودَةِ الْخَطِّ ، وَبِرَاعَةِ الْأَدْوَاتِ .
وَوُلِيَ قِضَاءَ تِلْمَسَانَ ، ثُمَّ نَقَلَ إِلَى قِضَاءِ فَاسَ بَعْدَ أَبِيهِ نَزَمَ ، وَوُلِيَ قِضَاءَ
إِشْبِيلِيَّةَ وَغَيْرَهَا ، وَنَالَ دُنْيَا عَرِيضَةً .

وَحَكَمَى عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ أَنَّهُ تُوُفِّيَ بِإِشْبِيلِيَّةَ فَجَازَهُ ، فِي الْخَامِسِ مِنْ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَمَوْلَدُهُ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ .
وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ فَرَقْدٍ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِدَ سَنَةَ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ ، وَرَوَايَتُهُ عَنْ جَدِّهِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَتَوُفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، مَعَ صَحَّتِهَا ، تَقْضِي بِبَطْلَانِ
ذَلِكَ . قَالَ ابْنُ فَرَقْدٍ : وَتَوُفِّيَ عَامَ اثْنَيْنِ وَسِتِّ مِائَةٍ بِإِشْبِيلِيَّةَ وَهُوَ يَتَوَلَّى قِضَاءَهَا ،
بَعْدَ صَرَفِ مُحَمَّدِ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ ؛ وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ قَدْ صُرِفَ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ، بَعْدَ ذَلِكَ
بِعَامٍ أَوْ أَزِيدَ .

وَمِنْ مَشْهُورِ نَظْمِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَدْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي بَعْقَابٍ يَوْسُفَ بْنِ
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ [الْمَوْحَدِيِّ] ^(٢) رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى :

(١) فِي جَذْوَةِ الْاِتِّبَاسِ : « أَشْقُورَةٌ » . (٢) زِيَادَةٌ عَنْ جَذْوَةِ الْاِتِّبَاسِ .

التعريف بالقاضي
أبي حفص
عمر السلمي

شيوخه

ولايته القضاء

مولده ووفاته

من شعره في
مدح أبي يعقوب
يوسف

اللهُ حُكْمُكَ والسَّبعُ الحواميمُ
 سُبْحُ الْمَثَانِي التي اللهُ قَتَ بها
 وَأنتَ بالسَّور السَّبع الطُّوال على
 والدَّهر سَبْعَتَه وسَبْعَة جعلت
 وسبعةُ الشَّهْب لم تَحْفَلْ بها ثَقَّةٌ
 تسمو بنفس على السَّبع السَّداسمُ
 أنوار عدلك في الآفاق داعية
 أعلى بك اللهُ أعلاما هَدَيْتَ بها
 عليك أهلُ الهدى والحق متفق
 ومنها أيضا .

فؤاده بصياء العلم منشرح
 وكفه بطنها بالخير منهمر
 العلم قيمته ^(٥) والحقلم شيمته
 لطالبي العلم ما شاءوا تخدمته
 سحب العلوم عليهم من سماحته ^(٦)
 القَيْن من نظير والأذن من خبر
 يُغْنِي أناةً وحلما عالما وله
 ووجهه بجمال النور موسوم
 وظهورها لمهود الله مَلثوم
 طابت أرومته والنفس والحليم
 غنى وعز وإرثاد وتعليم
 تهيم في بحرهما هم شرع هيم
 لا تشيمان وباغى العلم منهموم
 في موضع الحق إقدام وتصميم

[٤٨٢]

(١) رواية هذا الشطر في جذوة الاقتباس : « عليك من سرها متى وتقدم » .

(٢) في جذوة الاقتباس : « حاكم لله ... » .

(٣) كذا بالأصل . وفي جذوة الاقتباس « ... جعت وجود » .

(٤) إلى هنا ينتهي الجزء الساقط من نسخة ط . (٥) كذا بالأصلين .

(٦) كذا في ط . وفي م : « سماوته » .

تشتد فيمن عصَى أو خان وطأنه
إرادة فوق إدراك العقول لها^(١)
حتى إذا ما بدا منها النجاس بدت
انظر خواتمها تفهم مبادئها
والخط سماء^(٢) علاها عبرة وكفى
إن^(٣) الخليفة سرُّ الله ظاهرة
فدعوا واخضعوا والآراء وانبعوا
الشرق والغرب من عُرب ومن عجم
والبحر والبر من سهل ومن جبل
ومنها أيضا .

وكل جسد مفاد من علائك من
المسلمين أمير المؤمنين حمي
الدهر في أنفسه من حكمه برّة
العلم والدين والدنيا وساكنها
جزاء سميك عند الله مدخر
عطا على حسن أمداحي وإن عجزت
نسيمه نفسُ العليا مشموم^(٤)
يُحِلُّه من صروف الدهر تحريم
هنا الزمان على الأبرار مخزوم
في سلك رأيك يا وسطاء منظوم
هذا كتابك في الأبرار مرقوم
إن الجمال على العلات مرحوم

(١) في ط : « آراء فوق آراء العقول لها » .

(٢) في ط : « تشبه » وفي م : « تقسم » ولعلها محرفتان عما أثبتناه .

(٣) في ط : « ساءا » . (٤) كذا في ط : وفي م : « إذ » .

(٥) في ط : « بالعيس » .

(٦) كذا في ط . ورواية هذا البيت في م :

وكل مجد مفاد من علائك من حبة نفس العليا مسموم

ما علقوا لورأوا هذا قفا وألا هُي ولو جادهم حُجر وكنثوم^(١)
 إذا لقال لراويه عُليمةٌ : «هل ماعلت وما شتودعت مكتوم» ؟
 يا سامعين أمداح الإمام ألا فاجشوا على الركب الإعظام أو قوموا
 خذ كاس لقطي دهاقا من مدائحها فيها الحقائق لا أنفؤ وتأنيم
 ندعو له بدلا من مدحه انصو راللدح عنه وفيه العذر معلوم
 عز^(٢) الإمام فلا تضرب به مثلا من ذا يقاسُ به والنلُ معدوم [٤٨٣]
 أعطى الوري فضل ما أعطاه خالقه عليه من ربه بُشرى وتسليم
 صل بالصلاة عليه صدق مدحته ذلك الرحيق بهذا المسك مختموم
 وحكي أنه لما قال :

هو وأبو العباس
 الجراوى

«يا سامعين أمداح الإمام ألا فاجشوا . . .» البيت

قام جميع من في المجلس وكان فيهم الشاعر الملقب أبو العباس الجراوى ، فاحتاج
 إلى مشايعتهم لذلك ، وثقل عليه لضخامته ، فعمل وهو يحاول القيام يسب القاضى
 أبا حفص نحر ، ويشير إلى أنه انتصف منه .

وحكى أيضا أنه لما أنشد القاضى أبو حفص هذه القصيدة ، قال فيه الجراوى
 المذكور ، وكان شديد الحسد له والإذابة لعينه ، وكان له تقدم في تلك الدولة :

نَبَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ ابْنِ عُمَرَ هَذِهِ فَلْتَعَجِبُوا أُمَّ الْعَبْدِ
 قُلْ لَهَا عُنَى إِذَا لَا قِيَتَهَا قَوْلُهُ تَتْرُكُ فِي الصَّخْرِ أَثَرَ

(١) رواية هذا البيت في ط :

« ما علقوا لو رأى هذا قفا ... ولو جادهم حجر وكنثوم »

وفى م :

« ما علقوا لو رأوا ... هـي ... »

وقد أصلحناه على النحو الذى أبتناه ، ولعله أقرب إلى ما يريد الشاعر .

(٢) كذا في م . وفى ط : « عن » وهو تحريف .

هَبِكِ كَالْخَنَسَاءِ فِي أَشْعَارِهَا أَوْ كَلْبِي هَلْ تُجَارِينِ الذِّكْرَ
فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ حِينَئِذٍ :

نَهَانِي حُلْمِي فَلَا أُظْلِمُ وَعَزَّ مَكَانِي فَلَا أُظْلَمُ
وَلَا بَدَّ مِنْ حَاسِدٍ قَلْبِهِ بَنُورِ مَا تَرْنَا مَظْلُمُ
رَحِمْتُ حَسُودِي عَلَى أَنَّهُ يِقَاسِي الْعَذَابَ وَمَا يَرَحِمُ
بِقَانَا الْحُسُودَ وَلَسْنَا كَمَا يَقُولُ وَلَكِنْ كَمَا يَفْعَلُ

وكان أبو العباس الجراوي المذكور ههنا حاضراً البادرة ، سريع الجواب .
ومن أغرب ما صدر عنه في ذلك أنه هاجم قبيلة بني غفجوم^(١) ، استطرادا بهجو
أهل فاس وقاضيه ابن الملجوم ، الكبير البيت ، الشهير الأصالة ، قال :

يَا بْنَ السَّيْلِ إِذَا نَزَاتَ بِتَادِلَا^(٢) لَا تَنْزِلَنَّ عَلَى بَنِي غَفْجُومِ
أَرْضُ أَغَارِبِهَا الْعَدُوُّ فَلَنْ تَرَى إِلَّا مَجَاوِبَةَ الصَّدَى لِلْبُومِ
قَوْمٌ طَوَوْا ذِكْرَ السَّهَابَةِ بَيْنَهُمْ لَكُنْهُمْ نَشَرُوا لَوَاهِ الْأُورِ
لَا يَمْلِكُونَ إِذَا اسْتَبِيحَ حَرِيمُهُمْ^(٣) إِلَّا الصَّيَاحَ بِدَعْوَةِ الظُّلُومِ
لَا حِفْظَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَنَوَالِهِمْ لِلسَّائِلِ السَّافِي وَلَا الْمَحْرُومِ
يَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِهِمْ وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ أَرْضِ فَاْسٍ مِنْ بَنِي الْمُلْجُومِ

ومن نظم القاضي أبي حفص المذكور ، من مطلع قصيدة يمدح أبا يعقوب بن
عبد المؤمن ، ويهنته ببيتته الثانية :

أَلَا هَكَذَا تُبْنِي الثَّمَلَا وَالْمَاتَرُ وَتَسْمُو إِلَى الْأَمْرِ الْكَبِيرِ الْأَكْبَرُ

(١) في ط : « بني مقحوم » هنا وفيما سيأتي . ولعله محرف عما أُميتناه .

(٢) كذا في ط . يريد : تادلة (بتفتح الدال واللام) وهي من جبال البربر بالعرب قرب
تلمسان وفاس . (انظر معجم البلدان لياقوت) . وفي م : « ... إذا صرحت منازلنا » .

(٣) في ط : « ... إذا استباح خديعهم » .

تَوْثُّ لِبِعَاتِ الرِّضَا مَطْلَعُ الْهَدَى
وَمِنْ غَزَلِيَّاتِهِ قَوْلُهُ :

وله في الغزل

لَا هُمْ نَظَرُوا لِمَا حَظَّهَا فَمَا مَوَا
يَخَافُ النَّاسُ مُقْتَلَهَا سِوَاهَا
سَمَا طَرَفٍ إِلَيْهَا وَهِيَ بِكَ
وَأَذْكَرُ قَدَّهَا فَأَنُوحُ شَوْهَا
وَأَعْقَبَ يَتْنُهَا فِي الصَّدْرِ عَمَّا
وَقَوْلُهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَهَا الْفَقْرُ لَا دُمِيَّةُ لِلْمَرْمَرِ
بِنَفْسِي يَعَافِيرُ تِلْكَ الْخِيَامِ
مَلَاعِبُ يَصْبُو إِلَيْهَا الْحَكِيمُ
وَفِيهَا الظُّلَامُ بَنَاتُ الْأَسُودِ
رَغِيسُ الْهَزْبِ كِنَاسُ الْقَرَالِ
تَخَالِمْهَا نَظَرًا تَحْتَهُ
وَبِالْإِحْظِ يُفْسَدُحُ زَنْدُ الْهَوَى
وَكُفَّرَهَا بِقَوْلِهِ :

بِقَلْبِكَ يَا غَافِلًا فَانْظُرْ
إِذَا أُرْسِلَ الطَّرْفُ هَامَ الْقَوَادِ
وَأَفَافَةُ قَلْبِ الْفَتَى عَيْنُهُ
وَمِنْ قَوْلِهِ :

أَغَارَ عَلَى الصَّبِّ مِنْ أَتْبَعَةٍ
هُوَ الْحُبُّ مَنْ يُطْفِئُ أَهْبَعَةً

نَأَى الْقَلْبُ عَنِّي وَشَوَّقِي مَعِيَ فَلَلَهُ أَمْرِي مَا أَعْجَبَنِي !
يَحْنُ فَوَادِي إِلَى قَانِي كَذَاكَ الْهَوَى عِنْدَ مَنْ جَرَبَنِي
تَرَقُّ شَمَائِلُ مَنْ ذَاقَهُ وَتَلَطَّفُ شَمَائِلُ مَنْ هَذَبَنِي
يَجُودُ لِمُسْخِطِهِ بِالرِّضَا وَيَطْلُبُ رَاحَةً مِنْ أُنْعَمَنِي
إِذَا شَفَّ قَلْبِي غَرَامُ الْهَوَى دَعَا بِالنَّعِيمِ لِمَنْ عَزَبَنِي

لا بن شكيل في
مدح الناصبي
أبي حفص

وكان القاضي أبو حفص هذا كريما ممدحا ، ومن أجاد فيه الشيخ الأديب
الغفقي أبو العباس أحمد بن أبي الحَكَم يَمِيش بن علي بن شكيل الصَّدِّيق ، من
أهل شَرِيش ، للموتى سنة خمس وست مئة ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمس
مئة ، وأمداحه فيه كثيرة ، قدَّم قدامها كلاما نقضه :

فِيهِ اسْتَفْرَغْتُ مَجْهُودِي ، وَإِلَيْهِ جَلَيْتُ عُذَّتِي وَعَيْدِي ، لِأَنَّهُ كَانَ آدَبُ
أَهْلِ زَمَانِهِ غَيْرَ مُدَافِعٍ ، وَأَوْلَاهُمْ بِالْفَضْلِ غَيْرَ مَنَازِعٍ ، لِتَحْلِيهِ بِالنَّوَاصِعِ فِي الْجَلَالَةِ ،
وَالْبِشَاشَةِ فِي الْجَزَالَةِ ؛ وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ غَلَامًا ، أَحْسَبُ زَنْدِي سَخَامًا ^(١) وَحَسَدِي
كَهَامًا ، فَتَلَقَّى زَرِّي بِالِاسْتِكْثَارِ ، وَنَسَبَ بَحْرِي إِلَى الْإِسْتِجَارِ ^(٢) ، وَأَوَّلَى — نَقَّرَ
اللَّهُ وَجْهَهُ — مِنَ الْبَرِّ لَجَانِبِي ، وَالِاسْتِطْرَافِ لِمَذَاهِبِي ، وَالشَّاءَ عَلَى أَنْدِيتهِ الْآهَلَةِ ،
وَبِحَالِهِ الْخَافَةِ ، مَا شَهِدْتُ لَهُ بِالتَّبَرُّزِ ، وَخَلَصَ مَعَهُ فِكْرِي مِنْ تَخَوُّفِ النَّقْدَةِ
الْحَسَدَةِ خُلُوصَ الْإِبْرِيزِ ، فَقَدَحْتُ فِيهِ زَنْدَ فِكْرِي فَوَزِي ، وَفَجَّرْتُ فِيهِ يَنْبُوعَ
شَعْرِي جَفْرِي ، وَأَطَلْتُ فِيهِ إِطَالَهَ الْمُفَتِّينَ الْمَغْرِبِ ، وَجَعَلْتُ أَمْدَاحَهُ نَقْلَةً لِلْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ ، وَمَعَ ^(٣) ذَلِكَ لَمْ أَنْهَضْ إِلَى عِزِّهِ أَعْزَهُ اللَّهُ حَيَا وَهَابًا إِلَى خُطَاةِ الْقَضَاءِ ،
فَأَتَى مَعَ ^(٣) سَنَ الشَّيْبَةِ إِلَى رَقَبَةِ مَشِيخَةِ الْعُلَمَاءِ ، فِرَاسَةً مِنْهُ وَتَوْشَمًا ، وَاسْتَرَّاحَا

[٤٨٦]

(١) كَذَا فِي م . وَالْحَسَامُ : الرِّيشُ الَّذِي تَحْتَ رِيشِ الطَّيْرِ . وَفِي ط : « سَخَامًا » .

(٢) كَذَا فِي ط . وَفِي م . « وَنَسَبَ عُذِّي إِلَى الْأَسْمَارِ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣-٢) فِي الْأَسْلَيْنِ تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَلَمْ يُوفَقْ إِلَى تَصْوِيهِهِ .

للنجابة وتوهمها ، إلا أن البلد التي استعمل^(١) فيها كانت خشنة للبارك ، فسكنت
أنتقى فيها على جر الغصى ، وأخاطبه بما لو أتيت على الحجر لا تضجر ، وكانت
الأناة غالبية على طيابه ، وجائلة على نظره وسماعه ، وكان مع ذلك مكدودا
بالشفاعات ، ومضيقا عليه في الجهاد والطاعات ، خلعت عن عاتق نجاد تلك الخطة ،
ودار قلبك أمرى على غير تلك النقطة ، وهو — عفا الله عنه — يقابل تعوّفي^(٢)
بالانبطاح ، وفترتي بتجديد الإنشاط ، انبطاحا للأمكنة والأزمنة ، فقطع عليه
غرضه تأخره عن الخطة ، فاقطعت عنه امتداحا ، ولا نسيت أيامه حنيئنا
وارتياحا . ثم أعيد إلى الولاية ، فعدت إليه ، وقد أتى الهرم والشئم عليه ،
فعاقت منيته عن بلوغ الآمال ، وسلبتني علقا نقيسا لما تخلفه الأيام والليال^(٣) :

يامن لصبح الشيب كيف تنفسا في لمتى فأنجاه ليل الأتى
لا تحسبن سواد شعري رنمة لكن كسته محوم قلبي حندا
إلا يكن شاب العذار ولا انحنى ظهري فقد شاب القواد وقوسا
إني لأغضى مقلتي عن لأمي^(٤) وأرى ابتسامي من ضميري عبسا
ويلن قلبي للخلييل مودة فإذا أحس هزيمة يوما قسا
وأجبل لحظي في التقي شغفا بها وأجل شوقى عن لعل وعن عسى
مالى أرى المالات عدن هودجا ولهذه الأضلاع صارت مكنسا
طويبت على بيض الدمي فتكانست فيها ظبلاء يرتعين الأنسا
فهي الدراري في المواجر خنسا وهي الجوارى في المودج كنسا
يظرفن أمواة القسلة تمرّبا ويرذن نيران الضلوع تمجسا

(١) في العبارة نموض وتحريف كثير . (٢) النعوق : التنبط عن الأمور .

(٣) زادت ط بعد هذا : « فقال » ولعله يريد : « فقلت » .

(٤) كفا في م . وفي ط : « العدى » .

فيهن جائلة الرِّساح تَنفَسَتْ فَرَهَا النسيمَ أَرِيحُهَا فَتَنَفَّسَا .
 زارت كما زار الخيلُ تَسْتَرَا وَعَطَتْ كما يعطو الغزال تَوَجَّسَا
 حَذَرْتُ مِنَ الرُّقَبَاءِ ^(١) حَوْلَ طَرَفِهَا فَأَنْتَ نَجِرْ عَلَى التُّرَابِ الشَّنْدَسَا
 مَلْتُ بِطَارِيقِ الرِّجَالِ وَشَاقِهَا صُعْلُوكُ حَتَّى لَيْسَ يُبْقَى مُنْفَسَا
 زَعَمْتُ فَتْسَاةَ الْحَيِّ أَنِّي مُمْلَقُ أَرَأَيْتَ إِمْلَاقَ لَجْدِي مَرُكِسَا
 بَاتَتْ تَهَيَّجَهَا وَسَاوَسُ حَلِيهَا حَتَّى إِذَا الصَّبَحُ الْمَسِيرُ تَنَفَّسَا
 بَسَكْرَتْ تَلُومُكَ فِي النَّدَى كِنْدِيَّةُ صَدَقِيَّةُ تَنْمَى السُّكُونُ وَأَشْرَسَا
 يَابَتْ عَمَّى هَلْ سَمِعْتَ بِمَاجِدِ يَبْسُكِينَ أَوْ فِي الذَّمِّ أَطَمَ أَوْ كَسَا
 لَا تَحْسَبِي أَكْلَ الْمَرَارِ عَمِيدُنَا غَرَّتْنَا وَلَكِنْ عِزَّةٌ وَتَغَطَّرُسَا
 أَذْهَلْتَ عَنْ عَمِّي النَّدَى إِنْ النَّدَى لِيرُدَّ وَخَشِي لَلْنِّى مُتَانَسَا
 عَمَّرَ الْمَطِيَّةَ لِلْعِذَارَى رُبُّهَا فَأَبِيحَ تَفَرًّا مِنْ عُنَيْزَةٍ أَوْ مَسَا ^(٢)
 لَمْ يَنْسَ ^(٣) مَيْتَا بِالْكُلَابِ وَرَبَّمَا قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا أَنْ يَفُوهَ فَيُلْبَسَا
 وَنَسِيتَ خُجْرًا يَوْمَ هَجَّ بِالْمَعَا أَسَدًا وَمَنْ هَاجَ الْأَسَدُ تَفَرَّسَا
 هَبِطَتْ كَوَاهِلُ مَلِكِهِ مِنْ كَاهِلِ أَبَدًا أَصَابَتْ مِنْهُ يَوْمًا أَتَحَا
 فَلَنْ أُبْرِتَ مَالِكٌ أَوْ كَاهِلُ فَلَقَدْ أَبَارَتْ مِنْهُ قَرْمًا أَتَحَا
 قَدْ كَانَ مُلْكُكَ فِي كَنُودِكَ وَالنَّدَى فِي ظَلِيمَةٍ فَتَفَرَّدَا وَتَقَبَّسَا
 كَلُوكَ جَبِيشٍ ^(٤) كَلَامًا وَطُيُوتُوا النَّرَى وَأَظُنُّ ^(٥) أَنَّ لَهَا التَّرَى وَالْأَشْمَسَا
 وَاطْلُوتُهَا السَّلَامِيَّ قَاضِيَهَا الرِّضَا كَرَمٌ وَجُودٌ يُنْطَلِقَانِ الْآخِرَسَا

[٤٨٧]

(١) فِي الْأَسْلَيْنِ : « الْوَهْدَاء » ، وَلَعَلَّهُ مَحْرُوفٌ عَمَّا أَتَيْتَاهُ .

(٢) يُقَالُ أَوْمَسَ لِمَنْ يَرِيدُهُ : إِذَا لَانَ وَسَهَلَ . وَفِي ط : « الْمَسَا » . وَفِي م : « أَوْمَسَا » .

وَالرَّوَابِيَانِ مَحْرُفَتَانِ عَمَّا أَتَيْتَاهُ . (٣) فِي ط : « لَمْ يَنْسَ » .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي م : « قَيْس » .

(٥) كَذَا فِي م وَفِي ط يَاضُ مَوْضِعُ : « وَأَظُنُّ » . وَفِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ غَمُوضٌ .

شَهِدَتْ لَهُ أَصْحَابُهُ وَعِدَاتُهُ حَتَّى الْغَامُ إِذَا هَمَّى وَتَجَسَّأَ
 قَمِيًّا لِأَنْدَى بِالْأَنْدَى وَاعْتَادَهُ ^(١) فَيُنَا فَسَارَ مَعَ الرِّكَابِ وَعَرَّسَا
 وَكَسَا الْوَرَى الْعَدْلَ الْمُبِين ^(٢) وَقَبْلَهُ سُلِّبُوا بِجَوْرِ وَلَا تَهْمُ تِلْكَ السَّكْسَا
 وَأَعَدَّ أَقْدَارَ الْأُمُورِ بِحَزْمِهِ ^(٣) وَرَمَى بِهِ غَرَضَ الْخَطُوبِ فَقَرَّطَسَا
 وَأَتَتْهُ ^(٤) اللَّبِيتُ الرَّفِيعُ عِمَادُهُ عَمَدٌ لَهُ مَجْدًا وَعِزًّا أَفْعَسَا
 قَالُوا بَنُو نَعْلٍ : نَفِستَ مَكَارِمًا تُعَزِّي لِحَاثِمَاءَ فَقُلْتُ : وَمَا عَسَى ؟
 جِئْتُمَا بِوَاحِدَةٍ لِحَاثِمٍ طَيِّبٍ مِنْ هَذِهِ وَطَيَّ الْأَلَا أَفْعَسَا
 أَوْ سَارِلُونِي فِي الْأَنَامِ سِوَى أَبِي حَفْصٍ فَهَلْ تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْدِسًا ^(٥)
 أَوْ فَاحِلُوا بَعْضَ الَّذِي هُوَ حَامِلٌ لِيُرِدَّكُمْ مِنْهُ يَلْمَلُمُ قَدْ رَمَا
 النَّاسَ أَشْبَاهَ وَلَكِنْ يَنْبَهُمُ فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الذُّوَابَةِ وَالنَّسَا
 أَحْسِبْتُمْ كُلَّ امْرِئٍ غَمَرَهُ النَّدَى مَا كُلُّ بَيْتٍ بِالنَّشَامِ الْقَدَسَا
 يَا خَبَلَةَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ وَقَدْ رَأَى عُمَرَا بِأَنْوَاعِ الْجَلَالَةِ مُلْدَسَا
 لَوْ يَسْتَطِيعُ لَجَاءَ مُقْتَبِسًا لَهَا مِنْ أَفْقِهِ وَإِذَا لَصَادَفَ رَتْبَسَا
 خَابَ امْرِئٌ يَرْجُو نَدَاهُ غَضَاضَةً إِلَّا السَّكْمُورُ فَإِنَّهُ قَدْ أَبَلَسَا
 طَلِيتُ أَفْوَاهَ الرُّوَاةِ بِمَذْحِجِهِ فَكَأَنَّ عَطَارًا يُصْنَعُ مُعْرِسَا
 وَعَلَوْتُ قَدْرَ النَّاطِقِينَ بِشُكْرِهِ وَلَيْتَنِي تَمَادَى فِي نَدَاهُ لِأَخْرَسَا
 يَا وَاحِدَ الْغُرُبِ ^(٦) الَّذِي لَوْ صُورْتُ طِرْفًا عَتِيقًا كَانَ مِنْهُ الْقَوْنَسَا
 إِلَيَّ دَعْوَتُكَ لِلْأَمَانِيِّ الْغُرُّ فِي ظِلِّهِ الزَّمَانُ السَّوَاهُ أَخْشَى بُونَسَا

- (١) في م : « قسم الأيدي » وأمله بحرف عما أثبتناه . وليس في ط من هذا الشطر غير كلمة « عَمَا » .
 (٢) كذا في ط . وفي م : « المبين » .
 (٣) هذا الشطر في الأسلين : « وأعد أفران الأمور بخدمه » . وأمله بحرف عما أثبتناه .
 (٤) في م : « وأنه » ... البيت . وأمله بحرف عما أثبتناه . وصدر البيت ساقط في ط .
 (٥) يريد : مذهبا . وفي ط : « هدسا » . وهو تعريب . (٦) في م : « الثرب » .

إِنْ بَلَّغْتُمْ نُونُ^(١) الْحَوَادِثَ مَطْلَبِي فَأَمْدُدْ لَهُ يَقْطَعِينَ جُودَكَ مَلْبَسًا
أَنْتَ الرِّوَاءُ^(٢) إِذَا تَعَدَّرَ مَوْرِدُ وَالْمَاءُ إِنْ كَدَّرَ الرِّجَاءُ فَأَيَّاسًا^(٣)
وَالْعَجَزُ أَنْ يُرْجَى سِوَاكَ وَإِنَّمَا أَحْسَى نَبَاتَ الرِّوَضَةِ الْمُتَخَلِّسًا^(٤)
وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ عُقْدَةٍ مَذْهُورَةٍ لَمْ لَا أَصُونُ عَنْ اتِّدَالِي الْأَنْفُسَا
انتهى .

قال صاحبُ الإِسْتِادَةِ الْعَزَافِيُّ لِلذِّكْرِ :

تناه العلماء على
الفاضي أبي حفص

القاضي أبو حفص من مفاخر الغرب ، لم يذكره أحد من لَقِيَّهِ^(٥) وتعرض لذكره ، إلا أطلب في الثناء عليه ، ووصفه بالعلم والفصل ، والعدل في القضاء ، مع براعة العظم والنثر ؛ ويكنى من ذلك ثناء الحادث أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن التجيبي ، نزيل بِلِسَانٍ عليه ، وقد ذكره في شيوخه فقال : ونقلته من خط الشيخ الفقيه الأجل ، الكاتب المجيد ، الحبيب الأديب ، الأرفع الأكمل ، القاضي المسدد ، الموفق الأعديل ، أبي حفص . ثم قال : لقيته وبِلِسَانٍ حرمها الله ، قَدِمَهَا عَلَيْنَا قَاضِيَا ، فَشَمَلْ أَهْلَ الْبَلَدِ كُلَّهُمْ أَجْمَعِينَ بِعُضْلِهِ^(٦) وأدبه وعدله ، وإجلاله وإكباره وحسن خلقه ، لا سيما مع طائفة الطالب ، وأهل الأدب والحسب ، فجزاه الله عن نفسه وعنهم أفضل الجزاء ، فلا يُعْرِفُ الْفَضْلَ إِلَّا فَاضِلٌ ، وَلَا يُكْرِمُ النَّاسَ إِلَّا كَرِيمٌ ، وكلُّ يُمِيلُ إِلَى جَنَسِهِ ، وما هو من طبعه ، كما قال بعض الأدياء ، وأجاد في مقالته ، وأحسن

(١) في م : « حوت » .

(٢) في ط بياض في موضع هذه الكلمة . والرواء : الماء الكثير .

(٣) في ط بياض في موضع هذا النطر .

(٤) في القاموس : أخلص أثبات إذا اخلط وطبه بياضه . نقول : لعله أراد تشبيه أولاده بنبات جف بعضه وبعضه لا يزال غضاً .

(٥) في م : « لقيته » . (٦) في م : « فضله » .

القول : « ما عبّر الإنسان عن فضله ، مثل ميله إلى أهله » .

وذلك منقول في قول الشاعر :

وما عبّر الإنسان عن فصل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل [٤٨٩]
وإن أخسّ النقص أن ينفي القبي قدّى النقص عنه بانه ص الأفاضل

وأمثال رضي الله عنه قول الآخر : « اصحبوا الناس محبة إن عشم [معها] ^(١) »
حنوا عليكم ، وإن رمم بكوا عليكم » . واستعمل ما قاله الشاعر ^(٢) في كفته ،
ونظمه في قافيته :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

فقال والله ذلك أيام كونه بتلسان ، واستعمله بطبعه وطبيعته ، وخلفه
وخليفته ، إلى أن نقله الخليفة إلى قضاء فارس ، فلا تسأل عما أصاب الناس
والإخوان من فقهه ، وقد أدبه وعلمه ، قد كره الطائب ، والثناء الجليل ، باقيان
عليه إلى الآن بتلسان ، وهو مستقر في غيرها من الأوطان .

وكان أبو حفص رحمه الله حسن الخلق والخلق ، مليح الخط ، فصيح الخطابة
والكتابة ، وكنت إذا رأيته تمثلت عند رؤيته والنظر إليه ، بما أنشدنا شيخنا
الحافظ أبو طاهر السلفي الأصبهاني ، رضي الله عنه ، في مدح هادي بن إسماعيل :

لهادي بن إسماعيل خلّت أربعم بهن غدا مستوجبا للإمامة
خطاب ابن عباد ، وخط ابن مقله وخلق ابن يعقوب ، وخلق ابن مامة ^(٣)

(١) زيادة تحتاج إليها الجملة الوصفية ، ولعلها سقطت من قلم الناسخ .

(٢) البيت من مفسورة أبي بكر بن دريد . (٣) ابن عباد هو صاحب إسماعيل
ابن عباد وزير آل بويه ، كان من رؤوس البلاغة في عصره . وابن مقله من أشهر
وزراء الدولة العباسية ، ويخطه بصرب اللؤلؤ في الحسن . وابن يعقوب : سيدنا
يوسف عليه السلام ، وهو مثل في جمال الصورة ، وكعب بن مامة : أحد أجواد العرب .

وأُشِدَّتْهُ رَضَى اللهُ عَنْهُ الْبَيْتَيْنِ ، فَاسْتَحْصَمَا وَشَكَرَ لِي ذَلِكَ ، وَكَانَ لِي مِنْ رِثْمِهِ وَتَأْنِيْسِهِ وَبَشْرِهِ حَفْظٌ جَزِيلٌ ، وَقَسَمْتُ كَبِيرٌ ، وَرَغِبْتُ إِلَى أَنْ أَكْتُبَ لَهُ بِخَطِّي بَعْضَ مَا عِنْدِي مِنْ أَحْبَابِ الصَّالِحِينَ ، وَآثِمَةِ الْمُتَّقِينَ ، وَأَوْلِيَاءِ اللهِ الطَّيِّبِينَ ، فَكُتِبَتْ لَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَعظِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ ، وَالْأَشْعَارِ الْحِكْمِيَّةِ ، مَا أَمَكَّنَنِي ، فَفُسِّرَ بِذَلِكَ ، وَشَكَرَ عَلَيْهِ ؛ وَلَمَّا أَتَى مَدِينَةَ فَاسَ ، صَارَ يُرَى ذَلِكَ أَوْدَاهُ وَأَحْبَابَهُ ، وَيُشَكَرُ عَلَيْهِ ، وَيُثْنَى خَيْرًا ، بَارَكَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ . ثُمَّ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى بِوَصُولِي بَعْدَ انْفِصَالِهِ عَنْ مَدِينَةِ فَاسَ ، وَتَوَلَّيْتُهُ لِقَاءَ أَنْعَمَاتٍ ، إِلَى حَضْرَةِ مَرَاكُشَ ، حَرَمَهَا اللهُ تَعَالَى ، [١٩٠] وَكَانَ بِالْحَضْرَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ ، وَكَانَتْ نَزَلَتْ بِفُنْدُقٍ مِنْ فُنَادِقِهَا ، يُقَالُ لَهُ فُنْدُقُ السُّكْرِ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ بِي ، فَدَعَا لِي وَشَكَرْتُ ، ثُمَّ أَوْلَانِي مِنْ رِثْمِهِ وَتَأْنِيْسِهِ مَا عَهَدْتُ قَبْلُ مِنْهُ ، وَزَادَ عَلَيْهِ ، وَرَغِبْتُ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهِ إِلَى أَنْعَمَاتٍ ، فَوَصَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَرَحَّبَ وَسَهَّلَ وَأَنْزَلَ ، وَأَتَيْتُ عَلَى عِنْدِ الْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ خَيْرًا ، وَقَالَ مَا يَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ ، فَالْمَنْصَرُ الطَّيِّبُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ ، وَكَانَتْ مَعَهُ فِي دَارِهِ فِي خِصْبٍ وَسَعَةٍ ، وَطَّلَافَةٍ وَجْهِ ، وَحَسَنُ خُلُقٍ ، وَطَيِّبُ حَدِيثٍ ، وَكَرِيمٌ مُشَاهِدَةٌ وَمُنَاشِدَةٌ ، لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ .

انْتَهَيْتُ مَا قَصِدْتُ جَلْبِهِ مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ الْإِشَادَةِ : الْمَنْقُولِ عَنِ التَّحْقِيقِ نَزِيلِ تِلْكَسَانِ ، رَحِمَ اللهُ الْجَمِيعَ .

وَلِنَجْعَلَ آخِرَ نَظْمِ الْقَاضِي أَبِي حَفْصٍ رَحِمَهُ اللهُ قَوْلَهُ :

الْعِلْمُ يَكْسُو الْخُلُقَ الْفَاضِلَ وَالْعِلْمُ يُحْيِي الْأَعْظَمَ الْفَاضِلَ
كَمْ ذَنْبٍ أَصْبَحَ رَأْسًا بِهِ وَمِذْنَبٍ أَبْجَرُهُ زَاخِرُهُ^(١)

(١) كَفَايُ جَدْوَةُ الْإِنْبَاسِ . وَفِي ط ٢ م : « وَمِذْنَبٍ أَحْمَرُهُ آخِرُهُ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ما شَرَفُ النَّسَبِ إِلَّا التَّقَى أَيْنَ تَهِمُ الْإِنْفُسُ الْفَاخِرَةُ
مَنْ يَطْلُبُ الْعَرْزَ بِغَيْرِ التَّقَى تَرَحُّمُ عَنْهُ نَفْسُهُ ذَاخِرُهُ ^(١)
أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا تَكُنْ سَيِّدًا بَلْ مَلِكًا فِيهَا وَفِي الْآخِرَةِ

وبيت العَرَفِيِّينَ ^(٢)، الذين منهم صاحب الإِشَادَةِ بِسَبْتَةِ — أَعَادَهَا اللَّهُ ^(٣) —

بيت العَرَفِيِّينَ
أصحاب سبته

مشهور، وكانت لهم الرياسة بها مدة، ثم أعقب الدهرُ جِدَّتَهَا بِالْيَلَى، ثم كل شيء، فإن، ولا يبقى إلا الواحد الذي ليس معه في ملكه ثان.

وأبو القاسم منهم هو الذي تأمر ورأس سبته. وهو أبو القاسم محمد بن القاضى المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن الحسين، بن الققيه الإمام على (المعاصر لابن أبي زيد)، بن محمد بن سليمان بن محمد، الشهير بابن أبي عَرَفَةَ اللَّحْمِي. ينتهى نسبهم إلى قَابُوسَ بْنِ النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ. وكان قيامه بِسَبْتَةِ ليلة سبع وعشرين من رمضان، من عام سبعة وأربعين وست مئة، في دولة المَرْتَضَى الخليفة بَرَكًا كُش، وقتل وإلى سَبْتَةِ أَبَا عُمَانَ بْنِ خَالِدِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، ومُلك طَنْجَةَ، ودخل أُصَيْبِلًا ^(٤)، وهدم سورها، وَوُفِّيَ بِسَبْتِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَسَبْعِينَ وَسِتْ مِئَةٍ وَلِهَ سَبْعُونَ سَلَّةً. وكانت دولته ثلاثين سنة وشهرين وستة عشر يوما، من شَهَدَةِ ^(٥) بين كتفيه، مرض بها واحدا وعشرين يوما، وكان مولده بِسَبْتَةِ في منتصف شوال عام سبعة وست مئة.

أبو القاسم العرفي

- (١) كفا في م. وفي ط وحذوة الاقتباس: «داحرة».
- (٢) سبطا فقط «العرفي» في الجزء الأول بسكون الزاي، والصواب فتحها، فابصح.
- (٣) يدعو المؤلف لمدينة سنة أن تعود إلى يد المسلمين، لأنها كانت قد سقطت في يد الأسيان عند تأليه هذا الكتاب.
- (٤) مدينة بالقرب من طنجة، ويقال فيها أيضا: أزيلا. وليس بعد المعزة ألف (انظر تاج العروس في مادة أصل).
- (٥) القصيدة بلسان المغاربة: دمل كبير، ولعله ما يسمى الآن في مصر بحجرة السكر.

وهو الذي أكمل « الدر المنظم » ، في مولد النبي المعظم ، من تأليف أبيه أبي القاسم العزقي رحمه الله .

ورأيت على نسخة كتبت في حياته أول الكتاب المذكور ما نصه :
 قال سالك ستن الشئنة ، القائم من أعمال البر بما يضيق عنه وسع المنة ، المعتصم
 بحبل الله القوي المتين ، المعتمد على لطفه الشامل وفضله العميم المبين ، الشيخ
 الفقيه الأجل ، العلم الأكمل ، أبو القاسم بن الشيخ الفقيه الإمام ، العارف العالم ،
 علم العلماء العاملين المتقين ^(١) ، ونخبة الفضلاء الصالحين المتقين ، أبي العباس
 أحمد بن الشيخ الفقيه القاضي العالم المحدث ، أبي عبد الله اللخمي ، ثم العزقي ،
 من أهل سبته حرمها الله ، وأجزل ثوابه ، وأوسع عفووه ورضاه ، وأجمع عمله وقوله
 وقصده . وجعل في ذاته وسبيل مرضاته صدوره ووروده . انتهى .

وفي موضع آخر من هذه النسخة ما نصه :

السفر الأول من كتاب « الدر المنظم » ، في مولد النبي المعظم ، صلى الله
 عليه وسلم ، وشرّف وكرّم .

لمشاشرع في تأليفه ، ومات ولم يكمله الشيخ الفقيه الصالح ، علم العلماء ، ونخبة
 الصالحين الفضلاء ، أبو العباس أحمد ، بن الشيخ الإمام الفقيه ، الصالح القاضي ،
 العالم المحدث ، المقدس المرحوم ، أبي عبد الله اللخمي ، ثم العزقي السبتي ، رحمه الله ،
 ورضى عنه ، ونشر وجهه ، وأجزل ثوابه ، أكمله بعده ، وأوضح فيه قصده ، ابنه
 الشيخ الفقيه الأفضل ، العلم الأواحد ، السني السبتي ، المبارك الأكمل ، أبو القاسم ،
 أدام الله عافيته ووقفه ، وشرح صدره ، وختم بالكتاب والسنة ديوان عمله [٤٩٢]
 الصالح وعمره ، يذكر فيه بعض ما خص الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسـ

وفَضَّلَهُ على كل من تأخر من خلقه أو تقدَّم ، وما امتنَّ به عليه وعلى أمته ، في أن جعله أفضل الأنبياء ، وجعلهم أفضل الأمم ، من بين وَلَدِ آدَمَ ، ليتخذوا مولده الكريم موسماً ، يتركون ^(١) به ما كانوا يقيمونه من أعياد النصراني وعوائدهم ، التي يجب لمغانيها أن تُعطل ، ولبيانها أن تُهدم . انتهى .

وكان الرئيس أبو القاسم المذكور كتب خطه بالإجازة في هذا الكتاب للخطيب أبي علي ، بن الخطيب أبي فارس بن غالب الجُمَحِيّ ، مع جماعة من أهل سبّته وأعيانها ، حين قرأوه عليه بالجامع الأعظم من سبّته ، في شهر ربيع الثاني ، من عام سبعة وخمسين وست مئة ، فائلاً :

أُجِزَتْ له بحق روايتي لما فيه عن أبي ، ومشاركتي له في تأليفه ، على حكم الإجازة وشرطها ، وصحة الرواية ، عاشرَ الربيع المذكور . انتهى ، وبعضه بالمعنى . ونسبهم إلى نخم لا مدفع فيها عند الثقات ، وبذلك وصفهم الأكابر ، غير أن ابن الخطيب في الإحاطة ، نقل عن « الكتاب للزُّمَن » ، في أنباء أبناء الزمن « ما نصّه : وتزعم بعض أهل سبّته أن أصلهم من بحكمة من البربر ، فيقولون : ما للنخم وبحكمة ؟ وهذا موكول إلى قائله ، إذ لا نعلم حقيقة الأمر فيه . نعم ، الإنصاف في المسألة أن كل من عُرف بالأصالة في المغرب الأقصى ، ولم يُعلم لآبائه قدوم من المشرق ، حيث جرائيم القرب ، ولا قدوم من الأندلس ، حيث أبناء القرب ، وانتسب مع ذلك إلى قبيلة ^(٢) ، فلا بد له من الاستظهار على ذلك ، وإلا كان ما أتى به مَظَلَّةً لأحد أمرين : إما لكونه سافراً من الموالي ، فانتسبوا إلى ساداتهم ، إذ يجوز لمن كان مَوْلى عَرَبِيٍّ أن ينتسب إلى قبيلة سيّده ؛ وإما للكذب . وهذا أدل ما يقال . انتهى . [٤٩٣]

نسبة الزميين
إلى الخم

(١) في ط : « يتركون » . (٢) في الأصلين : « قبيلة العرب » ، ونظن أن

كلمة العرب هنا زيادة من الناسخ ، أو أن الأصل « قبيلة من العرب » .

ونقله في الإحاطة في ترجمة الفقيه للشارح في الطالب والأدب ، أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي عَزَقَةَ اللَّخْمِي^(١) . وإلى الله ترجع الأمور .

وكان الرئيس الفقيه أبو القاسم العزقي المذكور فقيها أصوليا ، نحويا ، لغويا ، محدثا ، عارفا بالرواية ، شاعرا ، مجيدا .

من نظمه في آكل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم :

ذُرِّيَّةُ الْمُصْطَفَى إِنِّي أَحْبَبُكُمْ وَحُبُّكُمْ واجب في الدين مُفْتَرَضُ
فليس يُبْغَضُكُمْ ، لا كَانَ بِأَغْضُكُمْ ، إلا اسرُّ مارق في قلبه مرض
وحُبُّكُمْ شَرْفًا في الدهر أنْكُمْ خَيْرُ البرية هذا ليس يُعْتَرَضُ
وَأَنْتَ^(٢) أَطْلَبُ مِنْ حُبِّي لَكُمْ نَحْنًا إلا الشفاعة فهي السؤل والغرض

ولما توفى رحمه الله تعالى قام بعده بالأمر ابنه أبو حاتم أحمد ، ثم خُلع وتولى أخوه أبو طالب عبد الله ، في سنة ثمان وسبعين وست مئة ، وخُلع ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة خمس وسبع مئة ؛ فكانت دولته سبعًا وعشرين سنة ، وتوفى بهاس مخلوعا عام ثلاثة عشر وسبع مئة ، وله خمس وسبعون سنة . والذي خلعه الأمير فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر^(٣) ، دخل عليه سبعة عتوة في الليلة المذكورة ، وقبض عليه .

ثم تولاه الأمير يحيى بن الأمير أبي طالب ابن أبي القاسم ، ويكنى أبا عمر ، ويومع بسببته عام عشرة وسبع مئة ، وخُلع في سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكانت دولته الأولى هذه سنة وستة أشهر . ويومع ثانيا بسببته في سنة أربع

(١) بحثنا عن هذه الترجمة في جزأى الإحاطة المطبوعين بمصر سنة ١٣١٩ فلم نجد بها ترجمة لأن إسحاق إبراهيم العزقي .

(٢) في الأصلين : « وليس » .

(٣) في ط : « أحمد » وهو تحريف (انظر الاستقصا للسلوى ص ٥٤ ج ٢) .

أبناءه : أبو حاتم ، وأبو طالب في سببته

يحيى بن أبي طالب

عشرة وسبع مئة، وتُوُفِّيَ بها في ظهر يوم السبت السادس لشعبان سنة تسع عشرة وسبع مئة، وكانت ولادته بها في رمضان سنة سبع وسبعين وست مئة. وكان فقيها فاضلا، جميل الوجه، شجاعا، بطلا، عارفا بالأصول، والفقه، والمنطق، والعربية، واللغة، والحديث؛ وقيل أنه أول من ركب بالرمح والسيف من بني العزقي، [٤٩٤] وجند الجنود.

ثم ولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن يحيى، ويوبع بعد أبيه في شعبان، من عام تسعة عشر وسبع مئة. وخُلِعَ في صفر سنة عشرين وسبع مئة، فكانت دولته ستة أشهر. وتُوُفِّيَ بفارس وهو كاتب الحاضرة التبريزية، ليلة السبت حادى عشر صفر، عام ثمانية وستين وسبع مئة، وله ثمان وستون سنة. وولد بسبنة في شوال، عام تسعة وتسعين وست مئة. وكان فقيها شاعرا مكثرا، مليح المكاهات، وشاحا، وقد ترَّأَّ أهل زمانه في الموشحات؛ وقد حُكِيَ عنه أنه أراق الدواة في محفل جليل، فقال بديهة:

ألا يا أكرام الناس غصوا جفونكم فأتى من الفعل القبيح مُريبُ
هرقت دواة وهي كالكاثر بينكم وللأرض من كاس الكرام نصيبُ
وكان مولعا في نظمه بالتورية.

وعزم السلطان أبو عنان لما أخذ قُسْطَنْطِينَةَ على استعماله بها، فسكى لبعده الشقة عن ولده ولده، فتركه. وهو آخر المذكورين من هذا البيت. رحم الله الجميع. وصاحب الإشادة المتقدم المذكور، هو عم أبي القاسم محمد بن يحيى هذا، لأن صاحب الإشادة كما أسلفنا، هو عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد، وهذا محمد بن يحيى بن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد. وقد عرَّفَ في إشادته بابن حَبَّازة، ورأيت أن أذكر بعض ذلك، فنقول:

محمد بن يحيى
العزقي

صاحب الإشادة
من بني العزقي

تعريف الإشادة
بابن حَبَّازة الشاعر

هو أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي ، نسبة إلى قبيل من صنهاجة ،
الذي بقطر فاس ، ويعرف ابن خبازة ، نسبة إلى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة .
عرّف به أبو عبد الملك المراكشي فقال : كان بارع الخط ، وكان من أكبر
أعاجيب الدهر في سرعة البديهة ، ناظرا أو ناثرا ، مع الإجابة التي لا تجارى ،
والتفنن في أساليب الكلام ^(١) مُفَرِّه وهزل ^(٢) ، على اختلاف اللغات . تَطَوَّر ^(٣)
كثيرا وتصفو ، ونَسَكَ ووعظ ، وكان في آخر عمره جانحا إلى امتداح ملوك
عصره ، فكان يأتي في ذلك بما لم يُسمع بمثله ، ولا يُطمع في لحاقه ، بسرعة
ارتجال ، وحسن افتتان ، وسُرعة امتثال ، وله في ذلك ^(٤) أخبار عربية عريقة .
وولي بأخرة حسبة ^(٥) الطعام بمراكش .

[٤٩٥]

وذكره أبو عبد الله بن الأثير ^(٦) في التُّحفة ، فيمن لم يجد له غير المجيء ،
وظلمه ، كما أثبت أبو بكر بن رفاعة الشريشي ، وقد شهد فيه في كتاب التكملة له ،
بما يخالف ذلك ، وكذا أبا سعيد ، وذكر أنه لقيه بأشعيلية ، وسمع منه بعض
كلامه في غير ذلك بماتمه ، وثوئي برباط الفتح ، في أول سنة سبع وثلاثين
وست مئة .

وأنشد له من قصيدة :

وَجَدَ النُّبُوَّةَ حُلَّةً مَطْوِيَةً لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلْقُ نَشِجَ مِثَالِهَا
فَأَمَرَ حَسَوًا فِي ارْتِفَادٍ يَبْتَنِي بِمَحَالِهِ نَسِجًا عَلَى مِثْوَالِهَا
وَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَهَا بِمِرَاكُشٍ . انتهى .

(١-٢) كذا في ط . وفي م : « معربة وهزلية » ، وفي جذوة الانقباس والنسوخ
المغربى : « هزله وحده » . (٢) في الأصدين « تطورا » .
(٣) في ط : « أمثاله في ذلك » . وفي م : « أمثال في ذلك » ولعله عرّف مما أثبتناه ،
يريد أنه سريع تصور للماتى .

(٤) كذا في جذوة الانقباس والنسوخ . وفي م : « مشيخة » ، وفي ط يياض في
هذا الموضع . (٥) كذا في م ، وفي ط « أبى » ثم يياض بعدها يسم كلتين .

قال صاحب الإشادة : قال هذه القصيدة ^(١) في المأمون بن المنصور ، حين تبرا من إمامهم المهدي ، وأبدى مساوئيه ^(٢) ، وأسقط اسمه من الخطبة ، وهو المعنى بقوله : « وَجَدَ النُّبُوَّةَ حُلَّةً مَطْوِيَةً » .

وقد كتب عن أبي عمرو هذا كثيرا من شعره أبو عمرو بن سالم بن صالح النهرواني الملقب ، الأديب المقيد الضابط ، وتاريخ إجازته إياه سنة أربع وست مئة . ومات ابن سالم قبله بست عشرة سنة .

ومن شعره ، أي أبي عمرو والمذكور ، يرثي أبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن عبد الملك ، بن الحافظ أبي بكر بن الجعد ، ويعزى إياه عنه ، وهو يومئذ وزير إشبيلية وعظيمها ، وكانت حينئذ حاضرة الأندلس :

تصديده في رثاء
ابن الجعد

أرجة الصمغ يوم النفخ في الصور	أم دكة الطود يوم الصمغ في الطور
أم هدت الأرض إظهارا لما زجرت	به الخليفة من إيقاع محذور
أم السكواكب في آفاقها انتثرت	وباتت الشمس في طمي وتكور
ما للنهار تعري من ثياب سقى	وأشبه الليل في أثواب ديجور
قد كان للصبح طرف زانه يلقى	فتقسم الخلق بين الدجن والنور
فما الملم الذي غشى بدهمته	أدريته عنبراً من بعد كافور
أصبح لتسمع من أنبائها نبأ	يطوى من الأنس فيها كل منشور
وانظر فإن بني عدنان ما حشروا	إلا لرؤ عظيم القدر مشهور
واقى مع العيد لا عادت مضاضته	فشاب سلساله الأصفى بتكدير
واعتام داراً لها في السبق جمهرة	من الفاخر أوزت بالجاهسير

[٤٩٦]

(١ - ١) نكرر ذكر هذه العبارة في طهها وقبل البيتين مباشرة . فأنبأنا العبارة مرة واحدة كما في م .

رمى قُرَيْشًا فَأَصْحَى سَهْمٌ حَادِثُهُ
نَفَاثَتُهَا الْخَدَّ فِي ابْنِ الْجَدِّ حِينَ تَقْصَى
لِلَّهِ وَالْمَجْدِ مَا أَبْقَاهُ مِنْ أَثَرٍ
نُورًا عِنْدَمَا رَاقَتْ بِدَوْحَتِهَا
جَارَ الدُّبُولُ عَلَيْهَا بَعْدَمَا مَلَأَتْ
وَسِيلَ بَأْسٍ لِكَسْرِ الْخَطْبِ أَغْمَدَهُ
قَضَى فَوَاقِقَ شَهْرِ الصَّوْمِ سَرَّحَلَا
وَاخْتَارَهُ خَاطِبَ الْخَطْبِ الْمَلَمَ بِهِ
فَسَارَ لِلْحَيْنِ مَسْرُورًا وَخَلَّفْنَا
نَادِيَهُ أَنْجَسَةَ الْأَحْزَانُ يَوْمَ حُدَا
فَالْوَجْدَ وَالِدَمْعَ مِنْ حُزْنٍ قَدْ اقْتَسَمَا
فَالْقَلْبَ بِالْغَيْظِ فِي تَصْعِيدِ مُسْتَعْرِ
وَسَائِقِ الْخَطْبِ بِشَدْوِ الْحَامِلِينَ بِهِ
وَالْمَلَانِكِ فِي آفَاقِهَا زَجَلَ
أَنْتَى الْمَصَابِ عَلَى شَيْخِ الْجَزِيرَةِ فِي
وَهْيِ طَوِيلَةٍ جَدَا ، وَمِنْهَا :

مُقَدَّمَاتُ اللَّيَالِي طَالَمَا فَصَحْتُ
جَمْعُ السَّلَامَةِ مَعْدُومُ الْوُجُودِ بِهَا
وَعَامِلُ الْمَوْتِ قَدْ أَحْصَى مَهْنَدُسُهُ
وَالْأَرْضُ طَرَسَ وَهَذَا الصَّلَاقُ أَحْرَفَهُ
تَتَأَخَّرُ الْغَدْرُ مِنْهَا كُلُّ مَغْرُورٍ
وَكَمْ بِهَا لِلرَّذَى مِنْ جَمْعِ تَكْسِيرٍ
مَنَازِلُ الْعَمْرِ عَدًّا دُونَ تَكْسِيرٍ^(١)
وَالْحَرْفُ مَا بَيْنَ مَحْوٍ وَمَبْتُورٍ

(١) لم نجد هذا البيت في جذوة الانقباس ، مع أنه روى القصبدة كاملة .

والدهرُ يُعْرِبُ بالأفعال يُظهرها طَوْرًا وَيُجْمِعُ مِمَّا كُلُّ مَسْطُورٍ [١٩٧]
 وَإِنَّمَا الخلقُ أَسْمَاءُ تَعَاوَزَهَا إِعْرَابُهُ بَيْنَ سَرْفُوعٍ وَبَحْرُورٍ
 وَكَلِمُهُمْ فِي مَدَى الْأَعْمَارِ تَحْسِيبُهُمْ كَحَالِهَا بَيْنَ مَمْدُودٍ وَمَقْصُورٍ
 وَالْمَوْتُ مِثْلُ عَرُوضٍ يَقْطَعُ مِنْ أَيْدِي الْمَقَادِيرِ مِنْ إِبْرَامٍ تَقْدِيرٍ
 هَذِي الْحَقِيقَةُ لَا مَا حَدَّثَكَ بِهِ آمَالُ نَفْسِكَ عَنْ دُنْيَاكَ مِنْ زُورٍ
 لَا تَخْذَعَنَّكَ الْآيَالِي إِنْ فَتَنَتْهَا كَادَتْ وَكَادَتْ تَرِينَا كُلُّ مَحْذُورٍ
 كَمَا بَادَرْتُ^(٢) بَعْبُوسٍ الْخَطْبَ مِنْ مَلِكٍ قَدْ^(٣) بَاتَ بِالْبِشْرِ وَضَاحَ الْأَسَارِيرِ
 سَائِلُ بِكَسْرِي مَلِيكَ الْفَرَسِ هَلْ تَرَكْتُ لَهُ الْمَنَآيَا حَنَاحًا غَيْرَ مَكْسُورٍ
 وَانْزِلْ صِنْعَاءَ فِي قَصْرِ ابْنِ ذِي بَرَّانٍ تُقْلِمُ تَقْصِرُ عَلَى الْأَغْيَارِ مَقْصُورٍ
 وَاعْبُرْ عَلَى حَسِيرَةِ الثَّمَانِ مَعْتَبِرَا تَعْبُرُ بِأَطْلَالِ نُعْمَى ذَاتِ تَغْيِيرِ
 وَأَيْنَ مِنْ كَانَ سَجْنُ الْجَنِّ فِي يَدِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِي قَهَرٍ وَتَسْخِيرِ
 وَأَيْنَ مَخْزِقُ الدُّنْيَا بِعَزَمَتِهِ يَطْوِي الْبِلَادَ بِهَا طَيَّ الطَّوَامِيرِ
 بَادُوا فَلَيْسَ بِهَا بَادٍ يَحْسُ بِهِ مَهْمٌ وَأَفْنَاهُمْ رَيْبُ الدَّهَارِيرِ
 هُوَ الْقَضَاءُ أَبَا بَكْرٍ أَصِيبَتْ بِهِ فَاصْبِرْ وَسَلِّمْ لَهُ تَسْلِيمَ مَأْجُورِ
 وَاللَّهِ يَحْرُسُ دُنْيَاكُمْ وَيُدْفَعُ عَنْ سَامِي مَعَالِيكَ أَنْوَاعَ الْمَخَازِيرِ

وَحِكَايَ أَنَّ الْمُعْتَصِمَ بِحَيٍّ بَنَ النَّاصِرَ بَنَ الْمَنْصُورِ الْوَحْدِيَّ ، ضَرَبَ بِظَاهِرِ
 مِرَاكُشٍ قُبَّةَ حَرَاءَ ، فَبَادَرَ إِلَيْهَا الْعَرَبُ وَالنَّصَارَى مِنْ عَسْكَرِ عَمِ لِلْأَمُونِ ؟
 فَتَقَطَّعُوا أَطْنَابَهَا ، فَتَقَطَّطَتْ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو عَمْرِو هَذَا مِنْ قَصِيدَةِ :

وله في قبة لبيح بن
الناصر الموحدي

(١) كَذَا فِي م وَجُذُوءَ الْاِتِّحَاسِ . وَفِي ط : « وَكَمْ » .

(٢) فِي ط : « بَاكَرْتُ » . (٣) فِي ط : « وَكَمْ » .

أَنْظُرْ إِلَى الْقَبْصَةِ الْحَمَاءِ سَاقِطَةً
مَنْ كَانَ أَوَّلَىٰ بِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا بَصَرٍ
وَإِنَّمَا سَجَدْتُ لِمَا سَمِعْتُ وَغَدْتُ
وَمَنْ رَاقٍ نَظْمُ أَبِي تَمْرٍ وَقَوْلُهُ :

هَبِ النَّسِيمَ ضُحَىٰ فِقَاحِ الْمَسْدُكُ
أَمْرِي عَلِيلًا^(١) فَاسْتَحْتِ إِلَى الصَّبَا
يَهْوَى الْعَذِيرَ^(٢) وَسَا كَفَيْهِ وَمَنْ لَهُ

مَا شَامَ بَرَقًا بِالْفَضَا إِلَّا أَنْبَرِي
وَالْبَرْقُ فِي نَفْعِ السَّحَابِ سَيْفُهُ

(٤٩٨)

فَكَأَنَّ ذَاكَ الْبَرْقَ وَاشٍ قَدْ مَشَى
وَأَنَا الْفِدَاءُ لَجَبْرِ نَزَلُوا الْحَيَى
وَتَحَمَّلُوا يَوْمَ الْقِسَارِ وَإِنَّمَا

قَبَسُوا وَمَنْ قَلْبُ الْعَذَبِ مَوْقِدٌ
مَا ضَرَّهُمْ إِذْ أَعْرَضُوا لَوْ عَرَضُوا
تَحَلَّوْا الْبِجَالِ عَلَى الْجِبَالِ كَأَنَّمَا

أَبَدْتُ لَنَا حَلَى الطَّلَى وَتَبَسَّمْتُ
وَمَنْ الْعَجَائِبُ أَنْ أَهْيَمَ بِجَنَّةٍ
وَيُهَانَ مُرْسَلٌ نَاطِرِي فِي حَبَا

وَمَنْ شَعَرَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الْفَرِيدَةُ ، الَّتِي مَدَحَ بِهَا الْمُصْطَفَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشَارَ إِلَى جَمَلَةٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَمَآثِرِهِ الْعِرْفَانِيَّةِ ، وَأَيَّاتِهِ

وله في الحنين
إلى أحبائه

وله في مدح النبي

الباهرة ، ومعجزاته الظاهرة ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، ومجد وعظم ، وبارك وأنتم ، وتحنن وترحم ، وهي قوله :

حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نَجِيبَ الْعَالِيَا (١) لَقُفْنِي فِي مَدْحِ الْحَبِيبِ الْعَالِيَا (٢)
وَنَجْمَعُ أَشْثَاتَ الْأَعَارِضِ حِسْبَةً وَنَحْشُدُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ الْقَوَائِيَا
وَنَقْتَادَ لِلْأَشْعَارِ كُلِّ كَتِيبَةٍ لِنَصْرِ الْهُدَى وَالَّذِينَ رُزِيَ الْأَعَادِيَا
فَالسُّنْ أَرْبَابَ الْبَيَافِ صَوَارِمِ مَصَارِفُهَا تُنْفِصِي السُّيُوفَ الْمَوَاصِيَا
لِنُطْلِعَ مِنْ أَمْدَاحِ أَحْمَدَ الْأَجْمَا تَلُوحُ فَتَجْلُو مِنْ سَنَاةِ الدِّيَاجِيَا
كَوَاكِبَ إِيْمَانٍ تُنِيرُ فِيهِمْ تَدِي بِأَضْوَائِهَا مِنْ بَاتٍ للاحِقِ (٣) سَارِيَا
سَهْوَتُ بِمَدْحِ الْخَلْقِ دَهْرِي فَهَذِهِ سُجُودِي لِجَبْرِ كُلِّ مَا قَلَّتْ سَاهِيَا
فَلَا مَدْحَ إِلَّا لِلَّذِي بِمَدِيحِهِ نُطِيعُ إِذَا مَا كُنْتَ بِالْمَدْحِ عَاصِيَا
رَسُولٍ بَرَأَ اللَّهُ مِنْ صَفْوِ نَوْرِهِ وَأَلْبَسَهُ رُؤْدَا مِنْ الثَّوْرِ ضَافِيَا
وَمَا زَالَ ذَلِكَ النُّورُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ يُنِيرُ بِهِ اللَّهُ الْعُصُورَ الْخَوَالِيَا
تَوَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ يَصُونُهُ وَدِيمَةً سَرَّ صَارَ بِالْبَعْثِ فَاشِيَا
وَحَصَّنَ بَطُونَِ الطَّيِّبَاتِ بِحِمْلِهِ لِيَحْمِلْنَ قَرْعًا بِالسَّيَادَةِ زَاكِيَا
بِهِ وَزَّنَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ فَالْقَاءَ فِيهِمْ رَاحِجَ الْوِزْنِ وَافِيَا
وَأَنَّهُ—ذَنَا مِنْ نَارِهِ بِظَاهُورِهِ وَلَوْلَا كَانَ الْكُلُّ بِالشَّرْكَ صَالِيَا
وَأَدَمُ لَمَّا خَافَ يُجَزَّى بِذَنبِهِ تَوَسَّلَ بِالْخُتَارِ لِلَّهِ دَاعِيَا
فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ لَمَّا دَعَا بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ بَعْدَ مَا كَانَ نَاقِيَا
وَقَدْ يُهْجَرُ الْحَبِيبُ فِي حَالَةِ الرِّضَا وَيَأْنِي الْهَوَى أَلَا يُصَدِّقُ وَاشْمِيَا

[٤٩٩]

(١ - ١) كَذَا فِي جَفْوَةِ الْاِتِّبَاسِ . وَفِي ط : « لَقُفْنِي فِي حَقِّ » وَفِي م : « لَقُفْنِي مِنْ

حَقِّ » . (٢) كَذَا فِي الْأَسْلَيْنِ . وَفِي جَفْوَةِ الْاِتِّبَاسِ : « بِالْجِدِّ » .

«وعين الرضا عن كل عيب كليله
وأدرك نوحا في السفينة رعيه
وما زال سام وهو ثاو بظهره
فخصص حتى بالمكان كرامة^(١)
وأُنزل حام بالجَنُوب مجانيا^(٢)
وأُنزل سام للفضيلة^(٣) وحده
وبادّر جبريل الخليل لأجله
ويخبر في وقت البلاء بقيته
فقال له : هل تسألني كفاية^(٤)
فكانت عليه النار بردا كما أتى
وجازاه في الإسماء عنها نبينا
فلما انتهى جبريل عند مقامه
أشار على المختار أن يسر فإنه
فناداه يا جبريل : هل لك حاجة^(٥)
فقال له : سله لأبسط رغبة
فدلى في أفق للماميه زفر
ومن أجله خصّ الذبيح فداؤه
فداه بذيبح عظم الله شأنه

ولكن عين السخط تبدى المساويا^(٦)
فخلصه إذ كان في الموج داعيا^(٧)
على أخويه بالفضائل ساميا
وأسكن في أعلى البلاد مراقيا
ويافث في أقصى الشمال مؤازيا
بأوسط معمور البلاد الأعاليا
ليحميه إذ أبصر الجفر حاميا
فصادف وزد الحلة العذب صافيا
فجاوبه حسي بربي كافيا
به وسلاما وهي نار كما هيا
والهوا فوق السموات ساريا
بحيث تلقى الأمر ألا تماديا^(٨)
مقامي لا أعدوه مادمت باقيا
إلى الله فاسألها^(٩) لتعطى الأمانيا
على النار متى للعصاة جناحيا
وزج برائق العز في النور راقيا
وفي ظهره المختار أصبح ثاويا
لأن كان دهر في القرايس راعيا

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن عمارية بن عبد الله بن جعفر ، رواها البرد

في الجزء الأول من الكامل . (٢) في جذوة الانتباس : « جريا » .

(٣) في ط : « مجانيا » . (٤) كذا في الجذوة ، وفي الأصلين : « ذو الفضيلة » .

(٥) في جذوة الانتباس : « بحيث يرى نورا وحسا عواليا » .

(٦) كذا في جذوة الانتباس : وفي الأصلين : « سألها » .

وَنَفَى بَعِيدَ اللَّهِ حَامِلِ فَضْلِهِ
لَنَدْلِكَ مَا قَالِ الرَّسُولُ مِنْهَا :
وَعَنَ أَبُوهُ إِذْ دَعَفَهُ لِنَفْسِهَا
مَضَى وَلَنَدَاكَ النُّورَ بَيْنَ جَبِينِهِ
فَأَعْرَضَ عَنْهَا ثُمَّ سَارَ لِسَانُهُ
وَعَادَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَةَ رَبِّهِ
وَمَرَّ عَلَى حَيِّ الْفَتَاةِ مُنُودِيَتٍ
فَقَالَتْ لَهَا قَدْ كَانَ ذَلِكَ مَرَّةً
أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَ سَنَاهُ وَقَدْ قَضَى
وَكَمْ طَالِبٍ مَا لَا يُفَالِ وَقَاعِدٍ
وَكَمْ شَاهِدَتُ مِنْ آيَةٍ أَنَّهُ بِهِ
رَأَتْ فِي مَعَالِيهِ مَرَاتِي جَنَّةً
وَقِيلَ لَهَا بِشْرَاكِ فَرَّتْ بِخَيْرٍ مَن
وَحَفَّتْ بِهِ الْأَمْلاكَ فِي حِينٍ وَضِعِهِ
وَبَشَّرَ رِضْوَانُ الْجِنَانِ بِخَلْقِهِ
وَنَادَى مَنَادِي الْعِزِّ طُوفُوا بِأَحْمَدٍ
بَدَا وَاضِعًا كَتَمَهُ بِالْأَرْضِ رَافِعًا
وَأَعْوَلَ إِبْلِيسُ الْأَعْيُنُ وَقَالَ قَدْ
وَصَارَ إِلَى صَنَعَاءِ شَيْبَةٍ جَذَّةً

فَكَانَ بِذَلِكَ الْفَرَعُ لِلْأَصْلِ رَاقِيًا^(١)
أَنَا ابْنُ ذَبِيحِيهَا يَمْعُدُ الْمَعَالِيَا
فَتَاةً رَأَتْ نُورَ النُّبُوَّةِ غَادِيًا^(٢)
شُعَاعُ سَنَى يُعْشَى الْعِيُونَ الرَّوَانِيَا
وَكَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ بِالْحَفْظِ وَاقِيَا
لَأَمَّتْهُ وَغَدَا مِنْ اللَّهِ مَاضِيَا
هَلَمَّتْ تَصَادَفُ لَدَعُهُ الْحَبِّ رَاقِيَا
لَأَمْرٍ عَصَيْنَا فِي هَوَاهُ النُّوَاحِيَا
لَعْنِي^(٣) بِهِ مِنْ كَانَ بِالْحَقِّ قَاضِيَا
سَعَادَتُهُ تُبْدِي لَهُ السُّؤْلَ دَانِيَا
يَعْبِرُ بِهَا جِيدُ الدِّيَانَةِ حَالِيَا
فَصَدَقَتْ الْآثَارُ مِنْهُ الْمَرَاتِيَا
يُرَى فَوْقَ أَكْنَافِ الْبَسِيطَةِ مَاشِيَا
بَلِيلَةُ إِفْضَالٍ تَزِينُ اللَّيَالِيَا
فَفَتَحَ^(٤) جَنَابَاتِ النِّعَمِ الثَّمَانِيَا
جَهَاتِ الدُّنَا طُرُقًا وَعُمُومَا النُّوَاحِيَا
بِعَيْنِيهِ نَحْوَ الْأَفْقِ بِالطَّرْفِ سَامِيَا
يُنْسَتْ وَقَدْ مَا كُنْتُ لِلْكَفْرِ رَاجِيَا
خَلَّ مَحَلًّا لِلْوَفَادَةِ قَاضِيَا

(١) كَذَا فِي الْجُذُوءِ . وَفِي ط : « وَأَنِيَا » . وَفِي م : « وَأَنِيَا » .

(٢) كَذَا فِي الْجُذُوءِ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « غَادِيَا » .

(٣) فِي جُذُوءِ الْاِقْتِبَاسِ : « لَعْنِي » . (٤) فِي ط : « يَفْتَحُ » .

وَحَيًّا بُغْدَانِ ابْنَ ذِي يَرْزَنِ بِهَا وَهَنَاءُ بِالْمَلِكِ إِذْ عَادَ وَالْيَا
 قَرْبُهُ دُونَ الْوُفُودِ وَخَصَّهُ لِيَسْمَعَ قَوْلًا فِي الرِّسَالَةِ شَافِيَا
 وَقَالَ لَهُ إِنَّا وَجَدْنَا بِكُتُبِنَا نَبِيًّا يَرَى مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ آتِيَا
 يَمُوتُ أَبُوهُ ثُمَّ تَهْلِكُ أُمُّهُ وَيَكْفُلُهُ بَعْضُ الْعُمُومَةِ حَانِيَا
 وَقَالَ لَهُ وَالْبَيْتِ ذِي الْحُجُبِ زَارُهُ وَوُفُودِ الْوَرَى جَانُوا إِلَيْهِ الْفِيَا
 لَأَنْتَ عَلَى مَا يَقْتَضِي الْوَعْدُ جَدُّهُ فَشَيْدُ نَهْ الْمَجْدِ مَا كُنْتَ بَانِيَا
 وَقَالَ لَهُ احْفَظْ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ سَيَمْلِكُ أَرْضِي إِذْ رَأَى لِلْمَلِكِ وَاهِيَا
 وَقَوْلِ هِرَقْلٍ إِذْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ فَقَالَ أَرَى مُلْكَ الْخِطَانِ مُدَانِيَا
 وَطَالَعَ فِيهِ مُصْحَفَ الْأَفَقِ نَاطِرَا كَمَا زَعَمُوهُ يَسْتَشِيرُ الدَّرَارِيَا
 فَلَمْ تَنْقُضِ الْأَيَّامَ حَتَّى أَتَى لَهُ ^(١) كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ لِلْحَقِّ دَاعِيَا
 فَاحْتِ عَنْهُ أَهْلَ مَكَّةَ سَائِلَا وَكَانَ بِأَوْصَافِ النَّبِيِّينَ دَارِيَا
 وَابْنِ الْهُدَى لَمَّا دَعَاهُ جَاهُهُ وَهَامَ قَلِيلًا ثُمَّ أَتْفَى سَالِيَا
 وَوَرَدَ الرُّضَا لَا يَهْتَدَى لِسَبِيلِهِ فَيُرَوَّى بِهِ مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ صَادِيَا
 وَإِيَّانَ كَسْرَى أَوْتَجَّ لَيْلَةً وَضَعَهُ وَبَاتَ عَلَيْهِ قَصْرُهُ مُتَدَاعِيَا
 وَزَادَ بِرُؤْيَا الْمَوْبَذَّانِ ارْتِيَاغَهُ فَأَذْهَلَهُ أَنْ يَسْتَبِينَ الْمَسَاعِيَا
 وَفَسَّرَهَا شِقِّ وَشَقِّ غُبَارُهُ سَطِيحٌ بِسَجْعِ قَصَصٍ ^(٢) مَا كَانَ رَائِيَا
 فَخَصًّا عَلَى إِرْسَالِ أَحْمَدَ مُنْبِتَا لَدَيْنَ الْهُدَى بِالرَّغْمِ لِلْكَفْرِ مَاحِيَا
 وَأُنْجِدْتَ النُّبْرَانَ نُبْرَانَ فَارِسِ وَكَانَتْ تَلْفُظِي أَلْفَ عَامٍ تَوَالِيَا
 وَحَمَلْ ذَلِكَ الْحِلْمَ حِجْرَ حَلِيمَةٍ لَتُرْضِعَهُ دَرَّ الْفَضَائِلِ صَافِيَا

[٥٠١]

(١) كَذَا فِي جَنُودِ الْاَكْبَاسِ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « حَتَّى أَهْبَهُ » .

(٢) كَذَا فِي جَنُودِ الْاَكْبَاسِ . وَفِي م « قَبَهُ » . وَالْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي ط .

أَبَى حَمَلَهُ النَّسْوَانُ لِلْيَمِّمْ وَانْبَرَتْ
فَعَاظَتْ بِهِ السَّبَقَ الْإِنَانُ كَرَامَةً
وشارِفُهَا إِذْ لَا تَمِضُ بِقَطْرَةٍ
وَفِي حَبِثِهَا وَافَاهُ جَبْرِيلُ قَاصِدَا
فَشَقَّأَ بِهِ صَدَرَ النَّبِيِّ لِشَرْحِهِ
وَرَدَّاهُ فِي الْحَيْنِ النَّشَامَا فَمَا تَرَى
وَجَاءَا بِمَنْدِيلٍ وَطَسَّتْ لِيغْلَا
وَعَادَ أَخُوهُ جَارِزَا مَخْبِرًا بِمَا
فَارَتْ بِهِ مِنْ حَبِثِهِ نَحْوُ أَمَّةٍ
وَمَا زَالِ مَحْرُوسًا أَمِينًا . وَثَمَنَا
حَبِيبًا ^(٢) وَفِيَا خَاشِعًا مَتَوَاضِعًا
وَفِي سَيْرِهِ لِلشَّامِ شَامٌ بِقَرَبِهِ
أَكْبَ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِ مَسِيرِهِ
وَلَمَّا رَأَى تِلْكَ الْعَلَامَةَ لَمْ يَزَلْ
وَكَانَتْ بِهِ مِنْ غَلَّةِ الشُّوقِ عِلَّةٌ
وَقَصَّصَتْهُ فِي ذِي الْمَجَازِ وَعِشَّةُ
فَأَهْوَسَى وَلَامَاهُ إِلَى الْأَرْضِ رَاكِصَا
وَكَمْ بَانَ مِنْ يُسْمِرٍ أَمِيسَرَةٍ بِهِ
فَكَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْمَجِيرُ أَظْلَهُ

لَهُ فَرَأَتْ مِنْ حَبِثِهَا الرِّزْقَ نَامِيَا
وَأَخْصَبَ مَرَعَاهَا قَسَاقَ الْمَرَايَا
فَصَارَتْ بِهِ ثَجًّا تَرَوَّى الصَّوَادِيَا
وَأَقْبَلَ مِيكَائِيلُ بِالْأَمْرِ تَالِيَا
فَكَانَ لَمَّا مُبْلَغِي لَهُ اللَّهُ وَاعِيَا
سِوَى أَمْرٍ مَا زَالِ لِلشَّرْحِ بَاقِيَا
بِمَاءِ الرِّضَا قَلْبًا عَنْ اللَّهِ رَاضِيَا
جَرَى مِنْ خَوْفٍ كَانَ لِلْأَمْرِ جَارِيَا ^(١)
تَخَافُ عَلَيْهِ إِنْ أَقَامَ الْعَوَادِيَا
سَبُوفًا صَدُوقًا سَائِي الْقَدْرِ عَالِيَا
كَرِيمًا حَلِيًّا يَسْتَفِيزُ الرُّوَاسِيَا
بُرُوقَ الْهُدَى مِنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ رَائِيَا
إِلَيْهَا بِحَيْرَا لِلْهُدَى مَتَرَامِيَا
لَمَّا وَافَقَ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ بَاكِيَا
فَسَاقٍ لَهُ اللَّهُ الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
بِهِ ظِلًّا قَدْ صَيَّرَ الصَّبْرَ فَانِيَا
فَقَجَّرَ يَنْدُبُوعًا مِنَ الْمَاءِ جَارِيَا
بَرْدُ أَخَا سُكْرِ النِّعَايَةِ صَاحِيَا
عَمَامَ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ مِمَّا شَمِيَا

(١) كَذَا فِي ط وَجُفُوهُ الْاِقْتِبَاسِ . وَفِي م : « رَاجِيَا » .

(٢) كَذَا فِي ط وَجُفُوهُ الْاِقْتِبَاسِ . وَفِي م : « حَيَا » .

[٥٠٢]

وأخبره نَشْطُورٌ بِبُصْرَى بَيْعَتِهِ
وَبُغْضَتِ الْأَصْنَامَ لِلْمُصْطَفَى فَلَمْ
وَكُنْ يَرَى ضَوْأَ يُلُوحٍ لَعِينِهِ
وَيَأْتِي حِرَاءَ لِلتَّعْبِيدِ ^(٢) قَاصِدًا
وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لِعَلِّهِ
وَكُنْ رَأَى ^(١) اللَّهُ أَكْرَمَ خَلْقِهِ
وَأَسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَى حَضْرَةِ الْعُلَا
وَسَارَ عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ كَرَامَةٍ
وَلَمَّا أَتَاهُ الْوَحْيُ وَارْتَاعَ قَلْبُهُ
فَسَارَتْ بِهِ عِدَدًا خَدِيمِيَّةَ زَوْجِهِ
وَكُنْ أَمْرًا قَدِمَارِ الْكُتُبِ قَارِنًا
فَبَشَّرَهُ أَنْ سَوْفَ يَطْلُعُ صُبْحُهُ
وَقَالَ لَهُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ حَاضِرًا
وَوَقْتُكَ إِنْ يَدْرُكُ زَمَانِي يَوْمَهُ
وَأَيَّتُهُ فِي الْغَارِ إِذْ نَزَلَ بِهِ
وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ الْحَمَامَ لِبَابِهِ
فَبَاضَ عَلَى الْقَوْرِ الْحَمَامُ وَشَهِدَتْ
فَدَافَعَ عَنْ صَدِيقِهِ وَرَسُولِهِ
وَكَمْ آيَةٍ خَصَّتْ مُرَاقَةً إِذْ مَشَى

فَأَظْهَرَ مِنْ غَيْبِ الرِّسَالَةِ خَافِيَا
يَزُلُّ هَاجِرًا فَعَلَ الضَّلَالَةَ قَالِيَا
وَيَسْمَعُ تَسْلِيمًا عَلَيْهِ مُحَازِيَا ^(١)
مُحِبًّا لِأَسْبَابِ الْوِصَالِ مِرَاعِيَا
يُحَدِّثُ عَنْهُ النَّفْسَ فِي السَّرِّ خَالِيَا ^(٢)
فَأَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ لِلخَلْقِ هَادِيَا
فَمَا زَالَ فِيهَا لِلْجَنَابِ مَنَاجِيَا
لَهُ رَاكِبًا إِذْ سَارَ جَبْرِيلُ مَاشِيَا
لَشِدَّةٍ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ مُتَلَاقِيَا
لِتَسْأَلَ حَبْرًا بِالزَّمَانَةِ قَانِيَا
وَبَاتَ لَضِيْفَانِ الْمَعَارِفِ قَارِيَا
فِيكَشَفُ مِنْ لَيْلِ الْقَوَايِدِ دَاجِيَا
بِهَا جَدَعَا أَوْلِيكَ نَفْسِي وَمَالِيَا
وَمَنْ لِي بِهِ أَنْصَرُكَ نَصْرًا مُوَالِيَا
وَكُنْ لَهُ الصَّدِيقُ بِالصَّدَقِ ثَانِيَا
وَقَارَنَهُ بِالْعَنْكَبُوتِ مَضَاهِيَا
مِنْ النَّسِجِ أَيْدَى الْعَنْكَبُوتِ مَبَانِيَا
بِأَضْعَفِ أَسْبَابِ الْوُجُودِ مَقَاوِيَا
عَلَى أَثَرِ الْخِتَارِ لِلْغَارِ قَافِيَا

(١) في ط : « مجازيا » . (٢) في م : « لانتحت » .

(٣) هذا البيت مأخوذ من قول مجنون ليلي :

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنه النفس في السر خاليا

(٤) كذا في م وجذوة الانقباس . وفي ط : « براه » .

فشاهد آثاراً من الخسف كاد أن
ولما دعا بالهـاشمي أجاره
وأصعبه منه ظهيراً مُصكراً
وأخبره أن سوف يفتح أمره
ويُجمل في كفيه من بعد فتحها
فأنجزها الفاروق في حين فتحها
وآيته في خيمتي^(١) أم معبد
وفي الذنب إذ أنعمي وأخبر مفصحا
وفي الضب لما أن دعاه أجابه
وآيته إذ فارق الجذع فضله
وإن انشاق البدر أعظم آية
وفي الجمل الآتي بحضرة محبه
وقصته في المحل لما دعا لهم
وسال به وادى قنائه^(٢) لأجله
وفي قصة الزوراء^(٣) للخلق آية
دعا بإناء ليس ينفع ماؤه
ففاض نعيم الماء بين بنائه
وركوته يوم الحديبية التي

يكون لقاروب السماء مؤاخيا
فأبصره في الحين من ذاك ناجيا
بخط أبي بكر يخيف الدواخيا
مدان كسرى والبلاد الأقاصيا
سواراه ممّا يحرز الدين ساميا
له عدة بالصدق فيها مباحيا
وفي الشاة إذ لم تبقى تصحب راعيا
عن المصطفى والذنب ما زال عاويا
وقال له كئيبك كئيبك داعيا^(٤)
لحن إليه الجذع في الحال شاكيا
ترد على من كان للدين زاريا
ليشكو تكليف الشقة راغيا
فأبصرت سحبا كالجبال هواميا
ثلاثين يوما لم يزل متواليا
وذكرى لعبد كان للذكر ناسيا
أقلته بالرمي من كاف صاديا
وكان وضوءا للكتيبة كافيا
أفاض بها الله البنان سواقيا^(٥)

(١) في م : «جبهتي» . (٢) هذا البيت والذي قبله ساقطان في ط .
(٣) وادى قتلة : من أودية المدينة . وفي حديث أنس بن مالك (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما استسقى سال وادى فتاة شهرا ، ولم يأت أحد من ناحيته إلا حدث بليلود) .
(٤) الزوراء : موضع بالمدينة قرب المسجد ، استسقى النبي عنده .
(٥) في جذوة الانتباس : «سوانيا» .

وإشباعه الجَمَّ الفَئيرَ بقبضة من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
 وإخباره بالشئ من قبل كونه فيأتى على النصر الذى قال حاكيا
 فأخبر ذا النورين أن ستمصبيه على الأمر بلوى تعمب الأجر وأفيا
 وأخبر عمّارًا بأن حياته سيقطعها بالقتل من كان باغيا
 وقال لئى السبطين أشقى الورى الذى سيخضبها من هامة الرأس عاصيا
 يُصادف^(١) نور الشيب أبيض ناصعا فيسقيه صوب الخنف أحر قانيا
 ونص على السبط الشهيد بكر بلا فقام له الدين الحنيفي ناعيا
 وفى الحسن الزاكي أبان بأنه سيصلح بين الناس للأجر ناويا
 وقال لقوم إن آخركم بها مماتا سيصلى جاحم الجر حاميا
 وقال إذا ما مات كسرى فاترى سميّا له أخرى اللبالي مُساميا
 وأخبر عن موت النجاشي حينه وبينهما بحر من الموج طاميا
 وقال على قرب الحمام لبنته تموتين بعدى فافرحى بلقائيا
 وآياته جلت عن العد كثرة فما تبلغ الأقوال منها تناهيا
 وأعظمها الوسى الذى خصه به فبلغ عنه آسرا فيه ناهيا
 تحدى به أهل البيان بأسرم فكلمهم ألقاه بالعجز وانيا
 وجاء به وخيا صريحا يريده سرور اللبالي جدّة وتعاليا
 تضمّن أحكام الوجود بأسرها وحكم القضاء^(٢) مثبّتا فيه نافيا
 وأخبر عما كانت أو هو كان برى ماضيا أو ما سى بعد آتيا
 ووافق أخبار النبیین كلهم وتعم بالغايات منها المباديا

[٥٠٤]

(١) كذا فى جفوة الاقباس . وفى الأصلين : « فصادف » .

(٢) فى جفوة الاقباس : « ومع القضاء » .

وما كتبتُ يُمناه قَطُّ صحيفةً ولا رىء يومًا للصحائف تاليا
عليه سلامُ الله لا زال رائحا عليه مَدَى الأيام مِنّا وغاديا

ولتكن هذه القصيدة القريدة النبوية ، آخر ما أوردناه في روضة الورد ،
فقد طال الكلام واتسع وكثر السرد ، على أن ما تركناه أكثر مما جلبناه ، [وقد
انشأت علينا أشغال شاغلة من خطوب الدهر ، والله يبلغنا من رضوانه ما طلبناه] .
ونسأل الله تعالى حسن الختام ، وأن يدفع عن قلوبنا القَتَامَ ، بجاء
سيدنا ومولانا محمد المصطفى خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم ، الذى جعلنا مديحه
مِسْك الختام .

ختم الجزء
الثانى



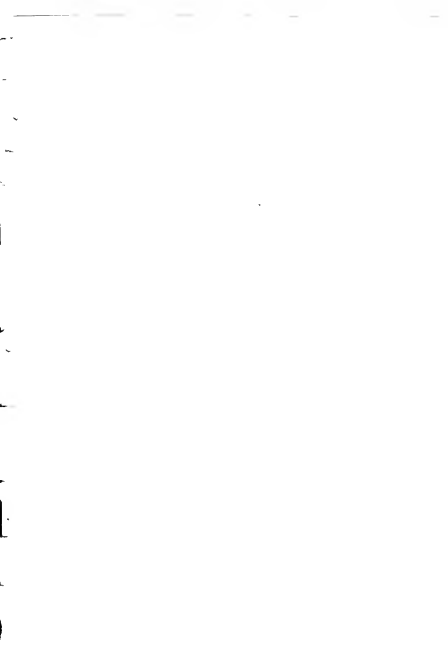
انتهى الجزء الثانى من كتاب أزهار الرياض ، فى أخبار عياض
ويتلوه الجزء الثالث وأوله :

روضة الأتقوان

فى ذكر حال فى المناسبات والمنفوان

أبواب الفهرس

٣٩٦ — ٣٩٥	١ — فهرس الشعراء
٤٠٦ — ٣٩٧	٢ — الأعمام »
٤٠٨ — ٤٠٧	٣ — القبائل »
٤١٣ — ٤٠٩	٤ — الأماكن »
٤١٥ — ٤١٤	٥ — الكتب »
٤١٦	٦ — الأيام »
٤١٦	٧ — الأمثال »
٤٢٠ — ٤١٧	٨ — الفوائى »
٤٢٤ — ٤٢١	٩ — الموشحات والأزجال »
٤٢٥	١٠ — أنصاف الأبيات »
٤٢٩ — ٤٢٦	١١ — الموضوعات »



فهرس الشعراء

(١)

- أبو إسحاق الحنأوى : ٣٤٧
 أبو إسحاق الدوبى : ٢١٠
 أبو بكر بن باجة : ٢٤٣
 أبو بكر بن زهر : ٢١٠
 أبو بكر بن الصابونى : ٢١٣
 أبو بكر محمد بن قزمان : ٢١٦
 أبو تمام : ٤٨
 أبو الحسن بن جعفر الإشبلى : ٢١٧
 أبو الحسن بن الجباب : ٣٤٢
 أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١١
 أبو الحسن بن الفضل = أبو الحسن سهل
 ابن مالك
 أبو حفص : ٣٦٥
 أبو عباس : ٣٥٧
 أبو عبد الله بن خيس = ابن خيس التلمسانى
 أبو عبد الله
 أبو عبد الله القوشى : ٢١٩
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ : ٢٣٠
 أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغرى : ٣٢٩
 أبو عمرو مبدون بن على : ٣٨٠ ، ٣٨٣
 أبو العلاء المعرى : ٨١
 أبو الفاسم محمد بن يحيى : ٣٧٨
 أبو مدني شعيب : ٣٠٨
 أبو المسكالم مندبل بن أجروم : ٣٣٣
 الأعمى الطعيل : ٢٠٨
- أبراهيم التازى : ٣٠٩
 ابن أجروم = أبو المسكالم مندبل بن أجروم
 ابن باجة = الحكيم أبو بكر بن باجة
 ابن على = يحيى بن على
 ابن هردوس = ابن هردوس
 ابن جعفر = أبو الحسن بن جعفر الإشبلى
 ابن حزمون : ٢١١
 ابن الحكيم : ٣٤٥ ، ٣٤٦
 ابن خرز البجائى : ٢١٢
 ابن خلف الجزائى : ٢١٢
 ابن خميس التلمسانى أبو عبد الله : ٣٠٣ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٦
 ابن رشيد : ٣٥٣
 ابن الرومى : ٣٠٣
 ابن زمر : ٣٥ ، ١٥٧
 ابن زهر = أبو بكر بن زهر
 ابن سناء الملك المصرى : ٢١٥
 ابن سهل : ١٨٤ ، ٢١٣
 ابن شجاع : ٢٢١
 ابن الصابونى = أبو بكر بن الصابونى
 ابن عمير : ٢١٩
 ابن غنمة الغنى : ١٢
 ابن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان
 ابن مرج السكمل : ٣١٥ ، ٣١٦
 ابن موهل : ٢١٠
 ابن هردوس : ٢٠٩
 ابن هز = ابن خرز البجائى
 ابن وكيع : ١٩٤

(ب)

- البيع : ٢٤٨
 بلال (رضى الله عنه) : ٩٨

عبد الملك بن سعيد المرادي : ٢٩٣

علي بن المؤذن : ٢٢٢

عنتره العيسى : ٦٥

عياض : ٢٢٧

(م)

محمد بن عبد العظيم : ٢١٨

مدعائيس : ٢١٨

مهيبار : ٣٠٨

(ي)

يحيى بن يحيى : ٢٩

(ح)

الحكيم أبو بكر بن باجة : ١٠٩

(ش)

الششتري : ٢١٨

(ع)

عبادة الفزاز : ٢٠٧

عبد الله بن الخطيب : ٢١٣

عبد الله بن معاوية : ٣٨٥

عبد الله بن المعتز : ١٣

فهرس الاعلام

٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٤٨

ابن حيون : ٢١١

ابن خاتمة : ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٠٢ —

٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٠٥

ابن خبازة = أبو عمرو ميمون بن علي بن

عبد الحائق ابن خبازة

ابن الخطيب = أبو عبد الله بن الخطيب

ابن خلدون : ٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٨

ابن خميس = محمد بن عمر بن محمد بن عمر

ابن محمد بن عمر بن محمد المجري الرعيبي

ابن دحون القتيه : ٢٦٩

ابن رشد : ٨٤

ابن رشيد الهيري محمد بن عمر : ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

ابن الريس : ٢٢٤

ابن زمرك محمد بن يوسف : ٧ ، ١١ ،

١٢ ، ١٤ ، ٢٠

ابن زهر = أبو بكر بن زهر

ابن سمين : ٣٠٣

ابن سعيد : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،

ابن السمان : ٢٠٧

ابن سهل : ٢٣٠

ابن الشاط : ٣٥٢

ابن شجاع : ٢٢٢

ابن شهيد = أحمد بن عبد الله بن شهيد

ابن شهيد = أحمد بن عبد الملك بن شهيد

ابن طلمس : ٣٩٣

(١)

آدم (عليه السلام) : ٣٨٤ ، ١٥٥ ، ٣٤٥ ، ٣٨٥

إبراهيم (الخليل عليه السلام) : ٣٨٥

إبراهيم بن أحمد الطافقي : ٢٥٦

إبراهيم التازي : ٣٠٩

إبراهيم بن هدية : ٣٥٤

ابن أبي الربيع = أبو الحسن بن أبي الربيع

ابن أبي عزقة القمي = أبو القاسم محمد العزقي

القمي

ابن أبي عزقة القمي = أبو إسحاق إبراهيم

ابن أحمد بن أبي عزقة القمي .

ابن أبي مدين : ٣٤٧

ابن الأحر : ٢٨ ، ١١ ، ٨ ، ٧ ، ٥ ،

٣٠ ، ٤٢ ، ٦٥ ، ٨١ ، ١٥٨ ،

٢١٩

ابن أرفع رأسه = أبو بكر محمد بن أرفع رأسه

ابن أصيب الحمدي : ٢٧٧

ابن برى : ٨١

ابن بلي = يحيى بن بلي

ابن بنية : ٢٦٤

ابن البنا : ٣٥٢

ابن نفلوت = أبو بكر بن نفلوت

ابن التين أبو عمرو : ٣٥٠

ابن حبان : ٣٥٤

ابن حزمون : ٢١١

ابن الحسن = التياهي علي بن محمد

ابن الحسكيم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن :

٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٢٩٩ ، ٦

٣٠٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ —

٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ —

أبو البركات بن الحاج : ٩ ، ١٥ ، ٣٠٢ ،
٣٤٨ ، ٣٥٦

أبو البركات محمد بن إبراهيم : ٢٥٦
أبو بكر = محمد بن عباد القزاز
أبو بكر الأبيض = أبو بكر بن الأبيض
أبو بكر بن الأبيض : ٢٠٩
أبو بكر بن تيفلون : ٢٠٩
أبو بكر بن الحد : ٣٨٢
أبو بكر بن الحكيم = أبو بكر محمد بن
محمد بن الحكيم

أبو بكر بن خطاب : ٣٠٥
أبو بكر بن رعاة الصربى : ٣٧٩
أبو بكر بن زهر : ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
أبو بكر الصديق : ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٣٨٩ ،
٣٩٠

أبو بكر بن طاهر : ٣٦١
أبو بكر بن عازي بن الكاس : ٣٠
أبو بكر بن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان
أبو بكر محمد بن أرفع رأسه : ٢٠٧
أبو بكر محمد بن قزمان : ٢١٦
أبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم : ٣٤٥ ، ٣٤٦
أبو بكر محمد بن محمد النفلوني : ٣٥٢
أبو حمفر : ٢٥٤

أبو جعفر أحمد بن عبد الحق : ٦
أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلطور : ٣٤٩
أبو جعفر بن الزبير : ٣٥٧ ، ٣٥٥
أبو جعفر بن الزيات : ١٦
أبو جعفر الطنجالي : ٦
أبو جعفر بن عمر = أبو حفص عمر
أبو جعفر بن الحناس : ٢٩٥
أبو حاتم : ٣٢٧
أبو حاتم أحمد : ٣٧٧
أبو الحجاج = يوسف بن النبي بالله
أبو الحجاج التنشافري : ٦

ابن عاصم (القفه) : ١٩ ، ٢٦٤
ابن عباد : ٣٧٢

ابن عبد ربه = أحمد بن عبد ربه
ابن عمر : ٢٥٧ ، ٢٥٦
ابن القاسم : ٢٥٦
ابن قزمان = أبو بكر محمد بن قزمان
ابن القوشى : ٩

ابن ماء السباء = عباد بن عبيد الله بن
محمد بن محمد بن عباد

ابن ماجة : ٣٥٢
ابن ماجة : ٣٧٢
ابن مراك : ٢٢٥
ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
ابن مرسن : ٢٢٥
ابن مقلد : ٣٧٢

ابن مسطور = جعفر بن مسطور الروى
ابن نصر : ٤٦ ، ٨٢

ابن هدية = أبو هدية إبراهيم بن هدية
ابن دقيق العيد = نبي الدين بن دقيق العيد
ابن عوف = يوسف (علي السلام)

أبو إبراهيم إسحاق : ٢٨٢ ، ٢٨٦
أبو أحمد جعفر بن إبراهيم بن الحاج المعافى :
٢٥٤

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي عزة
الشمسى : ٣٧٧

أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة : ٩
أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى : ٣٥١
أبو إسحاق بن أبي العاصى التنوخى : ٣٤٢ ،
٣٤٥

أبو إسحاق التنفى : ٣٢٢
أبو إسحاق الشاطلى : ٧ ، ٢٩٧
أبو إسحاق عبد الصمد بن عبد الوهاب : ٣٤٩
أبو إسحاق العراقي : ٣٥٢
أبو الأصبع عبد العزيز بن الماصر لدين الله :
٣٨٦

أبو الحسن = الثباي على بن محمد
أبو الحسن المربى : ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
أبو الحسن بن أبي الربيع : ٢٩٨ ، ٣٤٨
أبو الحسن بن إسام : ٢٥٣
أبو الحسن بن جعفر الأشبيلي : ٢١٦
أبو الحسن حازم الفرطاجي : ٣٥٠
أبو الحسن النماج : ٢١٢
أبو الحسن سهل بن مالك : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨
أبو الحسن علي بن سعد الحبر البلسي : ٢٥٣
أبو الحسن علي بن سعيد العنسي : ٢٥٣
أبو الحسن علي بن عثان البلوي = الأشج الغربي
أبو الحسن علي بن محمد السكتاني : ٣٤٩
أبو الحسن بن كاشة : ٣٠٣
أبو الحسن الخروق : ١٦
أبو الحسن الكاسي = علي بن محمد البياهي
أبو الحسين بن النعماني : ٩
أبو الحسين المراقي : ٣٥٢
أبو حفص = عمر بن الخطاب
أبو حفص بن عمر : ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٤
أبو حفص : ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
أبو حمزة موسى بن يوسف الزبائي : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
أبو الحثير الفضل بن علي بن نصر بن عبد الله
ابن ربيعة الأنصاري الخزرجي : ٣٥٣
أبو داود : ٣٥١
أبو الربيع بن سالم : ٣٦١
أبو زكريا بن أبي دلامة : ١٧٥
أبو زكريا البرغوثي : ١٦
أبو زكريا يحيى السراج : ٦ ، ٢٥٦
أبو زيان بن عبد العزيز المربى : ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٨
أبو زيد : ٣٧٤
أبو زيد عبد الرحمن الهزيمى : ٣٣٦

أبو سالم بن أبي الحسن المربى : ١٥٤ ، ١٧٠
أبو سعيد = أبو عمرو ميمون بن علي بن
عبد الحاق
أبو سعيد بن عامر : ٣٠٥
أبو سعيد بن ل : ٩
أبو سفيان : ٣٣١
أبو سلطان عبد العزيز بن سلطان الثاني :
٣٤١
أبو سليمان داود بن علي الأصماني : ٢٩٥
أبو طالت عبد الله : ٣٧٧
أبو الطاهر الثاني الأصماني : ٣٥٤ ، ٣٧٢
أبو العباس أحمد بن أبي الحكم يعيش بن
علي بن شكيل النصفى : ٣٦٧
أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله القحسي :
٣٧٥
أبو العباس بن أبي سالم المربى = أحمد بن
أبي سالم المربى
أبو العباس أحمد بابا : ١٧٦
أبو العباس الحرأوى : ٣٦٤ ، ٣٦٥
أبو العباس بن ولاد : ٢٩٥
أبو عبد الله = ابن الحكم محمد بن
عبد الرحمن
أبو عبد الله = ابن الحكم محمد بن
عبد الرحمن
أبو عبد الله = ابن رشيد الفهرى
أبو عبد الله = ابن زمرك محمد بن يوسف
أبو عبد الله = محمد بن عمر بن محمد بن
عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحبري
الربيعي
أبو عبد الله بن الأبار : ٣٧٩
أبو عبد الله الأبل = أبو عبد الله محمد بن
لمبراهيم الإبل
أبو عبد الله بن أبي العاصم النوخى : ٣٥٦
أبو عبد الله بن الأحمر = ابن الأحمر

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن محمد اللخمي : ٣٥٢ ،
 ٣٧٥
 أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى السراج :
 ٢٥٧ ، ٢٥٦
 أبو عبد الله محمد الخلوع : ٣٤١
 أبو عبد الله محمد بن يوسف = ابن زمرك
 محمد بن يوسف
 أبو عبد الله بن ممدون : ٢٩٨ ، ١٥ ، ٩ ،
 ٣٠١
 أبو عبد الله المقرئ : ٩
 أبو عبد الملك المراكشي : ٣٧٩
 أبو عبيد : ١٨
 أبو عثمان بن خالد : ٣٧٤
 أبو عثمان بن ليون : ٣٠٣
 أبو علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القفالي :
 ٢٧٣
 أبو علي بن خالد : ٢٥٦
 أبو علي بن الخطيب أبو فارس بن غالب
 الجني : ٣٧٦
 أبو علي عمر الحدادي : ٣٤٦
 أبو علي منصور الزواوي : ١٥ ، ٩
 أبو عمر : ٣٥٤
 أبو عمر أحمد بن عبد ربه = أحمد بن
 عبد ربه
 أبو عمر بن عات : ٣٥٤
 أبو عمرو مريقيا = عامر بن حارثة الأزدي
 أبو عمرو ميمون بن علي بن عبد الحافظ بن
 حجازة : ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
 أبو عمرو بن سالم بن صالح التبرواني المائني :
 ٣٨٠
 أبو عمرو الصفاضي = ابن التين أبو عمرو
 أبو عثمان اللبيني : ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٨

أبو عبد الله بن يونس العبدي : ٩ ، ١٥
 أبو عبد الله التلمساني : ١٥
 أبو عبد الله بن الحكيم = ابن الحكيم
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
 أبو عبد الله بن الخطيب = لسان الدين بن
 الخطيب أبو عبد الله
 أبو عبد الله بن خيس التلمساني : ٢٩٧ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٢
 أبو عبد الله بن رشيد : ٣٤٢ ، ٣٥٥
 أبو عبد الله بن الرامة : ٣٦١
 أبو عبد الله الساحلي : ٦
 أبو عبد الله الشريفي : ١٥
 أبو عبد الله العلوي التلمساني : ٩
 أبو عبد الله بن عباس الخزرجي : ٢٩٦
 أبو عبد الله بن الفخار : ٩ ، ١٤ ، ٢٩٧
 أبو عبد الله القروشي : ١٥
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبي : ٣٢٢
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي : ٣٠٣
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن
 عبد الرزاق : ٣١٦
 أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن
 حبان الشافعي : ٣٥٤
 أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف : ٢٥٧
 أبو عبد الله محمد بن عبد الحافظ : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن = ابن
 الحكيم محمد بن عبد الرحمن
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى :
 ٢٦٧
 أبو عبد الله محمد بن عبد النعم : ٣٤٩
 أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ : ٢٥٦
 أبو عبد الله محمد بن علي السكوني : ٦
 أبو عبد الله محمد بن علي بن علاق : ١٥
 أبو عبد الله محمد بن عيسى : ٢٥٦

أبو مروان عبيد الله بن الناصر : ٢٨٦
 أبو مروان بن مسرة : ٣٦١
 أبو مهدي بن الزيات : ١٦
 أبو هدية إبراهيم بن هدية : ٣٥٤
 أبو هريرة : ٣٥٢
 أبو يحيى : ٢٢٥
 أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب :
 ٣٣٥
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن : ٣٦١،
 ٣٦٥
 أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق : ٣٣٦
 الحسن بن علي رضي الله عنه : ٣٩١
 أحمد = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
 أحمد بن أبي سالم المري أبو العباس : ٢٨
 ٢٩، ٣٥، ٨١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥،
 ١٧٥، ٣٥٧
 أحمد بن عبد الوه : ٢٠٧، ٢٥٣
 أحمد بن عبد الله بن شبيب : ٢٦٥
 أحمد بن عبد الملك بن شبيب : ٢٦١
 أحمد بن قاسم أبو العباس الصنهاجي : ٢٥٦
 أحمد بن مطرف : ٢٧٩
 أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الوتريشي :
 ٢٩٧
 أحمد اليوناني : ٢٧٠
 أردشير بن بابك : ٣٢٤
 أردون بن أدفونش : ٢٨٨، ٢٨٩،
 ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤
 الإسكندر : ٢٢٣
 إسماعيل (عليه السلام) : ٣٨٥
 إسماعيل = ابن عباد
 الأشجق المغربي أبو الحسن علي بن عثمان
 البلوي : ٣٥٤
 الأسبغ بن القاصر لدين الله : ٢٥٩
 الأعمى البطلبوسي : ٢٠٧، ٢٠٩
 الأعمى التطيلي : ٢٠٨

أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد : ٣٤٩
 أبو الفضل بن يحيى : ٣٢١
 أبو القاسم بن أبي بكر بن زبون : ٣٤٩
 أبو القاسم بن أحمد الحضرمي : ٦
 أبو القاسم بن سعيد الحيدري : ٦
 أبو القاسم الشريف : ١٤
 أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله
 العزفي : ٣٥٦، ٣٧١، ٣٧٨،
 أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان
 البخاري : ٣٤٥
 أبو القاسم بن محمد = أبو القاسم بن أحمد
 الحضرمي
 أبو القاسم محمد بن أبي العباس : ٣٧٤، ٣٧٥،
 ٣٧٦
 أبو القاسم محمد بن أحمد الحنفي : ١٦٠، ١٦١
 أبو القاسم محمد العزفي : ٣٧٤ - ٣٧٧
 أبو القاسم محمد بن يحيى = محمد بن يحيى
 ابن أبي طالب أبو القاسم
 أبو القاسم مفرج بن محمد بن مفرج : ٢٨٤
 أبو القاسم بن المهدي : ٦
 أبو محمد بن بركات : ٣٥٤
 أبو محمد عبد الحق بن أحمد ابن نصر = ابن
 سبعين أبو محمد عبد العزيز بن عمر
 الفيس : ٣٤٩
 أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي التندري :
 ٣٤٩
 أبو محمد عبد الله بن أحمد النحوي : ٣٧٣، ٣٧٤
 أبو محمد عبد الله بن جزي : ١٥
 أبو محمد عبد الله بن علي النخعي : ٣٦١
 أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي :
 ٣٤٥
 أبو مدين شبيب : ٣٠٨
 أبو مروان الأكبر عبيد الله : ٢٨٢
 أبو مروان بن حيان : ٢٦٨

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

٢٩١ ، ٢٩٢

حليمة (العقبة) : ٣٨٧

(خ)

خالد (الفائد) : ٤٠

خديجة (أم المؤمنين) : ٣٨٩

خراش بن عبد الله : ٣٥٤ ، ٣٦٠

الحطاب أبو عبد الله بن أبي العاصي التتويحي

أبو عبد الله بن أبي العاص التتويحي

(د)

دينار بن عبد الله : ٣٥٤

(ذ)

ذو الرمة : ٤٣

(ر)

ربيع الأسقف : ٢٧٠

ريعة بن مكرم : ٦٢

الرجال = عمروة الرجال

الرسول = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

رومانس (ملك الروم) : ٢٦٠

(ز)

زياد ابن أبيه : ٣٣١

زياد بن أذلع الناصري : ٢٨٨

(س)

سام (بن نوح) : ٣٨٥

سبت بن سام بن نوح عليه السلام : ٢٥٦ ،

٢٥٧

ست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي :

٣٥٥

أنس : ٢١٣ ، ٣٥٤ ، ٣٩٠

باس : ٤٦

(ب)

بغيرا (الراهب) : ٣٨٨

البخاري : ٣٥٠

البراض بن قيس الضمري : ٣١٧ ، ٣١٨

بسطام بن قيس : ١٢

بوران : ٥٦

(ت)

التجبي = أبو محمد عبد الله بن أحمد التجبي

تقي الدين بن دقيق العيد : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،

٣٥٢

تسم الحصى : ٢٥٩

(ج)

الجاحظ : ١١

جبريل عليه السلام : ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩

الجرأوى = أبو العباس الجراوى

جمنوس = النباه على بن محمد

جعفر بن عثمان : ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣

جعفر بن سطور الرومي : ٣٥٤

جيل : ٩٧ ، ١٨٠

(ح)

حاتم طي : ٤٦ ، ٦٢ ، ٣٧٠

حام (بن نوح) : ٣٨٥

الحجاج : ١٤

الحجاري : ٢٥٣

الحسن البصري : ١٤

حسن بن جعفر الإسكندراني : ٢٧٠

حسين بن فتح : ٢٥٨

الحسك المستنصر بالله بن الناصر لدين الله :

٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،

(ع)

العالمب = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
عاصر بن حارثة الأزدي : ٧٩
عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة : ٢٥٣
عبادة بن محمد بن عبادة الأقرع : ٢٥٤
عبادة الفزاز : ٣٠٧ ، ٢٥٣
العباس : ٢٥٧
عبد الجبار بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد الرحمن = أبو زيد عبد الرحمن الهزيمى
عبد الرحمن الناصر = الناصر لدين الله
عبد العزيز بن أبي الحسن المربى : ٧ ، ٣٠
عبد العزيز بن الناصر لدين الله = أبو الأصبع
عبد العزيز بن الناصر لدين الله
عبد الله بن أحمد بن محمد : ٣٨٠
عبد الله بن الحكم : ٣٥٦
عبد الله بن علي الأشمى : ٣٦١
عبد الله بن قاسم : ٢٨٩
عبد الله بن محمد الروانى : ٢٠٧ ، ٢٥٣
عبد الله بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد الله بن يحيى بن يحيى : ٢٩٤
عبد الله بن يونس : ٢٧٠
عبد الملك بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
عبد للهبن القواس : ٢٢٤
عبيد الله بن قاسم : ٢٩١
عتيق = أبو بكر الصديق
عثمان بن عفان : ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١
عثمان بن خطاب أبو عمر = الأشج المربى
عروة الرجال : ٣١٧ ، ٣١٨
عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب =
عروة الرجال
عز الدين أبو العز عبد الله بن عبد التميم :
٣٤٩

سحبان : ٤٦
سحنون : ٢٥٦
سراج الدين أبو بكر بن أحمد : ٣٤٩
سرافة (بن مالك) : ٣٨٩
سطبج : ٢٢٥ ، ٣٨٧
سمادة (مملوك السلطان يوسف) : ٣٣٦
سعد بن عبادة الأنصارى : ٣٣ ، ١٠٤ ،
١٣٧ ، ١٨٠
سعد بن الفتي بالله : ٦٠ ، ٧٣ ، ١٤٠ ،
١٤١
سعيد بن أحمد القرى : ٣٠٩
سفرط : ٣٢٠
السانى : ٣٥٤
السلوى : ٣٦٩
سليمان بن الناصر لدين الله : ٢٥٩

(ش)

شاذة بن رديم : ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
شقى : ٢٢٥ ، ٣٨٧
شهاب الدين : ٣٢١
الشهيد = عثمان بن عفان

(ص)

صاعد بن محمد : ٢٦٢
الصاغانى : ٢٠٧

(ط)

الطبطبلى = الأعمى التطبلى
ماه = محمد النبي صلى الله عليه وسلم

(ظ)

الظاهرى = أبو سليمان بن علي الأصهبانى

(ق)

الفرزاز = محمد بن عبادة الفرزاز
قس : ٨١
قسطنطين بن ليون : ٢٥٨ ، ٢٦٠
قتير : ٣٥٤
القياسي = أيوسليان داود بن علي الأصماني
قيس بن الملوح : ٤٣ ، ٩٧ ، ٣٥٤

(ك)

الكثاني : ٣٥٦
كسرى : ٣٨٢
كعب بن مامة = ابن مامة

(ل)

لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله : ٥ ،
٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ٣٠ ، ٣٧ ،
١٦١ ، ١٦٥ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ،
٢٣٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ،
٣٧٦

(م)

ماء السماء = مامر بن حارثة الأزدي
ماء السماء : ٢١٣
الأمون بن ذنون : ٥٦ ، ٢٠٧
الأمون بن المنصور : ٣٨٠ ، ٣٨٢
المساحي = محمد بن علي بن علي بن علي
مالك : ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥
محمد = الغني بالله
محمد بن أبي الفضل بن شرف : ٢٠٩

العزفي = أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي طالب
عبد الله العزفي

العزيز بن المزمع الفاطمي : ١٢٦
عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد :
٣٤٩

علي بن أبي طالب : ٢٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٧٤
علي بن جعفر الإسكندراني : ٢٧٠
علي بن عبيد الله بن محمد = النباهي علي
بن محمد

عمار (بن ياسر) : ٣٩١
عمر بن الخطاب : ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ،
٣٧٠ ، ٣٩٠

عمرو : ٤٦
عنيزة : ٣٦٩
عيسى بن الحسن : ٢٢٥
عيسى بن فطيس : ٢٨٧
عيسى بن مريم : ٤٥ ، ١٤٧

(غ)

غالب الباصري : ٢٨٨
الغني بالله محمد : ١١ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
٤٩ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٧ ،
١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩١ ،
١٩٦ ، ١٩٥
غيلان = ذو الرمة
غراب : ٣٢٠

(ف)

الفاروق = عمر بن الخطاب
فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد : ٣٤٩
فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحرار :
٣٧٧

السنين أبو عبد الله : ١٥٩
 المنتصر بالله = الحكم المنتصر بن الناصر
 مسجلة بن عبد الله العريف : ٢٦٩
 المسيح = عيسى بن مريم
 المصطفى = محمد النبي صلى الله عليه وسلم
 معبد : ١١٩
 المعتمد بن صالاح : ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
 المعتمد يحيى بن الناصر : ٣٨٢
 مفرج أبو القاسم مفرج بن محمد : ٢٨٥
 مقدم بن معاذ القبري : ٢٠٧ ، ٢٥٣
 محمد الفيوري : ٣٢١
 منقر بن سعيد البلوطي : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
 النذر بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
 مويار (الديلي) : ٣٣٤
 المهدي : ٣٨٠
 موسى = أبو حو موسى بن يوسف الزياتي
 موسى بن عمران : ٤٥ ، ٢٧٤
 موسى بن أبي قحافة المريني : ٤٢ ، ٢٠١
 موسى بن أحمد بن حدير : ٢٨٦
 الليثاني : ١٨
 ميكائيل (عليه السلام) : ٣٨٨

(ن)

الناصر لدين الله عبد الرحمن : ٢٠٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥
 نافع : ٢٥٦ ، ٢٥٧

محمد بن أفلح الناصري : ٢٨٨
 محمد بن حسن بن عطية : ٢٥٦
 محمد بن حوط الله : ٣٦١
 محمد بن طبلس : ٢٩٠
 محمد بن عبادة القزاز : ٢٥٢ ، ٢٥٤
 محمد بن عبد البر الكشياني : ٢٧٣
 محمد بن عبد الرحمن = ابن الحكيم محمد
 ابن عبد الرحمن
 محمد بن عبد الله بن أحمد الأزد : ٢٥٦
 محمد بن عمر = ابن رشيد الفهري
 محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن
 محمد بن محمد الجبري الرهبي : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣٣٥
 محمد بن فتوح : ٣٤١
 محمد بن محمود القبري القصرير : ٢٥٣
 محمد بن المذر الشهابوري : ٢٩٤
 محمد النبي صلى الله عليه وسلم : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ - ٣٩٠
 محمد بن وضاح : ٢٥٦
 محمد بن يحيى بن أبي طالب أبو القاسم : ٣٧٨
 محمد بن يوسف بن محمد الصريحي =
 ابن زمرك محمد بن يوسف
 المرتضى (صاحب مراكنش) : ٢٣٠
 مرجانة (أم الحكم) : ٢٦٥
 مروان بن الناصر لدين الله : ٢٥٩
 مريم : ١٤٧

(و)

وليد بن حبرون : ٢٨٩ ، ٢٩١
وهب بن ميسرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧

(ي)

ياسر الحصى : ٢٥٩
يافث (بن نوح) : ٣٨٥
يحيى بن يحيى : ٢٠٨
يحيى الخزرجى : ٢١١
يحيى بن ذى النون : ٢٠٨
يحيى بن محمد بن القيث : ٢٥٨
اليزناسنى : ٣٥٥
يغم بن سالم بن قير : ٣٥٤
يوسف (عليه السلام) : ٣٧٢
يوسف بن العلى بالله أبو الحجاج : ١٥ ،
١٦ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٧
يوسف بن القاسم : ٢٣٥

النباهى على بن محمد (القاصى) : ٦٤٥ ،
٢٩٦ ، ٢٨٠ ، ٤٧
النبى صلى الله عليه وسلم = محمد النبى صلى
عليه وسلم

نسطور : ٣٥٤

نصر : ٦٠ ، ٧٣ ، ٨٥

النظار أبو إسحاق الشاطبى = أبو إسحاق
الشاطبى

النعمان بن المنذر : ٢١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٨

النعمان بن امرئ القيس : ٣٢٦

نوح (عليه السلام) : ٢٢٠ ، ٣٨٥

(هـ)

هادى بن إسحاق : ٣٧٢

هرقل : ٣٨٧

هرمس : ٣٢٠

الهزميرى = أبو زيد عبد الرحمن الهزميرى

هشام بن محمد بن عثمان المصنفى : ٢٨٨

فهرس القبائل

(١)

أهل شريش : ٣٦٧
أهل طليطلة : ٢٨٨
أهل فارس : ٢٢١
أهل القاهرة : ٢٢٥
أهل مالقة : ٢٥٢ ، ٢٥٤
أهل المشرق : ٥٦
أهل مصر : ٢٢٥
أهل المغرب : ٥٦
أهل مكة : ٣٨٧
أهل نجد : ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٥٢
إباد : ٨١

(ب)

البربر : ٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠
البغداديون : ٢٢٦
بنو الأحمر : ١١ ، ٣٣
بنو الأصغر = الروم
بنو أمية : ٢٥٨
بنو نعل : ٣٧٠
بنو ذى النون : ٥٦
بنو سعد = الخزرج
بنو عباد : ٣٤١
بنو العباس : ٢٦٢ ، ٢٥٨
بنو عبد الواد : ٣٧ ، ٤٢ ، ٣٣١
بنو عدنان : ٣٨٠
بنو العزقي : ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٢٨
بنو عمرو : ٣٢٥
بنو غفجوم : ٣٦٥
بنو ماء السماء : ٧٩
بنو مرين : ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٢٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٢٥

آل بويه : ٣٧٢
آل خزرج = الخزرج
آل سعد بن عباد = الخزرج
آل عدنان : ٤٥ ، ٥٣
آل النبي (صلى الله عليه وسلم) = آل هاشم
آل عسر : ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ١٠٩
٢٠١ ، ١٦٥
آل هاشم : ٤٥ ، ٩٢ ، ١٥٤
أبناء قبيلة = آل عسر
أبناء نصر = آل نصر
أحواد العرب : ٣٧٢
الأحاشي : ١٧٠
الأصبان : ٣٧٤
الأعاجم : ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤
٣٨٣
أعراب إفريقيا : ٢٢٥
الإفريقية : ٢٥٨
أملاك لحم = بنو العرفي
الأنتصار : ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٦
١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٩
١٥٤
أهل الأندلس : ١٦ ، ١١٦ ، ٢٢٧
٢٥٢
أهل تازا : ٢٢١
أهل نلسان : ٣٠١ ، ٣٣٦
أهل نهامة : ٣١٧ ، ٣١٨
أهل نولس : ٢٢٥
أهل سبتة : ٢٥٨ ، ٢٩٧ ، ٣٤٧
٣٧٦

(ق)

قحطان : ٤٦ ، ١١٧
قريش : ٣١٧ ، ٣٨١
قيس : ٣١٨

(ك)

كاهل : ٣٦٩

(م)

مالك : ٣٦٩
المحبوس : ٢٥٨
المرثيون = بنو مرث
مضر : ٥٣
المثمون : ٢١٦
ملوك الروم : ٢٥٨
ملوك الطوائف : ٥٦
ملوك العدوتين : ٢٥٧
ملوك الصامسة = بنو ماء السياه
ملوك اللحمين = بنو العزفي
ملوك المغرب الأقصى : ٣٧ ، ٤٢
الموحدون : ٢٠٩

(ن)

النصارى : ١٧ ، ٢٩١

(هـ)

هاشم :
هوازن : ٣١٧

(ي)

اليمن : ٣٠١

بنو صر = آل صر
بنو ملال : ٥٩

(ج)

الجلالقة : ٢٨٨

(ح)

حجر : ٣٢١

(خ)

الخزرج : ٤٦ ، ٦٨ ، ٣٣ ، ٤٠١ ، ٤٠٤
خندف : ٣١٨

(ر)

الروم : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ،
٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٣٦٦

(ز)

زناقة : ٥٨

(ع)

العباسيون = بنو العباس
العجم = الأعاجم
عرب تهامة : ٢٢٩
عرب دياب : ٢٢٥
العرب : ٦٢ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،
٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣

(غ)

غطفان : ٣١٨

(ف)

الفرس = الأعاجم

فهرس الأماكن

(١)

باب الفتوح : ٣٣٣
باب قرطبة : ٢٨٨
باب قصر الزهراء = باب الأقباء
يارق : ٦٦
باريس : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ... الخ
بحاجة : ٢٥٨
بحيرة السكوفة : ٣٢٦
البحرين : ٥٢ ، ٣٠٧
بر العدو : ٢١٢
بزرهون : ٢٢٢
البصرة : ٥٢ ، ١٠٨ ، ٣٥٤
البطحاء : ٤٧
بنداد : ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٣٢٣ ،
٣٥٤
بلاق : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ... الخ
بلبيس : ٣٥٣
بلاد الإفرنج : ٢٧٠
بلاد المشرق : ٣٢٢
البيت العتيق : ٢٧ ، ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠
بيت المقدس : ٣٧٠
بيروت : ٢٢٦

(ت)

تادل : ٣٦٥
تازا : ٢٢١
تربة الخلفاء : ٢٨٨
تطيلة : ٢٠٨
تلحسان : ١١ ، ٢٢٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

أجرع الفرد : ١٦٨
إسكنبرية : ٣٤٩
إشبيلية : ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣
٢١٧ ، ٣٤١ ، ٣٦١ ، ٣٨٠
أصيلا : ٣٧٤
أصبهان : ٣٥٤
أغملات : ٣٣٦ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
أفريقية : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠
٣٤٨
آلال : ١١١
الأندلس : ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٥٠ ،
٦٣ ، ١٥٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ،
٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٤ ،
٣٠٢ ، ٣٤٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠
أورة : ٢٦٢ ، ٢٨٩
أوارة : ٣١٨
أوال : ٣٠٧
إيلياء : ٢٧٠
إيوان الحسين : ٣٤٩
إيوان كسرى : ٣٨٧

(ب)

باب الأقباء : ٢٩٠
باب الجنان : ٢٨٩
باب جباد : ٣٢٩ ، ٣٣٣
باب السفة : ٢٩٠
باب الصناعة : ٢٨٥

دار الكس : ٢٦١
 دار السلام = بغداد
 دار الصناعة بقرطبة : ٢٧٠
 دار الفنى بأفقه : ٢٩
 دار الكتب المصرية : ١٦٠ ، ١٨٠... الخ
 دارين : ٢١٠ ، ٣٠٧
 دوت معملة : ٣٣٩
 دمشق : ٣٤٩
 ديار الصناعات بالزهرام : ٢٦١

(ذ)

ذو الحجاز : ٣٨٨

(ر)

رامة : ١٠٨ ، ١١١ ، ٢٣٠
 ربا العباد : ٣٣٠
 الريس : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٩٥
 الرشاد : ١٧٩ ، ١٨٠
 الركن : ٦٣
 رملة : ٣٤٠ ، ٣٤١
 روض نعمان : ٤٢
 رومة : ٢٦٨
 الرى : ٣٥٤
 ربة = مائقة

(ز)

زمرم : ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠
 الزهرام : ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
 ٢٧٩ ، ٢٧٧
 الزوراء : ٣٩٠

(س)

سيفة : ٨١ ، ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٥
 ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦

٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٤
 تونس : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ،
 ٣٥٤

(ج)

جامع مائقة : ١٧
 الجامعة المصرية : ٢٥٣
 جبل الشوار : ١٣٩
 جبل الفتح : ٤٠
 جبل قرطبة : ٢٦٦
 الحزاع : ٢٤٢
 جيان : ٢٦٤

(ح)

حاجر : ١٠٤
 الحجاز : ٢٢ : ٧٣ ، ٩٧ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٤ ، ٣٤٨
 الحديبية : ٣٩٠
 حراء : ٣٨٩
 الحرم الشريف = قبر الرسول صلى الله
 عليه وسلم
 حصن إسنه : ٢١٠
 الحضرة : ١٥٨
 الحيرة : ٣٢٧
 حيرة النعمان : ٣٨٢

(خ)

الخوردق : ٣٢٦
 الخيف : ٥٦

(د)

دار إبراهيم الفنى : ٢٦٠

(ع)

- العدوثان : ١٧ ، ١٨٣
 العذيب : ٦٦
 العراق : ٩٢ ، ٢٧٣
 عربات : ١١١
 العقيق : ٤٥ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٧

(غ)

- غمرطلة : ٧ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
 ٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ،
 ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٤١ ،
 ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧
 غمدان : ٣٨٧

(ف)

- فاس : ٦ ، ٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٢١ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٥ ،
 ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ،
 ٣١٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩
 فارس : ٣٨٧
 فخم ربة : ١٦
 قدك : ٣١٨

(ق)

- القاهرة : ٣٤٩
 قبر أحمد = قبر الرسول صلى الله عليه وسلم
 قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ١٨ ،
 ٩٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٤٩
 قبرة : ٢٠٧

٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،

٣٣٥

- المدية : ٢٨٩
 السدير : ٣٢٧
 الصرب : ١٦٨
 سرقسطة : ٢٠٩
 سلا : ٢٣٥
 سلع : ٢٤٢
 سمورود : ٣٢٠
 سوق عكاظ : ٣١٧

(ش)

- الشام : ٢٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨
 شامة : ٩٨
 شرق الأندلس : ١٤
 شفر : ٣٦١
 شنبيل : ١٢٢
 شيرة : ٢٦٤

(ص)

- الصقراء : ١٣٧
 صنعاء : ٣٨٢ ، ٣٨٦
 صنهاجة : ٣٧٩

(ط)

- الطائف : ١٤
 طاقيل : ٩٨
 طليطلة : ٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١
 طليجة : ٣٧٤
 طليبة : ٧٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ،
 ٢٥١
 طيفور : ٣٣٤

٣٨٢ ، ٣٧٩ ، ٣٧٣
 مرسية : ٢١١
 القرية : ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٣٠٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٠٣ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨
 مسجد أبي عثمان : ٢٨٤
 المسجد الجامع : ٢٧٧
 مسجد الحمراء : ١٧
 مسجد الزهراء : ٢٦٧
 مسجد السيدة الكبرى : ٢٩٥
 مسجد الصابر = مسجد الصابرين
 مسجد الصابرين : ٣٣٦
 مسجد الصغاري = مسجد الصابرين
 المشرق : ٣٤٧
 مصر : ١٦٥ ، ٢٨٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
 مطرح الجلة = مطرح الجنة
 مطرح الجنة : ٣٥٦
 المغرب : ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٧ ، ٣٣٥ ، ٣٦٥ ، ٢٥٢ ، ٣٥٠
 المغرب الأوسط : ٤٢ ، ٣٧
 المغرب الأقصى : ٤٢ ، ٣٥
 مكناسة : ٢٢٢
 مكة : ٢٧ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ٢٣٢
 الحبي : ٢٣٠
 منى : ١٠٤ ، ١٦٨
 منية الحكم = منية نصير
 منية مصر : ٢٦٠
 ميوزقة : ٢١٧
 (ن)
 الناعورة : ٢٨٩

فرطاجنة : ٢٧٠
 قرطبة : ٢٠٧ ، ٣٠٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٣٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥
 القرينان : ١٠٨
 القسطنطينية : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٧٨
 قصر ابن ذي بزن : ٣٨٢
 قصر الرصافة : ٢٩٣
 قصر الزهراء : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨
 قصر شليل : ١٢٣
 القصر الصبادي : ١٠٧
 قصر قرطبة : ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨
 قصر كسرى : ٣٨٧
 قصر مدينة الزهراء : ٢٨٦
 قصر المصارة : ٣١٦
 قصر الناعورة : ٢٦٦ ، ٢٦٧
 القيروان : ٢٢٢ ، ٢٢٤

(ك)

كاظمة : ٥٢

كنيسة سفاقس : ٢٧٠

(م)

ماتقة : ٥ ، ١٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٧٠ ، ٢٩٩
 مجنة : ٩٨
 المدينة : ١٣٧ ، ٣٩٠
 مدينة الزهراء : ٢٦٧
 مدينة سالم : ٢٨٨
 مراکش : ١٩١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

(و)

وادی آسن : ٢١٨
 وادی العقیق : ٢٢ ، ٢٥٠
 وادی قنّاة : ٣٩٠
 الرجلة : ١٥٨

(ی)

یترب : ٢٣٨ ، ٢٣٩
 یلم : ٣٧٠

تحد : ٢١ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ١٠٨ ، ١٦٨

٢٤٥

عیان : ٤٣

نیسان : ٣٢٣

(هـ)

الهند : ١٣٦

فهرس الكتب

نكحلة للمعاجم العربية لدوزى : ٢٦٨ ، ٣٦ : ٢٩٠

النكحلة : ٣٧٩

التبصر : ٣٤٨

(ج)

جنوة الاقتباس لابن الفاضي : ٣٥١ ، ٣٤٧

٣٥٣ ... الخ

(د)

الدر الفيس من شعر ابن خميس : ٣٠٣

الديباج الذهب في علماء المذهب لابن قرون

ديوان أبي تمام : ٤٨

ديوان الصفي الحلبي : ٢٢٦

ديوان العبر = تاريخ ابن خلدون : ٢٢٧

(ذ)

الذخيرة لابن بديع : ٢٥٣ ، ٢٥٢

(س)

سلوة الأفاضل : ٣٥٦

سنن أبي داود : ٣٥١

السنن الأبين في السند للنعمن : ٣٥٠

السنن لابن ماجه : ٣٥٢

(ش)

شرح ابن تيمية على الدعوة : ٣٥٢

شرح ألفية ابن مالك لابن مرزوق : ٢٩٩

شرح الجلانة للتبريزي : ١٢

شرح الشفا : ٢٥٧

(١)

الإحاطة : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ... الخ

أحكام التأسيس في أحكام التجنيس : ٣٥٠

أحكام القرآن : ٢٩٥

الإحياء للغزالي : ٥٠

الاستقصا لسلوى : ٧ ، ٣٠ ، ٣٧ ... الخ

الإشادة : ٣٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ... الخ

الأشرف ل محمد بن النذر التيسابوري : ٢٩٥

الإضاء والإشارات : ٣٥٠

أعمال الأعلام لسان الدين بن الخطيب : ٢٧١ ، ٢٨٢

ألفية ابن مالك : ٢٩٧

الأمال والنوادر : ٢٧٣

(ب)

بداية المجتهد : ٨٤

البدر الطامع للشوكاني : ٣٤٧

بقية المنتم : ٢٠٧

بقية الوعاة للسيوطي : ٣٤٧

البغية والمدرك من كلام ابن زمرك : ١١ ، ١٢

(ت)

تاج العروس : ١٤ ، ٣٥٤ ، ٣٧٤

تاريخ الخطيب : ٣٥٤

تاريخ ابن خلدون : ٣٠ ، ٣٧ ، ٢٢٧ ... الخ

تاريخ ابن الفرسى : ٢٦٥

التحفة : ٣٧٩

ترجمان القراجم : ٣٥٠

التيسيل البديع في اختصار التفريع : ٦

نظير الديباج لأبي العباس أحمد بابا : ١٧٦

شرح القاموس = تاج المروس
الشفاء : ٦

(ع)

عائد الأصل : ٣٠١
العبروديون البتدأ والمبر = تاريخ ابن خلدون
العقارى المسائل فى الأرجال والموشحات :
٢١٣
العقد الفريد : ٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٣١٨

(غ)

الترتيب المصنف لابن سلام : ١٥١
الغنية لعياض : ٢٥٧

(ف)

الفهرية : ٣٠٣

(ق)

القاموس : ٣٧١
قوت القلوب لأبى طالب المكي : ٥٠

(ك)

الكامل للعبد : ٣٨٥
الكتيبة : ١٨٦
كتاب سيويه : ٣٦١ ، ٣٦١
كتاب العين للغايل : ٢٩٥
الكتاب المؤمن فى آباء أبناء الزمن : ٣٧٦
الكتيبة السكامة : ١٨٦ ، ٦
لسان العرب : ٦ ، ١٩ ، ٨١
لسان الميزان لابن حجر : ٣٥٤

(م)

مئلى الطريقة فى ذم الوثيقة : ٢٩٧
الحكمة بين البخارى ومسلم : ٣٥٠

الحبر النصيح فى شرح البخارى الصحيح :
٣٥٠

محك الشعر للعاقري : ٣٥٤
مختصر ابن الحاجب : ٦
مختصر الإحاطة : ٣٥١
المدايرك لعياض : ٢٥٧
المدونة : ٣٥٠
المراقبة العليا فى مسائل القضا والفتيا : ٧
مزية للرية : ٢٥٢
المسهب فى غرائب العرب : ٢٥٣
المشبه فى أسماء الرجال : ٣٥٤
معجم البلدان لياقوت : ٢٠٨ ، ٣٦٥
معجم دوزى : ٦٠
معجم ما استعجم للكبرى : ١٠٨
المنطق من أزاهر الأطراف : ٢٥٣
مقدمة ابن خلدون : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٢١٢ ... الخ
المقدمة المرممة لهو المسافة والصفة : ٣٥٠
ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين
السكرتين إلى مكة وطية : ٣٥٠
المولأ : ٦ ، ٣٥٢

(ن)

الناسخ والمنسوخ
التبوع المقرئ لعبد الله كنون : ٣٣٥
نثار الأزهار فى القبل والتهار : ١٩٤
ترجمة الأتس وروضة الناس فى نبوشبح
أهل الأندلس : ٢٥٣
نصر المثانى : ٣٥٦
نقح الطيب : ٩٠ ، ٢٠ ... الخ
نيل الابتهاج بظفر الدباج لأحمد بابا التديكى :
١٠ ، ٣٣٦

(و)

وصل القوام بالخواقى : ٣٥٠

فهرس الأيام

(ف)

فتح مكة : ٢٢ ، ٦٣

(ك)

الكتائب : ٣٦٩

(ي)

يوم الفجار الآخر : ٣١٧ ، ٣١٨

(ا)

أحد : ٢٧ ، ٦٣

(ب)

بدر : ٢٧ ، ٦٣ ، ١٢٤

(ح)

حرب الفجار الآخر = يوم الفجار الآخر
حنين : ٢٧

فهرس الامثال

(ي)

يكنى من الفلاة ما أحاط بالندق : ١٠

(س)

سقط به العشاء على سرعان : ١٨

فهرس القوافي

(ح)

طويل	لك — صلحا : ١٢٥
•	تلسان — القواقع : ٣٢٩
بسيط	هذا — ضحى : ٥١
كامل	طالعتها — صباحا : ١٦٧
•	هذا — روى : ٣٥٨
•	عجبا — بالنصبيح : ٣٥٨
خفيف	هكديا — المزاح : ٢٨٦
•	أبها — الفتوح : ٣٢٣

(خ)

طويل	تلسان — السكرخ : ٣٢٣
------	----------------------

(د)

طويل	ولائمة — مولدى : ١٠
•	هنيئاً — وعده : ١٣٦
•	على — وعد : ١٣٩
•	أبأ — يستمدى : ١٧٣
•	ألسان — والسند : ١٧٥
•	فقدت — فقهه : ٣٤٥
•	أوارى — وقد : ٣٤٥
واقر	تكاثر — يعصيد : ٣٦٠
كامل	أ كثيفة — أحد : ١٧٣
•	هب — النادي : ٢٤٨
•	إن — أحدا : ٢٣٣
•	مجزوء الكامل
•	أى — السفاده : ٢٤٠
•	مجزوء الرعل
•	منزل — الوعود : ٢٥٨
•	خفيف

(٢٧—ج—٢—أزهار الرباض)

(و)

طويل	سن — أبناء : ٣٢٦
•	لن — وساؤها : ١٤١
واقر	أنا — السماء : ٧٩
كامل	زار — الظلاء : ٤٧
•	بمن — بقاء : ١٣٧
•	بأيها — آلاءه : ١٣٢

(ب)

طويل	لعل — البان : ٤٢
•	وحقك — بالغروب : ١٦٩
•	صلائكم — شرب : ١٧٤
•	أنت — شبلى : ٣١٧
•	ألا — سريب : ٣٧٨
بسيط	حيث — منصبه : ١٦٦
•	أظن — كتب : ٣٨٣
كامل	ناحت — جلبابها : ٣٣٢
•	فتلوك — الوجوب : ٣٤٤
•	مجزوء الكامل
•	لقد — القشيب : ١٠
•	منقارب
•	أعاز — الحبه : ٣٢٦

(ت)

كامل	كتب — موقوفات : ١٢٦
•	بأيت — الآتى : ٣٤٦

(ج)

طويل	تقرب — حاج : ٣٥٣
------	------------------

أياها — الجياد : ٣٢٩	خفيف
انظر — تصدده : ١٤٠	مجت

(ذ)

والبيت — كهذه : ١٢٨	كامل
يا — ملاذا : ١٣٥	مجزوء السكامل

(ر)

أرقت — جواهرها : ٨٢	طويل
طعامك — أدرى : ١٢٩	•
أمولاي — البحر : ١٣٤	•
نعم — البدر : ١٣٦	•
لك — والأصم : ١٦٤	•
ذروني — تسير : ١٦٧	•
ألا — الأكابر : ٣٦٥	•
نبئت — العبر : ٣٦٤	مديد
حل — عور : ١٣	•
أعلامك — قدر : ١٣٨	•
ما زلت — للعند : ٣٤٧	•
أرجه — الطور : ٣٨٠	•
مقدمات — مفرور : ٣٨١	•
يا فادما — طائره : ٣٤٢	•

(س)

أدريها — مجس : ٤٠	سويل
أيا — القدس : ١٥٩	•
أتوني — تنفسه : ٣٩	•
ياسن — الأسي : ٣٦٨	كامل
أهدى — والباسي : ١٣٣	مجزوء السكامل
غرد — خلس : ١٩٤	رمل

(ش)

حديث — حراش : ٣٥٤	طويل
يا — انتعاش : ٣٦٠	مخلع البسيط

(ض)

ذرية — متعرض : ٣٧٧	بسيط
--------------------	------

(ع)

لك — المطلع : ١٣٨	كامل
من — البديعا : ١٣٩	مجزوء الرمل
مولاي — مجتمعه : ١٢٩	مجزوء الرجز

ريحانة — تزهده : ١٨٦	مخلع البسيط
هب — الزهمي : ٣٥	كامل
هي — الأمصار : ٢٨	•
مولاي — للفتورا : ٣٩	•
وجه — يبحار : ١١٢	•
يايها — منشورا : ١٢٨	•
لولا — للدرار : ١٧٠	•
يايها — التصور : ٢٥٥	•
بكت — الأهار : ٣٠٨	•

كامل	ما للحمول الخالي : ١٠٧
د	بشري — يتأمل : ١١١
د	ظلم — وميل : ١١٦
د	يا من — كالا : ١٢٧
د	يا واث — النزل : ١٢٩
د	ملك — بنوال : ٢٩٣
د	ملك — فاعدل : ٣٥٧
د	هب — الضيل : ٣٨٣
د	ك — كالحا : ١٥٩
د	وجد — مالحا : ٣٧٩
د	عجبا — يالها : ٣١٩
جزوء الرمل	أنا — جمال : ١٣٩
سريع	أرق — ذبال : ٣٠٦
د	ما الهالي : ٣٠٨
د	ما — الوصال : ٣٠٩
د	بدت — اعتدال : ٣٠٩
مجت	رفعت — الهلال : ١٤٠

(م)

طويل	هنا — ينسم : ١٤٦
د	ك — دائما : ١٧٥
د	سأنظم — نظامها : ٢٤٩
د	دما — السكائم : ٣٠٢
د	نحني — أدبته : ١٣٤
د	لهادي — للإمامه : ٣٧٢
بسيط	فؤاده — موسوم : ٣٦٢
د	الله — الأقاليم : ٣٦٢
د	وعل — مشوم : ٣٦٣
معلم البسيط	قد — الإمام : ١٩٤
د	في — الأمام : ١٩٩
وافر	مشوق — الشاما : ٣٠٥
د	رأوا — يناموا : ٣١٦
د	م — الدمام : ٣٦٦

(ف)

طويل	كلاني — شفي : ١٣٥
د	اعد — النقا : ١٦٩
د	عفتكم — كطرفه : ٣٤٧

(ق)

طويل	ألا — مشوق : ٢٥٠
د	تركت — الوثني : ٢٥٢
د	ولما — المغاري : ٣٤٥
بسيط	انظر — أزرقه : ٣٥٣
كامل	أغرى — الأفاق : ١٦٠

(ك)

طويل	أقول — وآلسكا : ١٣١
د	تراجع — غارك : ٣٠٥
كامل	يا خير — الأملاك : ١٢٥
جزوء الكامل	يا خير — الملوك : ١٢٦

(ل)

طويل	نحوم — شامل : ٧٤
د	ألا — جليل : ٩٨
د	أبحر — الأمدل : ١٣١
د	أمولاي — أولا : ١٣٢
د	أزور — رسائلا : ١٧٠
د	وما — فاضل : ٣٧٢
د	أسائل — جلالة : ١٣١
معلم البسيط	قد — بالرحيل : ١٨٩
وافر	غفر — صقيل : ١٢
د	بما — الجلال : ١٥٧
كامل	لو — رسولا : ٩٦

وأرجو — بالياء : ٣٥٣
ماترى — الباء : ١٤١
لن — صداها : ٣٠٤
القى — بصطفيه : ١٤٠

(و)

أنا — العقو : ٣٥٥

(ى)

مماذ — بالياء : ٥٦
سل — حاليا : ٦٥
كتبت — السوايا : ١٣٤
أنعطش — والحقيا : ١٥٨
يكلهى — وماليا : ١٦٧
حقيق — اللعانيا : ٣٨٤
يامن — بواديها : ٢١
ولاعيا — وعى : ٣٧٢
صيام — فاضيه : ٣٥٣

ألمعة — بالهم : ٦٠
يأين — بى غفجوم : ٣٦٥
وجه — ناسم : ٢٠٠
نهای — أعظم : ٣٦٤
توجتى — الكرامة : ١٥

(ن)

سر — الحدين : ٣٤٧
مالى — التندافى : ١٠
ياخير — الإيمانا : ١٢٧
يامن — تيقى : ١٦٠
سح — مكنته : ٣٤٥
الجد — العنا : ١٣٥

(هـ)

سلام — فيها : ١٥٤
هذى — الله : ١٣
يهى — نقشاه : ١٥
الفقر — عنه : ٣٠٣

فهرس الموشحات والأزجال

صفحة	البيت
(أ)	
٢٤٦	أورنت قلبي خبىلا آه من فرط الوجيب
٢١٩	على الغصن في البستان قريب الصباح أبكاني بشاطلي النهر نوح الحمام
١٨١	وصف لها عهدى السليم أبلغ لفرامة سلامي
٢٤٢	فتبدي للسكنوم من سرى أطلع الصباح راية الفجر
٢٣٠	وارتضى الأحران دينا ألف المضيئ الشجونا
٢٠٩	في مجده العالي لا يلحق أما ترى أحمد
٢١٨	ما خلق المال إلا أن يبدد أمزج الأكواس وأملالي نجدد
٢٥٥	في وسط اللحنه تحت الحلك انظر إلى البدر القدي لاح لك
٢١١	عاد بحرا في أجمع الأفق إن سبل الصباح في الشرق
٢٦٥	بأمير المؤمنين أيها الفاسد رقا
(ب)	
٢٣٥	شوق إلى به محدد بأرض طيبة مهاد
٢٠٧	غصن نفا منك ثم بدرتم شمس ضي
٢١٨	أعظم مصابي البد عنك يا بني
٢٢٨	بالقول شدا البليل في الرياض لما تشدا
٢١٨	اختلطت الفزول بين طلوع و بين نزول
(ث)	
٢١٢	حيالك منه بأقسام نثر الزمان موافق
(ج)	
٢١٣	با زمان الوصل بالأندلس جادك الفيت إذا الفيت هي

صفحة	البيت
	(ح)
٢١٥	حيي ارفع حجاب النور عن العذار
٢١٨	حل المجنون يامل الشطارا مذ حلت الشمس بالحمل
	(ز)
٢٣٢	زهر شب المنارقي تفتحت عنه الكمام
	(س)
٢٤٢	سبعان مالك خواطر الأمرا بنواحيها في كل حين ورمان
	(ض)
٢٠٨	ضاحك عن جان سافر عن بدر
	(ط)
٢١٩	طل الصباح قم يا نديم شعرو وضحكو من بعد ما نظرو
	(ع)
٣٠٣	العتى تعبها والوابع عن شكر أمتك السوابغ
٢٠٨	المود قد ترم بأبدع تلحين
٢٢٦	عيى التي كنت أرقا كم بها بانت ترمى النجوم وبالتمسيد اقتانت
	(ف)
١٩٢	في كنوس الثمر من غر اللبس راحة الأرواح
	(ق)
١٩٧	قد نظم الشمل أتم انتظام واغنم الأعباء قرب الحبيب

صفحة	البيت
٢٠١	قد نطم النمل أتم انتظام
٢١٢	قسما بالموى الذى حجر
٢٢٧	قل للأحبة والحديث شجون
٢٣٧	قم وناج الله فى داسى الفلس
	ولاحت الأقمار بعد الغيب
	ما ليل الشوق من بحر
	ما ضر إن شاب الوفار بجون
	تنشى الأرواح
	(ك)
٢١٠	كل الذى يعمرى
٢٥٤	كم فى القدود البيان
٢٢٢	كن صرى قل ولا تكن راحى
٢٠٨	كيف السيل إلى
	من مفلة القجر على الصباح
	تحت اللهم
	فالراعى عن رعيته مشول
	صبرى وفى العالم أشجان
	(ل)
٢٤٣	لأحد بهجة كالقمر الزاهر
١٤٥	لأحد تمنو الأقمار
٢٤٠	لأحد المصطفى مقام
٢٠٣	له ما أجل روض الشباب
١٠٥	لو ترجع الأيام بعد الدهاب
	فى أبرج السعد
	فعدد غزاه
	من قبل أن يفتح زهر الشيب
	لم تعدح الأشواق ذكرى حبيب
	(م)
٢١٢	ما حال صب ذى حسن واكتساب
٢١٠	ما العيد فى حلة وطاق
٢٢١	السال زينة الدنيا وعن النفوس
٢١٠	ما القوله من سكره لا يفيق
	أمرضه يا ويلناه الطيب
	وشم طيب
	يبى وجوهاً ليس هى بأعيا
	ياله سكران
	(ن)
٢٣٨	نأت بي الأوطان
٢٢٦	ناديتها ومشيى قد طواني طى
١٧٩	نسيم غمرامة عليل
١٧٤	نواسم البستان
	عن حضرة الإحسان
	جودى على بقلّة فى الموى يامى
	لكنه يرى الليل
	تنثر سلك الزهر

البيت	صفحة
(٩)	
هل درى ظي الحى أن قد حى	٢١٣ قلب ص حله عن مكس
(١٠)	
واحسرتا لزمان مضى	٢١١ عشية بان الموى واغضى
وأخضر حمادى فى الورد لائح	٢٥٥ على صفح ورد حسنه متناهى
ورفادى دق ينزل	٢١٧ وشعاع الشمس يضرب
ومرئش قد قام على دكان	١١٦ بحال رواق
(١١)	
يا حادى العيس ازجر بالمطايا زجر	٢٢٦ وقف على منزل احبابى فيل الفجر
يا حبيب الحى من حى الحى	١٢٩ أنم عيسى وأنم عرسى
يا لبنى إن ريت حبيبي	٢١٨ أفتل اذنو بالرسلا
يا لبة الوصل والموود	٢٠٩ بالله عودى
يا حاجرى هل إلى الوصال	٢١١ منك سبييل
بد الإصباح	٢١٢ قدحت زناد الأنوار

فهرس أنصاف الآيات

(ع)

ههبا لها أيدوق طعم وصالها : ٣٢٢ كامل.

(١)

أعري سرة المني بالإطراق : ١٥ رجز

فهرس الموضوعات

صفحة	
٨١	في صنيع بعض أمراء بني الأحمر
٩٣	من عيدياته
٩٦	عيدي أخرى
١١٦	ومن أناشيدته في المواسم العتيبة
١٢٢	وله في بعض ثزم مولاه في شفييل
١٢٥	وله في الشكر على ضروب من التحف
١٢٦	في هدية من حب الملوك
١٢٦	في هدية أخرى منه
١٢٧	في صيد أهدى إليه
١٢٧	في أسناف من القواكا أهديت إليه
١٢٨	وله في يوم عاشوراء
١٢٨	ومن بعض قطعه
١٢٩	في باكور أهداه إليه
١٢٩	في جفنة تريد
١٢٩	في الشكر عن كتاب
١٣٠	في الشكر على خلعة
١٣١	وله في السؤال عن حاله وقد مرّس { بعض أبنائه
١٣١	في مثل ذلك
١٣٢	في التورية باسم قائد
١٣٢	في ملابس أخذه
١٣٣	فيما يرسم على ثوب مهدي السلطان { أبي العباس
١٣٣	في مثل ما تقدم
١٣٤	وله في التي يأنه وهو على جواد آدم
١٣٤	وله مع هدية زهرية
١٣٤	وله منشوراً إلى التي يأنه
١٣٥	ومما كتبه إليه وهو في حال تألم
١٣٥	في مثل ذلك أيضاً

صفحة	
	الفاضي البهاهي
٥	التعريف به
٥	من كلام لابن الخطيب عنه
٦	من كلام للسراج عنه
٧	من تأليفه
٧	لسبه
٧	بعض ما كتبه ابن الخطيب عنه في الإحاطة
١٠	شعر له أورده ابن الخطيب
١١	حظوته عند ابن الأحمر بعد تنكحه { لابن الخطيب
١١	من كتاب لبعض بني الأحمر
٣٤	شعر اختاره المؤلف أيضاً من كتاب { ابن الأحمر
٣٥	في مدح النبي يأنه ونجد الدولة الأحمديّة
٣٨	في شكر السلطان لنعمة وصلته في { عاشوراء
٣٩	في وصف فرغل يحيل الفتح
٤٠	في تهنئة مولاه بوصول القائد خاله { من تلمسان
٤٢	في مولد عام خمسة وستين
٤٦	في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة
٥١	ما أنشده في مولد عام ثمانية وستين
٥٥	ومن إعدارياته سنة أربع وستين { وسبع مئة
٩٠	ومن شعره في الصنيع الخفيس بالأميرين { سعد ونصر
٦٥	ومنه في صنيع الأمير أبي عبيد الله
٧٤	في صنيع للتي يأنه لإعذار بعض حفده

صفحة	صفحة
١٧٣	في ذلك أيضا ١٣٥
١٧٣	وله في التهنئة بالشمام ١٣٥
١٧٥	في هذا أيضا ١٣٦
١٧٥	في مثل ما سبق ١٣٦
١٧٥	وله بصف البازي ويشكر ما أهدى ١٣٧
١٧٦	إليه من صيده ١٣٧
١٧٦	وله بصف قراماً وينفاد ١٣٨
١٧٦	في التهنئة بعودة الأمير من جبل الشوار ١٣٩
١٧٧	قبها برسم بطيغان الأبواب ١٣٩
١٧٩	في مثل هذا ١٣٩
١٨١	في بيتي للأمير سعيد ١٤٠
١٨٤	وله في الشكر عن هدية ١٤١
١٨٩	وله في التذليل على بيتي ابن للعتز ١٤٢
١٩٢	وله في التذليل على بيت ابن وكيع ١٤٢
١٩٢	ومما برسم للفني بالله ١٤٣
١٩٤	من مقطوعة ١٤٣
١٩٥	في عبدي ١٤٣
١٩٥	في وصف جيش ١٤٤
١٩٧	من قصيدة له ميمية ١٤٦
١٩٧	في رثاء الفتي بالله ١٤٩
١٩٩	وله على لحد الفتي بالله ١٥٢
٢٠٠	وفي رثاء الفتي بالله أيضا ١٥٤
٢٠١	وله في استعطاف السلطان أبي الحجاج ١٥٧
٢٠٣	وله في خطاب السلطان أبي عبد الله ١٥٨
٢٠٥	ومن شعره في أبي عبد الله ١٥٨
٢٠٥	وله في خطاب مولاه الوالد ١٥٩
٢٠٦	سرنيته لأبي القاسم الحسيني ١٦٠
٢٠٦	وله في مدح شبحه ابن الخطيب ١٦٤
٢٠٦	وله مما يتخاطب به ابن الخطيب أيضا ١٦٦
٢٠٦	وله في وصف مصباح ١٦٩
٢٢٧	وله في صدر رسالة إلى ابن الخطيب ١٧٠
٢٢٨	وله بصف الزرافة وعمد مدح ١٧٠
٢٢٨	السلطان أبا سالم ١٧٠
٢٢٧	وله يستعجز كتاب المغرب ميلادياتهم ١٧٣
٢٢٨	وله لإيهم أيضا في الفتي للتقدم ١٧٣
٢٢٨	وله في مراجعة الكتاب أبي زكريا ١٧٥
٢٢٨	ابن أبي دلالة ١٧٥
٢٢٨	وله في السلطان أبي العباس ١٧٥
٢٢٨	لغزله في سبب إطالة الحديث عن ١٧٦
٢٢٨	ابن زمرك ١٧٦
٢٢٨	من موشحات ابن زمرك ١٧٦
٢٢٨	موشحة له في الشوق إلى غرناطة ١٧٧
٢٢٨	ومن موشحاته في وصف بيتي الرشاد ١٧٩
٢٢٨	ومن موشحاته إلى الفتي بالله ١٨١
٢٢٨	ومن موشحاته معارضا ابن سهل ١٨٤
٢٢٨	ومن موشحاته في الصبوحيات أيضا ١٨٩
٢٢٨	ومن موشحاته في التهنئة بالشفاء ١٩٢
٢٢٨	من مريض ١٩٢
٢٢٨	موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء ١٩٤
٢٢٨	موشحة له في وصف مالقة ومدح ١٩٥
٢٢٨	الفتي بالله ١٩٥
٢٢٨	موشحة له في وصف بناء الحديث ١٩٧
٢٢٨	بمالقة ١٩٧
٢٢٨	موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء ١٩٩
٢٢٨	موشحة له أخرى في الهناء بالشفاء ٢٠٠
٢٢٨	ومن موشحاته في تهنية السلطان ٢٠١
٢٢٨	موسى بن أبي عثمان المريني ٢٠١
٢٢٨	ومن موشحاته في وصف غرناطة ٢٠٣
٢٢٨	والطرد وغير ذلك ٢٠٣
٢٢٨	آخر موشحاته وهي في مدح الرسول ٢٠٥
٢٢٨	صلى الله عليه وسلم ٢٠٥
٢٢٨	كلام ابن خلدون في اللوشحات ٢٠٦
٢٢٨	والأزجال ٢٠٦
٢٢٧	اعتذار المؤلف عن ذكره الأزجال ٢٢٧
٢٢٨	موشحاتان غير منسوبتين في مدح ٢٢٨
٢٢٨	الرسول ٢٢٨

صفحة	
٢٩٤	شيء عن منذر ابن سعيد البلوطنى
٢٩٦	بعض ما تورد كلامه
٢٩٧	تقسيد لوالصيرى فى تشييع ابن الخطيب على الموتقين
٢٩٧	رجع إلى سبعة وما كان بين ابن حميس وبعض طائفتها
٣٠١	التعريف بابن حميس ومقتله ...
٣٠٨	شعر صوفى لأبى مدين
٣٠٩	نخبس على قصيدة لسيدى إبراهيم التازى
٣١٥	قصيدة لابن مرج السكحل تشبه قصيدة لابن حميس
٣١٦	ولابن مرج السكحل
٢٣٢	منزلة ابن جليس عند علماء المشرق
٣٢٣	شوق ابن حميس إلى بلدة تلمسان
٣٢٩	من قصيدة أخرى له فى الشوق إلى تلمسان
٣٢٩	قصيدة لتغرى فى وصف تلمسان
٣٣٢	قصيدة أخرى لتغرى فى تلمسان ...
٣٣٣	قصيدة منديل ابن أحروم فى ذكر قاس رجع إلى نظم ابن حميس وجه الله
٣٣٥	ولابن حميس يصف تلمسان ويمدح ابن الحكيم
٣٤٠	التعريف بابن الحكيم
٣٤١	سلفه
٣٤١	قدومه إلى غرناطة
٣٤١	شماله
٣٤١	رحلته مع ابن رشيد وشيوخها ...
٣٤٢	تلاميذه
٣٤٢	قصيدة ابن الجباب فى مدحه ...
٣٤٤	أبيات فى رثائه
٣٤٥	شيء من شعره
٣٤٦	ومن نثره
٣٤٧	بديعته

صفحة	
٢٣٠	موشحات لابن الصايغ الجذائى فى مدح الرسول أيضا
٢٤٨	نظم للجذائى فى غير الموشحات ...
٢٥٠	ومن نمجه
٢٥٢	من نظمه فى مدح النبي
٢٥٣	لابن خاتمة من الموشحات

رجع

٢٥٦	بعض ما ورد من الأثر فى سبته ...
٢٥٧	الحليفة الناصر وسبته
٢٥٨	خلافة الناصر
٢٥٨	رسل ملك الروم إليه
٢٦١	هدية ابن شبيب إلى الناصر ...
٢٦٥	الناصر وقد أراد التقصد يوما ...
٢٦٥	بناء الناصر جامع الزهراء
٢٦٦	بناءؤه القنطرة
٢٦٧	تشديد الناصر مدينة الزهراء ...
٢٧٢	شيء عن عمران قرطبة
٢٧٢	احتفال الناصر لتقديم ملك الروم وظهور البلوطنى على سائر الخطباء
٢٧٧	من خطبة للبلوطنى
٢٧٧	بينه وبين الناصر فى الترهيد فى تتميق القبايا
٢٧٩	خطبة لتغرى فى الاستسقاء
٢٨٠	من خطبة له أخرى فى ذلك
٢٨٠	بعض أنصاره مع الناصر وحديث الفبية
٢٨٢	الناصر وأيام سروره
٢٨٢	اعتذار الناصر لأولاد ابنه وما كان بينه وبين القبة أبى إبراهيم لتخلقه
٢٨٤	بين الحكم والفقيه أبى إبراهيم
٢٨٦	بيعة الحكم المستنصر
٢٨٨	وفود أردون عليه وحديث ذلك
٢٩٣	شعر المرادى فى هذا المقام ...

صفحة	صفحة
٣٦١ ... مولده ووفاته	٣٤٧ ... الشريف بابن رشيد
٣٦١ { من شعره في مدح أبي يعقوب	٣٤٧ ... رحلته وما أقدمتها
٣٦١ { يوسف ...	٣٤٨ ... شلاله
٣٦٤ ... هو وأبو العباس الجراوى	٣٤٨ ... شيوخه
٣٦٥ ... الجراوى يهبو بهى ففجوم	٣٥٠ ... تأليفه
٣٦٥ { من شعر القاضي أبي حفص	٣٥٠ ... مذهبه
٣٦٥ { أمير الموحدين ...	٣٥٠ ... شرحه للبخارى
٣٦٦ ... وله في الغزل ...	٣٥٠ ... اجتهاده في فهم الحديث
٣٦٧ ... لابن شكيل في مدح القاضي أبي حفص	٣٥١ ... يروى أن الحديث مروى بالمعنى
٣٧١ ... ثناء العلماء على القاضي أبي حفص	٣٥١ ... قدرته على البيان والارتجال
٣٧٣ ... من نظم القاضي أبي حفص:	٣٥٢ ... تطبيق للمؤلف على موقف ابن رشيد
٣٧٤ ... بيت العراقيين أصحاب نسبه	٣٥٢ ... شهادة ابن رشيد لبعض العلماء
٣٧٤ ... أبو القاسم العزفى ...	٣٥٢ ... تقرىظ لبعض تأليفه
٣٧٥ ... بعض تأليف أبي القاسم العزفى:	٣٥٣ ... شىء من أشعاره ...
٣٧٦ ... نسبة العزفين إلى لحم ...	٣٥٤ ... لشارة إلى بعض المواضيع في الحديث
٣٧٧ ... بعض فضائله وشعره	٣٤٥ ... لما جاء به لبنت المهين ووفاته
٣٧٧ ... إنشاء: أبو حاتم وأبو طالب في سبته	٣٥٥ ... حاله بعد عودهم للشرق
٣٧٧ ... يحيى بن أبي طالب ...	٣٥٦ ... كتاب الإشادة للعزفى ...
٣٨٨ ... يحيى بن يحيى العزفى ...	٣٥٧ { لأبى العباس العزفى في مدح ابن
٣٧٨ ... صاحب الإرشاد من بني العزفى ...	٣٥٧ { المنكسر ...
٣٧٨ ... تعريف الإشادة بابن خبازة الشاعر	٣٥٨ ... مؤله في مدحه أيضا ...
٣٧٩ ... بعض أشعار ابن خبازة ...	٣٥٩ ... كلام القاضي أبي حفص في كتاب
٣٨٨ ... قصيدته في رثاء ابن الجمر ...	٣٥٩ { الإشادة ...
٣٨٢ ... وله في رثاء ليحيى بن الناصر الموحدى	٣٦١ ... التعريف بالقاضي أبي حفص عمر السلى
٣٨٣ ... وله في الحين إلى أحبائه ...	٣٦١ ... شيوخه
٣٨٣ ... وله في مدح النبي ...	٣٦١ ... ولايته

تصويب أخطاء مطبعية

س	م	خطأ	صواب
٣	٧٠	في الجوّ	في الجوّ
٦	١٠٧	واسحب	واسحب
٢٢	١٠٨	ورمة	ورامة
٩	١٢٥	والله	والله
١٥	١٣٨	قصي	قصي
١٧	١٦٠	ترجي	ترجي
٨	١٦٦	القصة	القصة
١٩	١٦٧	ذا ما طوى	إذا ما طوى
١٣	١٦٨	أكني	أكني
٧	١٨١	والشيب	والشيب
٨	١٩١	ما الزهر	ما الزهر
٣	١٩٢	الثغر	الثغر
٥	١٩٢	مذهبنا	مذهبنا
٧	٢٠٥	نوم	نوم
١٤	٢١٣	يسر	يسر
١٤	٢٣١	المجد	المجد
٤	٣٤٩	محمد بن	محمد بن
١٠	٣٦٥	غفجوم	غفجوم